رفع
المسـ هم
غفر الله له ولوالديه

كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي
أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم
صاحب السمو الملكي
الأمير بندر بن عبد العزيز آل سعود
أجزل الله مثوبته

المجلد الخامس

دار كنوز إشبيليا

رفع
المسـ هم

كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي
أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم
صاحب السمو الملكي
الأمير بندر بن عبد العزيز آل سعود
أجزل الله مثوبته

المجلد الخامس

دار كنوز إشبيليا
للنشر والتوزيع

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦٦٢ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٩-٩٥-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

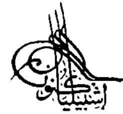
رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٩-٩٥-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٢- باب فضل ضعفة المسلمين والفقراء والخاملين

قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾[الكهف: ٢٨].

الحديث رقم (٢٥٢)

٢٥٢- عن حَارِثَة بْنِ وهْب رضي الله عنه قَال: سمعتُ رسولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم يقولُ: «**أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجنَّةِ؟ كُلُّ ضَعيفٍ مُتَضَعَّفٍ لَوْ أَقْسَم عَلَى اللَّه لأبرَّه، أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ**» متفقٌ عليه[١].

«**الْعُتُلُّ**»: الْغَلِيظُ الجافِي. و«**الجوَّاظُ**» بفتح الجيم وتشديدِ الواو وبالظاءِ المعجمة وَهُو الجمُوعُ المنُوعُ، وَقِيلَ: الضَّخْمُ المُخْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ، وقيلَ: الْقَصِيرُ الْبَطِينُ[٢].

ترجمة الراوي:

حارثة بن وهب الخزاعي: هو أخو عبيدالله بن عمر بن الخطاب لأمِّه.

له صحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم.

يعدُّ من الكوفيين، وله رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن حفصة بنت عمر "أم المؤمنين" رضي الله عنهما وغيرها.

وله في الصحيحين أربعة أحاديث[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩١٨) واللفظ له، ومسلم (٢٨٥٣/٤٦). أورده المنذري في ترغيبه (٤٦٧٢).

(٢) بنصه في الترغيب (٤٧/٤).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٢٤١)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ١٤٢، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٦٥٧/١)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣٥/٢)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٣٤٢/١)، والطبقات الكبرى، ابن سعد (٢٦/٦).

غريب الألفاظ:

مُتضعَّف: أي يستضعفه الناس ويحتقرونه ويتجبرون عليه لضعف حاله في الدنيا[١].

لأبرّه: لو حلف يمينًا طمعًا في كرم الله تعالى بإبراره لأبره وأجابه[٢].

العُتُل: الغليظ الجافي[٣].

الجوَّاظ: هو الجموع المنوع، وقيل: الضخم المختال في مشيته وقيل: القصير البطين[٤].

الشرح الأدبي

إن القوة في الإسلام لها معايير ومقاييس، تتسامى وتعلو فوق المقياس المادي الذي يألفه الماديون، وهم في غياب عن القوى النفسية والروحية التي تكسبها الطاقة الإيمانية وهجًا من الإرادة، ودوافع من العزم والثقة، فدنيا المؤمن، حتى ولو بدا ضعيف البنية، رث الحال، هي الدنيا كلها بشمسها وقمرها كما يقول الرافعي، وإن لم يملك منها شيئًا، ما دامت في قلبه طبيعة السرور، فلا فقر ولا غنى مما يشعر الناس بمعانيه، بل كل ما أمكن فهو في غنى كامل، إذ لم تعد القوة في المادة تزيد بزيادتها، وتنقص بنقصها، بل القوة في الروح التي تتصرف بطبيعة الوجود، وتدفع قوى الجسم بمثل دوافع الطفولة النامية المتغلبة، حتى لتجعل من النور والهواء ما يؤتدم به مع الخبز الفقار، وبذلك لا تتسلط ضرورة على الجسم، كالجوع والفقر والألم ونحوها، إلا كان تسلطها كأنه أمر من قوة في الوجود إلى قوة في هذا الجسم، وهذا الجنس من الناس كالأزهار على أغصانها الخضر.

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٢/١٩٩٠.

(٢) المرجع السابق ٢/١٩٩٠.

(٣) رياض الصالحين ١٤٩.

(٤) المرجع السابق ١٤٩.

ولقد كان المسلم يضرب بالسيف في سبيل الله، فتقع ضربات السيوف على جسمه فتمزقه، فما يحسها إلا كأنها من قبل أصدقاء من الملائكة يلقونه ويعانقونه، ولم تكن أثقال المسلم من دنياه أثقالاً على نفسه، بل كانت له أسباب قوة وسمو[١].

وفي ضوء هذا التصور لمعيار القوة والضعف في الإسلام نقرأ هذا الحديث الشريف، ونتأمل جمالياته وأسراره التعبيرية وظواهره الأسلوبية، فالحديث يقدم نموذجين: أحدهما من أهل الجنة، والآخر من أهل النار، فهو في مجمله وبنائه، يقوم على المقابلة بين صنفين من الناس، وهما متناقضان في كل سماتهما وملامح شخصياتهما، وقدم رسول الله ﷺ النموذج "الخيِّر" لأفضليته، وهو من أهل الجنة، وأما النموذج الآخر فهو نموذج مرفوض في الدنيا والآخرة، وذلك النموذج قد يخدع الناس بمظهره، وقد يخافون بأسه، ويخشون سطوته، ولكنه في النهاية يلقى مصيره المحتوم.

والحديث يبدأ بقوله ﷺ: "ألا" وهي: حرف استفتاح لتنبيه السامع للكلام الآتي بعده.. وذلك لأهميته، وحتى ينتبه السامعون لهذه الأهمية، التي قد يغفل عنها كثير من الناس، كما قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ﴾[٢].

وهذا الاستفتاح كرر مرتين مقرونًا بالاستفهام: حيث جاءت الأداة نفسها في مقدمة القسم الثاني من الحديث.

والفعل: "أخبركم" كرر مرتين، والخطاب للصحابة الذين شَرُفوا بسماع صوت رسول ﷺ، ولكل من يقرأ الحديث أو يسمعه من المسلمين إلى يوم القيامة، ولكل من تبلغه الدعوة، عليه أن يفقه هذا الأمر الدقيق البليغ العميق، والإخبار هنا يحمل سمة الصدق واليقين والتثبت: لأن من ساق الخبر هو الصادق الأمين، الذي لا ينطق عن الهوى، والذي يبلغ عن ربه عز وجل.

---

(١) انظر: وحي القلم "للرافعي"، مقال: حقيقة المسلم، ٢/١٠-١١.

(٢) سورة الكهف، آية: ٢٨.

ويتسم البيان النبوي بالإيجاز، حيث حذف جواب السامعين للعلم بوقوعه، والتقدير: قالوا: بلى، وتأتي إجابة رسول الله ﷺ موشاة ببلاغة الحذف والتقدير: قال: هم، لأن هذه التفصيلات لا تفيد السامع شيئًا: وإنما الثمرة هي معرفة سمات أهل الجنة أو بعض أهل الجنة الذين وعدوا بها، وهم "كل ضعيف متضعف"، والضعيف هنا: هو الذي لا يملك القوة المادية، ولكنه يتسلح بقوة الإيمان والعزيمة والثقة وقوله: "متضعف" بفتح العين المشددة: أي الذي يستضعفه الناس ويقهرونه، لأنه يفتقد المال والجاه والحسب، وهم لا يدرون قدره عند ربه، ولو قلنا: "متضعِّف"، بكسر العين، لأصبح المعنى أعمق وأدق حيث يفيد أنه يخضع لله سبحانه، ويذل له نفسه، ولا يذل نفسه للناس، فهو عزيز بربه، قوي بعقيدته، فهو لو يقسم على الله لأبره، فالله يستجيب لدعائه.

والتعبير بـ"يقسم" في صيغة المضارع يفيد استمرار عناية الله بهذا الصنف من الناس، وإكرامه لهم، وأما أهل النار فهم "كل عتل" وهو الغليظ من الناس الجافي وقيل الكافر، أو السمين والأكول الشروب الذي يفتقد سماحة الإسلام، "والجواظ" هو الجموع المنوع البخيل، والكلمة توحي بكل الصفات الكريهة المنفرة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التشويق.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل التواضع والتذلل لله.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل حسن الصلة بالله تعالى.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: النهي عن الغلظة والخيلاء.

أولاً- من أساليب الدعوة: التشويق:

تضمّن الحديث أسلوبًا من أساليب الدعوة وهو التشويق، يظهر هذا في قوله ﷺ "ألا أخبركم بأهل الجنة؟" فشوق أصحابه إلى معرفة أهل الجنة.

وأسلوب التشويق من الأساليب الدعوية التي تشوق المدعوين لكلام الداعية، فالتشويق نوع من التحفيز، وله علاقة بالترغيب، لكنه يأتي بعده، فعند حصول الرغبة

في الشيء والقناعة به والتطلع إلى نيله، يمكن أن يحصل الشوق إلى رؤياه والإسراع في كسبه وتحصيله، وقد كان الرسول ﷺ يقص على أصحابه من أخبار الجنة واليوم الآخر ما يشوقهم به لحصول المرغوب فيه، فيثير في نفوسهم حب التطلع إلى أخبار الجنة وأحوال أهلها، مما له أكبر الأثر في زيادة رغبتهم فيها والسعي نحو تحصيلها. وينتج عن ذلك استقامة في السلوك ونماء في العادات الجيدة والأخلاق الفاضلة[١].

كما أن التشويق يدل على براعة الداعية في جذب انتباه المدعوين. فمثلاً حينما وقف النبي ﷺ على الصفا ونادى في الناس "يا صباحاه"... فاجتمعوا -ثم لم يفاجئهم بل مهد لهم وتدرج معهم في أسلوب تشويقي جميل- وقال: ((أرأيتُم إن أخبرتُكم أنَّ خيلاً تخرجُ من سَفح هذا الجَبَل أكنتم مُصدِّقِيَّ؟ قالوا: ما جرَّبنا عليك كذبًا. قال: فإنِّي نذيرٌ لكم بين يَدَيْ عذاب شديد))[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل التواضع والتذلل لله:

يظهر ذلك في قوله ﷺ "ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف" قال القاضي عياض: (وقوله في أهل الجنة: "كل ضعيف متضعف"، هو: صفة نفي الكبرياء والجبروت التي هي صفة أهل النار، ومدح التواضع والخمول والتذلل لله -عز وجل- وحض عليه، فالحديث ذكر بعض علامات أهل الجنة ومنها أن يكون ضعيفًا متضعفًا أي لا يهتم بمنصبه أو جاهه، أو يسعى إلى علو المنازل في الدنيا، ولكنه ضعيف في نفسه متضعف، فهو يرى أن المهم أن له جاه ومنزلة عالية عند الله، لا يهمه أن يكون شريفًا في قومه أو عظيمًا فيهم[٣].

وقد وصف المولى عباده المتذللين المتواضعين بأنهم عباد الرحمن، فقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[٤].

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٢٣-٢٢٥.

(٢) أخرجه البخاري ٤٩٧١، ومسلم ٢٠٨.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١/٦١٩.

(٤) سورة الفرقان، آية: ٦٣.

قال الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ (إن المؤمنين قوم ذُلُل، ذلت منهم -والله- الأسماع والأبصار والجوارح حتى تحسبهم مرضى وما بالقوم مرض، وإنهم لأصحاء، ولكنهم دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة)[١].

والتواضع التذلل لله يكون سببًا لرفعة العبد جزاء من الله على تواضعه وتذلله، قال رسول الله ﷺ ((... وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلّهِ إلاَّ رَفَعَهُ اللّهُ))[٢]. فينبغي للداعية دعوة الناس إلى التواضع والتذلل لله عز وجل.

إن التواضع خلق الأنبياء والمرسلين، ونعت المتقين والمهتدين، والتكبر خلق الجبابرة الظالمين.

إن التواضع يزيد الشريف شرفًا، ويرفع الوضيع حتى يصل إلى مقامات الأولياء والأصفياء. إنه من تواضع لله تعالى ولعباده كانت جميع اجتماعاته بالناس على اختلاف درجاتهم مغنمًا يكسب بها الخيرات والمثوبة من الله، فإنه يلاقي الناس ويخاطبهم ويجتمع بهم ويعاشرهم بهذه النية الصالحة الفاضلة، وبالكلام اللين الطيب للغني والفقير والشريف والوضيع، لا يرى لنفسه عليهم فضلاً، ويوطن نفسه على ما استطاع من نفع من اجتمع به، فهذه النية وهذا العمل وهذه المعاشرة من هذا المتواضع جميعه قربة يتقرب بها إلى الله ثم يترتب على ذلك محبة الناس وكثرة ثنائهم وأدعيتهم له، وهذا أفضل ما اكتسبه المكتسبون ونافس فيه المنافسون، وكل من سمع بأخلاقه ولو لم يجالسه أحبه ودعا له، فمن أعظم الغبن والخسران، الاستهوان بهذه الأمور الجليلة، والخصال الجميلة، التي لا تدرك وتنال إلا بخلق التواضع والإخلاص[٣].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٢٢/٦.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

(٣) انظر: الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، السعدي ص ١٠٥-١١٢.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: حسن الصلة بالله تعالى:

إن من موضوعات الدعوة التي تظهر من هذا الحديث حسن الصلة بالله تعالى. يتضح ذلك من قوله ﷺ "لو أقسم على الله لأبره".

فحسن الصلة بالله تجعل صاحبها واثقًا بالله مهما ضاقت عليه الدنيا، قال ابن قيم الجوزية: (لا يزال العبد منقطعًا إلى الله، حتى تتصل إرادته ومحبته بوجهه الأعلى، والمراد بهذا الاتصال أن تُفضي المحبة إليه وتتعلق به وحده، فلا يحجبها شيء دونه، وأن تتصل المعرفة بأسمائه وصفاته وأفعاله، فلا يطمس نورها ظلمة التعطيل، كما يطمس نور المحبة ظلمة الشرك؛ وأن يتصل ذكره به سبحانه، فيزول بين الذاكر والمذكور حجاب الغفلة والتفاته في حال الذكر إلى غير مذكوره، فحينئذٍ يتصل الذكر به، ويتصل العمل بأوامره ونواهيه، فيفعل الطاعة لأنه أمر بها وأحبها، ويترك المناهي لكونه نهي عنها وأبغضها)[1]. فينبغي أن يحرص المسلمون على حسن الصلة بالله تعالى، وعلى الدعاة الاهتمام بتذكير المدعوين بأهمية حسن الصلة بالله عز وجل.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: النهي عن الغلظة والخيلاء:

يظهر هذا في قوله ﷺ "ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر"، قال أبو العباس القرطبي: (وعلى الجملة فمقصود هذا الحديث أن أهل الجنة على النقيض من أحوال أهل النار، ألا ترى أنه قابل صفات أهل الجنة وذكر نقائضها في أهل النار، فقال: "وأهل النار كل عتل جواظ مستكبر" والعتل هو الجافي الشديد الخصومة، وقيل هو الأكول الشروب الظلوم، والجواظ هو الجموع المنوع وقال غيره المختال)[2]. فبيّن أن أهل النار هم المستكبرون من أهل الغلظة والخيلاء، فيكون في ذلك نهي عنهم لما فيهما من إثم ومعصية.

---

(١) الفوائد، ابن القيم، تحقيق: محمد عثمان الخشت ص ٢٨٧.

(٢) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٦٩/٧، ١٧٠.

قال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾[١]؛ لأن الكبر من أشنع ما يوصف به الإنسان حيث يترك على شخصيته آثارًا سيئة، لأنه خلق ذميم وآفة قاتلة تظهر آثاره جلية، لأن النفس البشرية يدمرها هذا السلوك؛ لذا فعلى المدعو أن يحذر الكبر حتى لا يبعده عن الصواب[٢].

لأن الكبر والتعالي من الخصال المذمومة في الشرع، والعقل، والفطرة. والمتكبر ممقوت عند الله وعند خلقه.

قال ﷺ: ((لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: «إِنَّ الله جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ. الْكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ))[٣].

وغمطُ الناس: احتقارهم، وأما بطر الحق، فهو: دفعه وإنكاره ترفعًا وتجبرًا [٤].

هذه هي حقيقة الكبر بطر الحق: يعني دفعه ورده، وغمط الناس: يعني احتقارهم[٥].

وكذلك يجب البعد عن الغلظة لقوله ﷺ ((من لا يَرحمُ لا يُرحَم))[٦]؛ فينبغي للداعية أن بين للناس مساوئ الغلظة والخيلاء وآثارها السيئة على الفرد والمجتمع وبغض الإسلام لهذا الخلق الذميم.

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٤٦.

(٢) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري ص ٤٢٧.

(٣) أخرجه مسلم ٩١.

(٤) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥١.

(٥) الهمة العالية، محمد إبراهيم الحمد ص ٦٠.

(٦) أخرجه أبو داود ٥٢١٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣٤٨).

الحديث رقم (٢٥٣)

٢٥٣- وعن أَبي العباسِ سهلِ بنِ سعدٍ الساعِديِّ رضي الله عنه قال: مرَّ رجُلٌ على النَّبيِّ ﷺ فقالَ لرجُلٍ عِنْدهُ جالسٍ: «ما رَأيُكَ فِي هَذَا؟» فقال: رَجُلٌ مِنْ أَشْرافِ النَّاسِ هذا وَاللَّهِ حَرِيٌّ إنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ. فَسَكَتَ رسول اللَّه ﷺ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخرُ، فقال له رسولُ اللَّه ﷺ: «مَا رأيُكَ فِي هَذَا؟» فقال: يا رسولَ اللَّه هذا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هذَا حريٌّ إنْ خطَبَ أَنْ لا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لا يُسْمع لِقَوْلِهِ. فقال رسول اللَّه ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ منْ مِلءِ الأَرْضِ مِثْلَ هذا» متفقٌ عليه[١].

قوله: «حَرِيٌّ» هو بفتحِ الحاءِ وكسر الراءِ وتشديد الياءِ: أَيْ حقيقٌ. وقوله: «شَفَعَ» بفتح الفاءِ.

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

حريٌّ: حقيق[٢].

شفع: بفتح الفاء والشفاعة: التوسط لالتماس العفو أو التخفيف من العقوبة عن الغير من غير دليل[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٤٧) ولم يخرجه مسلم.

تنبيه: نبهنا عدّة مرات أن المؤلف رحمه الله تابع الحميدي في جمعه حتى في السياق في عدد كثير من الأحاديث، وهذا الحديث أورده الحميدي في جمعه (٥٥٣/١، رقم ٩١٥) في المتفق عليه وقال في آخره: ذكره أبو مسعود في المتفق عليه، وتبع الحميدي أيضًا في هذا الحديث ابن الجوزي في جامع المسانيد (٣٢١/٣، رقم ٢٤٣١)، وابن الأثير في جامع الأصول (٢٣٠/٩) فعزياه للبخاري ومسلم. ولم يعزه المزي في تحفة الأشراف (١١٤/٤، رقم ٤٧٢٠) إلا إلى البخاري. وقال الحافظ ابن حجر في النكت الظراف: قال الحميدي: ذكره أبو مسعود في المتفق، ولم أجده في: (م) أي في صحيح مسلم انتهى. وذكره ابن الجوزي في المتفق (٣٢١/٣، رقم ٢٤٣١)، وأهمل التنبيه الذي ذكره الحميدي، وذكره في إفراد (خ) أي البخاري خلف، والطرقي وغيرهما وهو الصواب.

(٢) رياض الصالحين ١٥٠.

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٢٣٥.

الشرح الأدبي

إن المنهج الإسلامي في تقويم الشخصية لا يُعْنى بالرسوم والحجوم، ولكن يُعنى بالقلوب والفهوم، وأبعاد الشخصية في الإسلام تتكامل وتتلاقى في دائرة واحدة: هي دائرة الإيمان، وهي في جوهرها لا تنفصل عن القاعدة الإسلامية التي تنطلق من منابع السنة النبوية الشريفة حيث يقول المصطفى ﷺ: ((إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم))[1]، والمسلم مطالب بالحفاظ على مظهره، وباتخاذ الزينة عند كل مسجد، وبنظافة البدن والثوب والمكان، وبالوضاءة والطهور عند كل صلاة، فهو في مظهره ذو وضاءة إيمانية، وهو في مخبره كالمرآة المجلوة صفاءً ونقاءً، لا تلهيه القشور عن اللباب، ولا تخدعه الأعراض فتنسيه الجوهر، وفي ظل هذا المنهج يجب أن يتشكل تصوره في الحياة، وأن تتشكل رؤيته للناس.

وحين نتأمل ونفقه الدرس النبوي الذي يقدمه هذا الحديث الشريف: من خلال استكشاف أسراره اللغوية وظواهره الأسلوبية والأدبية ندرك أن المصطفى ﷺ أراد أن يبرهن على صدق المنهج الإسلامي وصوابه من خلال هذا الحوار التدريبي التعليمي الواقعي، عبر هذا التشويق، وذلك الإقناع العملي الذي يهدف إلى ضرورة عمق النظر إلى الأشياء، وأن لا يخدع المسلم بسراب الأشكال البراقة، وأن لا يفتن ببريق المناظر والمظاهر المبهرة، والحديث في بنائه الأسلوبي يتكون من مشهدين متقابلين متضادين، والمشهد الأول يتشابه مع الثاني في الإطار العام، ولكنه في تفاصيله يناقضه تمامًا، فالنبي ﷺ يجلس مع أحد الصحابة، وقيل هو أبو ذر الغفاري، وبينما هما جالسان: يمر عليهما رجل من أشراف الناس: أي أغنيائهم وأعيانهم، وقيل هو عيينة بن حصن الفزاري، أو الأقرع بن حابس: وهما لهما مكانتهما الاجتماعية والسياسية، فيقول النبي ﷺ لصاحبه: "ما رأيك في هذا؟" أي ما تقويمك لشخصيته ومكانته، وتجيء الإجابة من منظور دنيوي اجتماعي يحكمه العرف، وتؤكده التقاليد، فقال: "هذا

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٦٤.

والله حري إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع".

والأسلوب هنا مصحوب بظواهر فنية تعمق الدلالة، وتنبئ عن اقتناع الرجل بما يقول، حيث بدأ بقوله: رجل من أشراف الناس، وتنكير كلمة "رجل" توحي بالعموم، والشيوع والتعظيم، ولم يكتف بذلك بل قال: "من أشراف الناس"، ثم واصل شهادته وجاء باسم الإشارة وبعدها القسم بالله عز وجل، ثم قوله "حري"، أي حقيق بما سيأتي من خصائص وسمات، وهو جدير وحقيق باحترام الناس، وتقديرهم بناءً على مظهره الشكلي، ووضعه الاجتماعي، ومكانته في قومه، وأتى بموقفين يمثلان البعد الاجتماعي في تقويم الشخصية، فهو لابد أن يستجيب له الناس ويزوجوه، إذا خطب أي فتاة منهم، ولابد أن يقبل الناس شفاعته إذا تقدم وشفع لأحد في أمر ما، ومجيء هاتين الخاصيتين في أسلوب الشرط ينبئ عن حتمية تحققهما، وسكوت رسول الله ﷺ يفيد دلالة عدم رضاه عن هذه الرؤية المقيدة بالضوابط والمعايير الاجتماعية المادية.

والمشهد الثاني يقابل الأول ويناقضه في الرؤية، ولكنه يماثله ويناظره في البناء اللغوي، حيث يمر رجل فقير ليس له جاه ولا منصب: ويكرر الرسول ﷺ سؤاله ما رأيك في هذا؟ فتأتي الإجابة على النقيض من الإجابة السابقة، حيث يقول: هذا رجل من فقراء المسلمين، وقيل هو جعيل بن سراقة الغفاري، وفي ضوء التأثر الشكلي، والتمسك بالمنظور الاجتماعي الضيق يقول: "هذا حري إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفع ..." إلخ، ولكن رسول الله ﷺ يصحح هذا الرأى المحكوم بالعرف والتقاليد، ويرسي دعائم المنهج الإسلامي، ويقول: "هذا خير من ملء الأرض من هذا".

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي ﷺ.

ثانيًا: من مهام الداعية: التعرف على رؤية المدعوين لبعض الأمور.

ثالثًا: من واجبات الداعية: تصحيح وتصويب رؤية المدعوين لبعض الأمور.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان المعيار الصحيح للمفاضلة بين الناس.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم:

ويظهر هذا فيما ورد في الحديث: "فقال النبي لرجل عنده جالس"، فحرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم هو حرص على تعلّم أمور دينهم، ونيل الفضل من الله تعالى، لأن مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فيها من الفضل والأجر ما لا يعلمه إلا الله. ولقد عرف الصحابة رضي الله عنهم قدره صلى الله عليه وسلم فعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، قال عمرو بن العاص رضي الله عنه ((وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلاَ أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ. وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَملأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلالاً لَهُ. وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ، لأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ))(١) فصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا محبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم راغبين في مجالسته.

ففي الحديث ما كانت الصحابة رضي الله عنهم عليه من توقير رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجلاله(٢).

ثانيًا- من مهام الداعية: التعرف على رؤية المدعوين لبعض الأمور:

يظهر هذا في سؤاله صلى الله عليه وسلم لمن جلس معه "ما رأيك في هذا؟" فمن مهام الداعية التعرف على نظرة ورؤية المدعوين لبعض الأمور، حتى يعلم آراء المدعوين ونظرتهم في الناس، وما المقاييس التي يعولون عليها في تقديرهم للناس، حتى يقر ما هو صحيح من آراء ويصحح الخطأ (حتى لا يسترسل المسلم في خطأ وقع فيه أو هوى انساق إليه، لابد له في حياته من وقفات مع نفسه ومع إخوانه، لمراجعة حساباته من جديد، والسير - بعدئذ- على بصيرة)(٣). لقد أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يتعرف على نظرة الصحابة للناس والمعايير التي يحتكمون إليها في ذلك، فقام باستطلاع رأيهم في صنفين من أصناف الناس.

ثالثًا- من واجبات الداعي: تصحيح وتصويب رؤية المدعوين لبعض الأمور:

من الواجبات المنوطة بالداعية بيان الصواب في الأمور، وتصحيح التصورات الذهنية

---

(١) أخرجه مسلم ١٢١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٧١.

(٣) هذه أخلاقنا، محمود محمد الخزندار ص ٤٠١.

الخاطئة خاصة فيما يتعلق بأقدار الرجال، والمكانة التي يضعهم الناس فيها، ولذا فإن المقاييس المادية البحتة من مال ووجاهة وحسب ونسب، تعد في نظر السواد الأعظم من الناس هي المؤهلة لرفع قدر الإنسان، وهي التي تجعله يحظى بالاحترام والتقدير، وأن افتقاد هذه الأمور المادية يجعل الإنسان غير جدير بالاحترام.

لقد كانت نظرة بعض المدعوين تنطلق من هذا المنطلق، وهذا ما تبلور في كلام من سأله النبي ﷺ عن رأيه في الرجلين اللذين مرا عليهما أثناء جلوسهما، ثم وجد النبي ﷺ الفرصة مواتية لتصحيح وتصويب تلك الرؤية التي تعوزها الموضوعية في النظر للأمور، فقام بالتصحيح فقال: "هذا خير من ملء الأرض مثل هذا" إن النبي ﷺ أراد أن يضع الأمور في نصابها الحقيقي، وأن يعلّمنا أقدار الرجال، وأن يبطل المقاييس المادية الفاسدة، والأعراف الاجتماعية البائدة التي تعوِّل على المادة ومظاهرها، وهذا ما جعل الملأ يرفض دعوة الأنبياء ولا يتقبلها، وعجبوا أن يُختار رسلُ الله من بينهم، مع أن في القوم من هو أغنى ولديه رصيد وميراث اجتماعي - في زعمهم-يؤهله للنبوة أفضل من هذا الذي اختاره الله، وهذا ينم عن الجهل المركب في النظر لأقدار الرجال، فالإسلام يعول على الإيمان وتقوى الله وحسن الصلة به، ولا يُعوّل على الأعراف الفاسدة والأسباب المادية.

إن تصحيحه ﷺ لمن أجابه عن رأيه في المارين لتلك الرؤية التي كانت على أساس خاطئ، هو نهجه ﷺ في تصحيح وتصويب رؤية أصحابه للأمور، يؤيد ذلك قوله ﷺ لأصحابه: ((أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هٰذَا، وَقَذَفَ هٰذَا، وَأَكَلَ مَالَ هٰذَا، وَسَفَكَ دَمَ هٰذَا، وَضَرَبَ هٰذَا. فَيُعْطَىٰ هٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ. فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ، قَبْلَ أَنْ يُقْضَىٰ مَا عَلَيْهِ. أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ. ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ))[١].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٨١.

قال النووي: (إن هذا حقيقة المفلس، وأما من ليس له مال ومن قل ماله فالناس يسمونه: مفلسًا وليس هو حقيقة للمفلس؛ لأن هذا أمر يزول وينقطع بموته، وربما ينقطع بيسار يحصل له بعد ذلك في حياته، وإنما حقيقة المفلس هذا المذكور في الحديث، فهو الهالك الهلاك التام، والمعدوم الإعدام المقطع، فتؤخذ حسناته لغرمائه، فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه ثم ألقى في النار، فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه)[١].

فصحح رسول الله ﷺ نظرة أصحابه للأمور من حيث الظاهر أو المتعارف وبيّن حقيقة المفلس؛ فينبغي على الداعية التأسي برسول الله ﷺ في تصحيح وتصويب رؤية المدعوين للأمور الخاطئة.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: بيان المعيار الصحيح للمفاضلة بين الناس:

يظهر هذا من بيان رسول الله ﷺ أن الغنى والفقر ليس هما الأساس في تقدير الناس أو عدم تقديرهم. وهذا يستنبط من بيانه ﷺ بأن هذا الفقير خير عند الله من ملء الأرض مثل الغني الذي له شرف وجاه في قومه؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا ينظر إلى الشرف والجاه، والنسب والمال والصورة واللباس، والمركوب، والمسكون، وإنما ينظر إلى القلب والعمل، فإذا صلح القلب فيما بينه وبين الله عز وجل، وأناب إلى الله، وصار ذاكرًا لله تعالى خائفًا منه، مخبتًا إليه عاملاً بما يرضي الله عز وجل، فهذا هو الكريم عند الله، وهذا هو الوجيه عنده[٢].

فمعيار التفاضل بين الناس في الإسلام ليس الغنى أو السلطة أو المكانة في القوم ولكن هو التقوى كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾[٣]؛ فجميع الناس في الشرف بالنسبة

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٤٤.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٦٢٢/١.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١٣.

الطينية إلى آدم وحواء سواء، وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية، وهي طاعة الله ومتابعة رسول الله ﷺ(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سئل رسول الله ﷺ: أي الناس أكرم؟ قال: ((أكرمهم عند اللهِ أتقاهم))(٢)؛ فينبغي على الداعية دعوة الناس إلى تقوى الله عز وجل، وبيان أن التقوى هي أساس التفاضل بين الناس والتقرب إلى الله عز وجل.

إن أخطر ما يصاب به أي مجتمع وينذر بتراجعه وسقوطه، إنما هو اختلال القيم أو معايير التفاضل عند الناس، ذلك أن الجهل قد يسود في الناس إلى حد اختلال القيم أو معايير التفاضل عندهم، فتراهم يفضلون صاحب الدنيا، ويقدمونه حتى لو كان عاصيًا أو بعيدًا عن منهج الله، في الوقت الذي يحتقرون فيه البائس المسكين الذي أدارت الدنيا ظهرها له، حتى وإن كان طائعًا ملتزمًا بهدي الله، ومن يحيا في هذا الجو، يتأثر به لا محالة -إلا من رحم الله- ويتجلى هذا التأثر في احتقار الآخرين والترفع عليهم.

وقد ألمح القرآن والسنة إلى هذا السبب أو إلى هذا الباعث من خلال رفض هذا المعيار ووضع المعيار الصحيح مكانه، إذ يقول الله سبحانه: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾(٣)، ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾(٤) (٥).

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢٨٥/٧.

(٢) أخرجه البخاري ٤٦٨٩.

(٣) سورة المؤمنون، الآيتان: ٥٥، ٥٦.

(٤) سورة سبأ، الآيات: ٣٥-٣٧.

(٥) انظر: آفات على الطريق، د. السيد محمد نوح ص ١٦٨-١٧٠.

وإذ يقول النبي ﷺ لأصحابه في الحديث الذي نحن بصدده لأحد أصحابه وقد مر عليه رجل "ما رأيك في هذا؟ فقال رجل من أشراف الناس، هذا والله حري إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع فسكت رسول الله ﷺ ثم مر رجل آخر فقال له رسول الله ﷺ ما رأيك في هذا؟ فقال يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حري إن خطب أن لا ينكح وإن شفع أن لا يشفع وإن قال أن لا يسمع لقوله، فقال رسول الله ﷺ هذا خير من ملء الأرض مثل هذا".

الحديث رقم (٢٥٤)

٢٥٤- وعن أَبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «احْتجَّتِ الجنَّةُ والنَّارُ، فقالت النَّارُ: فيَّ الجبَّارُونَ والمُتَكبِّرُونَ، وقَالتِ الجَنَّةُ: فيَّ ضُعفاءُ النَّاسِ ومساكِينُهُم، فَقَضَى اللَّهُ بَيْنَهُما: إنَّكِ الجنَّةُ رحْمتِي، أَرْحَمُ بكِ مَنْ أَشَاءُ، وَإِنَّكِ النَّارُ عَذابي، أُعذِّبُ بكِ مَنْ أَشَاءُ، ولِكِلَيكُمَا عَلَيَّ مِلْؤُها» رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

الشرح الأدبي

إن الحوار والاحتجاج هو الأسلوب الذي يؤطر هذا الحديث، ويُقدِّم في قالبه، وهو قالب يناسب مجالات الإقناع، والرد على الشبه التي تثار بين المتجادلين، وفن الاحتجاج من أساليب العربية هو أقرب إلى فن المناظرات، وهذا الحديث مناظرة موجزة بين الجنة والنار، والمناظرة ليست لبيان أفضلية أحد الطرفين، لأن الجنة في الإسلام هي مأوى المتقين، كما قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾[٢]. وهي نعم القرار، والنار أعدت للكافرين، وهي بئس المصير. فالجنة دار السلام، وليس هناك أدنى مشابهة بينها وبين النار.

---

(١) برقم (٢٨٤٧) ولم يسق لفظه تمامًا حيث قال: (احتجت الجنة والنار) فذكر نحو حديث أبي هريرة إلى قوله: ولكليكما عليَّ ملؤها) ولم يذكر ما بعده من الزيادة.

تنبيه: إن مما ينبغي التنبيه عليه: اعتماد النووي على الجمع بين الصحيحين للحميدي إذ إنه أورد الحديث بتمامه في جمعه (٤٦٤/٢، رقم ١٨٠٢) وهذا لفظه، ونقله عنه المؤلف مباشرة، ولو تنبَّه له لَمَا ساقه بتمامه؛ لأن مسلمًا ساق جزءًا من الحديث وأحال باقي ألفاظ الحديث إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي أخرجه قبله برقم (٢٨٤٦/٣٦). ووقع فيما وقع فيه المؤلفُ المنذري في ترغيبه (٤٢٨٥) فساقه بتمامه.

قال الحميدي: بعد أن أورد الحديث بتمامه، قال: لم يزد. أدرجه أيضًا مسلم على حديث قبله لأبي هريرة رضي الله عنه في نحو معناه، ولم يذكر من أوله، إلا قوله: (احتجت الجنَّة والنار) فقط. وهذا الذي أوردنا هو لفظ حديث أبي سعيد على ما بيّنه أبو بكر البرقاني وابو مسعود الدمشقيّ، انتهى.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٧٣.

ولذلك يبدأ الحديث بقول رسول الله ﷺ: "احتجت الجنة والنار"، أي كل منهما أدلى بحجته، وقدم الجنة في هذه الجملة: لأن الجنة تقترن بالثواب والعمل الصالح، والكل يطمح إلى دخول الجنة والتقلب في نعيمها، ولكنه في سياق تقديم الحجة قدم النار... حتى يجيء الرد من الجنة مفحمًا مبطلاً أقوال أهل النار الذين يدعون أنهم على حق.

وفي الحديث تشخيص للمعنويات: فالجنة والنار لا تستطيعان التحدث، ولكن المقصود كما يقول الطيبي: حكاية ما يقع بينهما مما اختص به كل منهما، وقيل: إن هذا الحدث على ظاهره، وإن الله تعالى جعل فيهما إدراكًا فتحاجا، وقيل يجوز أن يكون هذا الاحتجاج بين الجنة والنار على وجه التمثيل.

وبماذا تفخر النار؟ إنها تفتخر بأن فيها الجبارين والمتكبرين، وهم الذين يقهرون الغير على مراداتهم على حسب أهوائهم، وتقدم الجنة حجتها، وهي ليست للافتخار، ولكنها لإنصاف ضعفاء الناس ومساكينهم، والحديث السابق نوَّه بهذا النموذج الضعيف، الذي يتقوى بزاد التقوى، ويرى عزه في الإسلام، وقوته في الإيمان.

والجنة هو الاسم العلم، أو الاسم الشخصي، للمكان الذي وعد الله عز وجل عباده المتقين، وقد وردت في القرآن الكريم أكثر من مائتين وأربعين مرة، وقد وصفت الجنة بعدة صفات وردت في القرآن الكريم ومنها "الفردوس، وعدن، والنعيم، والخلد، والمأوى، ودار السلام، وطوبى، والغرفة أو الغرفات".

والنار: هي الاسم العلم على مقر العذاب الذي أعده الله لمن أعرض عن عبادته، ولمن أشرك، وقد وردت في القرآن الكريم صفات للنار مثل: "جهنم، والجحيم، والسعير، وسقر، ولظى، والهاوية، والحطمة، والغاشية".

ويقضي الله بينهما قضاءً عادلاً، فالجنة رحمة الله يرحم بها من يشاء، والنار عذاب الله يعذب بها من يشاء، فالجبارون المتكبرون الذين لم يَدْخل الإيمان في قلوبهم مصيرهم النار، أمَّا ضعفاء الناس ومساكينهم الذين نعموا بالإيمان، وحبب الله إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، فمصيرهم الجنة ونعيمها.

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : "عز الدنيا بالمال وعز الآخرة بالأعمال" ويقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : "ألا وإن اليوم المضمار، وغدًا السباق، والسبقة الجنة، والغاية النار" وهذا الكلام فيه - مع فخامة اللفظ، وعظم قدر المعنى، وصادق التمثيل وواقع التشبيه- سرٌ عجيبٌ ومعنى لطيفٌ حيث لم يقل: السبقة النار كما قال السبقة الجنة لأن الاستباق يكون إلى أمر محبوب وغرض مطلوب وهذه صفة الجنة، وليس هذا المعنى موجودًا في النار، لأن الله يعذب بها من يشاء، فهي غاية الجبارين والمتكبرين، أما الجنة فهي رحمة الله يرحم بها من يشاء، جعلنا الله من أهل الجنة وهى نعم دار المتقين.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من خصوصيات النبي صلى الله عليه وسلم الإخبار ببعض الأمور الغيبية.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب والترغيب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: عدل الله في قضائه بين عباده.

خامسًا: من مهام الداعية: بيان الحقائق للناس.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: فضل الضعفاء والمساكين.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

يظهر ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم "احتجَّت الجنة والنار" حيث أخبر صلى الله عليه وسلم عن تخاصم الجنة والنار.

وأسلوب الإخبار من الأساليب الدعوية المهمة فبه يخبر الداعية عن دعوته. (فإن من أبرز ما يمتاز به الداعية عن غيره من الناس قيامه وإخباره بالدعوة إلى الله تعالى، وليس معنى هذا أن الدعوة إلى الله تعالى حكر عليه وحده، لا وكلا، فإن الدعوة إلى الله تجب على كل فرد من أفراد المجتمع بحسب قدرته وجهده وطاقته.

فإن الدعوة إلى الله هي أحسن الأقوال عند الله تعالى، ويظهر هذا جليًا وواضحًا في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1].

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: والمعنى: أي كلام أحسن من القرآن، ومن أحسن قولاً من الداعي إلى الله وطاعته وهو محمد ﷺ. وقال ابن سيرين والسدّي وابن زيد والحسن هو رسول الله ﷺ، وكان الحسن إذا تلا هذه الآية يقول: هذا رسول الله، هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا والله أحبُّ أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله.

وقالت عائشة رضي الله عنها، وعكرمة وقيس بن أبي حازم ومجاهد رحمهم الله: نزلت في المؤذنين.

قال ابن العربي: والأول أصح، لأن الآية مكية والأذان مدني، وإنما يدخل فيه بالمعنى لا بأنه كان المقصود وقت القول.

وقال الحسن البصري: هذه الآية عامة، وفي كل من دعا إلى الله وهو أحسن الأقوال)[2].[3].

ثانيًا- من خصوصيات النبي ﷺ الإخبار ببعض الأمور الغيبية:

يظهر ذلك في إخباره ﷺ عن محاجّة الجنة للنار والنار للجنة وقضاء الله بينهما وهذا من الأمور الغيبية التي اختصه الله بها، وجعلها من دلائل نبوته ومن المعجزات التي أيده الله بها.

وقد أخبر رسول الله ﷺ بأخبار كثيرة عن وصف الجنة والنار وأهلهما، منها قوله ﷺ ((إنَّ في الجنةِ خَيْمةً مِنْ لُؤلؤةٍ مُجَوَّفةٍ، عَرْضُها سِتُّونَ مِيلا، في كلِّ زاويةٍ منها أَهْلٌ ما يَرَوْنَ الآخرينَ، يطُوفُ عليهِنَّ المُؤمنون))[4] ومنها قوله ﷺ ((إذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَصَارَ أَهْلُ النَّارِ إِلَىٰ النَّارِ، أُتِيَ بِالْمَوْتِ حَتَّىٰ يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ. ثُمَّ

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٦٠/١٥/٨.

(٣) انظر: إعداد الداعية في ضوء سورة فصلت، د. حمد بن ناصر العمار ص ١٦٠.

(٤) أخرجه البخاري ٤٨٧٩، ومسلم ٢٨٣٨.

يُذْبَحُ. ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لاَ مَوْتَ. وَيَا أَهْلَ النَّارِ لاَ مَوْتَ. فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَىٰ فَرَحِهِمْ. وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَىٰ حُزْنِهِمْ))(١)، والشواهد على إخباره ﷺ بالغيبيات كثيرة وهي خاصة به ﷺ.

من أساليب الدعوة التي تظهر في هذا الحديث أسلوب الترهيب والترغيب، أما الترهيب فيظهر في إخباره بأن أهل النار هم الجبارون والمتكبرون، ففي ذلك ترهيب وتحذير من الغلظة والتكبر، لأن مصير من يتصف بهما إلى النار كما أشار الحديث.

وأما الترغيب فيظهر في إخباره ﷺ بأن أهل الجنة الضعفاء والمساكين المتذللون لله تعالى، والمتواضعون له، فيكون ذلك ترغيبًا منه ﷺ في التذلل لله والتواضع.

وأسلوب الترهيب والترغيب من أساليب الدعوة المؤثرة في المدعوين، والحاملة لهم على الامتثال للدعوة وقبولها، ويقصد بالترغيب: كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه.

ويقصد بالترهيب: كل ما يخيف وكل ما يحذر المدعو من عدم الاستجابة للحق أو عدم الثبات عليه.

قال تعالى في حق المؤمنين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾(٢).

فالترغيب والترهيب على هذا هو: تشويق الناس إلى ثواب الله والجنة، وتخويفهم من عذاب الله والنار(٣).

رابعًا- من موضوعات الدعوة: عدل الله في قضائه بين عباده:

ويظهر ذلك في جعله سبحانه وتعالى النار مثوى للجبارين والمتكبرين، والجنة مثوى للضعفاء والمساكين المتذللين لله.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٨٥٠.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٣) الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي ص ١٩٩.

والجنة هي رحمته تعالى يرحم بها من يشاء، والنار عقابه يعذب بها من يشاء، فالله جعل العدلَ اسمًا من أسمائه وهو أحكم الحاكمين، قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(١).

قال ابن عاشور: (القسط هو العدل ... وقد أقام الله القسط في تكوين العوالم على نظمها، وفي تقدير بقاء الأنواع، وإيداع أسباب المدافعة في نفس الموجودات، وفيما شرع للبشر من الشرائع في الاعتقاد والعمل لدفع ظلم بعضهم بعضا، وظلمهم أنفسهم، فهو القائم بالعدل سبحانه، وعدل الناس مقتبس من محاكاة عدله(٢)، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾(٣) أي: أما هو أحكم الحاكمين، الذي لا يجور ولا يظلم أحدًا، ومن عدله أن يقيم القيامة، فينصف المظلوم في الدنيا ممن ظلمه(٤).

خامسًا- من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

يظهر ذلك في بيان رسول الله ﷺ أن أهل النار منهم الجبارون والمستكبرون وأهل الجنة منهم الضعفاء والمساكين؛ فالداعية ناصح ومبيّن للمدعوين، فيجب عليه بيان الحقائق للمدعوين، حتى يأتوا منها ما هو خير لهم ويجتنبوا ما هو شر.

وقد أمر الله تعالى الأنبياء وأتباعهم أن يوضحوا للناس، وأن يقولوا لهم في أنفسهم قولاً بليغًا، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾(٥) وقال: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾(٦) ولا يكون البيان على كماله إلا بالإيضاح الوافي، ولا يكون الكلام بليغًا إلا إذا كان واضحًا للنفوس المخاطبة.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور مج٢/٣/١٨٧.

(٣) سورة التين، آية: ٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٣٥/٨.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٦) سورة النساء، آية: ٦٣.

وقد كان ﷺ - سيد الدعاة- يوضح للناس ولأتباعه، ويكرر كلامه ثلاثًا ليتحقق الإيضاح.

فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((أنه كان إذا تكلّم بكلمةٍ أَعادَها ثلاثًا حتّى تُفهمَ عنه))[١].

كما أن أحكامه واضحة حيث تقوم على قاعدة ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾[٢] فالخمر والزنا والكذب والخيانة ونحو ذلك كله مما يتفق العقلاء على أنه شر وسوء، وفي المقابل فإن الصدق والأمانة ونظافة السلوك الأخلاقي واحتفاظ الإنسان بعقله ونحو ذلك من الفضائل والمكارم. كلها يقرها العقل البشري بسموها ومكانتها.

والدعوة الإسلامية يجب أن تكون واضحة الأهداف واضحة مع الأتباع[٣].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: فضل الضعفاء والمساكين:

إن من موضوعات الدعوة التي تظهر في هذا الحديث فضل الضعفاء والمساكين وهذا يظهر في قوله ﷺ وقالت الجنة: في ضعفاء الناس ومساكينهم، فلفضل الضعفاء والمساكين كانوا من أهل الجنة، ولفضلهم أيضًا أمر الله عز وجل نبيه ﷺ بملازمتهم وعدم طردهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[٤] ذُكِر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ في سبب جماعة من ضعفاء المسلمين، قال المشركون له: لو طردت هؤلاء عنك لغشيناك وحضرنا مجلسك[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٩٥.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٣) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦، ٢٧.

(٤) سورة الأنعام، من آية: ٥٢.

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري ٢٥٨/٩.

وأمره بالجلوس معهم فقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[١] أي: اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه، ويسألونه بكرة وعشية من عباد الله[٢] فوصفهم الله بالعبادة والإخلاص فيها، فالآية فيها الأمر بصحبة الأخيار ومجاهدة النفس على صحبتهم ومخالطتهم، وإن كانوا فقراء فإن في صحبتهم من الفوائد ما لا يحصى[٣]، فينبغي على الداعية بيان فضل الضعفاء والمساكين في الإسلام وكرم الله تعالى لهم.

---

(١) سورة الكهف، آية: ٢٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/١٥٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٢٥.

الحديث رقم (٢٥٥)

٢٥٥- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إِنَّهُ لَيأتِي الرَّجُلُ السَّمِينُ العْظِيمُ يَوْمَ الْقِيامةِ لا يزنُ عِنْد اللَّه جنَاحَ بعُوضَةٍ**» متفقٌ عَلَيه[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

السمين: أي كثير اللحم والشحم في البدن[٢].

الشرح الأدبي

إن أقدار الرجال في الإسلام توزن بأعمالهم وليس بأجسامهم، وإن مقياس القوة يكمن في قوة الإيمان، وقوة النفس، وقوة الروح، وأما القوة العضلية فهي لا قيمة لها إلا في صحبة العاطفة الإيمانية، والنزعة الروحية، والاتشاح بالقيم الإسلامية، فالإسلام الذي أعاد تكوين البشرية في ضوء تعاليمه الإلهية، لم يكن في حقيقته إلا إبداعًا للصيغة العملية التي تنتظم الإنسانية فيها، ولهذا كانت آدابه كلها حراسًا على القلب المؤمن، كأنها ملائكة من المعاني، وكان الإسلام بها عملاً إصلاحيًا وقع به التطور في عالم الغريزة، فنقله إلى عالم الخُلُق، ثم ارتقى بالخُلق إلى الحق، ثم سما بالحق إلى الخير العام، فهو سمو فوق الحياة بثلاث طبقات، وتدرج إلى الكمال في ثلاث منازل، وابتعاد عن الأوهام بمسافة ثلاث حقائق -كما يقول الرافعي في مقاله حقيقة المسلم[٣].

وفي ضوء هذا التصور لحقيقة المسلم، ومعيار قوته، نقرأ هذا النص النبوي قراءة استكشافية، ونرصد جماليات الأداء الأسلوبي، وروعة البيان النبوي، والتوجيه

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥/١٨) ولفظهما سواء، وزادا في آخره: (اقرأوا إن شئتم: (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا) الكهف (١٠٥). أورده المنذري في ترغيبه (٤٦٧٨).

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٢٢٤.

(٣) وحي القلم ٩/٢.

الإسلامي الراشد لكل مسلم يغتر بالمظهر، ويغفل عن المخبر، ويُعْنى بما يملأ البطون فتعيا ذاكرته، وينسى في زحمة الظنون والبطنة، كيف يشحذ الفطنة، ويحتفظ بالكياسة، ويحيا في وهج الفراسة !!.

والحديث في بنائه اللغوي: يبدأ بالتأكيد المقترن بضمير الشأن، وكأن هذه المفارقة بين صورة ذلك العظيم السمين في الدنيا، وصورته في الآخرة وهو "لا يزن عند الله جناح بعوضة"، هي قصة هذه الطائفة من الناس الذين استعبدتهم شهواتهم، وتاهوا في شعاب غرائزهم، وحُرموا لذة الطاعة، وهي قصة تتكرر في كل زمان وكل مكان، تصور حال هؤلاء الذين ألهاهم التكاثر، حتى زاروا المقابر.

والتأكيد في بداية الحديث ينبئ عن حقيقة هذا المصير الذي لاشك فيه، واللام في قوله: "ليأتي" هي المؤذنة بالقسم المقدر قبلها المأتي به لتأكيد الأمر وتقويته، وذلك بالتأكيد مع القسم، مع دلالة الفعل "يأتي"، وكأنه يأتي طائعًا رغم خوفه من العذاب الشديد، وليس بعد هذا إذلال وقهر، لأنه في يوم القيامة، لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى بقلب سليم، ولا تظلم نفس شيئًا، ومن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره، وأي سخرية تفوق هذه السخرية مِن هذا النموذج الذي اغتر بمظهره، وذلك حين يُصور بأنه "الرجل العظيم السمين"، وهي أوصاف دنيوية، فالعظمة هنا من خلال المنظور الدنيوي والبشري الذي اغتر به هذا النموذج وأشياعه، وأي تهكم تبوح به هذه الكلمة "السمين"، إن هذه السخرية من ذلك النموذج يصورها المتنبي في قوله:

أُعِيذُها نَظَراتٍ مِنْكَ صادِقَةً ... أن تحسَبَ الشَّحمَ فيمن شحمهُ وَرَمُ

وَمَا انْتِفَاعُ أخي الدُّنْيَا بنَاظِرِهِ ... إذا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الأنْوارُ وَالظُّلَمُ

وقوله "يوم القيامة" تحديد لزمان ومكان التفاضل، والتنافس، فلا أنساب في هذا اليوم، ولا تفاضل إلا بالعمل الصالح.

والحديث كله جملة واحدة، تبدأ بتوضيح صورة هذا النموذج في الدنيا، وتنتهي بتصوير حاله في الآخرة يوم القيامة، فهو في ميزان الدنيا: الرجل العظيم السمين، لا يزن عند الله في الآخرة، جناح بعوضة، لأن الأقدار يومئذ بالأعمال وليست بالأحجام

ولا الأموال، ففي الحديث - كما قال العلماء- تنبيه على أنه ليس المدار في الرفعة عند الله والقرب من فضله وساحة جوده بالصور، وإنما ذلك بما يَقِرُّ في القلوب من الأنوار الإلهية، والتجليات الربانية، أهلَّنا الله لذلك بفضله..آمين.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد والإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أساس التفاضل الدين والتقوى.

ثالثًا: من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

رابعًا: من أهداف الدعوة: إبطال المعايير والأعراف الفاسدة.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد والإخبار:

يظهر أسلوب التوكيد والإخبار في قوله ﷺ "إنه ليأتي الرجل..." حيث أكد "بإن" ثم أخبر عن حال الرجل السمين يوم القيامة. وأنه ليس له ثمة قيمة أو وزن، وإنما القيمة والفضل والوزن للأتقياء، الذين كانوا يخافون ربهم ويخشونه.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أساس التفاضل "الدين والتقوى":

يظهر هذا في قوله ﷺ "إنه ليأتي الرجل السمين العظيم يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة" أي لا يعدلها في القدر والمنزلة، أي لا قدر له[1]؛ حيث بيّن أن وزن الرجل السمين عظيم الجسد لا يزن عند الله جناح بعوضة، وذلك لأن أساس التفاضل هو الدين والتقوى والقلب السليم، لا عِظَم الجسد وزيادته.

قال رسول الله ﷺ ((إِنَّ اللّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلاَ إِلَىٰ صُوَرِكُمْ. وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ))[2]، قال النووي: إن الأعمال الظاهرة لا يحصل بها التقوى، وإنما

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣١٥/٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٦٤.

تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته[١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٢]؛ أي أكرمكم عند الله أتقاكم، وهو أكثركم طاعة وانكفافًا عن المعاصي، لا أكثركم قرابة وقومًا ولا أشرفكم نسبًا[٣]. فالتقوى هي أساس المفاضلة في الدين الإسلامي، فينبغي للداعية أن يبين للناس فضل الإيمان وتقوى الله وطاعته، والعمل الصالح الذي يثقّل موازين العبد يوم القيامة، حتى يبادر المؤمن إلى التزود بتقوى الله، ويستزيد من الطاعات، ويتجنب فعل المعاصي.

ثالثًا- من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

يستنبط هذا من عموم الحديث، إذ ينبغي للداعية أن يبين للمدعوين حقيقة ما ينفعهم من العمل الصالح، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾[٤] فعمل الخير هو الذي يجب أن يحرص عليه الإنسان، وينبغي للداعية أن يُحذّر المدعوين من انغماسهم في ملذّات الحياة وغفلتهم عن طاعة الله تعالى، إنه ينبغي للعاقل أن يهتم بتنعيم قلبه، ونعيم قلب الإنسان بالفطرة، وهي: التزام دين الله عز وجل، وإذا نعُم القلب نعم البدن لا عكس، وقد ينعم البدن ويؤتى الإنسان من الدنيا ما يؤتى من زهرتها، ولكن قلبه في جحيم والعياذ بالله[٥]؛ فينبغي على الداعية بيان حقيقة النعيم والراحة.

رابعًا- من أهداف الدعوة: إبطال المعايير والأعراف الفاسدة:

إن من أهداف الدعوة التي تظهر في هذا الحديث إبطال المعايير والأعراف الفاسدة حيث أبطل رسول الله ﷺ نظرة الناس إلى وزن الرجل وعظم جسده، وبين أن هذا الوزن لا قيمة له عند الله يوم القيامة. لقد عالج الإسلام ما يصيب القيم ومعايير

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٨.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٤٥.

(٤) سورة الزلزلة، آية: ٧.

(٥) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ٦٢٥/١.

التفاضل عند الناس من اختلال، فبيّن تعالى أن معيار التفاضل بين الناس هو طاعته وتقواه، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾(١) أما من تجرد من تقوى الله ونأى عنها فلا قيمة له ولا وزن مهما أوتي من بسطه في المال والجسم أو الجاه وما شابه ذلك، كما هو واضح في الحديث "إنه ليأتي الرجل السمين العظيم يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة".

لقد جاء الإسلام فأبطل كل الأعراف الفاسدة والمعايير المغلوطة، فقد كان الناس في الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الفقر، فجاء الإسلام فأبطل هذا العرف الباطل والمعيار الفاسد، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾(٢). وكذلك أبطل الإسلام وأد البنات والربا، وحرم الخمر، وأقر كل ما هو صحيح سليم.

وقد حذر ﷺ من إحياء سنن الجاهلية أو التشبه بأهلها، أو موافقتهم في شيء من ذلك، فوقع هذا موقعه من أصحابه رضي الله عنهم ومن تبعهم من القرون المفضلة(٣).

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٣١.

(٣) أهل الجاهلية، محمد بن عبدالوهاب، المقدمة د. يوسف بن محمد السعيد ص ٨، ٩.

الحديث رقم (٢٥٦)

٢٥٦- وعنه أَنَّ امْرأَةً سوْداءَ كَانَتَ تَقُمُّ المسْجِد (أَوْ شَابًّا) فَفقَدَهَا، (أو فقده) رسولُ الله ﷺ، فَسأَلَ عَنْهَا (أَوْ عنْهُ)، فقالوا: مات. قال: «**أَفَلا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي**» فَكَأَنَّهُمْ صغَّرُوا أَمْرَهَا (أَوْ أَمْرهُ)، فقال: «**دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ**» فدلُّوهُ فَصلَّى عَلَيه[١]، ثُمَّ قال: «**إِنَّ هَذِهِ الْقُبُور مملُوءَةٌ ظُلْمةً عَلَى أَهْلِهَا، وإِنَّ اللَّه تعالى يُنَوِّرهَا لَهُمْ بصَلاتِي عَلَيْهِمْ**» متفقٌ عليه[٢].

قوله: «تَقُمُّ هو بفتحِ التَّاءِ وَضَمِّ الْقَافِ: أَيْ تَكنُسُ. «وَالْقُمَامةُ»: الْكُنَاسَةُ. «وآذَنْتُمونِي» بمدِّ الهَمْزَةِ: أَيْ: أَعْلَمتُمُونِي.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

تَقُمُّ: تَكْنُس القمامة: الكناسة[٣].

آذنتموني: أعلمتموني[٤].

صغَّروا أمرها: حقروه ولم يهتموا به[٥].

---

(١) لفظ مسلم: (عليها).

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٨)، ومسلم (٩٥٦/٧١) وهذا لفظه وهو أتمُّ من لفظ البخاري إذ لا يوجد عنده من قوله: (إن هذه القبور، إلخ). قال الحافظ في الفتح (وإنما لم يخرج البخاري هذه الزيادة لأنها مدرجةٌ في هذا الإسناد، وهي من مراسيل ثابت، وبيّن ذلك غير واحد من أصحاب ابن زيد.

(٣) رياض الصالحين ١٥١.

(٤) المرجع السابق ١٥١.

(٥) الوسيط في (ص غ ر).

الشرح الأدبي

إن الرسول ﷺ هو الرحمة المهداة، والسراج المنير، وقد خاطبه الله عز وجل في القرآن الكريم بقوله عز وجل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[(١)]. ووصفه بأنه بالمؤمنين رءوف رحيم، وهو البشير النذير، وهو الشاهد والداعي إلى الله بإذنه، ولو جمعت كل أوصافه ﷺ، ونظمتها بعضها إلى بعض، واعتبرتها بأسرارها العلمية، لرأيت منها كونًا معنويًا دقيقًا قائمًا بهذا الإنسان الأعظم، كما يقوم هذا الكون الكبير بسننه وأصول الحكمة فيه، ولأيقنت أن هذا النبي الكريم إن هو إلا معجم نفسي حي ألفته الحكمة الإلهية بعلم من علمها، وقوة من قوتها، لتتخرج به الأمة التي تبدع العالم ابداعًا جديدًا، وتنشئه النشأة المحفوظة له في أطوار كماله:

فنوره من سنا الرحمن مقتبس ... على مدى الدهر والأيام ما احتجبا
وذكره من جلال الله هيبته ... في الجاه والحكم والسلطان ما رغبا
هو الفقير ويأبى أن تكون له ... جبال مكة في دنيا الورى ذهبا
فنفسه من صفاء الخلد معدنها ... والله أغناه بالقرآن حين أبى
فإن مشى كان قرآنًا جوانبه ... تفيض بالذكر للقلب الذي نضبا
وإن تحدث فالآيات منطقه ... ترد للكل حقًا كان قد سلبا
وفي تواضعه أسرار حكمته ... هو النبي ولكن يجمع الحطبا[(٢)]

وفي ضوء هذه السجايا المحمدية الكريمة، وفي ظل هذه الشمائل النبوية العظيمة يتحرك هذا المشهد الإنساني الرائع، والموقف النبوي الساطع، وكأنه الشمس تضيء آفاق السلوك البشري، وتدفئ ذلك الكون بأشعة الرحمة، وأنوار العطف والشفقة؛ وأناشيد المساواة والمحبة.

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ١٠٧.

(٢) ديوان مدائن الفجر، د. صابر عبدالدايم.

إن رسول الله ﷺ: خاتم الأنبياء والمرسلين، ورسول الله إلى العالمين، لم تشغله أعباء الدعوة عن الاهتمام بأمر امرأة سوداء حازت فضل السبق والرضا الإلهي بعملها اليدوي الخالص لوجه الله، إنها كانت تكنس المسجد، وربما لا يعيرها الآخرون اهتمامًا، فهي في منظورهم الدنيوي من الفقراء الخاملين الذين لا يؤبه بهم، ولا ينظر إليهم، ولكن المصطفى ﷺ فقدها ذات يوم أي لم يرها.. فسأل عنها، وتجيء المفاجأة حيث أخبره الصحابة بأنها قد ماتت: وقيل كان شابًا، ولكن أغلب الروايات ترجح أنها كانت امرأة وتسمى "أم محجن" وهنا تتجلى القدوة الحسنة في استجابة الرسول ﷺ وتلقيه لهذا الخبر الذي سكت عنه الناس، فقال في تساؤل وعتب واهتمام: "أفلا كنتم آذنتموني به"، والاستفهام هنا مع أداة الاستفتاح مع الخطاب المباشر للصحابة: يوحي بعدم رضا رسول الله ﷺ عن هذا السكوت الذي كان دافعه الإحساس بقلة شأن هذه المرأة وهي من ضعفة المسلمين، والراوي يفسر هذا الدافع فيقول "فكأنهم صغروا أمرها"، وظنوا أنها ليست أهلاً لإخبار رسول الله ﷺ بأمرها، لأنها ليست من مشاهير الصحابة والصحابيات، ممن لهم السبق والأيادي في الإسلام.

ولكن رسول الله ﷺ يقدم الدرس العملي، والقدوة الحسنة في الإعلان عن المساواة بين المسلمين، فلا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، وقال في صيغة الأمر، "دلوني على قبره"، أي قبر ذلك الشخص: فدلوه فصل عليها، والعطف بالفاء هنا يوحي بالسرعة وعدم التراخي، ويدل على شدة اهتمام الرسول ﷺ بالأمر، وقال: -وقوله فيه الصدق والرحمة والمحبة والعطف والاهتمام بأمر كل المسلمين، الأحياء والأموات- "إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها؛ وإن الله تعالى ينورها لهم بصلاتي عليهم".

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى أكثر من حكم فقهي يتعلق بصلاة الجنائز:

الأول: حكم الصلاة على الجنازة: وقد ذهب جمهور الفقهاء[1] إلى أن الصلاة على الجنازة فرض على الكفاية، فمتى قام به البعض سقط عن الباقين، وذهب أصبغ من المالكية إلى أنها سنة على الكفاية.

الثاني: حكم الصلاة على قبر الميت: وقد ذهب جمهور الفقهاء[2] إلى أنها جائزة إذا كان الميت لم يصل عليه، وقيد الحنفية ذلك بأن لا يعلم أنه تمزق، وقيده الحنابلة بألا تمضي مدة تزيد على شهر وقيل ولو بعد شهر، وروي عن مالك أنه لا يصلي على القبر، وقيل إن دفن بغير أن يصلى عليه أخرج وصلي عليه ما لم يفت.

الثالث: حكم الصلاة على من صلى عليه لمن لم يحضر الصلاة من الناس هل يجوز له ذلك أم لا؟ اختلف الفقهاء في ذلك على قولين:

القول الأول: ذهب الحنفية[3] والمالكية[4] إلى أنه يكره الصلاة على الميت بعد أن

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٣٨/١، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٣١١/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٢٠٨/٢، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٩٣/١، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٣١٣/١، وتحفة المحتاج ١٣١/٣، ١٦٧، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٠٩/٢، ١٢٦، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٢٥٧/١، ٣٧٠.

(٢) المبسوط ٦٧/٢، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٣١١/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٢٤٠/٢، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٩٩/١، وتحفة المحتاج ١٩١/٣، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٣٢٢/١ وما بعدها، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٣٦٥/١ وما بعدها، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٢١/٢.

(٣) المبسوط ٦٧/٢، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٣١١/١.

(٤) مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٢٤٠/٢، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٩٩/١.

صلي عليه، سواء أكان قبل الدفن أم بعده، ولكن يكفي في هذه الحالة الدعاء له بالرحمة والمغفرة، واستثنى الحنفية من ذلك الإمام، حيث يجوز له الصلاة على من صلى عليه.

القول الثاني: ذهب الشافعية[١] والحنابلة[٢] إلى أنه يستحب لمن لم يصل على الميت أن يصلي عليه سواء أكان ذلك قبل الدفن أم بعده.

والراجح: القول الثاني، لما فيه من الرحمة للميت بالصلاة عليه والدعاء له فيها بالمغفرة والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على نظافة المسجد.

ثانيًا: من صفات الداعية: التواضع.

ثالثًا: من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين والسؤال عنهم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: رحمة النبي ﷺ بأمته.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل صلاة النبي ﷺ على من مات.

سادسًا: من أساليب الدعوة: السؤال والأمر والتوكيد.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على نظافة المسجد:

إن المساجد هي بيوت الله في الأرض، وهي أحب المواضع إلى الله سبحانه[٣]، لذا كان من شأن المسلم الحرص على نظافتها، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم وهم أكمل الناس إيمانًا أحرص على نظافتها. وذلك واضح من قول أبي هريرة رضي الله عنه: "إن رجلاً أسود أو امرأة سوداء كان يقمُّ المسجد" "أي يكنسه"[٤].

---

(١) تحفة المحتاج ١٩١/٣، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٣٢٢/١ وما بعدها.

(٢) شرح منتهى الإرادات، البهوتي ٣٦٥/١ وما بعدها، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٢١/٢.

(٣) قال النبي ﷺ: "أَحَبُّ البلادِ إلى الله تعالى مَسَاجِدُها" أخرجه مسلم ٦٧١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦١٣.

ووقع في رواية عند البيهقي: ((إنَّ رجلاً كان يَتَتَبَّعُ قَذَى المسجِدِ ويَلْقُطُهُ))[١]. ووقع في رواية عند ابن خزيمة ((كانتْ تَلْتَقِطُ الخِرَقَ والعِيْدَانَ من المسجِدِ))[٢].

وقال ابن هبيرة: (في هذا الحديث ما يحث على تنظيف المساجد وكنسها وإخراج ما يؤذي منها حتى ما يقذى العين)[٣].

وجاء في حديث بريدة عند البيهقي: ((أَنَّ النبيَّ ﷺ مَرَّ عَلَى قَبْرٍ جديدٍ حديثِ عهدٍ بِدَفْنٍ ومعَهُ أبو بكرٍ فقالَ: قَبْرُ مَنْ هَذا، فقالَ أبو بكرٍ: يا رسولَ الله هَذِهِ أُمُّ مِحْجَنٍ كانتْ مُوْلَعَةً بَلَقْطِ القَذَى من المَسْجِدِ))[٤].

قال ابن حجر: (في الحديث فضل تنظيف المسجد)[٥].

كل هذا يبين أن من الصحابة رضي الله عنهم من فرغ نفسه للحفاظ على نظافة المسجد والقيام بخدمته.

وقد كان تعظيم المسجد بالخدمة مشروعًا في الأمم السابقة، قال ابن عباس رضي الله عنهما في قول الحق حكاية عن أم مريم: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾[٦] قال: للمسجد يخدمه[٧]. قال ابن حجر: (قوله "محررًا" أي معتقًا، والظاهر أنه كان مشروعًا عند الأمم السالفة، حتى إن بعضهم وقع منه نذر ولده لخدمته، ومناسبة ذلك لحديث الباب

---

(١) السنن الكبرى، البيهقي، تحقيق: محمد عطا ٤٧/٤.

(٢) صحيح ابن خزيمة ٢٧٢/٢ رقم ١٣٠٠، وحسن إسناده الألباني في تعليقه على صحيح ابن خزيمة، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٥٩/١.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٨٨/٧.

(٤) السنن الكبرى ٤٨/٤ وحسن إسناده الحافظ في الفتح ٦٥٨/١.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٥٩/١.

(٦) سورة آل عمران، آية: ٣٥.

(٧) علقه البخاري فوق الحديث ٤٦٠ وقال الحافظ في الفتح ٦٦٠/١: هذا التعليق وصله ابن أبي حاتم بمعناه أهـ، وانظر: الدر المنثور ٥١٦/٢.

من جهة صحة تبرع تلك المرأة بإقامة نفسها لخدمة المسجد، لتقرير النبي ﷺ لها على ذلك)[١].

وقد أخبر النبي ﷺ أن من مساوئ الأعمال النخاعة تكون في المسجد لا تدفن، فقد قال ﷺ ((عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي، حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ. وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لاَ تُدْفَنُ))[٢] قال النووي: (ظاهره أن هذا القبح والذم لا يختص بصاحب النخاعة بل يدخل فيه هو وكل من رآها ولا يزيلها بدفن أو حك ونحوه)[٣].

ثانيًا- من صفات الداعية: التواضع:

تأنف النفس البشرية ممن كان طبعه الكبر والعجب، والداعية مهمته الأولى توصيل دعوته إلى المدعوين، ولا يكون هذا إلا بأن يكون متواضعًا غاية التواضع، حتى يقبلوا منه دعوته ويهتدوا بهديه، وقد كان النبي ﷺ -وهو إمام الدعاة- رأس المتواضعين، وهذا واضح من سؤال النبي ﷺ عنها أو عنه فقالوا: مات قال: "أفلا كنتم آذنتموني به". قال أبو هريرة رضي الله عنه: "فكأنهم صغروا أمرها أو أمره" وفي رواية عند البخاري ((فقالوا إنه كان كذا وكذا قصتهُ قال: فحقَرُوا شأنَهُ. قال: فدُلُّوني على قبرِه))[٤] وفي رواية عند ابن حبان ((فكأنَّهُمْ اسْتَخَفُّوا شأنَهُ))[٥].

ووقع في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: ((ماتَ إنسانٌ كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَعودُهُ، فماتَ بالليلِ، فدَفَنوهُ ليلا. فلمَّا أصبحَ أخبروهُ فقال: ما مَنَعَكم أن تُعلِموني؟ قالوا: كان الليلُ فكرِهْنا - وكانت ظُلمةٌ- أن نشُقَّ عليك. فأتى قبرَه فصلَّى عليه))[٦]. وجاء في

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٦٠/١ وانظر الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٧٦٥-١٧٦٦.

(٢) أخرجه مسلم ٥٥٣.

(٣) شرح مسلم ٤١٧-٤١٨.

(٤) صحيح البخاري ١٣٣٧.

(٥) صحيح ابن حبان ٣٠٨٦.

(٦) أخرجه البخاري ١٢٤٧ وهذا لفظه، ومسلم ٩٥٤.

حديث بريدة رضي الله عنه: ((فقالوا: كُنْتَ نائمًا فَكَرِهْنَا أَنْ نَهِيجَكَ، قال: فَلاَ تَفْعَلُوا))(١).

قال النووي: (فيه بيان ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من التواضع والرفق بأمته، وتفقد أحوالهم والقيام بحقوقهم، والاهتمام بمصالحهم في آخرتهم ودنياهم)(٢).

وقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم في تواضعه مبلغًا كبيرًا، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: ((إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت))(٣).

قال ابن حجر: (والمقصود من الأخذ باليد لازمه، وهو الرفق والانقياد، وقد اشتمل على أنواع من المبالغة في التواضع لذكره المرأة دون الرجل، والأمة دون الحرة، وحيث عمّم بلفظ الإماء أي أمةٍ كانت، وبقوله حيث شاءت، أي من الأمكنة، والتعبير بالأخذ باليد إشارة إلى غاية التصرف، حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة والتمست منه مساعدتها في تلك الحاجة، لساعد على ذلك. وهذا دال على مزيد تواضعه وبراءته من جميع أنواع الكبر صلى الله عليه وسلم)(٤).

وقد كان أصحابه رضي الله عنهم متواضعين، من ذلك ما حكاه سنان بن سلمة الهذلي قال: خرجت مع النعمان ونحن بالمدينة نلتقط البلح، فإذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه معه الدِّرة، فلما رآه الغلمان تفرقوا في النخل، وقمت وفي إزاري شيء قد لقطته فقلت: يا أمير المؤمنين هذا ما تلقي الريح. فنظر إليه في إزاري فلم يضربني. فقلت: يا أمير المؤمنين الغلمان الآن بين يديّ وسيأخذون ما معي. قال: كلا. امش قال: فجاء معي إلى أهلي(٥).

(فلقد كان عمر رضي الله عنه - مع عظم شأنه، ورجاحة عقله، واشتهار عدله وفضله

---

(١) أخرجه البيهقي ٤٨/٤، وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح ٦٥٨/١.

(٢) شرح مسلم ٦١٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٧٢ تعليقًا، وأخرجه أحمد ٣/ ٩٨ رقم ١١٩٤١ وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين ٩/١٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٠٦/١٠، وانظر: نضرة النعيم في مكارم الرسول الكريم، د. صالح بن حميد، عبدالرحمن بن ملوح ١٢٥٥/٤-١٢٦٨.

(٥) ذكره الكاندهلوي في حياة الصحابة ص ٥٧٠، وعزاه لابن سعد في الطبقات الكبرى.

وتمسكه بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ متواضعًا يحب أن يعرف عيوبه إن كانت له عيوب حتى يصلحها ولا يتمادى في الخطأ، إذ قد يصيب أحدًا بظلم وهو لا يدري، لذلك كان يقول "أحب الناس إليّ من رفع إليّ عيوبي". ولما اعترضت عليه امرأة اعترف بالخطأ في الحال وقال "كل أحد أعلم من عمر" ولام أصحابه على سكوتهم قائلاً: "تسمعونني أقول مثل هذا القول فلا تنكرونه علي، حتى ترد علي امرأة ليست من أعلم النساء" أما الآن فلسان حال الرجل منا يقول عكس ما قال عمر، أبغض الناس إليّ من رفع إليّ عيوبي. إننا لم نرد أحدًا منزهًا من العيوب، والمرء قد لا يرى عيوبه بنفسه، فإذا أرشد إليها عالجها وأصلحها ما دام راغبًا في الخير والإصلاح غير معجب بنفسه، على أن لا يكون الإرشاد بصيغة الشتم والسخرية؛ لأن النفوس تأبى ذلك. قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾[1])[2].

ثالثًا- من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين والسؤال عنهم:

إن تفقد الداعية لأحوال المدعوين من الأسباب القوية لتقريب الداعية إلى المدعوين، لأن ذلك عنوان صدق على التزامه بدعوته، وعلى أن فعله يطابق قوله، كما أن في ذلك تأليفًا لقلوب المدعوين، ومن ثم يكتب النجاح لدعوته، وقد كان النبي ﷺ كثير التفقد لأصحابه، هذا واضح في سؤال النبي ﷺ عن الصحابية أو الصحابي فلما أخبر بأنه مات قال: "أفلا كنتم آذنتموني".

ففي هذا تفقد من النبي ﷺ لأحوال المدعوين قال ابن حجر: (وفي الحديث... السؤال عن الخادم والصديق إذا غاب)[3].

وقال ابن هبيرة: (فيه افتقاد الصاحب والسؤال عنه مستحب)[4].

---

(١) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٢) الفاروق عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين، محمد رضا ص ٧١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٥٩/١.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٨٨/٧.

وقد جاءت أحاديث في هذا المعنى، قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: ((إنا والله قد صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر والحضر فكان يعود مرضانا ويتبع جنائزنا ويغزو معنا ويواسينا بالقليل والكثير))[١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: ((إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى كان ليقول لأخٍ لي: ((يا أبا عُمَيْرٍ ما فَعَلَ النُّغَيْرُ))[٢]))[٣].

وقد كان من عادة الصحابة رضي الله عنهم تفقد أحوال الناس والقيام بشأنهم. من ذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يتعاهد عجوزًا كبيرة عمياء في حواشي المدينة [أي أطرافها] من الليل فيستسقي لها ويقوم بأمرها، وكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت، فجاءها غير مرة فلا يسبق إليها فرصده عمر فإذا هو بأبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي يأتيها وهو خليفة. فقال عمر: أنت لعمري[٤].

وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتفقد أحوال رعيته، وكان يطوف بالليل عليهم، والقصص في ذلك كثيرة مشهورة، من ذلك أنه (طاف ليلة فإذا هو بامرأة في جوف دار لها وحولها صبيان يبكون، وإذا قدر على النار قد ملأتها ماء، فدنا عمر بن الخطاب من الباب فقال. يا أمة الله. ما بال هؤلاء الصبية يبكون؟ فقالت: بكاؤهم من الجوع. قال فما هذه القدر التي على النار؟ فقالت: قد جعلت فيها ماء أعللهم بها حتى يناموا. أوهمهم أن فيها شيئًا من دقيق وسمن. فجلس عمر فبكى ثم جاء إلى دار الصدقة فأخذ غرارة وجعل فيها شيئًا من دقيق وسمن وشحم وتمر وثياب ودراهم حتى ملأ الغرارة[٥] ثم قال: يا أسلم أحمل عليَّ. فقال يا أمير المؤمنين أنا أحمله عنك. فقال لا أم لك يا أسلم. أنا

---

(١) أخرجه أحمد ١/٧٠ رقم ٥٠٤، وقال محققو المسند: إسناده حسن ١/٥٣٢.

(٢) النغير: تصغير النغر وهو طائر يشبه العصفور أحمر المنقار، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن غ ر).

(٣) أخرجه البخاري ٦١٢٩ وهذا لفظه، ومسلم ٢١٥٠.

(٤) ذكره المتقي الهندي في الكنز ٣٥٦٠٧ وعزاه للخطيب في تاريخ بغداد.

(٥) الغرارة: وعاء من الخيش ونحوه يوضع فيه القمح ونحوه، وهو أكبر من الجوالق. والجولق عند العامة: الشوال. المعجم الوسيط في (غ ر ر).

أحمله لأني أنا المسؤول عنهم في الآخرة، فحمله على عنقه حتى أتى به منزل المرأة وأخذ القدر فجعل فيها شيئًا من دقيق وشيئًا من شحم وتمر، و جعل يحركه بيده وينفخ تحت القدر، وكانت لحيته عظيمة والدخان يخرج من خلل لحيته، حتى طبخ لهم، ثم جعل يغرف بيده ويطعمهم حتى شبعوا، وربض بحذائهم كأنه سبع، ولم يزل كذلك حتى لعبوا وضحكوا، ثم قال يا أسلم، أتدري لم ربضت بحذائهم؟ قلت لا يا أمير المؤمنين، قال: رأيتهم يبكون، فكرهت أن أذهب وأدعهم حتى أراهم يضحكون، فلما ضحكوا طابت نفسي.

هذه قصة مشهورة عن طواف عمر ليعلم حال الناس، فكان دائمًا يشعر بالمسؤولية فإنه قال لأسلم "أنا المسؤول عنهم في الآخرة" وكان هذا الشعور رائده في كل أعماله وأقواله)[(١)].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: رحمة النبي ﷺ بأمته:

لقد كان النبي ﷺ رحمة للعالمين، ومن ثم كان من الطبعي أن يكون أكثر رحمة بأمته، فقد كان رحيمًا بأمته في كافة الأحوال في حياتهم ومماتهم، ومن ذلك حرصه على الصلاة على هذا الرجل الذي مات ودفن. وذلك في قوله ﷺ "دلوني على قبره فدلوه فصلى عليه، وقال: إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها وإن الله عز وجل ينورها لهم بصلاتي عليهم".

قال ابن حجر: (وفيه [أي في الحديث]: المكافأة بالدعاء والترغيب في شهود جنائز أهل الخير، وندب الصلاة على الميت الحاضر عند قبره لمن لم يصلِّ عليه والإعلام بالموت)[(٢)].

وإنما كانت الصلاة على الميت رجاء أن يغفر الله له، فقد قال رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَىٰ جِنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلاً، لاَ يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إلاَّ شَفَعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ))[(٣)]، قال ابن القيم: (كان هديه ﷺ في الجنائز أكمل الهدي مخالفًا

---

(١) الفاروق عمر بن الخطاب، محمد رضا، ٤١-٤٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٥٩/١.

(٣) أخرجه مسلم ٩٤٨.

لسائر الأمم، مشتملاً على الإحسان إلى الميت ومعاملته بما ينفعه في قبره ويوم معاده وعلى الإحسان إلى أهله وأقاربه، وعلى إقامة عبودية الحي لله وحده فيما يعامل به الميت، وكان من هديه في الجنائز إقامة العبودية للرب تبارك وتعالى على أكمل الأحوال، والإحسان إلى الميت وتجهيزه إلى الله على أحسن أحواله وأفضلها، ووقوفه ووقوف أصحابه صفوفًا يحمدون الله ويستغفرون له، ويسألون له المغفرة والرحمة والتجاوز عنه، ثم المشي بين يديه إلى أن يودعوه حفرته، ثم يقوم هو وأصحابه بين يديه على قبره سائلين له التثبيت أحوج ما كان إليه، ثم يتعاهده بالزيارة له في قبره والسلام عليه والدعاء له كما يتعاهد الحي صاحبه في دار الدنيا)(١).

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضل صلاة النبي ﷺ على من مات:

صلى النبي ﷺ على هذا الميت وبين فضل صلاته ﷺ فقال: ((إِنَّ هٰذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَىٰ أَهْلِهَا. وَإِنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلاَتِي عَلَيْهِمْ))(٢) وقد ذهب بعض العلماء إلى أن ذلك من خصائصه ﷺ(٣).

وقال عبدالله البسام: (فيه إثبات بركته ﷺ ودعائه، وأن الله تعالى يجعله سببًا في تنوير القبور على أهلها، فالمراد بالصلاة هنا الدعاء، لأنه ﷺ لا يصلي على الموتى كلّهم، ... إن النبي ﷺ لا يستطيع جلب نفع ولا ضر لأحد، ولو كان يملك شيئًا من الأمر لنفعهم بلا دعاء، ولكن الله تعالى يكرمه فيقبل دعاءه لمن أراد إسعاده من خلقه، وفي الحديث إثبات الأسباب، ومن أهم الأسباب الدعاء، لا سيما المستكمل لشروط قبوله واستجابة صاحبه)(٤).

قال ابن هبيرة: (في الحديث أن صلاة الرسول ﷺ على الميت تنور له، فمن له

---

(١) زاد المعاد ٤٩٨/١.

(٢) قال ابن حجر: (لم يخرج البخاري هذه الزيادة، لأنها مدرجة في هذا الإسناد، وهي من مراسيل ثابت، بين ذلك غير واحد من أصحاب حماد بن زيد، وقد أوضحت ذلك بدلائله في كتاب بيان المدرج) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٥٩/١.

(٣) انظر فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٤٤/٣، وصحيح ابن حبان ٣٥٧/٧.

(٤) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله البسام ٥٠٩/٢.

بصلاة الرسول ﷺ؟ قال تعالى: ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾[١]، وفيه أن الصلاة على الميت شفاعة في حقه، وكلما كان الشفيع وجيهًا، كانت شفاعته أسرع قبولاً، ورسول الله ﷺ هو الوجيه في الدنيا والآخرة المقبول شفاعته في الجمع كلهم، فما الظن بواحد يصلي عليه ويشفع فيه في صلاته، لأنه شرع لأمته لفظ الشفاعة في الصلاة على الجنازة، فلم يكن ليخلّ به، ولم يكن ليشفع إلا ويشفع)[٢].

وقد صلَّى النبي ﷺ على النجاشي لما مات بالحبشة، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ ((قد تُوُفِّيَ اليومَ رجُلٌ صالحٌ مِن الحَبشِ، فهَلُمَّ فصلُّوا عليهِ. قال: فصفَفنَا، فصلَّى النبيُّ ﷺ عليهِ ونحنُ صُفوف))[٣].

ولعل ما يوضح فضل صلاة النبي ﷺ على الميت ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما توفي عبدالله بن أبي بن سلول جاء ابنه عبدالله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فقام عمر بن الخطاب فأخذ ثوبه فقال: يا رسول الله أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي على المنافقين؟ قال: إن ربي خيرني وقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾[٤] وسأزيد على السبعين. فقال: إنه منافق. فصلَّى عليه فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾[٥] فترك الصلاة عليهم[٦].

وعن عوف بن مالك الأشجعي قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ - وصلى على جِنَازَةٍ - يَقُولُ:

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٠٣.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٨٨/٧.

(٣) أخرجه البخاري ١٣٢٠، ومسلم ٩٥٢.

(٤) سورة التوبة، آية: ٨٠.

(٥) سورة التوبة، آية: ٨٤.

(٦) أخرجه البخاري ١٢٦٩، ومسلم ٢٤٠٠.

((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَاعْفُ عَنْهُ وَعَافِهِ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مَدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِمَاءٍ وَثَلْجٍ وَبَرَدٍ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلاً خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَقِهِ فِتْنَةَ الْقَبْرِ وَعَذَابَ النَّارِ. قَالَ عَوْفٌ فَتَمَنَّيْتُ أَنْ لَوْ كُنْتُ أَنَا الْمَيِّتَ، لِدُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ على ذلك الْمَيِّتِ))[١].

سادسًا- من أساليب الدعوة: السؤال والأمر والتوكيد:

السؤال واضح من قول الصحابي عن النبي ﷺ فسأل عنها، وذلك بعد أن فقدها ولم تعد تأتي المسجد. وأما الأمر فقوله ﷺ "دلوني" وجاء هذا الأمر ليناسب علمه بموتها ليفيد الإسراع والذهاب إلى قبرها، ثم أكد ظلمة القبور بـ"إن" كما أكد أن الله ينورها بصلاته ﷺ عليهم ليناسب التوكيد الأول. فجاءت أساليب الدعوة موضحة خير توضيح للمضامين الدعوية.

(١) اخرجه مسلم ٩٦٣.

الحديث رقم (٢٥٧)

٢٥٧- وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رُبَّ أَشْعثَ (أغبرَ)[(١)] مدْفُوعٍ بالأَبْوَابِ لَوْ أَقْسمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ» رواه مسلم[(٢)].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الأشعث: الملبد الشعر غير مدهون ولا مرجل[(٣)].

أغْبَرَ: لونه كلون الغبار لقلّة تعاهده بالنظافة بسبب فقره وحاجته[(٤)].

مدفوعٍ بالأبواب: أي لا قدر له عند الناس فهم يدفعونه عن أبوابهم ويطردونه عنهم احتقارًا له؛ بسبب فقره ورثاثة ثيابه[(٥)].

لأبره: لأوجد ذلك إكرامًا له بإجابة سؤاله وصيانته من الحنث في يمينه[(٦)].

الشرح الأدبي

إن ضعفة المسلمين لهم في الإسلام مكانتهم، وقد أوجب الدين على ولاة الأمور رعايتهم، وجعل الشارع من أبواب الصدقات والزكاة، إعطاء الفقراء والمساكين، وجعل هذا الإعطاء في مقدمة وجوه الإنفاق، وأبواب الصدقات، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا﴾[(٧)].

---

(١) (أغبر) لا توجد عند مسلم، وهي من الجمع بين الصحيحين للحميدي (٣١٢/٣، رقم ٢٧٤٨). وكذا عند المنذري.

(٢) أخرجه البخاري (٥١٩٦) واللفظ له، ومسلم (٢٧٣٦/٩٣). أورده المنذري في ترغيبه (٤٦٩٠).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص (١٥٦٠).

(٤) الوسيط في (غ ب ر).

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص (١٥٦٠)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٤٩.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٤٩.

(٧) سورة التوبة، آية: ٦٠.

وقد أشربت روح رسول الله ﷺ وقلبه حب الفقراء والمساكين، فكان كثير النفقات والصدقات عليهم، والحدب والرعاية لأمورهم، ولا يدخر عنهم مالا ولا عتاداً، بل كان يستدين في بعض الحالات لينفق على بعض ذوي الحاجات، وليشارك شعبه في آلامه واحتياجاته.

ولنتأمل آفاق الدلالة، ومنافذ المعنى في هذا الحديث الشريف، في ضوء موقف الإسلام من الطبقات الفقيرة، وذوي الحاجات، والمعاقين، وهو موقف العطف، والرعاية، والحث على العمل والحركة، والسعي على الرزق، واكتساب المال من الطرق المشروعة التي أحلها الله وشرعها للناس.

إن الحديث يبدأ بأداة من أدوات التكثير وهي "رب"، وهي ترد للتقليل أحيانًا، ولكنها في هذا الحديث للتكثير، وقال ابن هشام في "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب"، ليس معناها التقليل دائمًا ، بل ترد للتكثير، كثيرًا، والحديث يلقي الضوء على فئة مهمة، من فئات المجتمع الإسلامي، وهذه الفئة ربما ورد ما يشير إليها في الحديثين السابقين، حيث أشار أحد الصحابة حين سأله الرسول ﷺ عن أحد الرجال، وهو من هذا الصنف، أشعث أغبر، فقال: "هذا حري، إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يُشفّع ... إلخ"، والمرأة التي كانت تَقُمُّ المسجد وماتت فلم يأبه بها أحد، ولم يبلغوا رسول الله ﷺ بخبرها.

وينصف الرسول ﷺ الرجل ويقول مفضلاً هذا الفقير المؤمن على الشريف الذي يُلبس إيمانه بظلم، ولا يعرف اليقين الطريق إلى قلبه "هذا خير من ملء الأرض مثل هذا".

وينصف المرأة المسكينة التي لقيت الإهمال ممن حولها: ويصلي عليها رسول الله ﷺ، ويعلم المسلمين جميعًا أن صلاته نور ينور القبور المظلمة.

وفي هذا الحديث يُرسي رسول الله ﷺ بعض دعائم المنهج الإسلامي، وذلك التصور في إعطاء الفقراء حقهم ومكانتهم في المجتمع، والصفات التي وسم بها ذلك الإنسان الضعيف المسكين هي ثلاث صفات وهي: (أشعث، أغبر، مدفوع بالأبواب) وهى صفات تصور المظهر الرث الذي ينفر الناس من ذلك الشخص، فصورة الأشعث

ترصد التغير والتلبد في شعر الإنسان، وعدم تناسق الهيئة مما يدل على التعب والإعياء وكأنه لا يجد مأوى يأويه، والوصف بـ "أغبر" يضيف معلمًا آخر من معالم البؤس والفاقة حيث يعلوه الغبار، ويهزمه الإجهاد والإعياء، والوصف الأخير "مدفوع بالأبواب" حيث يأنف منه الناس، ولا يرغبون في محادثته، ويتأففون من استقباله، وذلك لهيئته الرثة، وأثوابه البالية.

إن هذه الأوصاف لا تعني أن الرجل لا يُعنى بنظافة نفسه، ولا يصلي ولا يعرف أمور دينه: إنه يُعنى بكل هذا. ولكن لا يملك ما يقتات به، ولا ما يلبسه أو ما يحسن به مظهره، هذا الرجل الذي لا يلقى القبول في المجتمع كيف لا ينصفه ربه؟ وكيف يرفضه المنهج الإسلامي؟ إنه مقبول عند ربه لأنه ذو عمل صالح، وذو قلب سليم، وأمارة القبول: أن هذا الرجل إذا حلف يمينًا بحصول أمر طمعًا في كرم الله. لأوجد ذلك إكرامًا له بإجابة سؤاله وصيانته من الحنث في يمينه، وهذا لعظم منزلته عند الله تعالى، وإن كان حقيرًا عند الناس، وقيل معنى "أقسم": دعا، ومعنى "أبره": أجاب دعوته، كما يقول صاحب دليل الفالحين(١).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الضعفاء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة، التفاضل بالتقوى والعمل الصالح.

ثالثًا: من مهام الداعية: تنبيه المدعوين إلى ما قد يغفلون عنه.

رابعًا: من أهداف الدعوة: حفظ أقدار أهل الفضل.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الضعفاء:

إن الضعيف إذا كان تقيًا فإنه يكون عند الله عظيم المنزلة، وإن كان عند الناس حقيرًا لا يلتفت إليه، وقد جاء هذا الحديث ليؤكد هذا المعنى، قال النووي: (ومدفوع بالأبواب أي لا قدر له عند الناس فهم يدفعونه عن أبوابهم ويطردونه عنهم احتقارًا له، لو أقسم على الله لأبره أي لو حلف على وقوع شيء أوقعه الله إكرامًا له بإجابة سؤاله

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٤٩.

وصيانته من الحنث في يمينه، وهذا لعظم منزلته عند الله تعالى وإن كان حقيرًا عند الناس، وقيل معنى القسم هنا: الدعاء وإبراره إجابته والله أعلم)[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((تَحَاجَّتِ الجنة والنّار، فقالت النّار: أُوثِرْتُ بالمتكَبِّرين والمتجبِّرين، وقالت الجنّة: فمالي لايَدخُلُني إلا ضُعَفاء الناس وسَقَطُهم وعجزهم....))[٢].

قال ابن هبيرة: (أهل الجنة ضعفاء الناس سموا سقطًا على معنى أنهم لا يكرمون بصدر المجالس ولا يفتقدون إذا غابوا، ولا يعرفون إذا حضروا، وهذا هو الأغلب من صفة أهل الجنة)[٣].

قال ابن حجر: ("ضعفاء الناس وسقطهم" بفتحتين أي المحتقرون بينهم الساقطون من أعينهم، هذا بالنسبة إلى ما عند الأكثر من الناس، وبالنسبة إلى ما عند الله هم عظماء رفعاء الدرجات، لكنهم بالنسبة إلى ما عند أنفسهم -لعظمة الله عندهم وخضوعهم له- في غاية التواضع لله والذلة في عباده، فوصفهم بالضعف والسقط بهذا المعنى صحيح)[٤].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة، التفاضل بالتقوى والعمل الصالح:

إن الناس في الإسلام سواسية لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح، وهذا مما يستنبط من الحديث، فالرجل إذا أقسم على الله أبره، وذلك بسبب تقواه ورفعة مكانته عند الله. فحال هذا الرجل وحال أمثاله أنهم (عند الله عظماء رفعاء الدرجات، لكنهم بالنسبة على ما عند أنفسهم لعظمة الله عندهم وخضوعهم له - في غاية التواضع لله والذلة في عباده)[٥].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٦٠.

(٢) أخرجه البخاري ٤٨٥٠، ومسلم ٢٨٤٦.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٢٢/٧.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٦٢/٨، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦٥٩.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٦٢/٨.

وقد قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1]، (أي: لا كرامة بالنسبة لتساوي الكل في البشرية المنتسبة إلى ذكر وأنثى، والامتياز بالشعوب والقبائل إنما يكون لأجل التعارف بالانتساب لا للتفاخر، فإنه من الرذائل، والكرامة لا تكون إلا بالاجتناب عن الرذائل الذي هو أصل التقوى. ثم كلما كانت التقوى أزيد رتبة كان صاحبها أكرم عند الله وأجلّ قدرًا)[2]، (والتقوى معناها: مراعاة حدود الله تعالى أمرًا ونهيًا، والاتصاف بما أمرك أن تتصف به والتنزه عما نهاك عنه)[3].

وقد جاءت أحاديث كثيرة تنصُّ على أن أفضل الناس وأكرمهم عند الله هو أتقاهم، من ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيُّ النَّاسِ أكرَمُ؟ قال: ((أكرمُهم عندَ اللَّهِ أتْقاهُم...)) [4].

قال النووي: (أصل الكرم كثرة الخير، ومن كان متقيًا كان كثير الخير وكثير الفائدة في الدنيا وصاحب الدرجات العلى في الآخرة)[5].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: ((كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ)). قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ. فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: ((هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ. لاَ إِثْمَ فِيهِ وَلاَ بَغْيَ وَلاَ غِلَّ وَلاَ حَسَدَ))[6].

ثالثًا- من مهام الداعية: تنبيه المدعوين إلى ما قد يغفلون عنه:

إن الداعية بما عنده من علم ينبّه المدعوين إلى ما قد يغفلون عنه، وذلك حتى يظهر

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٢) محاسن التأويل ١٣٧/١٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٤٥/١٦/٨.

(٤) أخرجه البخاري ٤٦٨٩، ومسلم ٢٣٧٨.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٥٣.

(٦) أخرجه ابن ماجه ٤٢١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجة ٣٣٩٧).

تأثير ذلك في حياتهم، وفي هذا الحديث ينبه النبي ﷺ المدعوين إلى أن بعض الناس قد يُحتقرون ويُستصغرون لكنهم أصحاب الدرجات العُلى عند الله.

وقد كان ﷺ ينبه على هذا كثيرًا إذا كان الموقف يستلزم ذلك، من ذلك قوله لأبي ذر رضي الله عنه: ((انْظُرْ، فَإِنَّكَ لَيْسَ بِخَيْرٍ مِنْ أَحْمَرَ وَلاَ أَسْوَدَ، إِلاَّ أَنْ تَفْضُلَهُ بِتَقْوَى)) (١).

وقال ﷺ كذلك: إِنَّ أَنْسَابَكُمْ هَذِهِ لَيْسَتْ بِسِبَابٍ عَلَى أَحَدٍ، كلكم بنو آدَمَ، طَفُّ الصَّاعِ لَمْ تَمْلَؤهُ (٢)، لَيْسَ لأَحَدٍ فَضْلٌ إِلاَّ بِالدِّينِ، أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ، حَسْبُ الرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ بَخِيلاً فَاحِشًا))(٣).

وقد قال النبي ﷺ: ((دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ وَالبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، لا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ))(٤).

قال الطيبي: "أي البغضاء تذهب بالدين كالموسى تذهب بالشعر؛ لأن البغضاء أكثر تأثيرًا في ثلمة الدين، وإن كانت نتيجة الحسد، وقوله: (لا أقول تحلق الشعر) تأكيد لإرادة غير المتعارف من قوله (الحالقة)"(٥).

رابعًا- من أهداف الدعوة: حفظ أقدار أهل الفضل:

هذا جلي في الحديث، فإن المدعوين إذا خوطبوا بهذا الحديث، عرفوا لأهل التقوى -وإن كانوا ضعفاء متضعفين- قدرهم وأنزلوهم منازلهم.

وقد حدث نحو هذا في عصر الصحابة رضي الله عنهم، فقد قال النبي ﷺ: (كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ(٦) لا يُؤْبَهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ، مِنْهُمُ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ).

---

(١) أخرجه أحمد ١٥٨/٥ رقم ٢١٤٠٧، وقال محققو المسند: صحيح لغيره ٣٢١/٣٥.

(٢) قال السندي: قوله طف الصاع، هو ما قرب من ملئه.. أي: قريب بعضكم من بعض وكلكم في الانتساب إلى أب واحد بمنزلة واحدة في النقص والتقاصر عن غاية التمام وشبههم في نقصانهم بالمكيل الذي لم يبلغ أن يملأ المكيال، حاشية السندي على مسند أحمد ٥٤٩/٢٨.

(٣) أخرجه أحمد ١٥٨/٤ رقم ١٧٣١٣، ١٧٤٤٦، وقال محققو المسند: إسناده حسن ٦٥١/٢٨.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٥١٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠٣٨).

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢١٤/٩.

(٦) الطِّمْر: الثوب الخَلَق البالي، الوسيط ٥٦٥.

(فلما كان يوم تستر، من بلاد فارس، انكشف الناس وقد أوجع المشركون في المسلمين، فقال له المسلمون: يا براء أقسم على ربك، فقال: أقسم عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، وألحقتني بنبيك، فحمل وحمل الناس معه، فقتل مَرْزبان الزارة من عظماء الفرس، وأخذ سلبه، فانهزم الفرس، وقتل البراء)[1].

(١) أخرجه الحاكم ٢٩٢/٣، وصححه ووافقه الذهبي، وانظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٨٠، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١١٦، والحديث أخرجه الترمذي ٣٨٥٤، مقتصرًا على المرفوع فقط، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٣٠٢٨).

الحديث رقم (٢٥٨)

٢٥٨- وعن أُسامَة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قُمْتُ عَلَى بابِ الْجنَّةِ، فَإِذَا عامَّةُ مَنْ دخَلَهَا الْمَسَاكِينُ، وأَصْحابُ الجَدِّ محبُوسُونَ، غيْر أَنَّ أَصْحاب النَّارِ قَدْ أُمِر بِهِمْ إِلَى النَّارِ. وقُمْتُ عَلَى بابِ النَّارِ فَإِذَا عامَّةُ منْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ» متفقٌ عليه[1].

«وَالجَدُّ» بفتحِ الجيم: الحظُّ والْغِنى. وقوله: «محبُوسُونَ» أَيْ: لَمْ يُؤذَنْ لهُمْ بَعْدُ فِي دُخُول الجنَّةِ.

ترجمة الراوي:

أسامة بن زيد: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٩).

الشرح الأدبي

إن كلام رسول الله ﷺ يجري مجرى عمله، كله دين وتقوى وتعليم، وكله روحانية وقوة وحياة، وإن لأسلوبه نسقًا هادئًا هدوء اليقين، مبينًا بيان الحكمة، خالصًا خلوص السر، واقعًا من النفس المؤمنة موقع النعمة من شاكرها، كيف لا يكون كذلك؟ وهو أمر الروح العظيمة الموجهة بكلمات ربها ووحيه.

وهذا الحديث نوع من أساليب البيان النبوي المتعددة، وهو تقريب الصورة من باب الترغيب ونقل المشاهد كأنها ماثلة أمامنا، وشاخصة مشاهدة، وأسلوب المصطفى ﷺ يرشد إلى أن الجنة ونعيمها من الحقائق اليقينية التي لا تقبل الشك أو اللبس، فهي من التعبير عن المستقبل في قالب الزمن الماضي، لأن الأمر ثابت ويقيني، ولذلك يُرْوى الحديث في ثوب الحكاية، حيث يقول المصطفى ﷺ، "قمت على باب الجنة"، أي عاينت. وشاهدت الذين يدخلون الجنة، وذلك من باب التبشير وزرع اليقين في قلوب الطائعين المتقين، الذين أمروا أن يسارعوا إلى مغفرة من ربهم، وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ، والعافين عن الناس.

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٩٦) واللفظ له، ومسلم (٩٣/٢٧٣٦). أورده المنذري في ترغيبه (٤٦٦٣).

وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾[١].

ويخبرنا الرسول ﷺ بأن عامة من دخل الجنة المساكين، وهم من ضعفة المسلمين، وهم الضعفاء المستضعفون في الدنيا، الصابرون على الضراء والشاكرون على السراء.

ولنتساءل ماذا وراء قوله: "وأصحاب الجد محبوسون"، والحبس هنا: يعني أنهم ممنوعون من دخول الجنة، فمنعهم ليس لمجرد أنهم أغنياء، لأن الإسلام لا يمقت الغني، ولا يركض وراء الفقر أو المسكنة والفاقة، وإنما لأن الأغنياء أصحاب الجد المذكورين في الحديث، صاروا محبوسين لمنعهم حقوق الله الواجبة للفقراء في أموالهم فحبسوا للحساب لما منعوه، فأما من أدى حقوق الله في ماله فإنه لا يحبس عن الجنة[٢].

والمشهد الثاني من الحديث يأتي على النقيض من المشهد الأول: حيث يخبرنا رسول الله ﷺ بأمر أهل النار، ولفظ "غير" يفيد الاستثناء وفي رواية "إلا"، وما بعد الاستثناء يفيد أن المستثني منه وهو ما قبل "غير"، في دائرة القبول "المساكين" وأصحاب الجد المحبوسون الذين سيدخلونها بعد أن يوفوا حسابهم، وينالوا جزاءهم وعقابهم حسب ما ارتكبوه من ذنوب وآثام.

أما أصحاب النار فقد أُمر بهم إلى النار، ويختم الرسول الحديث بصيغة تماثل صيغة البداية ولكنها تتضاد معها في نوعية الجزاء، وتحديد المكان، ففي البداية يبشر ويقول: "قمت على باب الجنة" وفي النهاية ينذر ويحذر ويقول: "وقمت على باب النار، فإذا عامة من دخلها النساء"، وقال العلماء: فالنساء أكثر أهل النار ابتداءً وأكثر أهل الجنة انتهاءً؟ والحديث لا يتوعد النساء، ولا يحكم عليهن بدخول النار، فلن يدخل النار من النساء إلا من ماتت على الكفر أو العصيان والفسوق، والأكثرية

---

(١) سورة الزمر، آية: ٧٣.

(٢) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص٤٤٩.

في الحديث لا تعني دخول كل النساء النار، وإنما: لأن النساء عرضة للتفريط في بعض العبادات. والتهاون في بعض الشعائر وهن كثيرًا ما يتعرضن للفتن، والظروف الصحية والاجتماعية التي تبعدهن عن أداء العبادات في إتقان وجد وإخلاص.

وفي أحاديث كثيرة يوصي الرسول ﷺ خيرًا بالنساء ويقول: "استوصوا بالنساء خيرًا"[(١)]، ويقول: "اتقوا الله في الضعيفين اليتيم والنساء"[(٢)]، ويأمرنا الرسول ﷺ باختيار ذات الدين حيث يقول: "فاظفر بذات الدين تربت يداك"[(٣)].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الفقراء والمساكين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهل الجنة وأهل النار.

ثالثًا: من أصناف المدعوين: النساء.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الفقراء والمساكين:

إن عامة أهل الجنة من الفقراء والمساكين، يتضح هذا من قوله ﷺ: (قمت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين) قال النووي: (في هذا الحديث تفضيل الفقر على الغنى، وفيه فضيلة الفقراء والضعفاء)[(٤)].

وجاء في حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه: ((اطَّلَعْتُ في الجنة فرأيتُ أكثرَ أهلِها الفُقَراءَ، واطَّلعتُ في النار فرأيتُ أكثرَ أهلِها النساءَ))[(٥)].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: بينما أنا مع رسول الله ﷺ في المسجد إذ قال: ((انْظُرْ

---

(١) أخرجه البخاري ٣٣٣١، ومسلم ١٤٦٨.

(٢) أخرجه أحمد٢/٤٣٩ رقم ٩٦٦٦، وقال محققو المسند إسناده قوي، ١٥/٤١٦.

(٣) أخرجه البخاري ٥٠٩٠.

(٤) شرح مسلم ١٦٠٤، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٢٧٨.

(٥) أخرجه البخاري ٣٢٤١، وهذا لفظه ومسلم ٢٧٣٨ باختصار، وانظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن القيم الجوزية ص ٩٦ - ٩٧، فقد ساق أحاديث كثيرة في هذا المعنى.

أَرْفَعَ رَجُلٍ فِي الْمَسْجِدِ فِي عَيْنَيْكَ. فَنَظَرْتُ، فَإِذَا رَجُلٌ فِي حُلَّةٍ جَالِسٌ يُحَدِّثُ قَوْمًا، فَقُلْتُ: هذا؟ قال: انْظُرْ أَوْضَعَ رَجُلٍ فِي الْمَسْجِدِ فِي عَيْنَيْكَ. قَالَ: فَنَظَرْتُ فَإِذَا رُوَيْجِلٌ مِسْكِينٌ فِي ثَوْبٍ لَهُ خَلَقٍ، قُلْتُ: هذا، قَالَ النَّبِيُّ: هذَا خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قِرَارِ الأَرْضِ مِثْلَ هذَا))[١].

وقال عبدالرحمن الحُبُلي: ((جَاءَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، وَأَنَا عِنْدَهُ، فَقَالُوا: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّا، وَاللَّهِ مَا نَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ. لاَ نَفَقَةٍ، وَلاَ دَابَّةٍ، وَلاَ مَتَاعٍ. فَقَالَ لَهُمْ: مَا شِئْتُمْ. إِنْ شِئْتُمْ رَجَعْتُمْ إِلَيْنَا فَأَعْطَيْنَاكُمْ مَا يَسَّرَ اللَّهُ لَكُمْ. وَإِنْ شِئْتُمْ ذَكَرْنَا أَمْرَكُمْ لِلسُّلْطَانِ. وَإِنْ شِئْتُمْ صَبَرْتُمْ. فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الأَغْنِيَاءَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَى الْجَنَّةِ، بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا))[٢]، قال النووي: (أي أربعين سنة)[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بخمسمائة عَامٍ))[٤].

قال ابن القيم: (لا يلزم من سبقهم لهم في الدخول ارتفاع منازلهم عليهم، بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة وإن سبقه غيره في الدخول، والدليل على هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب -وهم السبعون ألفًا- وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم، والغنيُّ إذا حوسب على غناه، فوُجد قد شكر الله تعالى فيه، وتقرب إليه بأنواع البر والخير والصدقة والمعروف، كان أعلى درجة من الفقير الذي سبقه في الدخول ولم يكن له تلك الأعمال، ولا سيما إذا شاركه الغني في أعماله وزاد عليه فيها، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً - فالمزية مزيتان. مزية سبق ومزية رفعة، وقد يجتمعان وينفردان فيحصل لواحد السبق والرفعة...)[٥].

---

(١) أخرجه أحمد ١٥/٥ رقم ٢١٣٩٥، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٣١٤/٣٥.

(٢) أخرجه مسلم ٢٩٧٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٧١٥.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٣٥٣، وابن ماجه ٤١٢٢، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩١٩).

(٥) حادي الأرواح ٩٢ - ٩٣.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهل الجنة وأهل النار:

إن الإنسان بعد هذه الحياة سيؤول مصيره إما إلى الجنة وإما إلى النار، وأهل الجنة لهم صفات كما أن لأهل النار صفات، ومن ثمّ كان على الداعية أن يُبيّن للمدعوين أهل الجنة وأهل النار، ولقد أخبر النبي ﷺ عن عامة أهل الجنة: "فإذا عامة من دخلها المساكين" كما أخبر أن عامة أهل النار "النساء"، وقد جاءت آيات وأحاديث كثيرة تذكر أهل الجنة وأهل النار، من ذلك حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلاَثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ. وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ. وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ. وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لاَ زَبْرَ لَهُ[1]، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لاَ يَتْبَعُونَ[2] أَهْلاً وَلاَ مَالاً. وَالْخَائِنُ الَّذِي لاَ يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ -وَإِنْ دَقَّ- إِلاَّ خَانَهُ. وَرَجُلٌ لاَ يُصْبِحُ وَلاَ يُمْسِي إِلاَّ وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ)). وَذَكَرَ الْبُخْلَ وَالْكَذِبَ ((وَالشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ))[3].

قال ابن رجب: (في هذا الحديث جعل النبي ﷺ أهل الجنة ثلاثة أصناف: أحدها: ذو السلطان المقسط المتصدق، وهو من كان له سلطان على الناس، فسار في سلطانه بالعدل، ثم ارتقى درجة الفضل. والثاني: الرحيم الرقيق القلب الذي لا يخصُّ برحمته قرابته بل يرحم المسلمين عمومًا. فتبيّن أن القسمين أهل الفضل والإحسان. والثالث: العفيف المتعفف ذو العيال، وهو من يحتاج إلى ما عند الناس فيتعفف عنهم. وهذا أحد نوعي الجود. أعني العفة عما في أيدي الناس لا سيما مع الحاجة.

وقد وصف الله في كتابه أهل الجنة ببذل الندى وكف الأذى، ولو كان الأذى بحق فقال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ

---

(١) زبر بفتح الزاي وإسكان الموحدة: أي لا عقل له يزبره ويمنعه مما لا ينبغي. شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦٦٦.

(٢) بالعين المهملة مخفف [كذا] ومشددة من الاتباع. وفي بعض النسخ: (يبتغون) بالموحدة والغين المعجمة: أي: لا يطلبون. شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦٦٦.

(٣) اخرجه مسلم ٢٨٦٥.

لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1].

وأما أهل النار فقد قسمهم النبي ﷺ في هذا الحديث خمسة أقسام:

الصنف الأول: الضعيف الذي لا زبر له، ويعني بالزبر: القوة والحرص على ما ينتفع به صاحبه في الآخرة من التقوى والعمل الصالح.. وهذا القسم شر أقسام الناس ونفوسهم ساقطة، لأنهم ليس لهم هممٌ في طلب الدنيا ولا الآخرة، وإنما همّة أحدهم شهوة بطنه وفرجه كيف اتفق له، وهو تبع للناس خادم لهم أو طوّاف عليم سائل لهم.

والصنف الثاني: الخائن الذي لا يخفى له طمع، وإن دقّ إلا خانه، أي: يعني لا يقدر على خيانة ولو كانت حقيرة يسيرة إلا بادر إليها واغتنمها.

الصنف الثالث: المخادع الذي دأبه صباحًا ومساء مخادعة للناس على أهليهم وأموالهم، والخداع من أوصاف المنافقين كما وصفهم الله تعالى بذلك، والخداع معناه: إظهار الخير وإضمار الشر لقصد التوصل إلى أموال الناس وأهاليهم والانتفاع بذلك، وهو من جملة المكر والحيل المحرمة.

الصنف الرابع: الكذب والبخل، وكلاهما ينشأ عن الشح وهو شدة حرص الإنسان على ما ليس له من الوجوه المحرمة، وينشأ عنه البخل وهو إمساك الإنسان ما في يده والامتناع من إخراجه في وجوهه التي أمر بها، وينشأ عن الشح أيضًا الكذب والمخادعة والتحيل على ما لا يستحقه الإنسان بالطرق الباطلة المحرمة.

الصنف الخامس: الشنطير وقد فسّر بالسيىء الخلق، والفحاش هو الفاحش المتفحش، وهو الذي يفحش في منطقه، ويستقبل الرجال بقبيح الكلام من السب ونحوه ويأتي كلامه بالسخف وما يفحش ذكره)[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان ١٣٣ - ١٣٤.

(٢) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ٢٦١ - ٢٦٥ بتصرف يسير.

ثالثًا- من أصناف المدعوين: النساء:

إن المرأة نصف المجتمع، وهي صانعة رجال المجتمع ونساءه، لذا اهتمت الدعوة الإسلامية بها اهتمامًا كبيرًا جدًا، وبينت لهن الأخطاء التي يقعن فيها وتسبب لهن دخول النار، فقد ذكر النبي ﷺ أن عامة من يدخل النار النساء. وقد جاء في الأحاديث أن النبي ﷺ كان يأتي النساء فيعظهن ويدعوهن، كما أخبر ﷺ عن سبب كثرة الداخلات منهن النار فقال: ((أُرِيتُ النارَ، فإذا أكثرُ أهلِها النِّساءُ يَكفُرْنَ)). قيل: أيَكفُرنَ باللهِ؟ قال: ((يَكفُرْنَ العَشيرَ، ويَكفُرْنَ الإحْسانَ، لَوْ أحسنتَ إلى إحداهُنَّ الدَّهرَ، ثمَّ رأتْ منكَ شيئًا، قالتْ: ما رأيتُ مِنكَ خَيْرًا قَطُّ))[1].

قال ابن حجر: (لفظ العشير المراد به هنا: الزوج... فيه [أي في الحديث] إشارة إلى وجود سبب التعذيب لأنها بذلك كالمصرة على كفر النعمة، والإصرار على المعصية من أسباب العذاب)[2].

وقد كان النبي ﷺ يأمر المؤمنات في يوم العيد بالصدقة [3] حتى لا يكنّ من أهل النار، قال جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ الصَّلاَةَ يَوْمَ الْعِيدِ. فَبَدَأَ بالصَّلاَةِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ. بِغَيْرِ أَذَانٍ وَلاَ إِقَامَةٍ. ثُمَّ قَامَ مُتَوَكِّئًا عَلَىٰ بِلاَلٍ. فَأَمَرَ بِتَقْوَى اللّهِ. وَحَثَّ عَلَىٰ طَاعَتِهِ. وَوَعَظَ النَّاسَ. وَذَكَّرَهُمْ. ثُمَّ مَضَىٰ. حَتَّىٰ أَتَى النِّسَاءَ. فَوَعَظَهُنَّ وَذَكَّرَهُنَّ. فَقَالَ: ((تَصَدَّقْنَ. فَإِنَّ أَكْثَرَكُنَّ حَطَبُ جَهَنَّمَ)) فَقَامَتِ امْرَأَةٌ مِنْ سِطَةِ النِّسَاءِ[4] سَفْعَاءُ الْخَدَّيْنِ[5]. فَقَالَتْ: لِمَ؟ يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: ((لأَنَّكُنَّ تُكْثِرْنَ الشَّكَاةَ. وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ)) قَالَ: فَجَعَلْنَ يَتَصَدَّقْنَ مِنْ حُلِيِّهِنَّ. يُلْقِينَ فِي ثَوْبِ بِلاَلٍ مِنْ أَقْرِطَتِهِنَّ وَخَوَاتِيمِهِنَّ[6].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٩، ومسلم ٩٠٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٠/٩.

(٣) انظر: صحيح مسلم ٨٨٤ - ٨٨٩.

(٤) أي: جالسة في وسطهن، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٧٥.

(٥) السفع: اللون الأسود مشربًا بحمرة فهو أسفع وهي سفعاء، الوسيط في (س ف ع).

(٦) أخرجه مسلم ٨٨٥، ٤.

قال ابن حجر: (قال القرطبي: إنما كان النساء أقل ساكني الجنة لما يغلب عليهن من الهوى، والميل إلى عاجل زينة الدنيا، والإعراض عن الآخرة لنقص عقلهن وسرعة انخداعهن)[١].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

إن من أساليب الدعوة المستنبطة من هذا الحديث: الترغيب والترهيب من خلال ذكره ﷺ الجنة والنار، قال ابن حبان: "اطِّلاعُه إلى الجنَّةِ والنار معًا كان بجسمِه ونظرِه العِيان، تفضُّلا من اللهِ جَلَّ وعلا، وفَرْقًا فرقَ به بينه وبينَ سائرِ الأنبياءِ، فأَمَّا الأَوْصافُ التي وصفَ أنه رأى أهلَ الجنة بها، وأهلَ النارِ بها، فهي أوصافٌ صُوِّرَت له ﷺ لِيَعْلَمَ بها مقاصدَ نهايةِ أسباب أمته في الدارين جميعًا، ليُرَغِّبَ أمتَه بأخبارِ تلك الأَوصافِ لأهل الجنةِ ليرغَبُوا، ويُرَهِّبَهم بأوصافِ أهل النار لِيَرْتَدِعُوا عن سلوكِ الخِصالِ التي تُؤَدِّيهم إليها"[٢].

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٤٢٧.

(٢) صحيح ابن حبان ١٦/٤٩٥.

الحديث رقم (٢٥٩)

٢٥٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي المَهْدِ إلاَّ ثَلاثَةٌ: عِيسى ابْنُ مَرْيَمَ، وصَاحِب جُرَيْجٍ، وكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلاً عَابِدًا، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً فكانَ فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهو يُصلي فَقَالَتْ: يا جُرَيْجُ، فقال: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلاتِي فأَقْبلَ عَلَى صلاتِهِ فَانْصرفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وهُو يُصَلِّي، فقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فقال: أيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلاتِي. فأَقْبَلَ عَلَى صَلاتِهِ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَد أَتَتْهُ وَهُو يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ فقال: أيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاتِهِ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لا تُمِتْه حَتَّى يَنْظُرَ إلَى وُجُوه المومِسَاتِ. فَتَذَاكَرَ بَنُو إسْرائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ، وَكَانَتِ امْرَأَةٌ بغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بحُسْنِهَا، فَقَالَتْ: إنْ شِئْتُمْ لأَفْتِنَنَّهُ، فتعرَّضَتْ لَهُ، فَلَمْ يلْتَفِتْ إلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوي إلَى صوْمعَتِهِ، فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نفسها فوقَع عليْهَا. فَحملَتْ، فَلَمَّا وَلدتْ قَالَتْ: هُوَ[1] جُرَيْجٌ، فَأَتَوْهُ فاسْتنزلُوه وهدَمُوا صوْمعَتَهُ، وَجعَلُوا يَضْرِبُونهُ، فقال: ما شَأْنُكمْ؟ قالوا: زَنَيْتَ بهذهِ الْبغِيِّ فوَلَدتْ مِنْك. قَال: أَيْنَ الصَّبِيُّ؟ فَجاءوا بِهِ فقال: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّي فَصلىَّ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعنَ فِي بطْنِهِ وقالَ: يا غُلامُ مَنْ أَبُوك؟ قال: فُلانٌ الرَّاعِي، فَأَقْبلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ وقَالُوا: نَبْنِي لَكَ صوْمعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ قَال: لا، أَعيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ، فَفعَلُوا.

وَبيْنَا صَبِيٌّ يرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ، فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دابَّةٍ فَارِهَةٍ وَشَارَةٍ حَسَنَةٍ فَقالت أُمُّهُ: اللَّهُمَّ اجْعَل ابْنِي مثْلَ هَذَا، فَتَرَكَ الثَّدْيَ وَأَقْبَلَ إلَيْهِ فَنَظَرَ إلَيْهِ فقال: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقبَلَ عَلَى ثَدْيِهِ فَجعَلَ يرْتَضِعُ» فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إلَى رسول اللَّه ﷺ وَهُوَ يحْكِي ارْتِضَاعَهُ بأُصْبُعِه السَّبَّابةِ فِي فِيهِ[2]، فَجَعلَ يمُصُّهَا، قَال: «وَمَرُّوا بجَارِيَةٍ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا، وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ سَرقْتِ، وَهِي تَقُولُ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوكِيلُ. فقالت أُمُّهُ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهَا، فَتَرَكَ الرَّضَاعَ وَنَظَرَ إلَيْهَا. فقال: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا،

---

(١) عند مسلم زيادة: (من).

(٢) لفظ مسلم: (فمه)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه (١٨٧/٣، رقم ٢٤١٦).

فَهُنالِكَ تَرَاجَعَا الحَدِيثِ[(١)]**، فقالَت: مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الهَيْئَةِ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهُ فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَمَرُّوا بِهَذِهِ الأَمَةِ وَهُم يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ سَرَقْتِ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهَا فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ اجعَلْنِي مِثْلَهَا؟، قَالَ: إنَّ ذلِكَ**[(٢)] **الرَّجُلَ كَانَ جَبَّارًا فَقلت: اللَّهُمَّ لا تجعَلْنِي مِثْلَهُ، وإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لها زَنَيْتِ، وَلَمْ تَزْنِ، وَسَرقْت، وَلَمْ تَسْرِقْ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا»** متفق عليه[(٣)].

«والمُومِسَاتُ»: بضَمِّ الميم الأُولَى، وإسكان الواو وكسر الميم الثانيةِ وبالسين المهملَةِ وهُنَّ الزَّوانِي. والمُومِسةُ: الزانية.

وقوله: «دابَّةٌ فَارِهَة» بالْفَاءِ: أي حاذِقَةٌ نَفِيسةٌ. «الشَّارَةُ» بالشِّينِ المعْجمةِ وتَخْفيفِ الرَّاءِ: وَهِي الجمالُ الظَّاهِرُ فِي الهيْئَةِ والمَلْبسِ. ومعْنى «تراجعا الحديث» أيْ: حدَّثَتِ الصَّبي وحدَّثَهَا، واللَّه أعلم.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الصَّوْمَعُة: بيت العبادة عند النصارى ومُتَعَبدُ الناسك[(٤)].

الموسات: الزواني[(٥)].

بغيٌّ: المرأة الفاجرة[(٦)].

طعن في بطنه: وخزه برأس أصابعه[(٧)].

---

(١) عند مسلم زيادة: (حلقى)، وفي نسخة: (فقالت: يا بني حلقى) ولم يوردها الحميدي في جمعه.

(٢) لفظ مسلم: (ذاك) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٣٦)، ومسلم (٨/٢٥٥٠) واللفظ له، وقال الحميدي في جمعه (١٨٧/٣ رقم ٢٤١٦): لفظ حديث مسلم عن زهير بن حرب، وهو أتمُّ، وأخرجه البخاري مختصرًا.

(٤) الوسيط (٥٢٣)، ومعجم لغة الفقهاء، أ.د. محمد رواس قلعة جي ص (٢٥٠).

(٥) رياض الصالحين (١٥٣).

(٦) الوسيط في (ب غ ي).

(٧) الوسيط في (ط ع ن).

دابة فارهة: حاذقة نفيسة[١].

الشارةُ: الجمال الظَّاهِرُ في الهيئةِ والملبسِ[٢].

فيه: فمه[٣].

تراجعا الحديث: حدثت الصبي وحدثها[٤].

الأمة: المرأة المملوكة خلاف الحرة[٥].

الشرح الأدبي

كان رسول الله ﷺ أول من سلك نهج القرآن الكريم، وترسم خطاه في توظيف القصة من أجل نشر الوعي وتعميق مبادئ الإسلام في النفوس، حيث نجد رسول الله ﷺ يتخذ من القصة أسلوبًا مهمًا من أساليب الدعوة، يحملها قيم الإسلام ومعانيه، ويربي عليها الصحابة من رعيل الإسلام الأول، ويوجههم من خلالها إلى استلهام هذا الدين عقيدة في الفكر والتصور، وطريقه في السلوك وواقع الحياة[٦].

وهذا الحديث الشريف من نصوص القصص النبوي: وهو قصة تاريخية تتمثل فيها مواعظ ودروس ومعجزات وآيات، وعبر ومفارقات تدعو للتأمل والدهشة، وتغرس في النفوس الإيمان بالله عز وجل والتوكل عليه، وتعطي للضعفاء حقهم، وترشد الناس إلى عدم الانخداع بالمظاهر، وعدم الافتتان بالأشكال.

والقصة تبدأ بالإجمال ثم التفصيل: فمقدمتها تمهيدية تشويقية: حيث أخبر الرسول ﷺ عن المتكلمين في المهد من بني إسرائيل، وهم أكثر من ثلاثة في غير بني إسرائيل، ولم يحك قصة عيسى لأنها ذكرت في القرآن الكريم في سورة مريم، أما

---

(١) رياض الصالحين ١٥٣.

(٢) المرجع السابق ١٥٣.

(٣) الوسيط (٧٠٧).

(٤) رياض الصالحين ١٥٣.

(٥) الوسيط ٢٨.

(٦) القصص في الحديث النبوي، د. محمد بن حسن الزير.

صاحب جريج: فهو الصبي الذي أنطقه الله عز وجل لكي يبرئ ذلك العابد الزاهد، "جريج" من التهمة.

والقصة في صيغتها القصصية تتسم بطابع السرد والحكي المباشر، وصولاً إلى الحكمة والموعظة التي سيقت من أجلها، وأهم ظاهرة أسلوبية تضفي على هذه القصة الطابع السردي: تكرار الفعل "كان" و"كانت" كثيرًا، وكذلك الفعل: قال، و"قالت"، وكذلك التركيز على صيغة الفعل الماضي في كل أجزاء هذه القصة الحديثية، ولم يرد الفعل المضارع أو الأمر إلا قليلا في سياق الصيغة والموقف المطلوب، مثل: "جعلوا يضربونه"، أو في صيغة الدعاء.

وتكرار النداء الصادر من الأم "يا جريج"، وتكرار الدعاء والنداء من جريج إلى ربه "يا رب": وقيل: "أي ربي"، وهو نداء للقريب، وقد تكرر النداء والدعاء ثلاث مرات، وهذه الصيغ الأسلوبية ترصد انفعال الشخصيات وتلاحق الأحداث، وكذلك العطف بالفاء في أغلب جمل الحديث في كل أجزائه وأحداثه مثل قوله: (فأتت راعيًا، فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت، فلما ولدت قالت: هو من جريج: فأتوه فاستنزلوه... وهدموا صومعته)، هذا التكثيف في العطف بالفاء يعلن عن تلاحق أحداث القصة وتتابعها، وعن شدة الانفعال، وعدم التروي لدى بعض أشخاص القصة.

والقصة في هذا الحديث: قد اكتملت عناصرها الفنية حيث تضمنت التشويق في بدايتها عن طريق الإجمال ثم التفصيل، وكذلك تضمنت الأحداث المتتابعة التي تتمثل في استغراق جريج في العبادة، وعدم انتباهه لنداء أمه المتكرر، ثم تغير موقف الأم ودعائها على ابنها لأنه أهمل في حقها ولم يبرها، ثم مؤامرة البغي على جريج واتهامها له بالزنا وبأن الطفل ابنه، ثم ثورة الناس عليه وهدم صومعته، ثم إظهار براءته على لسان الطفل الذي تكلم في المهد، ثم الشواهد على كياسة الصبي وفراسته، وعدم انخداعه بالمظاهر والصور البراقة، وهو مازال طفلاً في المهد، وذلك درس للكبار قبل الصغار الذين يعقلون كثيرًا من الأمور.

وشخصيات القصة هنا تعد نماذج واقعية من الحياة، ومنها ذات الطابع الخير،

والسلوك الإيماني: وهم: جريج، والصبي، ومنها شخصيات واقعية متأرجحة بين الخير والشر مثل: شخصية الأم التي دعت على ابنها العابد أن يريه الله وجه المومسات، وبنو إسرائيل الذين وافقوا البغي على مؤامرتها؛ والبغي هي نموذج الشر المهلك، والفساد المستشري.

ومنها شخصيات رمزية سيقت للموعظة والتنبيه على ضرورة التفكير الدقيق العميق، والابتعاد عن التعلق بالقشور والطلاء، وشخصية الرجل ذي المظهر الحسن الذي رفض الصبي أن يكون مثله، وشخصية الجارية البريئة المتهمة بالسرقة والزنا، ورغبة الصبي في أن يكون مثلها، والأم كانت ضد رغبته في النموذج الأول والثاني، لأنها تتعامل مع ظواهر الأمور وتغفل عن أسرارها.

وفي القصة كثير من العقد المتمثلة في دعاء الأم على ابنها، وفي إغراء المومس لجريج، وفي اتهامها له بالزنا.

ولكن الحل، أو لحظة التنوير والفرج تشرق حينما يتكلم الصبي: ويعلن براءة ذلك العابد الزاهد، بفضل رعاية الله وحفظه له.

والقصة تفيض بالمفارقات العجيبة في المواقف وتطور بعض الأحداث: ومنها، رفض جريج أن تكون صومعته من ذهب بعد هدمها، وبعد أن اكتشف القوم براءته، وكذلك رفض الصبي أن يكون حسن الهيئة لأن الرجل جبار، ورغبته في أن يكون مثل الجارية المتهمة لأنها، لم تزن ولم تسرق، والمفارقة التي تعد معجزة هي تكلم هذا الصبي في المهد!!!.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم من ناداه أبوه أو أمه وهو في الصلاة كيف يفعل، وقد ذكر الفقهاء أن من أتاه أبوه ليكلمه وهو في نافلة فليخفف ويسلم ويكلمه، وروي نحوه للنبي ﷺ، وكذا إذا نادته أمه فليبتدرها بالتسبيح ويخفف ويسلم، وظاهره أنه لا يجوز له القطع وهو الظاهر، لأنه وإن كانت إجابة أبيه وأمه واجبة، فإتمام النافلة أيضًا واجب، ويمكن الجمع بينهما بالمبادرة بالتسبيح ورفع الصوت به، وتخفيف ما هو

فيه، إلا أن لا يمكن ذلك البتة، فيتعارض حينئذ واجبات يقدم أو كدهما، ولا شك أن إجابة الوالدين أوكد، لوجوبه بالإجماع، وللخلاف في وجوب إتمام النافلة[(١)].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: عظم بر الوالدين.

ثانيًا: من فقه الداعية: ترتيب الأولويات.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: كيد النساء.

رابعًا: من صفات الداعية: وثوقه بما عند الله والالتجاء إليه.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: كرامات الأولياء.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: الابتلاء والحكمة منه.

سابعًا: من واجبات المدعو: عدم الحكم بظواهر الأمور.

ثامنًا: من موضوعات الدعوة: دلائل القدرة الإلهية.

تاسعًا: من وسائل الدعوة: القصة.

عاشرًا: من أساليب الدعوة: القصر.

أولاً- من موضوعات الدعوة: عظم بر الوالدين:

إن الوالدين فضلهما عظيم، لذا كان برهما من أوجب الواجبات على الإنسان، كما يتضح من قصة جُريج ﵁ قال النووي: (فيه قصة جريج ﵁ وأنه آثر الصلاة على إجابتها -أي أمه- فدعت عليه فاستجاب الله لها. قال العلماء: هذا دليل على أنه كان الصواب في حقه إجابتها، لأنه كان في صلاة نفل، والاستمرار فيها تطوع لا واجب، وإجابة الأم وبرها واجب وعقوقها حرام، وكان يمكنه أن يخفف الصلاة ويجيبها ثم يعود لصلاته، فلعله خشي أنها تدعوه إلى مفارقة صومعته والعود إلى الدنيا ومتعلقاتها وحظوظها، وتضعف عزمه فيما نواه وعاهد عليه)[(٢)].

---

(١) مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٢٧/٢، والتمهيد ١٠٦/٢١، ومختصر اختلاف العلماء ٢١٠/١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣١.

وقال ابن حجر: (وفي الحديث أيضًا عظم بر الوالدين وإجابة دعائهما ولو كان الولد معذورًا)[١].

جاء في الموسوعة الفقهية: (اهتم الإسلام بالوالدين اهتمامًا بالغًا. وجعل طاعتهما والبر بهما من أفضل القربات. ونهى عن عقوقهما وشدد في ذلك غاية التشديد. كما ورد في القرآن المجيد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[٢]، فقد أمر سبحانه بعبادته وتوحيده وجعل بر الوالدين مقرونًا بذلك، والقضاء هنا: بمعنى الأمر والإلزام والوجوب.

كما قرن شكرهما بشكره في قوله سبحانه: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[٣]. فالشكر لله على نعمة الإيمان، وللوالدين على نعمة التربية. وقال سفيان ابن عيينة: من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله تعالى. ومن دعا لوالديه في أدبار الصلوات فقد شكرهما.

قال القاسمي: (أهم الواجبات بعد التوحيد إذن إكرامهما والقيام بحقوقهما)[٤].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل؟ قال: «الصلاة على أوقاتها» قال: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين» قال: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»[٥]. فأخبر ﷺ أن بر الوالدين أفضل الأعمال بعد الصلاة التي هي أعظم دعائم الإسلام.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٥٦/٦.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٣) سورة لقمان، آية: ١٤.

(٤) محاسن التأويل ٢١٨/١٠.

(٥) أخرجه البخاري ٥٢٧، ومسلم ٨٥.

وقدم في الحديث بر الوالدين على الجهاد، لأن برهما فرض عين يتعين عليه القيام به. ولا ينوب عنه فيه غيره. فقد قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: إني نذرت أن أغزو الروم، وإن أبوي منعاني. فقال: أطع أبويك، فإن الروم ستجد من يغزوها غيرك.

والجهاد في سبيل الله فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وبر الوالدين فرض عين، وفرض العين أقوى من فرض الكفاية.

وفي خصوص ذلك أحاديث كثيرة، منها ما رواه عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الغزو، فقال: «أَحَيٌّ والداك؟» قال: نعم. قال: «ففيهما فجاهد»[1].

قال ابن حجر: (في الحديث فضل بر الوالدين وتعظيم حقهما وكثرة الثواب على برهما)[2].

وفي سنن أبي داود عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: جئت أبايعك على الهجرة، وتركت أبويّ يبكيان، فقال: ((ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما))[3].

وفيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن. فقال: «هل لك أحد باليمن؟» قال: أبواي. قال: «أذنا لك؟» قال: لا. قال: «فارجع فاستأذنهما فإن أذنا لك فجاهد، وإلا فبرهما»[4].

هذا إذا لم يكن النفير عامًا. وإلا أصبح خروجه فرض عين، إذ يتعين على الجميع الدفع والخروج للعدو.

وإذا كان بر الوالدين فرض عين، فإن خلافه يكون حرامًا، مالم يكن عن أمر بشرك أو ارتكاب معصية، حيث لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق[5].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٠٠٤، ومسلم ٢٥٤٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٦٤/٦.

(٣) أخرجه أبو داود ٢٥٢٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٢٠٥).

(٤) أخرجه أبو داود ٢٥٣٠، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٢٠٧).

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٦٤/٣٢-٦٥ بتصرف.

ثانيًا: من فقه الداعية: ترتيب الأولويات:

إن ترتيب الأولويات من حسن فقه الداعية، فهي تمكنه من تحقيق الثمار المرجوة، وإلا تعرضت النتائج للخلل، وربما في بعض الأحيان جاءت النتائج عكسية لما كان يهدف إليه الداعية، كما في هذا الحديث: أن جريجًا قدم صلاة النفل على إجابة أمه وهي واجبة، فعاقبه الله بأن استجاب دعاء أمه. قال ابن حجر: وفيه (أي في الحديث) أن الأمرين إذا تعارضا بدئ بأهمهما"[١].

وقال ابن هبيرة: (إن جريجًا كان عبدًا صالحًا، إلا أنه لما دخل عليه من استغراقه في التعبد بالصلاة، كان غير ناظر إلى أن عبادة الله عز وجل في الطرق المشروعة متى أكبّ الإنسان على طريق منها أضر بالبواقي، ... فلما أتته أمه فكان كلامه لأمه أفضل عند الله من الصلاة النافلة، فقال: رب، أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته وترك أمه، وكان من الفقه أن يقدم أمه، لأن صلاته إنما تكون له، وتكليمه أمه يكون عملاً متعبدًا يشمله ويشمل غيره. فربما كانت أمه قد جاءت في حاجة مهمة، بحيث يجب عليه أن يجيبها عنه، وفيه أيضًا أنها صلة رحم، هي أولى الأرحام بالصلة، فآثر عليها ما لا يتعداه من الصلاة فغلط في الموازنة فخسر)[٢].

وقال النعمان بن بشير رضي الله عنهما: كُنْتُ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ رَجُلٌ: مَا أُبَالِي أَنْ لاَ أَعْمَلَ عَمَلاً بَعْدَ الإِسْلاَمِ. إِلاَّ أَنْ أُسْقِيَ الْحَاجَّ. وَقَالَ آخَرُ: مَا أُبَالِي أَنْ لاَ أَعْمَلَ عَمَلاً بَعْدَ الإِسْلاَمِ إِلاَّ أَنْ أَعْمُرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ. وَقَالَ آخَرُ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِمَّا قُلْتُمْ. فَزَجَرَهُمْ عُمَرُ وَقَالَ: لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ. وَلَـٰكِنْ إِذَا صَلَّيْتُ الْجُمُعَةَ دَخَلْتُ فَاسْتَفْتَيْتُهُ فِيمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَـٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾[٣]، [٤].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٥٥٦.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٧/١٨٠.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٩.

(٤) أخرجه مسلم، ١٨٧٩.

وأوجب العز بن عبد السلام قطع الصلاة لإنقاذ الغريق ثم قال: (لأن إنقاذ الغرقى المعصومين عند الله أفضل من أداء الصلاة، والجمع بين المصلحتين ممكن بأن ينقذ الغريق ثم يقضي الصلاة، ومعلوم أن ما فاته من مصلحة أداء الصلاة لا يقارب إنقاذ نفس مسلمة من الهلاك، وكذلك لو رأى الصائم في رمضان غريقًا لا يتمكن من إنقاذه إلا بالفطر أو رأى مصولاً عليه[١]، لا يمكن تخليصه إلا بالتقّوي بالفطر، فإنه يفطر وينقذه، لأن في النفوس حقًا لله عز وجل وحقًا لصاحب النفس، فقدم ذلك على فوات أداء الصلاة دون أصله)[٢].

وقال ابن تيمية: (إن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وأمرنا بتقديم خير الخيرين بتفويت أدناهما، وبدفع شر الشرين باحتمال أدناهما)[٣].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: كيد النساء:

إن موضوعات الدعوة التي يمكن معالجتها في ضوء هذا الحديث، كيد النساء ومكرهن، فقد ورد فيه: "وكانت امرأة بغي يتمثل بحسنها فقالت: إن شئتم لأفتننه لكم، قال: فتعرضت له فلم يلتفت إليها فأتت راعيًا كان يأوي إلى صعومته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج".

قال ابن حجر: (ولم أقف على اسم هذه المرأة، لكن في حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أنها كانت بنت ملك القرية، وفي رواية الأعرج[٤] "وكانت تأوي إلى صومعته راعية ترعى الغنم" ونحوه في رواية أبي رافع عند أحمد[٥]، وفي رواية أبي سلمة[٦] "وكان عند

---

(١) من سطا عليه عدوانًا ابتغاء نفسه أو عرضه أو ماله. انظر معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ، ٢٤٠-٢٥٠.

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام: العز: عبد العزيز بن عبد السلام ٦٦/١. وقوله دون أصله، اي دون فوات أصل الفعل وهو قضاء الصلاة والصوم بعد ذلك، والله أعلم. انظر: فقه الموازنات وأثره في المعاملات المالية: عطية مختار عطية حسين، رسالة دكتوراه (مخطوطة)، مقدمة إلى جامعة عين شمس، القاهرة: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م ص ٢٦.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٤٣٤/١٥.

(٤) علقها البخاري في صحيحه ١٢٠٦، ووصلها الإسماعيلي وأبو نعيم كما في تغليق التعليق، ٤٤٤/٢.

(٥) مسند أحمد ٢٨٥/٢ رقم ٨٩٩٤، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم ٥٤٢/١٤، ٥٤٣.

(٦) مسند أحمد ٤٣٤/٢ رقم ٩٦٠٣، لكن الرواية فيه مختصرة ٢٧٠/١٥.

صومعته راعي ضأن وراعية معزى" ويمكن الجمع بين هذه الروايات بأنها خرجت من دار أبيها بغير علم أهلها متنكرة، وكانت تعمل الفساد، إلى أن ادعت أنها تستطيع أن تفتن جريجا، فاحتالت بأن خرجت في صورة راعية ليمكنها أن تأوي إلى ظل صومعته لتتوصل بذلك إلى فتنته)[١].

ومما يذكر في هذا السياق ما قاله عثمان بن عفان رضي الله عنه: (اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث؛ إنه كان رجل فيمن خلا قبلكم يتعبد ويعتزل الناس، فعلقته امرأة غوية فأرسلت إليه جاريتها فقالت: إنّا ندعوك لشهادة. فدخل معها فطفقت كلما دخل بابًا أغلقته دونه، حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية خمر[٢] فقالت: إني والله ما دعوتك لشهادة، ولكن دعوتك لتقع علي، أو تقتل هذا الغلام، أو تشرب هذا الخمر (فإن أبيت صحت وفضحتك: فلما رأى أنه لابد من ذلك) قال: اسقيني كأسًا من هذا الخمر فسقته كأسًا من الخمر، ثم قال: زيديني فلم يَرِم[٣] حتى وقع عليها وقتل النفس. فاجتنبوا الخمر فإنها لا تجتمع هي والإيمان أبدًا إلا أوشك أحدهما أن يخرج صاحبه)[٤].

رابعًا: من صفات الداعية: وثوقه بما عند الله والالتجاء إليه

كثيرًا ما يتعرض الإنسان في حياته لمواقف كثيرة قد تزلزل كيانه وتهز ثقته بنفسه، لكن الداعية - وهو من أعلم الناس بالله - أول ما يفعله هو الالتجاء إليه سبحانه والتضرع إليه، والوثوق بما عنده والرجاء في رحمته وعفوه. وهذا واضح في قول جريج: "دعوني حتى أصلي فصلى. فلما انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه، وقال: ياغلام من أبوك ؟ قال فلان الراعي..".

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٥٤/٦-٥٥٥.

(٢) الباطية: إناء عظيم من الزجاج وغيره يتخذ للشراب. والجمع: بواط: الوسيط، ٦٢.

(٣) يَرِمْ: أي يبرح، انظر: لسان العرب في (ر ي م).

(٤) أخرجه النسائي ٣١٥/٨، والبيهقي في السنن الكبرى ٣٥٢/٣، وقال ابن كثير في تفسيره ١٨٩/٨: هذا إسناد صحيح أ. هـ، وقد رواه ابن أبي الدنيا في ذم المسكر برقم (١)، وابن حبان ٥٣٤٨ مرفوعًا إلى النبي ﷺ، وقال ابن كثير: الموقوف أصح.

قال ابن هبيرة: (فيه من الفقه أن جريجاً لما بلي بهذه البلية وعلم براءته منها، قوي إيمانه بالله عز وجل في أن يكشف كل لبس، فجاء إلى المولود فطعن في بطنه فقال: يا غلام، من أبوك؟ فقال: أبي الراعي، فكفّر بصدق إيمانه وحسن يقينه بالله سبحانه ما كان منه إلى أمه، فأنطق الله الغلام ببراءته، حتى قال: أبي الراعي. ولم يذكر رسول الله ﷺ هذه الحالة إلا منبهًا لكل من جرى عليه تلبيس حتى يتفاقم أمره ويعظم، فإنه ينبغي ألا يستطرح، بل يفزع إلى الله عز وجل، فإنه الذي أنطق المولود حتى بادر يسمع ويرى)[١].

قال ابن حجر: (فيه قوة يقين جريج المذكور وصحة رجائه، لأنه استنطق المولود مع كون العادة أنه لا ينطق، ولولا صحة رجائه بنطقه ما استنطقه ... وأن المفزع في الأمور المهمة إلى الله تكون بالتوجه إليه في الصلاة)[٢].

والوثوق بما عند الله صفات الأنبياء وهم سادة الدعاة. قال تعالى: عن قصة موسى وفرعون: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾[٣].

قال القرطبي: (لما لحق فرعون بجمعه جمع موسى، وقرب منهم، ورأت بنو إسرائيل العدوّ القويّ والبحر أمامهم ساءت ظنونهم، وقالوا لموسى على جهة التوبيخ والجفاء: "إِنَّا لَمُدْرَكُونَ" فردّ عليهم قولهم وزجرهم، وذكّرهم وعد الله سبحانه له بالهداية والظفر "كَلَّا" أي لم يدركوكم "إِنَّ مَعِيَ رَبِّي" أي بالنصر على العدوّ. "سَيَهْدِينِ" أي سيدلّني على طريق النجاة؛ فلما عظم البلاء على بني إسرائيل، ورأوا من الجيوش ما لا طاقة لهم

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٨١/٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٥٦/٦-٥٥٧.

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ٦١-٦٦.

بها، أمر الله تعالى موسى أن يضرب البحر بعصاه... ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۝ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴾ يعني فرعون وقومه"[١].

قال ابن القيم: (واليقين قرين التوكل، ولهذا فسّر التوكل بقوة اليقين. والصواب: أن التوكل ثمرته ونتيجته، ولهذا حسن اقتران الهدى به، قال الله تعالى: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾[٢]. فالحق هو اليقين. وقالت رسل الله ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ﴾[٣]. ومتى دخل اليقين إلى القلب امتلأ نورًا وإشراقًا، وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط، وهم وغمٌ، فامتلأ محبّة لله وخوفًا منه ورضى به وشكرًا له وتوكلاً عليه، وإنابة إليه، فهو مادة جميع المقامات والحامل لها)[٤].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: كرامات الأولياء:

(الولي في الشرع: هو من اجتمع فيه وصفان الإيمان والتقوى، وإذا كان أولياء الله هم المؤمنين المتقين فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى، فمن كان أكمل إيمانًا وتقوى، كان أكمل ولاية لله، فالناس يتفاضلون في الإيمان والتقوى)[٥]، ومن ثم كان وقوع الكرامات، وهي الأمور الخارقة للعادة، كان ذلك إكرامًا لهم من الله عز وجل[٦]، كما قد وقع في هذا الحديث، وذلك في قول النبي ﷺ: "فصلى فلما انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه وقال يا غلام من أبوك؟ قال: فلان الراعي".

وذكر ابن حجر عدة روايات ثم قال: "يجمع بين هذا الاختلاف بوقوع جميع ما ذكر، بأنه مسح رأس الصبي، ووضع إصبعه على بطن أمه، وطعنه بأصبعه وضربه

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٧/١٣/١٠٦-١٠٧.

(٢) سورة النمل، آية: ٧٩.

(٣) سورة إبراهيم، آية: ١٢.

(٤) مدارج السالكين ٣/٢٢١.

(٥) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ٢٠٥.

(٦) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٤/٢١٨.

بطرف العصا التي كانت معه"، ثم قال: "وفيه إثبات كرامات الأولياء ووقوع الكرامة لهم باختيارهم وطلبهم"[(١)].

قال الطحاوي: (ولا نفضل أحدًا من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء ونؤمن بما جاء من كراماتهم. وصح عن الثقات من رواياتهم"[(٢)]. قال ابن أبي العز في شرح ذلك: "إن الولاية ثابتة للمؤمنين المتقين. كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[(٣)].

والمعجزة في اللغة تعم كل خارق للعادة، وفي عرف أئمة أهل العلم المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره ويسمونها الآيات، ولكن كثيرًا من المتأخرين يفرقون في اللفظ بينهما، فيجعلون المعجزة للنبي والكرامة للولي. وجماعهما الأمر الخارق للعادة. فصفات الكمال ترجع إلى ثلاثة: العلم والقدرة والغنى، وهذه الثلاثة لا تصلح على وجه الكمال إلا لله وحده، فإنه الذي أحاط بكل شيء علمًا وهو على كل شيء قدير، وهو غني عن العالمين، ولهذا أمر النبي ﷺ أن يبرأ من دعوى هذه الثلاثة بقوله: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾[(٤)].

فأمر الرسول ﷺ أن يخبرهم بأنه لا يملك ذلك، وإنما ينال من تلك الثلاثة بعدما يعطيه الله، فيعلم ما علمه الله إياه، ويقدر على ما أقدره عليه، ويستغنى عما أغناه عنه من الأمور المخالفة للعادة المطردة، أو لعادة غالب الناس. فجميع المعجزات والكرامات

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٥٦/٦-٥٥٧.

(٢) العقيدة الطحاوية المطبوع مع شرحه: شرح العقيدة الطحاوية، ٧٤١/٢-٧٤٥، وانظر: صيد الخاطر، ٤٦٦-٤٦٧، ٥١٥-٥١٦.

(٣) سورة يونس، الآيتان: ٦٢-٦٣.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٥٠.

ما تخرج عن هذه الأنواع، ثم الخارق إن حصل به فائدة مطلوبة في الدين، كان من الأعمال الصالحة المأمور بها دينًا وشرعًا إما واجب أو مستحب، وإن حصل به أمر مباح كان من نعم الله الدنيوية التي تقتضي شكرًا، وإن كان على وجه يتضمن ما هو منهي عنه نهي تحريم، أو نهي تنزيه، كان سببًا للعذاب أو البغض، كالذي أوتي الآيات فانسلخ منها بلعام بن باعورا[1] لاجتهاد أو تقليد، أو نقص عقل أو علم، أو غلبة حال، أو عجز أو ضرورة"[2].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: الابتلاء والحكمة منه:

الدنيا دار ابتلاء وامتحان واختبار، ومن حكم الابتلاء التمييز بين الصادق وغيره، والمؤمن وغيره، كما أن من حكمته كذلك رفع الدرجات وزيادة في الثواب، كما قد جاء في هذا الحديث: "فلما ولدت قالت: هو من جريج فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: زنيت بهذه البغي فولدت منك ...".

قال ابن حجر: (فيه أن الله يجعل لأوليائه عند ابتلائهم مخارج، وإنما يتأخر ذلك عن بعضهم في بعض الأوقات تهذيبا وزيادة لهم في الثواب)[3]. وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾[4].

قال ابن الجوزي: (من يرد أن تدوم له السلامة والنصر على من يعاديه والعافية من غير بلاء، فما عرف التكليف ولا فهم التسليم. أليس الرسول ﷺ ينصر يوم بدر، ثم يجري عليه ما جرى يوم أحد ؟ أليس يصد عن البيت ويقهر بعد ذلك؟.

---

(١) بلعام بن باعورا: كان من عباد بني إسرائيل لا يسأل الله شيئًا إلا أعطاه، رجاه قومه أن يدعو على موسى وقومه، فاستجاب بعد إلحاح فسلخه الله مما كان عليه، راجع كتب التفسير سورة الأعراف، آية: ١٧٥. نقلاً عن تحقيق شرح العقيدة الطحاوية ٧٤٧/٢.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ٧٤٢/٢-٧٤٧، وقد نقله ابن أبي العز عن ابن تيمية في فتاويه، ١٧٢/٦-١٧٧، وانظر كذلك: شرح العقيدة الطحاوية ٥٠٥/٢-٥١١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٥٥٦/٦-٥٥٧.

(٤) سورة محمد، آية: ٣١.

فلا بد من جيد ورديء، والجيد يوجب الشكر، والرديء يحرك إلى السؤال والدعاء، فإن امتنع الجواب أريد نفوذ البلاء والتسليم للقضاء، وههنا يبين الإيمان ويظهر في التسليم جواهر الرجال، فإن تحقق التسليم باطنًا وظاهرًا فذلك شأن الكامل، وإن وجد في الباطن انعصار من القضاء لا من المقضى، فإن الطبع لا بد أن ينفر من المؤذي، دل على ضعف المعرفة، فإن خرج الأمر إلى الاعتراض باللسان، فتلك حال الجهال نعوذ بالله منها... إن الدنيا دار ابتلاء لينظر الله فيها كيف تعملون، ومما يهون هذه الأشياء علم العبد بالأجر، وأن ذلك مراد الحق)[1].

وقال د. يوسف القرضاوي: (الإيمان يهون على المؤمنين البلاء، وعرفوا أن ما ينزل بهم من مصائب ليس ضربات عجماء، ولا خبط عشواء، ولكنه وفق قدر معلوم، وقضاء مرسوم، وحكمة أزلية، وكتابة إلهية، فآمنوا بأنه ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم... ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[2].

وعرفوا أن من صفته تعالى أن يقدر ويلطف، ويبتلي ويخفف، ومن ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[3].

وعرفوا من لطف ربهم أن هذه الشدائد دروس قيمة لهم، وتجارب نافعة لدينهم ودنياهم، تنضج نفوسهم، وتصقل إيمانهم، وتذهب صدأ قلوبهم (مثل المؤمن تصيبه الوعكة من البلاء كمثل الحديدة تدخل النار فيذهب خبثها، ويبقى طيبها) وما أبلغ ما قال الرافعي: (ما أشبه النكبة بالبيضة، تحسب سجنًا لما فيها وهي تحوطه، وتربيه وتعينه على تمامه، وليس عليه إلا الصبر إلى مدة، والرضا إلى غاية، ثم تنقف البيضة[4]، فيخرج خلق آخر.

---

(١) صيد الخاطر ٢٨٧-٢٨٩.

(٢) سورة الحديد، آية: ٢٢.

(٣) سورة يوسف، آية: ١٠٠.

(٤) النقف: الفرخ حين يخرج من البيضة. القاموس المحيط في (ن ق ف).

وما المؤمن في دنياه إلا كالفرخ في بيضته: عمله أن يتكون فيها، وتمامه أن ينبثق شخصه الكامل فيخرج إلى عالمه الكامل)[١].

سابعًا- من واجبات المدعو: عدم الحكم بظواهر الأمور:

إن الأخذ بظواهر الأمور دون النظر إلى جوهرها وحقيقتها قد يؤدي في بعض الأحيان إلى نتائج غير محمودة، لذا كان على المدعو ألا يقع في هذا الأمر، كما وقع من المرأة في هذا الحديث، فقد تمنت أن يكون ابنها مثل فلان ذي الشارة الحسنة والهيئة الجميلة وألا يكون مثل الجارية التي يؤذيها الناس، فقد بين لها ابنها - بقدرة الله - أن من تمنت أن يكون ابنها مثله كان جبارًا، وأما المرأة فكانت مظلومة رماها الناس زورًا وبهتانًا. قال ابن هبيرة: (فأما حديث الجارية فإنه قد يتهم الجهال المرأة الصالحة بالزنا والسرقة، وليست من أهل ذلك، فلا ينبغي أن يترك الرجل أهله من أجل أن يقول عدو له أو لهم، أو يطبع الشيطان في أفواه الناس: إنها زانية أو سارقة. ولا يحلّ لمسلم أن يقبل هذا، ولا يؤثر عنده بحال إلا أن يثبت ذلك بثبوت مثله، أو يرى قرائن الأحوال ما يفيده عليه الظن. فيكون لذلك حكمه. فأما مجرد أقوال الأعداء فلا يحل العمل بذلك)[٢]. وقد قال الله تعالى عن قارون واختلاف نظر الناس إليه بحسب الظاهر وبحسب الحقيقة: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴾[٣].

أي: "وقال الذين أوتوا العلم" الذين عرفوا حقائق الأشياء ونظروا إلى باطن الدنيا حين نظر أولئك إلى ظاهرها: "ويلكم" متوجعين مما تمنوا لأنفسهم راثين لحالهم منكرين لمقالهم (ثواب الله) العاجل من لذة العبادة ومحبته والإنابة إليه والإقبال عليه،

---

(١) الإيمان والحياة، يوسف القرضاوي ص ١٦٣.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٨٢/٧.

(٣) سورة القصص، الآيتان: ٧٩-٨٠.

والآجل من الجنة وما فيها مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين (خير لمن آمن وعمل صالحًا) من هذا الذي تمنيتم ورغبتم فيه، فهذه حقيقة الأمر"[١].

ثامنًا- من موضوعات الدعوة: دلائل القدرة الإلهية:

إن الله كما وصف نفسه سبحانه ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[٢] (والقدير هو الفاعل لما يشاء على قدر ما تقتضي الحكمة لا زائدًا عليه ولا ناقصًا عنه، ولذلك لا يصح أن يوصف به إلا الله تعالى)[٣] ودلائل قدرته سبحانه وتعالى لا تعد ولا تحصى، من ذلك كلام بعض الأطفال في المهد، وقد أفاد الحديث بأنه "لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى بن مريم ..."[٤].

"إننا ندرك بداهة أن الخالق العظيم الذي صدرت عنه هذه الموجودات الكونية ذات القوى الكبيرة، لا بد أن يكون هو ذا قوة وقدرة، ولولا أن يكون ذا قوة وقدرة لم تصدر عنه أشياء لها قوى وقدر، والقدرة: صفة وجودية من شأنها أن يكون لها أثر، كإيجاد الأشياء الممكنة، أو إعدامها، أو التصرف في الموجودات بجمعها أو تفريقها، أو تحويلها أو نحو ذلك. وهذا المعنى هو ما نسميه بصفة القدرة، فالله سبحانه وتعالى قادر مقتدر، وقد وصف الله نفسه بهذه القدرة في القرآن الكريم في عدة آيات كريمات، منها قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾[٥].... ولكن قدرة الله وقوته لا تشبه - من قريب ولا من بعيد- قدراتنا وقواتنا، لأن قدرته تعالى كاملة تتعلق بجميع الممكنات غير مستمدة من شيء، إذ هي من صفات الألوهية. أما قدراتنا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٥٧٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٤. وغيرها من سور القرآن الكريم، انظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم، إعداد: حسان عبدالمنان ص ٣٥٢-٣٥٣.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني ٣٩٤.

(٤) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٥٣/٦.

(٥) سورة الحديد، الآية: ٢.

فهي قدرات محدودة ناقصة مستمدة من غيرها، إذ هي من صفات المخلوقات، وقد جاء في المأثور من أسماء الله الحسنى عشرة[1] أسماء تعود إلى معنى تحقق صفة القدرة الكاملة لله تعالى، وهي: "القوي، والمتين، والقادر، والمقتدر، والواجد في أحد معانيه، والعزيز، والمقيت في أحد معانيه، ومالك الملك، والملك، والوارث"[2].

تاسعًا- من وسائل الدعوة: القصة:

استخدم النبي ﷺ وسيلة القصة لتبليغ دعوته، وقد ورد ذلك كثيرًا في الأحاديث. وهي وسيلة فعالة لو أحسن استخدامها الداعية المعاصر يقول: الدكتور القرضاوي: (ومما ينبغي للداعية الالتفات إليه والعناية به: القصص القرآني وما اشتمل عليه من عبر وعظات وأسرار وحكم بالغة، وطريقة القرآن في سرد قصص الماضين لا تعتمد على ذكر التفصيلات، كذكر أسماء الأشخاص والبلدان والتواريخ ونحوها، إنما تهتم برءوس العبر، ورسم ملامح الشخصيات التاريخية، واتجاهات الأحداث ونتائجها، ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[3]. وعند سرد القصة نجد القرآن الكريم يضمنها كثيرًا من الحقائق والأسرار العلمية والتوجيهية والتشريعية، لتنفذ إلى النفس والعقل عن طريق غير مباشر)[4].

قال ابن هبيرة: (ولم يذكر رسول الله ﷺ مثل هذا سمرًا قط، بل ليعمل مثل الولد الصالح مع كونه لم يشتغل عنها بمنكر ولا بمحرم، وإنما اشتغل بعبادة فجرى في حقه هذا...)[5].

---

(١) في الأصل (تسعة) ولكن عدد الأسماء التي ذكرها المؤلف عشرة، فلذلك كتبنا عشرة بحسب المذكور من الأسماء، وهو الظاهر لنا. وإن كان المؤلف أعاد كلمة (تسعة) مرتين، فلا ندري سبب ذلك، والله أعلم.

(٢) العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ١٦٠-١٦١.

(٣) سورة يوسف، آية: ١١١.

(٤) ثقافة الداعية، د. يوسف القرضاوي ص ٢٤-٢٥.

(٥) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٨١/٧.

عاشرًا- من أساليب الدعوة: القصر:

وذلك في قوله ﷺ : "لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة..." وفائدة القصر الحصر والتأكيد، قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث وجوب الإيمان بأنه لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة، حتى إنه قد روي على النبي ﷺ من الأحاديث الواهية أنه قد تكلم غير هؤلاء، ردّ ذلك، وعمل بهذا)[1].

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٧٩/٧، لكن فيما ذهب إليه ابن هبيرة نظر، انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٥٢/٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

يربي الإسلام أتباعه على معايير للتقييم الصحيح تختلف عن معايير الجاهلية وعن الحضارات الأخرى، كما سبق الحضارات المعاصرة، وقد تأثر المسلمون الملتزمون بذلك.

فالجاهلية كانوا يقدمون هذا أو ذاك على أساس من الجنس أو المال أو الجاه أو الشجاعة... والنظم المعاصرة تقدم المال ثم المنصب ثم الذكاء الاجتماعي، والإسلامي يربي أبناءه على تقييم الناس على أساس من الخلق الحسن، فهو معيار السبق وأساس التقدم في الدنيا والآخرة، ومن منهج التربية في هذا الباب:

أولاً- التربية بالتشويق:

من الأساليب التربوية الهادفة أسلوب التشويق، ومن الشواهد على ذلك في باب فضل ضعفة المسلمين، قوله ﷺ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ: كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ، أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ: كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ».

فهذا شاهد تربوي يدل على التشويق استخدمه ﷺ مع أصحابه، وذلك لأن في الشوق "نزوع للنفس إليه وتحفيز لها لأنه عند حصول الرغبة في الشيء والقناعة به والتطلع إلى نيله، يمكن أن يحصل الشوق إلى رؤياه والإسراع في كسبه وتحصيله، وقد كان الرسول ﷺ يقص على أصحابه من أخبار الجنة واليوم الآخر، ما يشوقهم به لحصول المرغوب فيه، فيثير في نفوسهم حب التطلع إلى أخبار الجنة وأحوال أهلها، مما له أكبر الأثر في زيادة رغبتهم فيها والسعي نحو تحصيلها وينتج عن ذلك استقامة في السلوك ونماء في العادات الجيدة والأخلاق الفاضلة، ونتائج تربوية إيجابية ناجحة، نتجت عن هذه الصفة المصحوبة بالشوق"[١].

وهذا الأسلوب قد استخدمه الأنبياء والرسل لأنه يوصل إلى مرضاة الله وجنته، فأولئك الذين هدى الله وبهداهم يقتدي كلُّ السائرين إلى مرضاة رب العالمين[٢].

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني ص ٢٢٣.

(٢) التربية الذاتية من الكتاب والسنة، د. هشام علي أحمد ص ٧٤.

ثانياً- التربية بالمواقف:

من أهم أساليب التربية الإسلامية التربية بالمواقف وتتمثل في أن الحياة مليئة بالمواقف المتتالية التي يمكن أخذ الدرس منها والشاهد على ذلك في حديث سهل بن سعد الساعدي ﵁ قال: «مَرَّ رَجُلٌ عَلَى النَّبيِّ ﷺ فقالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: «مَا رَأْيكَ فِي هذَا؟» قالَ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ هذَا وَاللّهِ حَرِيٌّ إنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ ...».

إن المواقف تساعد على تحقيق الأهداف وغرس الفضائل، لأنه إذا ظهر موقف خاطئ من شخص ووضح له ما وقع فيه من خطأ، وفي نفس الوقت وجه التوجيه الإيجابي الحسن الذي كان من المفروض أن يسلكه، فإن لذلك وقعًا على النفس وتأثيراً في السلوك، لأنه يرى النتاج أمامه ويعايشه في نفس اللحظة[١].

والمربي البارع لا يترك المواقف تذهب سدى بغير عبرة وتوجيه وإنما يستغلها لتربية النفوس وتهذيبها، ومزايا المواقف -كأسلوب تربوي- أنها تثير النفس بكاملها وترسل فيها قدراً من حرارة التفاعل فيكون من الحكمة هنا استخدام الدواء عند حدوث الداء، ولذلك استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب في تربية النفوس[٢].

ثالثاً- من أهداف التربية الإسلامية: احترام أهل الفضل والصلاح:

التربية الإسلامية عملت على احترام أهل الفضل والصلاح وتقديرهم، ومن الشواهد على ذلك في حديث سهل بن سعد ﵁ : «مَا رَأْيكَ فِي هذَا؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ هذَا رَجُلٌ مِنَ فُقَرَاءِ المُسْلِمِينَ. هذَا أَحْرَى إنْ خَطَبَ أَنْ لاَ يُنْكَحَ وَإنْ شَفَعَ أن لا يشفع ..»، وعنه ﷺ : « أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ (أَوْ شَابًّا) فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللّهِ . فَسَأَلَ عَنْهَا (أَوْ عَنْهُ) فَقَالُوا: مَاتَ. قَالَ: «أَفَلاَ كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي». قَالَ: فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا (أَوْ أَمْرَهُ). فَقَالَ: «دُلُّونِي عَلَىٰ قَبْرِهِ» فَدَلُّوهُ. فَصَلَّىٰ عَلَيْهَا»، وقال ﷺ كذلك: «رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بالأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللّهِ لأَبَرَّهُ».

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٢٧٨.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد القاضي ص ١٩٦، أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني ص ٣٨٤.

فهذه شواهد تربوية ظهر منها أن النبي ﷺ كان يقدر ويحترم أهل الفضل والصلاح كما بين أن مقامات العباد بالأعمال لا بالمظاهر، وكذلك أراد النبي ﷺ أن يربي أصحابه على احترام أهل الفضل والصلاح لأنهم الأجدر بالاحترام والتقدير بدلاً من تلك المعايير الفاسدة في التقدير على أساس المال والمنفعة الشخصية.

إن من محاسن التربية الإسلامية رعاية واحترام أهل الفضل والصلاح وإنزال الناس منازلهم ونحن بحاجة إلى أن نقدر أهل الصلاح وننزلهم منازلهم وينبغي على المعلم أن يلمس ممن يربيه رعايته لهذا الجانب بتقدير واحترام أهل الصلاح والاعتراف بالفضل والسابقة، وهذا هو أدب المسلم نراه يقدر أهل الفضل والصلاح[1]، ولقد كان احترام أهل الفضل والصلاح هو الأدب الذي ربى عليه النبي ﷺ أصحابه[2].

رابعاً- من خصائص التربية الإسلامية: الموازنة:

من خصائص التوجيه الإسلامي أنه ملائم للفطرة والجبلة الإنسانية ومن الشواهد على ذلك في باب ضعفة المسلمين: ما يستوحي من قصة جُرَيْجُ... قال: «يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلاَتِي. فَأَقْبَلَ عَلَىٰ صَلاَتِهِ . فَانْصَرَفَتْ. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي. فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلاَتِي. فَأَقْبَلَ عَلَىٰ صَلاَتِهِ ...».

فهذا شاهد تربوي أراد النبي ﷺ منه إبراز خاصية الموازنة في التربية الإسلامية كخاصية يجب أن يربى عليها النشء المسلم والشاهد من هذا أنه لا ينبغي إعمال جانب إيماني أو أخلاقي وترك جانب آخر. فإن فعل ذلك فإن الموازنة تفقد جانباً من ضوابطها، وذلك لأنها تهتم بتربية جميع جوانب الإنسان الخلقية والجسمية والعقلية وتحقق التوازن بين مطالب الإنسان الجسدية والروحية، فلا يطغى جانب على جانب آخر بحيث تجعل الإنسان في صراع نفسي وعناء داخلي[3].

والتربية الإسلامية لا تعمل على تنمية الحياة الآخرة فقط إنما هي تربية توخت

---

(١) تربية الشباب، "الأهداف والوسائل:، الدويش ص ١٦٠.

(٢) آداب المتعلمين، د. أحمد الباتلي، ٤٢، ٤٣.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٢٧٨.

الاعتدال، فدعت إلى أن يتمتع الإنسان في هذه الحياة الدنيا ولكن في الوقت نفسه عليه أن ينجز الواجبات المترتبة عليه إزاء ربه، فيعبده حق العبادة، وليست العبادة الحقة في أن يقف المرء نفسه عليها دون غيرها وأن يترك أعمال الدنيا بل يهتم بها أيضاً[(١)].

خامساً- التربية بالقصة:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالقصة لما لها من أسلوبها الساحر الذي يسحر النفوس ويشد الخيال إلى متابعة ومشاهدة أحداثها فتؤثر في متتبعها أيما تأثير، ومن الشواهد على ذلك في باب فضل ضعفة المسلمين قوله ﷺ: في قصة جريج قال ﷺ: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلاَّ ثَلاَثَةٌ: عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ. وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ. وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلاً عَابِداً ...».

فهذا شاهد تربوي ساقه النبي ﷺ للصحابة عن طريق القصة أراد النبي ﷺ، منها إرشاد الصحابة للخير وما يهدى إليه الدين من سلوكيات وأخلاقيات، "ولقد استخدمت التربية الإسلامية أسلوب القصة في تحقيق أهدافها لما لها من عظيم الأثر في نفس الإنسان، وخاصة إذا وضعت في أسلوب عاطفي. مؤثر يخاطب العقل والقلب معاً، وتكون هذه القصة ذات قيمة بقدر ما يكون لصاحب القصة من أثر وانتشار (كقصة جريج)، ولذلك استخدمت القصة هنا لغرس بعض القيم الدينية والخلقية، لقدرتها على الإقناع عن طريق التأثير والحضور الوجداني"[(٢)].

فقارئ القصة وسامعها لا يملك أن يقف موقفاً سلبياً من شخوصها بل يتخيل أنه في هذا الموقف أو ذاك، ويروح يوازن بين نفسه وبين أبطال القصة فيوافق أو يستنكر أو يملكه الإعجاب[(٣)].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب ص ٧٦، وأصول التربية الإسلامية، د. سعيد القاضي ص ٢١٨.

(٢) التربية الإسلامية، د. عماد عطية ص ١٣١.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد القاضي، ١٩٠.

سادسًا- من الأساليب التربوية:

وردت عدة أساليب تربوية في أحاديث الباب يستفاد منها في المجال التربوي، ومن جملتها:

أ-المناقشة والحوار: كما في حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: "مرّ رجل على النبي ﷺ، فقال لرجل عنده جالس: ما رأيك في هذا؟ ..." الحديث والمناقشة والحوار أسلوب يمثل شبكة من الاتصالات بين المعلم والمتعلمين باستخدام أسئلة مناسبة يتولد عنها النقاش المتبادل.

ب-الممارسة العملية: كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقيام النبي ﷺ بالصلاة على قبر الميت الذي لم يعلم بموته.

ج-تمثيل المعاني: وهو عبارة عن قيام المعلم بمحاكاة المعاني المختلفة، وقد ورد ذلك في فعل النبي ﷺ فقال أبو هريرة "فكأني انظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بأصبعه السبابة في فيه، فجعل يمصها".



٣٣- باب ملاطفة اليتيم والبنات وسائر الضعفة والمساكين والمنكسرين والإحسان إليهم والشفقة عليهم والتواضع معهم، وخفض الجناح لهم

قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[الحجر: ٨٨] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[الكهف: ٢٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾[الضحى: ٩-١٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾[الماعون: ١-٣].

الحديث رقم (٢٦٠)

٢٦٠- وعن سعد بن أَبي وَقَّاص رضي الله عنه ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ المُشْرِكُونَ للنَّبيِّ ﷺ: اطْرُدْ هؤلاء لا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا، وَكُنْتُ أنَا وابْنُ مَسْعُودٍ. وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ وَبِلالٌ وَرَجُلاَنِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا، فَوَقَعَ في نفس رَسُول الله ﷺ مَا شَاءَ اللهُ أنْ يَقَعَ، فَحَدَّثَ نَفسَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى: **﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾**[الأنعام: ٥٢] رواه مسلم[(١)].

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

غريب الألفاظ:

لا يجترؤون علينا: أي لئلا تحصل منهم الجرأة علينا فنُعيّر بذلك[(٢)].

---

(١) برقم (٤٦/٢٤١٣).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٦٠.

الشرح الأدبي

هذا الحديث الشريف" مشهد واقعي من مشاهد السيرة النبوية الفياضة بجلائل الآثار، وجميل الأخبار، والمشهد هنا قصة واقعية حقيقية، أشخاصها معروفون، وبعضهم لم يذكر اسمه مثل أبي بكر وعلي رضي الله عنهما، لأنهما من أشراف قريش، أما باقي الستة فقد ذكروا في الحديث، وتحديد الأسماء في الأحاديث بهذه الطريقة المحددة قليلاً ما يحدث. لأن المقام هنا يستدعي ذلك، وهم الراوي سعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن مسعود، وبلال، ورجل من هذيل: وقيل سلمان الفارسي وأبو ذر رضي الله عنهم، وأما هؤلاء الذين قال الله فيهم ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا، فمنهم: أمية بن خلف الجمحى ومن تابعه، وعيينة بن حصن الفزاري، والأقرع بن حابس، وذووهم.

والشخصيات المؤمنة الذين أراد الأغنياء أن يبعدوهم عن الجلوس في مجلس رسول الله ﷺ، هم الذين قال الله فيهم ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[(١)]، وأمر رسوله الكريم بأن لا يستجيب لهذه الدعوة التي تكرس الطائفية، وترفع شعار التميز والعصبية، وتفرِّق بين المسلمين، وتجعل الأغنياء أصحاب حظوة ومكانة في الإسلام، وهم لا يستحقونها لأنهم غير مخلصين في انتمائهم للإسلام، أو إقبالهم عليه، ولقد رسمت القصة النبوية، في هذا الحديث، وفي غيره – كثيرًا من النماذج الإنسانية التي حققت في واقعها هذا الجانب القوي الخير الفاضل، والبطل الحقيقي في القصة النبوية: هو ذلك الجانب الفذ في حياة الإنسان، البطل هو الموقف الذي يحقق فيه الإنسان سموه ورفعته، وانتصار الخير والفضيلة فيه، بالمعنى الشامل غير المحدود للخير والفضيلة[(٢)].

وحين نتأمل ما يتضمنه هذا الحديث الشريف من ظواهر أسلوبية، وجمال لغوي،

---

(١) سورة الكهف، آية: ٢٨.

(٢) القصة في الحديث النبوي، د. محمد حسن الزير ص ١٧١.

نرى أنه صيغ في قالب الحكاية حيث بدأ الراوي، سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بقوله: "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم: ستة نفر"، أي: أنهم حضروا مجلس النبي صلى الله عليه وسلم، مع مجموعة من المشركين الذين يعرض عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم الإسلام، وتحدث المفاجأة التي تجسد غلظة المشركين، وضيق أفقهم، وتكشف عن منظورهم التسلطي والتعصبي في الحياة، فإذا بهم لا يراعون آداب المجلس.

ويقولون في صيغة الأمر لصاحب المجلس وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم، "اطرد هؤلاء، لا يجترئون علينا"، وكان ذلك أنفة منهم من مجالستهم لاستصغارهم واحتقارهم واستقذارهم لهم لفقرهم وخمولهم في الدنيا، ونُسب القول في الحديث للكل لرضاهم به، كما يقول صاحب "دليل الفالحين"، وعلى الرغم من غلظة هؤلاء المشركين، وسلوكهم السلوك الجاهلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لم ينهرهم... ولم يعترض عليهم تأليفًا لقلوبهم، ورغبة في جذبهم للإسلام، وصمت قليلاً، وصور الراوي هذا الصمت بقوله، "فوقع في نفس رسول الله ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه"، ولكن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن الكريم، وحدد الموقف الذي لم يحد عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنه لبث مليًا حتى يتبين الأمر الصالح للدعوة الإسلامية، وقال تعالى ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾(١). قيل: فنهاه عما همَّ به من الطرد لا أنه أوقع الطرد، وقد كافأ الله هؤلاء الضعفة الذين تحصنوا بإيمانهم، فأثنى عليهم ربهم، وهذه المساواة بين الناس في ظلال العقيدة، أنطقت الشاعر العربي فقال:

إني ذكرتك يا محمد ناشرًا ... روح الأخوة في بني الإنسان

يعلو بلال العبد أشرف موقع ... ليذيع منه أشرف الألحان!!

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٥٢.

فقه الحديث

الحث على مجالسة أهل الخير، والصالحين الذين يكثرون من ذكر الله تعالى ودعائه، وأنه لا يجوز للإمام طردهم وإخراجهم من مجلسه بناء على طلب أهل الشرك والفجور، بل يحرم ذلك لوجود النهي في الآية، والنهي للتحريم ما لم تكن هناك قرينة صارفة - كما قال أهل الأصول - ولا قرينة صارفة لعدم الحرص على مجالسة الوجهاء، والأغنياء إلا لمصلحة دينية أو دنيوية معتبرة، أما مجرد الجلوس إليهم افتخارًا، فهذا مما لا يحمد عليه المؤمن(١).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الصحابة رضي الله عنهم السابقين إلى الإسلام.

ثانيًا: من أصناف المدعوين: المشركون.

ثالثًا: من تاريخ الدعوة: بداية الجهر بالدعوة في مكة.

رابعًا: من مهام الداعية: الحرص على مصلحة الدعوة.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: ثناء الله على المسلمين الضعفاء المخلصين.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: نزول القرآن مُنجمًا.

سابعًا: من أهداف الدعوة: تكريم أهل الفضل والأمر بتقديرهم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الصحابة رضي الله عنهم السابقين إلى الإسلام:

إن السابقين إلى الإسلام هم من أهل الفضل والمكانة، لأنهم سبقوا إلى الإسلام حين كان معظم الناس على الكفر، ولما تحملوا من الأذى ما لا يتحمله إلا الثابتون المخلصون، يضاف إلى ذلك كونهم مستضعفين. وهذا واضحٌ في قول سعد رضي الله عنه: "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر" وسمّى بعضهم فقال: "أنا وابن مسعود وبلال..." وهؤلاء من السابقين إلى الإسلام(٢) وهذا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يقول: "ما أسلم أحدٌ إلا في اليوم

---

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١٣٤/٢، ١٣٥.

(٢) انظر تراجمهم: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٣٨، ٤٩٠، ٨٣٢. وقال ابن هبيرة: "ومن لم يذكر اسمه في هذا الحديث فقد ذكر في حديث آخر، وهم: سعد وابن مسعود وبلال وصهيب وعمّار والمقداد. الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٦٥/١.

الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام"[١].

وقد قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٢] أي: (والذين سبقوا الناس أولاً إلى الإيمان بالله ورسوله من المهاجرين الذي هجروا قومهم وعشيرتهم، وانتقلوا إلى دار الإسلام، والأنصار الذين نصروا رسول الله ﷺ على أعدائه الكفار، والذي اتبعوهم بإحسان في الاعتقاد والأقوال والأعمال طلبًا لمرضاة الله سبحانه وتعالى، أولئك الذين رضي الله عنهم، لطاعتهم الله ورسوله ورضوا لما أجزل لهم من الثواب على طاعتهم وإيمانهم، وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا، ذلك هو الفلاح العظيم، وفي هذه الآية تزكية للصحابة رضي الله عنهم وثناء عليهم، ولهذا فإن توقيرهم من أصول الإيمان)[٣].

(وأفضل الصحابة السابقون الأولون في الإسلام من المهاجرين، ثم الأنصار، ثم أهل بَدْرٍ، ثم أهل أحد، ثم أهل غزوة الأحزاب، ثم أهل بيعة الرضوان، ثم من هاجر من قبل الفتح وقاتل أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا، وكلاً وعد الله الحسنى.

وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون أبوبكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذو النورين، وأبو السبطين علي بن أبي طالب ثم عبدالرحمن بن عوف والزبير بن العوام حواريَ رسول الله ﷺ وطلحة بن عبيدالله وسعد بن أبي وقاص، وأمين هذه الأمة أبو عبيد بن الجراح، وسعيد بن زيد بن نفيل رضي الله عنهم أجمعين)[٤].

ثانيًا- من أصناف المدعوين: المشركون:

أرسل محمد ﷺ إلى الناس كافة بمختلف عقائدهم ومللهم، وكان منهم المشركون الذين قالوا للنبي ﷺ: "اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا".

---

(١) أخرجه البخاري ٣٧٢٧.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٠٠.

(٣) التفسير الميسر، إعداد: نخبة من المختصين ص ٢٠٣.

(٤) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ٢٨٥.

(والمشركون الوثنيون: هم الذين أشركوا مع الله غيره في الاعتقاد أو العبادة مثل مشركي العرب وغيرهم من الوثنيين في الأمم الأخرى، الذين أخبرنا الله عنهم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[1])[2].

وقد كان النبي ﷺ حريصًا على دعوتهم فقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4].

وقد بلغ من حرص النبي على دعوة المشركين أنه كان يدعوهم وهم على فراش الموت، فعن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبدالله بن أبي أمية فقال رسول الله ﷺ يا عم قل: لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله. فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبدالمطلب. وأبى أن يقول: لا إله إلا الله فقال رسول الله ﷺ: ((أما واللهِ لأستَغْفِرَنَّ لكَ ما لم أُنْهَ عنكَ...))[5].

ثالثًا- من تاريخ الدعوة: بداية الجهر بالدعوة في مكة:

كان من الطبيعي أن تمر الدعوة الإسلامية في مكة بمراحل تناسب الأحوال والظروف، فكانت في بدايتها سرًا، واستمرت على ذلك ثلاث سنوات، ثم جاءت مرحلة

---

(١) سورة الزمر، آية: ٣.

(٢) المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني ص ١٧٨.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ١٠٧.

(٤) سورة سبأ، آية: ٢٨.

(٥) أخرجه البخاري ١٣٦٠، ومسلم ٢٤. وانظر: البداية والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٣٠٤/٤-٣١٤.

الجهر بالدعوة، فعُرف معظم من أسلم مع النبي ﷺ لأنهم كانوا يجالسونه ليتعلموا منه، وكان أغلب هؤلاء من المساكين، فكان هذا يضايق المشركين. وهذا واضح من قول المشركين للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا... فهذا يدل على أن هذا كان بعد الجهر بالدعوة، فقد قال ابن إسحاق: (ثم أمر الله رسوله ﷺ بعد ثلاث سنين من البعثة بأن يصدع بما أمر، وأن يصبر على أذى المشركين، وقال: وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلُّوا، ذهبوا في الشعاب واستخفوا بصلاتهم في قومهم، فبينا سعد بن أبي وقاص في نفرٍ يصلون بشعاب مكة، إذ ظهر عليهم بعض المشركين، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، فضرب سعدٌ رجلاً من المشركين بلَحى جملٍ[1] فشجّه فكان أول دم أهريق في الإسلام)[2].

ثم قال ابن إسحاق: (فلما بادى رسول الله ﷺ قومه بالإسلام وصَدَع به كما أمره الله، لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه - فيما بلغني- حتى ذكر آلهتهم وعابها فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه، وأجمعوا خلافه وعداوته، إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام وهم قليل مستخفون)[3].

رابعًا- من مهام الداعية: الحرص على مصلحة الدعوة:

إن الداعية أشد الناس حرصًا على مصلحة الدعوة، لأنها قضية حياته، لذلك هو يسلك كل السُّبل المشروعة في الحفاظ عليها، وهو يفعل ذلك اقتداءً بالنبي ﷺ كما وقع في هذا الحديث، وهذا واضح في قول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه، فأنزل الله عز وجل ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4].

---

(١) اللَّحْيُ: العظمان اللذان فيهما الأسنان من كل ذي لَحْيٍ. ولحيا الغدير: جانباه، الوسيط ٨٢٠.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١/٢٩٥-٢٩٦)، وانظر: البداية والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٤/٩٥.

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام ١/٢٩٦.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٥٢.

قال القرطبي: (وكان النبي ﷺ إما مال إلى ذلك طمعًا في إسلامهم وإسلام قومهم، ورأى أن ذلك لا يفوت أصحابه شيئًا ولا يُنقص لهم قدرًا. فمال إليه فأنزل الآية فنهاه عما همّ به من الطرد، لا أنه أوقع الطرد)[(١)].

وقال ابن عاشور: (إن رسول الله ﷺ لحرصه على إيمان قريش ليكونوا قدوة لقومهم، ولعلمه بأن أصحابه يحرصون حرصه، لا يوحشهم أن يقاموا من المجلس إذا حضره عظماء قريش، لأنهم آمنوا يريدون وجه الله لا للرياء والسمعة، ولكن الله نهاه عن ذلك وسماه طردًا تأكيدًا لمعنى النهي، وذلك لحكمة: وهي كانت أرجح من الطمع في إيمان أولئك، لأن الله اطّلع على سرائرهم فعلم أنهم لا يؤمنون، وأراد الله أن يظهر استغناء دينه ورسوله عن الاعتزاز بأولئك الطغاة القساة، وليظهر لهم أن أولئك الضعفاء خيرٌ منهم، وأن الحرص على قربهم من الرسول أولى من الحرص على قرب المشركين وأن الدين يرغب الناس فيه، وليس هو يرغب في الناس)[(٢)].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: ثناء الله على المسلمين الضعفاء المخلصين:

إن الله سبحانه أنزل فيهم: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[(٣)].

وقال ابن هبيرة: "فيه ما يدل على كرامة هؤلاء النفر الستة، فإن هذه الآية قد شهدت لهم (يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه)، وفي هذا دليل على أنهم كانوا من أهل محبة الله عز وجل لقصدهم وجهه سبحانه، وذلك أن أطيب الزمان وألذه هو الغدوات والعشيات، فإذا طاب لهم زمانهم تمنوا أن يقطعوه بذكر ربهم سبحانه، وقوله تعالى: (ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء)، فإن معناه

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٣١/٦/٣.

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٢٤٦/٧/٣، ٢٤٧.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٥٢.

غامض[١] شريف. وذلك أنه قال: (ما عليك من حسابهم)، فجعل الحساب لهم لا عليهم، وقال: (وما حسابك عليهم من شيء) وكفى بهذا شرفًا لمن تدبره" [٢].

فقد ذكر الله (المتقين وأمره [أي رسوله ﷺ] بتقريبهم وإكرامهم وألا يطيع فيهم من أراد بهم خلاف ذلك، وأثنى عليهم بأنهم يواصلون دعاء ربهم أي عبادته ويواظبون عليها، والمراد بذكر الغداة والعشي: الدوام وقيل معناه: يصلُّون صلاة الصبح والعصر، ووسمهم بالإخلاص في عبادتهم بقوله ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ ... ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ كقوله تعالى: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى﴾[٣] وذلك أنهم طعنوا في دينهم وإخلاصهم فقال: ما عليك من حسابهم من شيء بعد شهادته لهم بالإخلاص وبإرادة وجه الله في أعمالهم على معنى: وإن كان الأمر على ما يقولون عند الله فما يلزمك إلا اعتبار الظاهر والاتسام بسيمة المتقين، وإن كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم إليك، كما أن حسابك لا يتعداك إليهم)[٤].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: نزول القرآن منجمًا:

"إن لنزول القرآن الكريم منجمًا [أي مفرقًا] حِكَمًا جليلة وأسرارًا عديدة عرفها العالمون وغفل عنها الجاهلون، ونستطيع أن نجملها فيما يأتي وهي:

أولاً: تثبيت قلب النبي ﷺ أمام أذى المشركين.

ثانيًا: التلطف بالنبي ﷺ عند نزول الوحي.

ثالثًا: التدرج في تشريع الأحكام السماوية.

رابعًا: تسهيل حفظ القرآن وفهمه على المسلمين.

خامسًا: مسايرة الحوادث والوقائع والتنبيه عليها في حينها.

---

(١) كذا في المطبوع.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٦٥/١.

(٣) سورة الشعراء، آية: ١١٣.

(٤) الكشاف، الزمخشري ٣٢٩. وانظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢٥٩/٣، والتحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٤٧/٧-٢٤٩.

سادسًا- الإرشاد إلى مصدر القرآن، وأنه تنزيل الحكيم الحميد:

أما الحكمة السابعة فهي "مسايرة الحوادث والوقائع في حينها" والتنبيه على الأخطاء في وقتها، فإن ذلك أوقع في النفس وأدعى إلى أخذ العظة والعبرة منها عن طريق الدرس العملي. فكلما جدّ منهم جديد نزل من القرآن ما يناسبه، وكلما حصل منهم خطأ أو انحراف، نزل القرآن بتعريفهم وتنبيههم إلى ما ينبغي اجتنابه وطلب عمله، ونبههم إلى مواطن الخطأ في ذلك الوقت والحين)[1]. وفي هذا الحديث نزل القرآن ليبيّن للنبي ﷺ ما يجب عليه فعله مع هؤلاء الستة من المسلمين، من الجلوس معهم وعدم طردهم طمعًا في إسلام هؤلاء المشركين. قال ابن كثير: (أي لاتبعد هؤلاء المتصفين بهذه الصفة عنك، بل اجعلهم جلساءك وأخصاءك)[2].

سابعًا- من أهداف الدعوة: تكريم أهل الفضل والأمر بتقديرهم:

إن من أهداف الدعوة المستنبطة من عموم الحديث: تكريم أهل الفضل وتقديرهم فقد قال خباب رضي الله عنه بعد نزول هذه الآية: ((فكنا نقعد مع النبي ﷺ فإذا بلغنا الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم))[3]، وقد قال الله عز وجل لرسوله ﷺ ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[4].

وقال عبدالرحمن بن سهل بن حنيف قال: نزلت على رسول الله ﷺ وهو في بعض أبياته: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ فخرج

---

(١) التبيان في علوم القرآن، محمد علي الصابوني ص ٣٢-٣٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٥٩/٣.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٤١٢٧، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٢٩).

(٤) سورة الكهف، آية: ٢٨.

يلتمسهم، فوجد قومًا يذكرون الله، منهم ثائر الرأس وجافي الجلد[١] وذو الثوب الواحد. فلما رآهم جلس معهم وقال: الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني الله أن أصبر نفسي معهم)[٢].

قال ابن القيم رحمه الله: (إن أتباع الرسل، الذين صدقوهم، وآثروا الله والدار الآخرة على قومهم وأصحابهم قد أودع الله قلوبهم سرًا من أسرار معرفته ومحبته والإيمان به، خفي على أعداء الرسل، فنظروا إلى ظواهرهم، وعموا عن بواطنهم، فازدروهم واحتقروهم، وقالوا للرسول: اطرد هؤلاء عنك. حتى نأتيك ونسمع منك، وقالوا: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ﴾[٣]، فقال نوح عليه السلام: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٤]. قال الزجاج: المعنى إن كنتم تزعمون أنهم إنما اتبعوني في بادي الرأي وظاهره، فليس عليَّ أن أطلع على ما في أنفسهم، فإذا رأيت من يوحد الله عاملته على ظاهره، ورددت علم ما في نفوسهم إلى الله، وهذا معنى حسن.

والذي يظهر من الآية: أن الله يعلم ما في أنفسهم، إذ أهَّلهم لقبول دينه وتوحيده، وتصديق رسله، والله سبحانه وتعالى عليم حكيم يضع العطاء في مواضعه. وتكون

---

(١) المعنى: أن جلدهم أصبح غليظًا من كثرة تعرضه للهواء والشمس، وذلك من قلة ما يجدونه من الثياب يلبسونها. أي أنهم شديدو الفقر والحاجة. فإن من معاني الجافي: الغليظ. القاموس المحيط في (ج ف ا).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري ٢٣٨/١٥، ٢٣٩ والطبراني كما في تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٥٣/٥، وقال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، المجمع ٢١/٧. ولكن عبدالرحمن هذا راوي الحديث قال عنه الحافظ ابن حجر: لا يبعد أن يكون له رؤية وإن لم يكن له صحبة. الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٧٠٣.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٥٣.

(٤) سورة هود، آية: ٣١.

هذه الآية مثل قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾[1]. فإنهم أنكروا أن يكون الله سبحانه أهّلهم للهدى والحق، وحَرَمَه رؤساء الكفار، وأهل العزة والثروة منهم. كأنهم استدلوا بعطاء الدنيا على عطاء الآخرة؛ فأخبر الله سبحانه أنه أعلم بمن يؤهله لذلك لسر عنده من معرفة قدر النعمة، ورؤيتها من مجرد فضل المنعم، ومحبته وشكره عليها، وليس كل أحد عنده هذا السر، فلا يؤهل كل أحد لهذا العطاء)[2].

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٥٣.

(٢) مدارج السالكين، ابن القيم ٣/٧١٢-٧١٣.

الحديث رقم (٢٦١)

٢٦١- وعن أَبي هُبَيرَة عائِذ بن عمرو المزني وَهُوَ مِنْ أهْل بيعة الرضوان رضي الله عنه: أنَّ أبا سُفْيَانَ أتى عَلَى سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَبلاَلٍ في نَفَرٍ، فقالوا: مَا أخَذَتْ سُيُوفُ اللهِ مِنْ[1] عَدُوِّ الله مَأْخَذَهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أتَقُولُون هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيدِهِمْ؟ فَأتَى النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم، فَأخْبَرَهُ، فَقَالَ: ((يَا أبَا بَكْرٍ، لَعلَّكَ اغْضَبْتَهُمْ؟ لَئِنْ كُنْتَ اغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أغْضَبْتَ رَبَّكَ)).

فَأتَاهُمْ فَقَالَ: يَا إخْوَتَاهُ، آغْضَبْتُكُمْ؟ قالوا: لاَ، يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أُخَيَّ. رواه مسلم[2].

قولُهُ: ((مَأْخَذَهَا)) أيْ: لَمْ تَسْتَوفِ حقها مِنْهُ. وقوله: ((يَا أُخَيَّ)): رُوِي بفتحِ الهمزةِ وكسرِ الخاءِ وتخفيف الياءِ، وَرُوِيَ بضم الهمزة وفتح الخاء وتشديد الياءِ.

ترجمة الراوي:

عائذ بن عمرو: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٩٢).

الشرح الأدبي

إن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم مكانتهم في التاريخ الإسلامي، ولهم دورهم في تأسيس أركان الدولة الإسلامية، وتثبيت دعائمها، وهم نجوم الهداية، ومنارات الاقتداء.

وفي هذا الحديث الشريف تشرق أسماء الصحابة الأجلاء الذين وقفوا بجانب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينصرونه ويؤازرونه، يتقدمهم في الفضل والسبق إلى الإسلام أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وهو الخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان كما يقول العقاد- أليفًا ودودًا حسن المعاشرة، وكان مطبوعًا على أفضل الصفات التي تتألف لها الناس فيألفونه، ومنها التواضع ولين الجانب، فلم يتعال على أحد قط في جاهليته ولا في

---

(١) عند مسلم زيادة: (من عنق).

(٢) برقم (٢٤٠٥/١٧٠). أورده المنذري في ترغيبه (٤٦٦٨).

إسلامه، وكان في خلافته أظهر تواضعًا منه قبل ولايته الخلافة، وكان في جاهليته وإسلامه وقورًا جميل السمت يغار على مروءته، ويتجنب ما يريب، وكان لمروءته يتحاشى السقط من الكلام، فلا يتكلم إلا أن يدعوه داع إلى قولة خير فيقولها إذن ويصدق في مقاله [١].

وأما سلمان الفارسي رضي الله عنه: وإخوانه صهيب وبلال رضي الله عنهما وغيرهما قد شهد لهم رسول الله ﷺ بالفضل، وقد ورد في فضلهم الكثير من الأحاديث.

وأبو سفيان أنعم الله عليه بالإسلام، ودخل مع جموع المؤمنين من الناس في دين الله أفواجا يوم الفتح الأكبر.

ويصدق حَدْس أبي بكر في تأليف قلب أبي سفيان، ويعطي الرسول ﷺ الأمان لأبي سفيان حينما أعلن إسلامه والمسلمون على مشارف مكة: ويقول المصطفى ﷺ: ((ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن ألقى السلاح فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن))[٢]، وتشاء الحكمة الإلهية أن يكون أبناء أبي سفيان وأحفاده وأبناء أخيه من القواد الفاتحين بعد ذلك، وأن تكون الدولة الأموية، لها دورها الكبير في انتشار الإسلام في أفريقيا والأندلس، وآسيا، والهند، وباكستان في ظل خلفاء بني أمية، وقادتهم الكبار، والولاة الفرسان.

وفي ضوء هذه الإشعاعات التاريخية، وتلك القبسات النبوية، وتلك الحقائق الباسقة، نتأمل هذا الحديث النبوي الشريف، فزمن الحوار الذي دار بين الصحابة حول مصير أبي سفيان، كان في الهدنة بين الرسول ﷺ ومشركي مكة بعد صلح الحديبية، وأبو سفيان كان كافرًا، ولذلك وصفه هؤلاء الصحابة بأنه عدو الله، وهو وصف محدود بإطاره الزمني لأنه أسلم بعد ذلك، والمواجهة بين أبي سفيان وهؤلاء الصحابة المستضعفين الموالي، تفصح عن دور العقيدة في تقوية إرادة هؤلاء الضعفة، فهم في الإسلام أقوياء بعقيدتهم لا يخشون في الله لومة لائم.

---

(١) عبقرية الصديق، عباس محمد العقاد.

(٢) أخرجه مسلم ١٧٨٠.

والحوار بين أبي بكر وهؤلاء الصحابة يطلعنا على حكمة أبي بكر رضي الله عنه وعلى حرصه على تأليف قلب أبي سفيان، وقد وصفه بشيخ قريش وسيدها، واستنكر عليهم هذا المسلك معه؟ ولكن رسول الله ﷺ كان حريصًا على عدم إغضاب هؤلاء المستضعفين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، فأقسم ونادى أبا بكر بأنه إن كان أغضبهم فقد أغضب ربه، واستعمال "إن" الشرطية هنا، يوحي بأن غضبهم غير متيقن لأنها لا تفيد التحقق، وينهض أبو بكر في تواضع ومحبة ويناديهم مستغيثًا يا إخوتاه، ويستفهم "أأغضبتكم؟" وتهدأ نفسه ويطمئن حين يقولون له : لا ثم يدعون له بالمغفرة وينادونه يا أخي، وما أجمل هذا الإخاء!!!.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من تاريخ الدعوة: بيعة الرضوان.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية إرهاب العدو.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل سلمان وصهيب وبلال رضي الله عنهم.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: مراعاة الضعفاء وأهل الإيمان وملاطفتهم.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: ورع أبي بكر رضي الله عنه وحرصه على إبراء ذمته.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

يظهر ذلك في الحديث من قول الراوي: "إن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا: ... إلخ"، والإخبار من الأساليب الدعوية المهمة التي يستعين بها الداعية على تبليغ دعوته للمدعوين لما لذلك من عظيم الأثر. حيث أمر الحق تبارك وتعالى نبيه ﷺ بذلك فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾[1]، فهذا أمر من الله الرسول ﷺ بأعظم الأوامر وأجلها، وهو التبليغ لما أنزل الله إليه ويدخل في

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

هذا كل أمر تلقته الأمة عنه ﷺ[١]. وقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٢]، فعلى الداعية أن يقتدي بالنبي ﷺ في حسن إخباره وتبليغه لدعوته بما في ذلك من صدقه وإخلاصه ﷺ.

ثانيًا- من تاريخ الدعوة: بيعة الرضوان:

هذا ما أشار إليه الحديث من قول: "وهو من أهل بيعة الرضوان".

"وقد كانت بيعة الرضوان في السادس من الهجرة من ذي القعدة حيث خرج رسول الله ﷺ معتمرًا في ألف وأربع مائة رجل، وساق معه الهدى، وأحرم بالعمرة؛ ليأمن الناس من حربه، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائرًا لهذا البيت، ومعظمًا له[٣]"[٤].

(وقد أراد النبي ﷺ بهذا النسك المنشود إقرار حق المسلمين في أداء عبادتهم، وإفهام المشركين أن المسجد الحرام ليس ملكًا لقبيل يحتكر القيام عليه، ويمكنه الصد عنه، فهو ميراث الخليل إبراهيم عليه السلام...، وإحرام النبي ﷺ وصحبه بالعمرة فحسب -وهم يريدون دخول مكة- آية على الرغبة العميقة في السلم، وعلى الرغبة في نسيان الخصومات السابقة، وتأسيس علاقة أهدأ وأرق، ولكن أبت قريش وتعاهدت ألا يدخل عليهم رسول الله ﷺ مكة أبدًا)[٥].

(وبعد ان أرسلت قريش بديل بن ورقاء الخزاعي، ثم مكرز بن حفص بن الأخيف، ثم الحليس بن علقة "سيد الأحابيش"، ثم عروة بن مسعود الثقفي، وبعد هذه الوفود كانت "بيعة الرضوان")[٦].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢٠١.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٤٦.

(٤) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ٣٠٨/٢، والبداية والنهاية، ابن كثير، ٢٠٧/٦.

(٥) فقه السيرة، محمد الغزالي، ٣٢٢-٣٢٤.

(٦) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ٣١٣/٢، البداية والنهاية، ابن كثير، ٢١٠/٦.

حيث كان سبب هذه البيعة العظيمة أن النبي ﷺ: "دعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبعثه إلى مكة، ليبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال: يا رسول الله، إني أخاف قريشًا على نفسي، وليس بمكة من بني عدي بن كعب من يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها، وغلظتي عليها، ولكني أدلك على رجل أعز بها مني، عثمان بن عفان رضي الله عنه، فبعثه رسول الله ﷺ إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وأنه جاء زائرًا لهذا البيت ومعظمًا لحرمته.

فخرج عثمان رضي الله عنه إلى مكة، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة، أو قبل أن يدخلها، فحمله بين يديه، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ، فانطلق عثمان رضي الله عنه حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، فقالوا لعثمان رضي الله عنه حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف. فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ. واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان رضي الله عنه قد قتل.

قال ابن اسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر: أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قتل: «لا نبرح حتى نناجز القوم». ودعا رسول الله الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت، وكان جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: إن رسول الله ﷺ لم يبايعهم على الموت ولكن بايعنا على ألا نفر.

فبايع الناس ولم يتخلف أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس أخو بني سلمة، فكان جابر رضي الله عنه يقول: والله لكأني أنظر إليه لاصقًا بإبط ناقته قد ضبأ إليها يستتر بها من الناس، ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي كان من أمر عثمان رضي الله عنه باطل"(١).

وقد أخرج البخاري عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: «أنتم خير أهل الأرض»(٢) وكنا ألفًا وأربعمائة، ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة.

---

(١) السيرة النبوية ابن هشام، ٣١٥/٢، ٣١٦، البداية والنهاية، ابن كثير، ٢١٤/٦، ٢١٥.

(٢) أخرجه البخاري ٤١٥٤، ومسلم ١٨٥٦.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: أهمية إرهاب العدو:

قد ورد في الحديث ما يؤكد ذلك من قول الراوي: (إن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها)، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بإخافة العدو وإرهابه، فقال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1].

قال ابن كثير: (أي: تخيفون به عدو الله وعدوكم من الكفار)[2]، وقال القاسمي: (دلت هذه الآية على وجوب إعداد القوة الحربية، إتقاءً لبأس العدو وهجومه. ولما عمل الأمراء بمقتضى هذه الآية، أيام حضارة الإسلام، كان الإسلام عزيزًا، عظيمًا، أبيَّ الضيم، قوي القَنَا، جليل الجاه، وفير السنا، إذ نشر لواء سلطته على منبسط الأرض، فقبض على ناصية الأقطار والأمصار، وخضد شوكة المستبدين الكافرين، وزحزح سجوف الظلم والاستعباد، وعاش بنوه أحقابًا متتالية، وهم سادة الأمم، وقادة الشعوب، وزمام الحول والطول، وقطب رحى العز والمجد، لا يستكينون لقوة، ولا يرهبون لسطوة. وأما اليوم، فقد ترك المسلمون العمل بهذه الآية الكريمة، ومالوا إلى النعيم والترف فأهملوا فرضًا من فروض الكفاية، فأصبحت جميع الأمة آثمة بترك هذا الفرض. ولذا تعاني اليوم من غصته ما تعاني. وكيف لا يطمع العدو بالممالك الإسلامية، ولا ترى فيها معامل للأسلحة، وذخائر الحرب، بل كلها مما يشترى من بلاد العدو؟ أما آن لها أن تتنبه من غفلتها، وتنشئ معامل لصنع المدافع والبنادق والقذائف والذخائر الحربية؟ فلقد ألقى عليها تنقص العدو بلادها من أطرافها درسًا يجب أن تتدبره، وتتلافى ما فرطت به. قبل أن يداهم ما بقي منها بخيله ورجله، فيقضي - والعياذ بالله- على الإسلام وممالك المسلمين، لاستعمار الأمصار، واستعباد الأحرار، ونزع الاستقلال المؤذن بالدمار. وبالله الهداية"[3].

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨٢/٤.

(٣) محاسن التأويل، القاسمي ٨٥/٨/٥ - ٨٦.

وفي القيام بذلك يكون إرهاب العدو، وهذا ما أكد عليه النبي ﷺ، ففي غزوة أحد خرج أبو دجانة الأنصاري رضي الله عنه يختال في مشيته ويتبختر بين الصفين كعادته المتبعة عند الحرب، فلما رآه النبي ﷺ يختال في مشيته، قال ﷺ: ((إِنَّهَا لَمِشْيَةٌ يَبْغَضُهَا اللَّهُ إلا فِي مثل هَذَا الْمَوْطِنِ)) [١]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لما قَدِمَ النبيُّ ﷺ لعامِهِ الذي استأمَنَ قال: ((ارمُلوا ليرَى المشركونَ قُوَّتَهُمْ، وفي رواية إنما سعى النبي ﷺ بالبيت وبين الصفا والمروة ليُرِيَ المشركين قوته)) [٢]، وفي ذلك بيان على أهمية إرهاب العدو وإخافته، لما في ذلك من حماية بيضة المسلمين وإقامة الدين.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل سلمان وصهيب وبلال رضي الله عنهم:

لقد أشار الحديث إلى فضل سلمان وصهيب وبلال رضي الله عنهم ويستنبط ذلك من قوله ﷺ: "يا أبا بكر لعلك أغضبتهم؟ لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك"، (فبلال رضي الله عنه من السابقين الأولين في الإسلام شهد بدرًا وشهد له النبي ﷺ على التعيين بالجنة) [٣]، وقال له ﷺ: ((سمعتُ دَفَّ نَعليكَ بينَ يدَيَّ في الجَنَّة)) [٤].

أما سلمان رضي الله عنه فهو الذي دلّ المسلمين على حفر الخندق في غزوة الأحزاب، وقال فيه علي بن ابي طالب رضي الله عنه عندما سئل عنه: (امرؤ منا وإلينا أهل البيت، من لكم بمثل لقمان الحكيم علم العلم الأول والعلم الآخر، وقرأ الكتاب الأول والآخر، وكان بحرًا لا ينزف، وقد جُعل أميرًا على المدائن وكان إذا خرج عطاؤه تصدق به) [٥].

أما صهيب رضي الله عنه فقد نزل فيه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [٦] (وذلك عندما أراد أن يهاجر من مكة فمنعه الناس أن يهاجر بماله،

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، ٧١/٣.

(٢) أخرجه البخاري ٤٢٥٧.

(٣) سير أعلم النبلاء، الذهبي، ٤٣٧/١.

(٤) أخرجه البخاري ٣٧٥٤.

(٥) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٥٤٣/١، الأعلام، الزركلي ١١٢/٣.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٠٧.

فترك ماله وهاجر، فأنزل الله فيه هذه الآية، فتلقاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجماعة إلى طرف الحرّة، فقالوا له: ربح البيع. فقال: وأنتم فلا أخسر الله تجارتكم، وما ذاك؟ فأخبروه أن الله أنزل فيه هذه الآية)[١].

فنعم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هم مفخرة الإنسانية، وخير جيل عرفته البشرية، فرضي الله عنهم ورضوا عنه.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: مراعاة الضعفاء وأهل الإيمان وملاطفتهم:

إن من موضوعات الدعوة المستنبطة من هذا الحديث أهمية مراعاة الضعفاء وأهل الإيمان وملاطفتهم، لمالهم من عظيم الفضل والمنزلة عنه الله تعالى، ومن الشواهد على ذلك ما ورد في الحديث من سؤال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه قائلاً: له يا أبا بكر لعلك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك فأتاهم أبو بكر رضي الله عنه قائلاً لهم: "يا إخوتاه آغضبتكم..."، ولاشك أن ذلك دليل على أهمية مراعاة الضعفاء وأهل الإيمان والفضل.

(وقد أمر الحق تبارك وتعالى بخفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين)[٢] فقال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٣] وقال: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٥]. قال ابن كثير: (إن هذه صفات المؤمنين الكُمَّل، أن يكون أحدهم متواضعًا لأخيه ووليه، متعززًا على خصمه وعدوه)[٦]، وفي ذلك بيان على أهمية مراعاة قلوب الضعفاء وأهل الإيمان وملاطفتهم.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١/٥٦٤.

(٢) المرجع السابق ٤/٥٤٦.

(٣) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٤) سورة الشعراء، آية: ٢١٥.

(٥) سورة المائدة، آية: ٥٤.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣/١٣٦.

سادسًا- من موضوعات الدعوة: ورع أبي بكر ﵁ وحرصه على إبراء ذمته:

يظهر ذلك في الحديث من قول الراوي "فأتاهم فقال: يا إخوتاه آغضبتكم؟ قالوا: لا؛ يغفر الله لك يا أخي؟ وقد بين ابن عثيمين أن (في ذلك دليل على ورع أبي بكر ﵁، وعلى حرصه على إبراء ذمته، وأن الإنسان ينبغي له، بل يجب عليه إذا اعتدى على أحد بقول أو فعل، أو بأخذ مال، أو سب أو شتم، أن يستحله في الدنيا، قبل أن يأخذ ذلك منه في الآخرة)[1].

حيث حذر النبي ﷺ من اعتداء أو ظلم المسلم للمسلم فقال: ((أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَـٰذَا، وَقَذَفَ هَـٰذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَـٰذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَـٰذَا، وَضَرَبَ هَـٰذَا. فَيُعْطَىٰ هَـٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَـٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ. فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ، قَبْلَ أَنْ يُقْضَىٰ مَا عَلَيْهِ. أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ. ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ))[2]. فإن هذا هو المفلس الحقيقي، فهو الهالك الهلاك التام، والمعدوم الإعدام المقطع، فتؤخذ حسناته لغرمائه، فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه ثم ألقي في النار فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه[3].

---

(١) شرح رياض الصالحين١/٦٤٤.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٨١.

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٤.

الحديث رقم (٢٦٢)

٢٦٢- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((أَنَا وَكَافلُ اليَتِيمِ في الجَنَّةِ هكَذا)) وَأَشَارَ بالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا. رواه البخاري[١].

و((كَافلُ اليَتيم)): القَائِمُ بِأمُورِه.

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

كافل اليتيم: القائم بأمُورِه[٢].

فَرَّجَ بينهما: أي فرّق بين السبابة والوسطى؛ إشارة إلى أن بين درجة النبي ﷺ وكافل اليتيم قدر تفاوت ما بين السبابة والوسطى[٣].

الشرح الأدبي

إن التكافل الاجتماعي في الإسلام لا ينبع من منظور العطاء مقابل السلب، ولا يتوجه إلى الفئات التي تتخذ من الإهمال تعلة للعطف، وسبيلاً إلى التسول، لأن الإسلام يحث على العمل والكد والسعي، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[٤].

وهذه القاعدة التي يؤسس عليها التكافل الاجتماعي في الإسلام، هي قاعدة إنسانية تلبي حاجة الضعيف، وتؤمن فزع المكروب، وتواسي طوائف المبتلين بأنواع

---

(١) برقم (٥٣٠٤) وزاد في آخره: (شيئًا). أورده المنذري في ترغيبه (٣٧٣٢). تنبيه: لم يورد المنذري الزيادة التي في آخر الحديث، فتبعه عليه المؤلف.

(٢) رياض الصالحين (١٥٤).

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٦٣.

(٤) سورة التوبة، آية: ١٠٥.

البلاءات، من العوز والفاقة واليتم والخوف، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، واليتيم في الإسلام له حقوقه التي تستلزم رعايته وتربيته وتعليمه، وهي الحقوق التي منحها الله لكل فرد في حدودها المشروعة في الكتاب والسنة وهذه الحقوق في مجملها تتمثل في: حق الحياة، حق الحرية، حق العلم، حق الكرامة، حق التملك، ويقول الغزالي: إن مقصود الشرع من الخلق خمسة: (أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم، وعقلهم، ونسْلهم ومالهم)، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة.

وكفالة اليتيم في ظل هذه الأبعاد تتحرك لتشمل كل ما يحتاجه ذلك الطفل الذي حرم رعاية أبيه، وحنان أمه وهو من ضعفة المسلمين.

والحديث في بنائه اللغوي ينزع إلى الترغيب وإلى زرع الرحمة بالأيتام في قلوب المسلمين، ويتخذ الحديث نهجًا أسلوبيًا مشوقًا مرغبًا، حيث يبدأ بلفظ "أنا" وهو ضمير المتكلم، ومَنْ المتكلم إنه أشرف المرسلين وخاتم النبيين، والمبعوث رحمة للعالمين، ثم بعد هذا الضمير العلم الأسنى "يعطف كافل اليتيم" عليه، فأي صحبة أسمى من هذه الصحبة، وأي شرف أعظم من هذا التكريم: حين يبشر رسول الله ﷺ بني الأمة بأن كافل اليتيم معه في جنة عرضها السموات والأرض، أعدت للمتقين، ولهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد كما وعد الله عز وجل.

والإشارة في الحديث بالسبابة والوسطى، والتفريج بينهما، تضيف أبعادًا جديدة إلى المعنى، وتقوي من التأثير في نفوس السامعين: فالإشارات في مثل هذه المواقف صور حركية تكني عن مشاعر خلفها، وهي لغة تفوق الكلام في هذا المضمار، لأن الحركة تومئ إيماء لطيفًا، وتهجم إلى العين، وتؤدي بعد ذلك المغزى المتبقي من الحركة.

والإشارة في الحديث فكر وفن، ومن أجل تحقيق مقصد الإبلاغ والتوصيل سعى النبي ﷺ إلى تجسيم الأفكار لمستمعيه لإنشاء جسر من التواصل الفكري، ولسكب الصيغة الفنية التي تحن إليها القلوب في تلقف المضامين الإسلامية.

والأحاديث في استخدام الأصبعين السبابة والوسطى كثيرة في مضمار التوضيح، كما في هذا الحديث، ولقد سكت عن المشبه به، وصار حركة استلفتت الأنظار، وشدتها إلى الأصبعين اللذين يبرزان في المشهد، ويصيران رمزًا لقرب النبي ﷺ ولصوقه بكافل اليتيم، في الجنة، ولنتأمل لفظ "السبابة"، ولماذا أطلق عليها هذا الاسم، وفي رواية "السباحة"، قيل سمى الإصبع بالسبابة: لأنه يسب بها الشيطان، وقيل السباحة، لأنها يسبح بها في الصلاة، ويشار بها في التشهد لذلك.

ويقول القرطبي: مفسرًا دلالة قوله هاتين، إنه معه فيها أى في الجنة وبحضرته، غير أن كلا منهما على درجته فيها، إذ لا يبلغ درجة الأنبياء غيرهم.

ويقول الحافظ العراقي: في بيان قيمة التشبيه في هذا الحديث لعل الحكمة في تشبيه كافل اليتيم بالنبي ﷺ في دخول الجنة أو في علو المنزلة، أو في القرب منه ﷺ: كونه ﷺ من شأنه أن يبعث إلى قوم لا يعقلون أمر دينهم، فيكون كافلاً لهم ومعلمًا ومرشدًا، وكذا كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه بل ولا دنياه فيرشده ويعلمه ويحسن أدبه: فظهرت مناسبة ذلك[1].

فقه الحديث

يشير هذا الحديث[2] إلى نوع من أنواع البر المحمودة، والتي جعل لها الله سبحانه الجزاء العظيم والثواب العميم، وهو كفالة اليتيم والإحسان إليه.

وقد ذكر الفقهاء[3] أن من أعمال البر الواجبة التي ينبغي للمسلم أن يفطن لها ويعملها البر بالفقراء والمساكين، وخاصة الأيتام لما في ذلك من الإحسان إليهم والرأفة

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٤٦٣، ٤٦٤.

(٢) الحديث رقم (٢٦٢) والحديث رقم (٢٦٣).

(٣) انظر في ذلك: المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٢٦٨/٧، وبلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، أحمد بن محمد الصاوي ٤٨٩/٣، والزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي ٤١٩/١، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٦٨/٧، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٩٢/٤، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥٢٨/٤، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥٠/٤٥.

بهم وإعانتهم على الحياة، وما في ذلك من البركة في العمر والرزق إضافة إلى ما يدخره الله سبحانه للفاعل من الأجر العظيم في الآخرة.

المضامين الدعوية(١)

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والترغيب.

ثانيًا: من وسائل الدعوة: الإشارة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل كفالة اليتيم.

رابعًا: من أهداف الدعوة: رعاية وكفالة الأيتام.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار، والترغيب:

ورد أسلوب الإخبار في الحديث في قوله ﷺ "أنا وكافل اليتيم في الجنة ... إلخ" وفي رواية "كافل اليتيم أو لغيره... إلخ" وأسلوب الإخبار أو البلاغ من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ دعوته للمدعوين. وقد أمر النبي ﷺ بذلك فقال: «بلغوا عني ولو آية»(٢)، وفي ذلك عظيم الأجر لقوله ﷺ: ((من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا))(٣).

أما أسلوب الترغيب فيعمل على ترغيب النفس وتشويقها إلى فعل الطاعات والانقياد لأوامر الله تعالى. وقد ورد هذا الأسلوب في الحديث من قوله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما»، وفي رواية "أنا وهو كهاتين في الجنة" وأشار الراوي بالسبابة والوسطى.

ثانيًا- من وسائل الدعوة: الإشارة:

ورد ذكر الإشارة واستعمال النبي ﷺ لها في الحديث من قول الراوي "وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما، والإشارة من الوسائل الدعوية التي تلفت انتباه المدعوين وتستحضر أذهانهم، وتعمل على بلورة المعاني في أذهان المدعوين، وقد أفادا

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٢٦٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٢٦٣).

(٢) أخرجه البخاري ٣٤٦١.

(٣) أخرجه مسلم ٦٧٤.

استعمال الإشارة في هذا الحديث بيان ملاصقة كافل اليتيم وقربه من النبي ﷺ في الجنة، وهذا مما يحمل المدعو على سرعة المبادرة إلى كفالة اليتامى، والإحسان إليهم، وحسن رعايتهم طمعًا في بلوغ تلك المنزلة الرفيعة.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل كفالة اليتيم:

قد ورد ذلك في الحديث من قوله ﷺ "أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما، وفي رواية "كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة... إلخ"، (وكافل اليتيم هو القائم بأمره ومصالحه من نفقة وكسوة وتأديب وتربية وغير ذلك)[(١)].

قال ابن حجر: (قال ابن بطال إنه حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك، وبين ابن حجر أن في الحديث إشارة إلى أن بين درجة النبي ﷺ وكافل اليتيم قدر تفاوت ما بين السبابة والوسطى، ويكفي في إثبات قرب المنزلة من المنزلة أنه ليس بين الوسطى والسباب إصبع أخرى)[(٢)].

وقد بين الحق تبارك وتعالى عظم جزاء إكرام اليتيم فقال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾[(٣)].

أي: لا نطلب منكم مجازاة تكافئوننا بها ولا أن تشكروننا عند الناس، قال

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥١/١٠، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٧١٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥١/١٠.

(٣) سورة الإنسان، آية: ٥-١٢.

مجاهد وسعيد بن جبير: أما والله ما قالوه بألسنتهم، ولكن علم الله به من قلوبهم، فأثنى عليهم به، ليرغب في ذلك راغب[١].

وقال تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[٢].

قال ابن كثير: " قال ابن جرير: ...، عن ابن عمر رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ قال: جبل في جهنم. وقال كعب الأحبار: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ هو سبعون درجة في جهنم، وقال الحسن البصري: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ قال عقبة في جهنم، وقال قتادة: إنها عقبة قحمة شديدة فاقتحموها بطاعة الله عز وجل. وقال قتادة: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ ثم أخبر تعالى عن اقتحامها فقال : ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾..... وقوله: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: ذي مجاعة...، وقوله: ﴿يَتِيمًا﴾ أي: أطعم في مثل هذا اليوم يتيمًا"[٣]. وفي ذلك بيان على جزيل الثواب من الله تعالى وعظيم العطاء لمن أكرم يتيمًا، وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله: «من مسح رأس يتيم لم يمسحه إلا لله كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنات، ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين، وفرّق بين أصبعيه السباحة والوسطى»[٤].

وفي ذلك بيان على أن كفالة اليتيم من أجل أنواع الطاعات التي يتقرب بها الإنسان إلى الله تعالى.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٩٨/٨.

(٢) سورة البلد، الآيات: ١١-١٦ .

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٠٧/٨، ٤٠٨.

(٤) أخرجه أحمد ١٥٠/١٥ رقم ٢٢١٥٣، وقال محققو المسند صحيح لغيره ٤٧٤/٣٦.

رابعًا- من أهداف الدعوة: رعاية وكفالة الأيتام:

إن من الأهداف الدعوية التي ترمى الدعوة إلى تحقيقها، وإشاعتها في المجتمع الإسلامي، رعاية الأيتام وكفالتهم من خلال بيان تلك المنزلة الرفيعة التي أعدها الله تعالى لكافل اليتيم، حيث تضافرت النصوص الشرعية في الكتاب والسنة على بيان أهمية وفضل رعاية الأيتام، والقيام على كفالتهم، ولذا فإن الأمر يعد من أهم أهداف الدعوة الإسلامية، وهذا ما يستنبط من عموم الحديث، وقد بين الله تعالى أخوة المؤمنين فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[١] وأكد النبي ﷺ على ذلك فقال: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ. إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى))[٢].

(وقد كان النبي ﷺ أعظم وخير المكفولين، فقد توفي والده قبل أن يولد ونشأ في كفالة جده عبدالمطلب يَلْقَى من الرعاية والعناية ما يعوضه عن فقد أبيه)[٣].

قال ابن إسحاق: "وكان رسول الله ﷺ مع جده عبدالمطلب بن هاشم، وكان يوضع لعبدالمطلب فراش في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك، حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له، قال: "ابن إسحاق": فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام جَفْر[٤]، حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه، ليؤخروه عنه، فيقول عبدالمطلب إذا رأى منهم ذلك: دعوا ابني، فوالله، إنَّ لهُ لَشَأْنًا، ثم يجلسه معه على الفراش، ويمسح ظهره بيده، وَيَسُرُّه ما يراه يصنع"[٥]، "وبعد أن توفي عبدالمطلب وعمره ﷺ قد جاوز الثماني سنوات بقليل، انتقلت كفالته - أخذًا بوصية جده- إلى عمه

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠١١، ومسلم ٢٥٨٦.

(٣) موسوعة نضرة النعيم ٣٢٤٨/٨.

(٤) الجَفْر: الصبي الذي يقوى على الأكل، لسان العرب في (ج ف ر).

(٥) السيرة النبوية، ابن هشام، ١٩٤/١.

الشقيق أبي طالب"[١]، "فنهض أبو طالب بحق ابن أخيه على أكمل وجه وضمَّهُ إلى ولده، وقدمه عليهم واختصه بفضل احترام وتقدير، فكان لا ينام إلا وهو إلى جواره ويصطحبه معه ما أمكنته الصحبة"[٢].

وقد ضرب لنا النبي ﷺ أروع الأمثلة في بيان أهمية كفالة اليتيم كأسنى مقاصد الشريعة.

فعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ، قَالَ: «كُنْتُ مَعَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فِي مَسِيرٍ لَهُ. فَأَدْلَجْنَا لَيْلَتَنَا. حَتَّى إِذَا كَانَ فِي وَجْهِ الصُّبْحِ عَرَّسْنَا. فَغَلَبَتْنَا أَعْيُنُنَا حَتَّى بَزَغَتِ الشَّمْسُ. قَالَ فَكَانَ أَوَّلَ مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنَّا أَبُو بَكْرٍ. وَكُنَّا لاَ نُوقِظُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَنَامِهِ إِذَا نَامَ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ. ثُمَّ اسْتَيْقَظَ عُمَرُ. فَقَامَ عِنْدَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ. فَجَعَلَ يُكَبِّرُ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيرِ. حَتَّى اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ وَرَأَى الشَّمْسَ قَدْ بَزَغَتْ قَالَ: «ارْتَحِلُوا» فَسَارَ بِنَا. حَتَّى إِذَا ابْيَضَّتِ الشَّمْسُ نَزَلَ فَصَلَّى بِنَا الْغَدَاةَ. فَاعْتَزَلَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ لَمْ يُصَلِّ مَعَنَا. فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا فُلاَنُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تُصَلِّيَ مَعَنَا؟» قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَصَابَتْنِي جَنَابَةٌ. فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَيَمَّمَ بِالصَّعِيدِ. فَصَلَّى. ثُمَّ عَجَّلَنِي فِي رَكْبٍ بَيْنَ يَدَيْهِ نَطْلُبُ الْمَاءَ. وَقَدْ عَطِشْنَا عَطَشًا شَدِيدًا. فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَسِيرُ إِذَا نَحْنُ بِامْرَأَةٍ سَادِلَةٍ رِجْلَيْهَا بَيْنَ مَزَادَتَيْنِ[٣]. فَقُلْنَا لَهَا: أَيْنَ الْمَاءُ؟ قَالَتْ: أَيْهَاهْ. أَيْهَاهْ[٤]. لاَ مَاءَ لَكُمْ. قُلْنَا: فَكَمْ بَيْنَ أَهْلِكِ وَبَيْنَ الْمَاءِ؟ قَالَتْ: مَسِيرَةُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ قُلْنَا: انْطَلِقِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: وَمَا رَسُولُ اللَّهِ؟ فَلَمْ نُمَلِّكْهَا مِنْ أَمْرِهَا شَيْئًا حَتَّى انْطَلَقْنَا بِهَا. فَاسْتَقْبَلْنَا بِهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. فَسَأَلَهَا فَأَخْبَرَتْهُ مِثْلَ الَّذِي أَخْبَرَتْنَا. وَأَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا

---

(١) انظر: خاتم النبيين، الشيخ محمود أبو زهرة، بيروت، المكتبة العصرية، بدون رقم طبعة أو سنة، ١٦٦/١، والرحيق المختوم، المباركفوري، ٦٦، نقلاً عن موسوعة نضرة النعيم، ٢٢٤٨/٨.

(٢) المرجعان السابقان نفسهما، والصفحات نفسها.

(٣) السادلة: المرسلة المدنية والمزادة معروفة وهي أكبر من القربة والمزادتان: حمل البعير سميت مزادة لأنه يزاد فيها من جلد آخر من غيرها. (شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٤٨١)

(٤) أي: هيهات هيهات، ومعناه البعد عن المطلوب واليأس منه كما قالت بعده لا ماء لكم أي: ليس لكم ماء حاضر ولا قريب (شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٤٨١).

مُوتِمَةٌ[١]. لَهَا صِبْيَانٌ أَيْتَامٌ. فَأَمَرَ بِرَاوِيَتِهَا. فَأُنِيخَتْ[٢]. فَمَجَّ فِي الْعَزْلاَوَيْنِ الْعُلْيَاوَيْنِ[٣]. ثُمَّ بَعَثَ بِرَاوِيَتِهَا. فَشَرِبْنَا. وَنَحْنُ أَرْبَعُونَ رَجُلاً عِطَاشٌ. حَتَّى رَوِينَا. وَمَلأْنَا كُلَّ قِرْبَةٍ مَعَنَا وَإِدَاوَةٍ. وَغَسَّلْنَا صَاحِبَنَا. غَيْرَ أَنَّا لَمْ نَسْقِ بَعِيرًا، وَهِيَ تَكَادُ تَنْضَرِجُ مِنَ الْمَاءِ يَعْنِي الْمَزَادَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ: «هَاتُوا مَا كَانَ عِنْدَكُمْ» فَجَمَعْنَا لَهَا مِنْ كِسَرٍ وَتَمْرٍ. وَصَرَّ لَهَا صُرَّةً. فَقَالَ لَهَا: «اذْهَبِي فَأَطْعِمِي هذَا عِيَالَكِ. وَاعْلَمِي أَنَّا لَمْ نَرْزَأْ مِنْ مَائِكِ»[٤] فَلَمَّا أَتَتْ أَهْلَهَا قَالَتْ: لَقَدْ لَقِيتُ أَسْحَرَ الْبَشَرِ. أَوْ إِنَّهُ لَنَبِيٌّ كَمَا زَعَمَ. كَانَ مِنْ أَمْرِهِ ذَيْتَ وَذَيْتَ. فَهَدَى الله ذَاكَ الصِّرْمَ[٥] بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ. فَأَسْلَمَتْ وَأَسْلَمُوا»[٦].

وقيام النبي ﷺ بذلك لخير دليل على أهمية رعاية وكفالة الأيتام كهدف من أهداف الدعوة.

---

(١) أي: ذات أيتام (شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٤٨١).

(٢) والراوية عند العرب: هي الجمل الذي يحمل الماء (شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٤٨١).

(٣) المج زرق الماء بالفم والعزلاء بالمد هو الشعب الأسفل للمزادة الذي يفرغ منه الماء ويطلق أيضًا على فمها الأعلى كما قال في هذه الرواية العزلاوين والعلياوين (المرجع السابق).

(٤) أي: لم ننقص من مائك شيئًا (المرجع السابق).

(٥) الصرم بكسر الصاد أبيات مجتمعة (المرجع السابق).

(٦) أخرجه البخاري، ٣٤٤، ومسلم واللفظ له ٦٨٢.

الحديث رقم (٢٦٣)

٢٦٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: ((**كَافلُ اليَتيم لَهُ أوْ لِغَيْرِهِ أنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ في الجَنَّةِ**)) وَأَشَارَ الرَّاوِي -وَهُوَ: مَالِكُ بْنُ أنس- بالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى. رواه مسلم[1].

وقوله صلى الله عليه وسلم: ((**اليَتِيمُ لَهُ أوْ لِغَيرِهِ**)) مَعْنَاهُ: قَرِيبُهُ، أَو الأَجْنَبيُّ مِنْهُ، فالقَرِيبُ مِثلُ أنْ تَكْفُلَهُ أمُّهُ أَوْ جَدُّهُ أَوْ أخُوهُ أَوْ غَيرُهُمْ مِنْ قَرَابَتِهِ، والله أعْلَمُ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن أشعة الدلالة في هذا الحديث تستمد وهجها ومقاصدها من أضواء الدلالة، وبوارق المعاني في الحديث السابق، ولكن الصياغة تختلف من راوٍ لآخر ، فراوي الحديث السابق هو سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، وهو من رواية البخاري، أما هذا الحديث فهو من رواية مسلم، والراوي الأعلى هو أبو هريرة رضي الله عنه.

والمضمون في الحديثين منبعهما واحد وهو حرص المصطفى صلى الله عليه وسلم على ضرورة كفالة اليتيم، وهذا الحديث يبدأ بالكفالة في قوله: "كافل اليتيم له أو لغيره"، فالبدء بصيغة الكفالة يرشد إلى أهمية هذا النهج بين المسلمين، وفي هذا الحديث أيضًا إضافة توضيحية حيث يشير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن كافل اليتيم لا ينحصر في أقربائه مثل الأم أو الجد أو الأخ أو غيرهم من قرابته، وإنما أبواب الخير مُشْرَعة، وينابيع التراحم مترعة، وكفالة اليتيم مضمار من الخير والرحمة مفتوح لكل سبَّاق إلى المكرمات، حريص على الفوز بصحبة المصطفى صلى الله عليه وسلم في أعلى الدرجات، في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ويؤكد المصطفى صلى الله عليه وسلم على هذا التكريم لكافل اليتيم حين يقول: "أنا وهو، كهاتين في الجنة"، وهو تكريم لا يحظى به إلا من

---

(١) برقم (٢٩٨٣/٤٢). أورده المنذري في ترغيبه (٣٧٣٣).

أسلم وجهه لله، وأخلص في نيته وكفالته إرضاء لربه، وحرصًا على صحبة النبي ﷺ في دار القرار، ورغبة في مساعدة ضعفاء المسلمين من الأيتام وغيرهم، حتى لا يصيبهم القنوط، ولا يهزمهم اليأس.

فالتكافل الاجتماعي في ظل الإسلام له صور عديدة متجددة، تجسد النزعة الإنسانية والإيمانية في علاقة المسلم بالآخر، ومن هذه الصور الإنسانية ما قرره المصطفى ﷺ مِنْ حق لمن حضر موسم الحصاد من المعدومين واليتامى والمساكين الذين لا يزرعون أرضًا، ولا يقدرون على استئجارها لسبب ما، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾[1]. وقال مجاهد إذا حصدت فحضرك المساكين فاطرح لهم من السنبل، وإذا جذذت فألق لهم من الشماريخ، وإذا درسته وذريته فاطرح لهم منه[2].

وقريب من ذلك من يحضر من اليتامى والمساكين قسمة الميراث وهم ليس لهم حق في الإرث، يجب على الوارثين أن يعطوا هؤلاء من الميراث شيئًا، عملاً بقول الله عز وجل في سورة النساء: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[3].

وقال ابن عباس: أمر الله المؤمنين عند قسمة مواريثهم أن يصلوا أرحامهم وأيتامهم ومساكينهم من الوصية، فإن لم تكن وصية، وَصِلُوا لهم من الميراث[4].

وأهم ضابط للتكافل الاجتماعي في الإسلام، هو الشعور بأن المسلم مستخلف في ماله مهما كثر واتسع مجال استثماره، عملاً بقوله عز وجل: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[5]. وعملاً بقول الله عز وجل: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾[6].

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٤١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠٠/٧/٤.

(٣) سورة النساء، آية: ٨.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠٠/٥/٣.

(٥) سورة الحديد، آية: ٧.

(٦) سورة النور، آية: ٣٣.

وهاتان الآيتان تؤكدان أن المال هو لله سبحانه وتعالى، وقد جعل عباده مستخلفين فيه، فهم وكلاء عن صاحب المال، وعليهم أن ينفذوا عقد الوكالة وفقًا لشروطها، ومن قصر في تنفيذ هذه الشروط فهو مسؤول ومحاسب، أما نسبة ملكية المال للإنسان في أكثر من موضع في القرآن فهي نسبة توكيل، واعتماد ظاهرها التمليك، وحقيقتها التفويض الذي يستتبع المحاسبة. فهل يدرك الموسرون ورجال الأعمال سر هذا الترغيب في كفالة اليتيم، وهل يجملون الحياة في وجه اليتامى والمحرومين؟؟، وهل يفقهون سر هذا الدعاء؟

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٢٦٤)

٢٦٤- وعنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((لَيْسَ المِسْكينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلا اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ إنَّمَا المِسكِينُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ [١].

وفي رواية في الصَّحيحين: ((لَيْسَ المِسكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ واللُّقْمَتَانِ، وَالتَّمْرَةُ والتَّمْرَتَانِ، وَلَكِنَّ المِسْكِينَ الَّذِي لاَ يَجِدُ غِنىً يُغْنِيهِ، وَلاَ يُفْطَنُ بِهِ فَيُتَصَدَّقَ عَلَيهِ، وَلاَ يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ)) [٢].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يتعفف: يترك سؤال الناس مع فقره [٣].

ولا يفطن به: لا يعلم [٤].

الشرح الأدبي

حين نتأمل الجوانب الإنسانية في ميدان تطبيق التكافل في الإسلام، نجد أنها تشمل فئات كثيرة من أبناء الإسلام، ومن غير المسلمين من أهل الذمة، وهم أكبر شاهد على حضارة الإسلام وإنسانيته، ومن أهم الجوانب الإنسانية للتكافل الاجتماعي في الإسلام وجوب رعاية الفقراء والمساكين، وإذا كانت رعاية الفقير واجبًا دينيًا واجتماعيًا في إطار التكافل، فإن لفقراء الأمة ومساكينها حقًا مقررًا في مال الأغنياء نظمته الزكاة، كما جاء في البيان العالمي لحقوق الإنسان في الإسلام، وكما أقرت

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٣٩) واللفظ له، ومسلم (١٠٣٩/١٠٢)، وزادا في آخره: اقرأوا إن شئتم: "لا يسألون الناس إلحافا".

(٢) أخرجه البخاري (١٤٧٩) واللفظ له، ومسلم (١٠٣٩/١٠١). أورده المنذري في ترغيبه (١٢١٧).

(٣) الوسيط في (ع ف ف).

(٤) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٦٥.

ذلك آيات القرآن الكريم، ونصوص السنة النبوية الصحيحة، وهو حق لا يجوز تعطيله ولا منعه، ولا الترخص فيه من قبل الحاكم، ولو أدى به الموقف إلى قتال مانعي نعى الزكاة اقتداء بموقف أبي بكر رضي الله عنه حيث قال: والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه[١][٢].

وفي ضوء هذا التصور الإسلامي نتأمل أسرار اللغة التي تقودنا إلى مقاصد هذا الحديث الشريف في روايته، وأول ما يتبادر إلى الذهن هو السؤال عن دلالة المسكين في اللغة... ودلالته في الحديث الشريف وعند الفقهاء، وكيف أفصح البيان النبوي عن هذه الدلالة في صورة بيانية مشرقة واضحة مرغبة؟ فالمساكين المراد بهم في هذا الباب، هم المحتاجون: والفقراء يشملهم هذا التصنيف، ويقول الشافعي: الفقير والمسكين إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، والمسكين على وزن مفعيل: من السكون، ويقول القرطبي: وكأنه من قله سكنت حركاته، فهو لا يملك ما يجعله كثير الحركة والأسفار، وهو كذلك لا يتحرك للسؤال، وقد أشار الحديث إلى ذلك، فالمسكين كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يتعفف؛ ومن دلائل هذا السكون أو المسكنة أنه لا يجد غني يغنيه، ولعدم حركته في السؤال والإعلان عن نفسه، لا يفطن له فيتصدق عليه، وهو لا يتقدم ولا يبادر بالسؤال، كما قال رسول الله "ولا يقوم فيسأل الناس" وهو من الذين وصفهم الله في قوله سبحانه: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾[٣]. وقال: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾[٤]، وهو لا يطوف على الناس حيث يعطفون على من يسألهم باللقمة واللقمتين، والتمرة والتمرتين، وفي القاموس المحيط يقال: أسكنه الفقر أي قلل حركته، وقيل: المسكين: الذليل، والضعيف، فالفقير مع

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٠٠.

(٢) انظر: نص البيان العالمي لحقوق الإنسان في الإسلام بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، محمد الغزالي.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٧٣.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٧٣.

المسكين تجمعهما دائرة واحدة وهى الحاجة، ولكن المسكين أشد فقرًا من غيره، وهو يتسم بالتعفف، والفقير عند الأحناف كما جاء في كتاب الفقه على المذاهب الأربعة: هو الذي يملك أقل من النصاب، أو يملك نصابًا غير تام يستغرق حاجته، أو يملك نصبًا كثيرة غير تامة تستغرق الحاجة، أما المسكين: فهو الذي لا يملك شيئًا أصلاً، فيحتاج إلى المسألة لقوته، أو لتحصيل ما يواري به بدنه، ولكن كثيرًا منهم يتعففون ولا يسألون الناس إلحافًا، فالمدح هنا لهذه الطائفة المتعففة، ليس على عدم سؤالهم المقيد بالإلحاف، فإن السؤال منفي عنهم رأسًا، في قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾[1]، التفعل هنا للتكلف، وليس على معنى أنهم يتكلفون: فإن التكلف مذموم، بل على معنى إنهم ليسوا بأغنياء في الحقيقة، ولكنهم يتكلفون، ويظهرون كأنهم أغنياء تعففًا عن السؤال. والحديث الشريف أوجز كل الدلالات السابقة في قوله ﷺ في أسلوب القصر: وهو قصر الصفة على الموصوف فقال: إنما المسكين الذي يتعفف، وفي قوله: ليس الذي ترده التمرة والتمرتان، ولا اللقمة واللقمتان: إيقاع صوتي ومشاكلة لفظية لمزيد من الاهتمام، والتنبيه على ظاهرة لا يعرفها الناس؛ والاستدراك في قوله: "ولكن" لنفي ما يتوهمه الناس عن المسكين، وإثبات مفهوم آخر، وهو ماثل في الصفات التي حددها له الحديث الشريف.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

المقصود بالمسكين والفرق بينه وبين الفقير: اختلف الفقهاء في ذلك فذهب أبو حنيفة، والمالكية في المشهور، ورواية عن أحمد، إلى أن المسكين دون الفقير، لأن الفقير هو الذي له بعض ما يكفيه ويقيمه، والمسكين الذي لا شيء له[2]، واستدلوا

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٣.

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٥٧/٦، ٥٨، وحاشية الخرشي ٢٢٦/٦، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٢٢٢/٥، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٥٥/٦ وما بعدها.

بقوله تعالى ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[(١)].

وذهب الشافعية في الأصح، والحنابلة في الصحيح من المذهب، إلى عكس ذلك فقالوا: إن الفقير دون المسكين، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾[(٢)] فسماهم مساكين مع أن لهم سفينة يعملون فيها[(٣)]، وذهب أبو يوسف وابن القاسم وسائر أصحاب مالك إلى أنهما سواء، لا فرق بينهما في المعنى، وإنما افترقا في الاسم، وذلك لأن المسكنة لازمة الفقر[(٤)].

وفائدة الخلاف في الفقير والمسكين هل هما صنف واحد أم صنفان تظهر: فيمن أوصى بثلث ماله لفلان وللفقراء والمساكين، فمن قال هما صنف واحد، قال: يكون لفلان نصف الثلث وللفقراء والمساكين نصف الثلث الباقي، ومن قال هما صنفان يقسم الثلث بينهم أثلاثًا[(٥)].

---

(١) سورة البلد، آية: ١٦.

(٢) سورة الكهف، آية: ٧٩.

(٣) روضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٢٥٥/١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٢٢٢/٥، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٥٥/٦ وما بعدها.

(٤) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٥٧/٦، ٥٨، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، محمد المواق ١٠٥/٣.

(٥) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٨٧/٦، وشرح فتح القدير، ابن همام الحنفي ١٨٣/٤، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٤١٢/١٩، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٦/٦.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: أسلوب القصر.

ثانيًا: من مهام الداعية: تصحيح المفاهيم الخاطئة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية التصدق ولو بالشيء اليسير.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل التعفف.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: تحري وضع الصدقة.

أولاً- من أساليب الدعوة: أسلوب القصر:

ورد أسلوب القصر في الحديث في قوله ﷺ "ليس المسكين الذي ترده التمرة... إنما المسكين الذي يتعفف" وفي رواية أخرى "ليس المسكين الذي يطوف على الناس...، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس" والقصر الوارد في الحديث يفيد تخصيص المسكين بأنه الذي يتعفف ولا يجد غنى يغنيه، وهو من الأساليب الدعوية التي تعمل على إرشاد المدعوين.

ثانيًا- من مهام الداعية: تصحيح المفاهيم الخاطئة:

هناك مهام منوطة بالداعية يستطيع تحديدها من خلال المواقف التي تعرض له، أو من خلال المدعوين الذين يتعامل معهم فيعمل على بيان ما يحتاجون إليه، ومن ذلك تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة، ومن مهام الداعية التي تضمنها هذا الحديث قيام النبي ﷺ بتصحيح بعض المفاهيم المتعلقة بحقيقة المسكين، وقد ورد ذلك في قوله ﷺ "ليس المسكين الذي ترده التمرة... إلخ".

قال ابن عثيمين: (إن النبي ﷺ أراد أن يبين أن المسكين؛ ليس "الشحاذ" الذي "يشحذ" الناس، ترده اللقمة واللقمتان، بل المسكين حقيقة هو الذي يتعفف كما قال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾(١) هذا هو المسكين حقيقة، لأنه لا يسأل فيُعطى ولا يتفطن له فيعطى)(٢).

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٣.

(٢) شرح رياض الصالحين ١/٦٤٥.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: أهمية التصدق ولو بالشيء اليسير:

إن مما يستنبط من هذا الحديث أهمية التصدق بالشيء اليسير، حيث ورد ذلك في الحديث في قوله ﷺ: "ترده التمرة والتمرتان، ولا اللقمة واللقمتان"، وقد حث النبي ﷺ على التصدق بأيسر الأشياء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لا يتصدق أحد بتمرة من كسب طيب، إلا أخذها الله بيمينه، فيربيها كما يربي أحدكم فلوه أو قلوصه. حتى تكون مثل الجبل أو أعظم))[(١)].

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((اتَّقوا النارَ ولو بشقِّ تَمرةٍ))[(٢)]. قال ابن حجر: (إنه يتناول الكثير والقليل من الصدقة)[(٣)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((دخَلَتِ امرأةٌ معَها ابنتانِ لها تَسألُ، فلم تَجِدْ عندي شيئًا غيرَ تمرةٍ، فأعطيتُها إيَّاها، فقَسَمَتْها بينَ ابنَتَيْها، ولم تأكُلْ منها، فدخَلَ النبيُّ ﷺ علينا، فأخبرتهُ فقال: مَنِ ابتُلِيَ من هذهِ البَناتِ بشيءٍ كنَّ له سِترًا مِنَ النار))[(٤)].

وهذا مما يؤكد على أهمية التصدق ولو بالشيء اليسير. لعل الله أن يجعل في ذلك النجاة من النيران والفوز بالجنان.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل التعفف:

من موضوعات الدعوة المستنبطة من هذا الحديث: فضل التعفف في حياة المؤمن، وصيانة كرامته، حيث أشار الحديث إلى ذلك في قوله ﷺ "إنما المسكين الذي يتعفف" وفي رواية "لا يقوم فيسأل الناس" وقد بين النبي ﷺ عظم فضل التعفف عن المسألة فقال: ((مَنْ تَكَفَّلَ لِي أَنْ لاَ يَسْأَلَ النّاسَ شَيْئًا فَأَتَكَفَّلَ لَهُ بالْجَنّةِ، فَقَالَ ثَوْبَانُ أَنَا فَكَانَ لاَ يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا))[(٥)]، وقال ﷺ: ((وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ

---

(١) أخرجه البخاري ١٤١٠، ومسلم ١٠١٤ واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري ١٤١٧، ومسلم ١٠١٦.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٢٣٣.

(٤) أخرجه البخاري ١٤١٨.

(٥) أخرجه أبو داود ١٦٤٣، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ١٤٤٦).

مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ . وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ))[١] وهذا فضلاً عن عون الله تعالى لمن يستعفف وقد بين النبي ﷺ ذلك فقال: ((ومَن يَستعفِفْ يُعِفَّهُ اللّهُ، ومَن يَسْتغنِ يُغنِهِ اللّهُ))[٢].

قال النووي: (وفي هذا الحديث الحث على التعفف والصبر على ضيق العيش وغيره من مكاره الدنيا)[٣]، وفي ذلك بيان على فضل التعفف عن المسألة والحث عليه، لما للتعفف من آثار حميدة منها: أن التعفف ركن من أركان المروءة التي ينال بها الحمد والشرف وهو دليل كمال النفس وعزها[٤].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: تحري وضع الصدقة:

من موضوعات الدعوة المستنبطة من هذا الحديث، تحرى المؤمن لوضع الصدقة وبذلها، وهذا ما يستفاد في الحديث من قوله ﷺ "إنما المسكين الذي يتعفف" وفي رواية "ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يفطن به فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس"، قال ابن هبيرة: (قد حث الحديث على شدة التفقد؛ ليكون البر واصلاً إلى الأحوج فالأحوج)[٥].

(وقد أوصى الله تبارك وتعالى بالبحث عن الفقراء المتعففين وتعهدهم بالعطاء)[٦]، فقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ لِلْفُقَرَآءِ ﴿٢٧٢﴾ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[٧].

---

(١) أخرجه مسلم، ٢٨٦٥.

(٢) أخرجه البخاري ١٤٦٩، ومسلم ١٠٥٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٦٢.

(٤) انظر: موسوعة نضرة النعيم، د. صالح بن حميد وآخرون، ٢٨٨٨/٧.

(٥) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٥٢/٦.

(٦) الوجيز في الأخلاق الإسلامية، عبدالرحمن حسن حبنكة، ٤٩٥.

(٧) سورة البقرة، آية: ٢٧٣.

(فهذا الصنف من الفقراء، أفضل ما وضعت فيهم النفقات لدفع حاجتهم، وإعانة لهم على مقصدهم طريق الخير، وشكرًا لهم على ما اتصفوا به من الصبر، والنظر إلى الخالق، لا إلى الخلق)[١].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٩٦، وشرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٦٤٥/١.

الحديث رقم (٢٦٥)

٢٦٥- وعنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: ((السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالمُجَاهِدِ في سَبيلِ اللهِ)) وَأحسَبُهُ قَالَ[1]: ((وَكالقَائِمِ الَّذِي لاَ يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ الَّذِي لاَ يُفْطِرُ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

القائم الذي لا يفتر: يقال: فَتَرَ: فتورًا: أي لان بعد شدة أو سكن بعد حدّة ونشاط[3].

الشرح الأدبي

في دوحة التكافل الاجتماعي تتحرك مقاصد وأهداف هذا الحديث الشريف، حيث يرغب المصطفى ﷺ في إشاعة نزعة التعاطف والتكافل من خلال السعي على رعاية طائفتين من المحتاجين وهما تتمثلان في: "الأرملة والمسكين"، ويشبه رسول الله ﷺ الساعي عليهما، والذي يقوم بمساعدتهما، وقضاء مآربهما بثلاث طوائف من العباد: وهم المجاهدون في سبيل الله، والمصلون الذين يقومون الليل ولا يفترون، والصائمون الذين لا يفطرون.

وهذا التشبيه يربط بين سلوك المسلم العملي وتعاطفه مع الأرامل والمساكين، وثواب المجاهدين الذين يخوضون ساحات القتال ويفوزون بإحدى الحسنين، وبثواب الصائمين الذين يجاهدون شهوتى البطن والفرج، وكل شهوات الجوارح ورغبات النفس ومتعها الحسية، وبثواب المتهجدين الذين يظمئون نهارهم، ويسهرون ليلهم في العبادة

---

(١) الشكُّ من القعنبيّ كما في رواية البخاري.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٠٧)، ومسلم (٢٩٨٢/٤١) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٣٧٤٩).

(٣) الوسيط (٦٧٢).

والتهجد، وتتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفًا وطمعًا، ويمكن أن يسمَّى هذا النوع من التشبيه "علاقة" وهو من التشبيهات التي هي بمنزلة مقارنات لطيفة المسعى إلى مقاصد الترغيب والترهيب، وهى نمط خاص بالحديث النبوي، إذ يشبه مقام بمقام بعمل آخر ومثوبة أخرى، وكلاهما من المفاهيم الدينية، وفائدة هذه التشبيهات زرع المشاعر التي تموج في صدر المُشبِّه لتكون في صور المشبه، وفي هذا تحفيز هائل.

وفي الصور التشبيهية التي نتأمل جوانبها في هذا الحديث الشريف تأتي كاف التشبيه في الصورة الأولى في مكانها المناسب، لتعني أن كل طرف قائم بذاته، ولكن الترغيب في الفضائل هو الذي يجعل الأول يصعد إلى مرتبة الثاني، أما وجود مشبه به ثان، فهو دلالة على عظم العطاء الرباني وإطلاقه وعدم تحديده.

وكلمة "الساعي"، تنبئ في معناها على التحرك والمشي السريع المتوالي، فالحركة تومئ إلى الاهتمام الشديد، ويصور الحرف "على" في قوله: "الساعي على الأرملة والمسكين"، الإحاطة التامة بشؤون الأرملة والمسكين من كل جانب، فأنى تلفتا وجدا هذا الساعي الفاضل، الذي وصل إلى مرتبة المجاهد، مع أن الجهاد من أحب الأعمال إلى الله، وقد وصل هذا الفاضل الساعي على الأرملة والمسكين إلى درجة المصلي الذي لا يتوقف عن الصلاة، والصائم الذي لا يفطر[(١)].

ودلالة الألفاظ في هذا الحديث تفصح عن كثير من المقاصد والمعاني، فالأرملة هي التي فارقها زوجها، وقال ابن قتيبة: سميت أرملة لما يحصل لها من الإرمال وهو الفقر، وذهاب الزاد بفقد الزوج، ويقال أرمل الرجل: إذا فنى زاده.

وفي القاموس المحيط: امرأة أرملة: محتاجة أو مسكينة، والأرمل من الأعوام: القليل المطر والنفع، فالكلمة في دلالتها اللغوية، والاصطلاحية تفيد معنى الحاجة، والمسكنة، ولذلك نجد الجمع بين الأرملة والمسكين في هذا الحديث الشريف، وقيل في تفسير سر التشبيه بالمجاهد في الصورة الأولى، شبه به لأن القيام على المرأة بما

---

(١) الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف، د. أحمد ياسوف.

يصلحها ويحفظها ويصونها، لا يتصور الدوام عليه إلا مع الصبر العظيم، ومجاهدة النفس والشيطان، فإنهما يكسلان عن ذلك ويثقلانه ويفسدان النية فيه، كما يقول صاحب دليل الفالحين[(١)].

والصورتان الثانية والثالثة، جاءت صياغتهما في قالب متوازن متناسق حيث تشابهت الجملتان في بنائهما اللغوي، وتناسقتا في صورة تحاكي الشبه بين ثواب الساعي في الخير وثواب المتهجد الذي لا يفتر، والصائم الذي لا يفطر، وهذا الساعي الفاضل لا يفتر ولا تكل همته في مساعدته ورعايته لهذين الصنفين ليلاً ونهارًا، وهو يتحمل المشقة والعناء والمجاهدة كما يتحملها الصائم الذي يتوالى صومه ولا ينقطع.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم فقهي بأعمال البر، وهو حكم النفقة على الأرامل والضعفاء والمساكين، وقد ذكر الفقهاء[(٢)] أن السعي على الأرامل والمساكين واليتامى من أفضل طاعات البدن، حتى إنه يعدل الجهاد في سبيل الله في عِظَم الثواب وجزيل الأجر.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والتشبيه والتمثيل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل السعي على الأرملة والمسكين.

ثالثًا: من مهام الداعية: حرصه على دلالة المدعوين على الخير.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل المجاهدين في سبيل الله.

خامسًا: من أهداف الدعوة: تحقيق التكافل الاجتماعي.

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص٤٦٥، ٤٦٦

(٢) انظر في ذلك: بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، أحمد بن محمد الصاوي ٤٨٩/٣، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٧٤/٤، والزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي ٤٢٠/١، والفروع، ابن مفلح ٥٢٣/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤١٤/١، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥٤٣/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٦٢/٨.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار، والتشبيه والتمثيل:

الإخبار من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على بيان وتوضيح دعوته للمدعوين بما ييسر لهم فهم ما خفي عنهم من أمور دينهم، وفي ذلك عظيم الفائدة وكمال الأجر، وقد ورد هذا الأسلوب في الحديث من قوله ﷺ: "الساعي على الأرملة والمسكين.. إلخ"، أما أسلوب التشبيه والتمثيل فقد ورد في الحديث من قوله ﷺ: "كالمجاهد في سبيل الله... وكالقائم... وكالصائم"، وأسلوب التشبيه والتمثيل من الأساليب الدعوية المهمة التي تعين الداعية على تقريب المعاني والمضامين لأذهان المدعوين.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل السعي على الأرملة والمسكين:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ: "الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله"، وأحسبه قال: "وكالقائم الذي لا يفتر، وكالصائم الذي لا يفطر"، وإنما شبه الساعي على الأرملة بالمجاهد، لأن القيام على المرأة بما يصلحها وما يحفظها ويصونها، لا يُتصور الدوام عليه إلا مع الصبر العظيم، ومجاهدة النفس والشيطان، فإنهما يُكسِّلان عن ذلك ويثقلانه ويفسدان النيات في ذلك، وربما يدعوان بسبب ذلك إلى السوء ويسوِّلانه ولذلك قلَّ من يدوم على ذلك العمل، وأقل من ذلك من يسلم منه، فإذا حصل ذلك العمل، حصلت منه فوائد كشف كرب الضعفاء وإبقاء رمقهم وسد خلتهم وصون حرمتهم[1]. والساعي كما بينه ابن حجر: (هو الذي يذهب ويجئ في تحصيل ما ينفع الأرملة والمسكين والسعي هو العمل)[2].

قال النووي: (والأرملة من لا زوج لها سواء كانت تزوجت أم لا، وقيل: هي التي فارقت زوجها، قال ابن قتيبة: سميت أرملة لما يحصل لها من الإرمال، وهو الفقر وذهاب الزاد بفقد الزوج، يقال: أرمل الرجل إذا فني زاده)[3].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦١٣/٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١٠/٩، وانظر: إكمال المعلم، القاضي عياض، ٥٣١/٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٧١٦.

قال ابن عثيمين رحمه الله: (وفي قيام الساعي بذلك يكون مستحقًا لهذا الوعد في كونه كالمجاهد في سبيل الله أو كالقائم الذي لا يفتر وكالصائم الذي لا يفطر)[١]، وفي ذلك بيان على فضل السعي على الأرملة والمسكين.

ثالثًا- من مهام الداعية: حرصه على دلالة المدعوين على الخير:

يتضح ذلك من خلال ما ورد في الحديث من حرصه ﷺ على دلالة المدعوين على الخير، وذلك في قوله ﷺ: "الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله... إلخ"، وقد بيّن الحق تبارك وتعالى حرص النبي ﷺ على ذلك فقال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢]، أي: حريص عليكم فيحب لكم الخير ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر[٣].

فعلى الداعية أن يقتدي في حرصه على إرشاد المدعوين إلى الخير بالنبي ﷺ لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[٤].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل المجاهدين في سبيل الله:

إن مما يبين فضل المجاهدين في سبيل الله ما ورد في الحديث من قوله ﷺ: "كالمجاهد في سبيل الله"، وقد بين الحق تبارك وتعالى عظم فضل المجاهدين في سبيله فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى

---

(١) شرح رياض الصالحين ٦٤٧/١.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٣١٣.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[١]، (وقد بين الحق تبارك وتعالى في ذلك أنه عاوض عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذا بذلوها في سبيله بالجنة)[٢].

وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله: ((تَضَمَّنَ اللّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لاَ يُخْرِجُهُ إلاَّ جِهَادًا فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانًا بِي، وَتَصْدِيقًا بِرُسُلِي. فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ. أَوْ أَرْجِعَهُ إلَىٰ مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ. نَائِلاً مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللّهِ، إلاَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ وَرِيحُهُ مِسْكٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلاَ أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، مَا قَعَدْتُ خِلاَفَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللّهِ أَبَدًا. وَلَكِنْ لاَ أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ. وَلاَ يَجِدُونَ سَعَةً. وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللّهِ فَأُقْتَلُ. ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ. ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ))[٣].

قال النووي: (وقوله ﷺ: "تضمن الله لمن خرج في سبيله"، أي: أوجب الله تعالى له الجنة بفضله وكرمه سبحانه وتعالى، وهذا الضمان والكفالة موافق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[٤]، أما الكلم بفتح الكاف وإسكان اللام فهو الجرح، ويكلم بإسكان الكاف أي يجرح، وفيه دليل على أن الشهيد لا يزول عنه الدم بغسل ولا غيره، والحكمة في مجيئه يوم القيامة على هيئته: أن يكون معه شاهد فضيلته وبذله نفسه في طاعة الله تعالى)[٥].

---

(١) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤/٢١٨.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦، ومسلم ١٨٧٦ واللفظ له.

(٤) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٠٧.

وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله: ((مَنْ قَاتَلَ في سَبِيلِ اللهِ مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ فُوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، ومَنْ جُرِحَ جُرْحًا في سَبِيلِ اللهِ أو نُكِبَ نَكْبَةً فإنها تَجِيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ كأَغْزَرَ ما كانَتْ لَوْنُهَا الزَّعْفَرَانُ وريحُهَا كالمسْكِ))[1]، وفي ذلك بيان على عظم فضل المجاهد في سبيل الله.

خامسًا- من أهداف الدعوة: تحقيق التكافل الاجتماعي:

تضمن هذا الحديث هدفًا من أهداف الدعوة وهو تحقيق التكافل الاجتماعي، ولا شك أن ذلك من الأهداف العظيمة التي ترمي الدعوة إلى تحقيقها، وقد جاء عموم الحديث ليؤكد على هذا الهدف من خلال حثِّه ﷺ على السعي على الأرملة والمسكين، وذلك في قوله ﷺ: (الساعي على الأرملة والمسكين... إلخ)، وقد أكد الحق تبارك وتعالى على تحقيق هذا التكافل فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[2].

قال السعدي في ذلك: (ولقد أمر الله ورسوله بالقيام بحقوق المؤمنين بعضهم لبعض، ومما يحصل به التآلف والتوادد، والتواصل بينهم، كل هذا تأييد لحقوق بعضهم على بعض)[3]، فالمؤمنون كما قال ﷺ: ((فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ. إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى))[4]. وبذلك يتحقق التكافل الاجتماعي بين أفراد الأمة الإسلامية، الذي حث عليه الإسلام، وجعله سياجًا للمجتمع، وحماية له من مظاهر الفقر والعوز، إن من غايات الإسلام أن يقضي على الفقر ويستأصل شأفته، فلا يبقى فقير مضيَّع، ولا محتاج لا كفاية له، وأن يحفظ للفقراء قواهم البدنية بالرعاية والكفالة، فإن لهم أفواهًا ومعًى وأجسادًا، ولهم قلوب ومشاعر وعواطف، وأن تُراعي هذه القلوب والمشاعر وأن تحفظ هذه الكرامات.

---

(١) أخرجه الترمذي ١٦٥٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٣٤٨).

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٧٤٤.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٨٦.

وما ينبغي أن تهدر كرامة فقير؛ والفقر هو أعظم مهدر للكرامة، ولا أن تضعف جسومهم، والفقر هو أعظم معول لهدم الجسم، ولا أن ينظر إلى الفقراء نظرة ازدراء واحتقار، فقد يكون لهم من المكان والقدرات، ومن القوى العقلية ما يستطيعون بها أن يصلوا إلى القمة من السيادة والقيادة والعلم والعمل[1].

(١) انظر: عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق ص ١٢٤-١٢٧.

الحديث رقم (٢٦٦)

٢٦٦- وعنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: ((**شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الوَلِيمَةِ، يُمْنَعُهَا مَنْ يَأتِيهَا، وَيُدْعَى إلَيْهَا مَنْ يَأْبَاهَا: وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ، فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ**)) رواه مسلم[(١)].

وفي رواية في الصَّحيحين، عن أَبي هريرة من قوله: ((**بِئْسَ الطَّعَامُ طَعَامُ الوَلِيمَةِ يُدْعَى إلَيْهَا الأغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الفُقَرَاءُ**[(٢)])) [(٣)].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

هذا هو الحديث الرابع الذي يرويه أبو هريرة في هذا الباب، ولنتساءل: ما مناسبة مجيء هذا الحديث في روايته الأولى هنا؟

إن الرواية الثانية تفسر ذلك السبب، وتعطي الإجابة الشافية حيث يثير الحديث في روايتيه: ظاهرة الاهتمام بالأغنياء، وإهمال الفقراء، ولكن الأسلوب في الحديث الأول فيه من التلميح والتعريض والإيماء، والضمائر التي لا مرجع لها في الحديث بصورة صريحة. فالضمير في قوله ﷺ: "من يأتيها" يرجع إلى "الفقراء والمساكين"، لأنهم يأتون هذه الموائد نظرًا لحاجتهم إلى الطعام الذي لا يجدونه في بيوتهم، والضمير في "يأباها"، يرجع إلى الأغنياء الذين يدعون ولا يأتون.

ولنتأمل هذه المفارقة العجيبة في هذا السلوك المعوج من أصحاب الولائم، يلهثون وراء الذين يرفضون دعوتهم ولا يحتاجون إلى طعامهم، وفي الوقت نفسه يمنعون ويحرمون من يأتي محتاجًا ذا فاقة وحاجة.

---

(١) برقم (١٤٣٢/١١٠) من حديث سفيان، عن زيادة. أورده المنذري في ترغيبه (٣١٨١).

(٢) لفظ مسلم: (المساكين).

(٣) أخرجه البخاري (٥١٧٧)، ومسلم (١٤٣٢/١٠٧) من حديث مالك، عن ابن شهاب. والسياق للحميدي في جمعه (١١٧/٣، رقم ٢٣٢٦). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٨١).

ومن خلال هذه المفارقة يتجسد "الشر" الذي وصف به ذلك الطعام، بل هو أشر الأطعمة، كما جاء في هذا البيان النبوي البليغ، حيث بدأ الحديث بأسلوب التفضيل، "شر الطعام" أي: أكثر الطعام شرورًا لأنه لم يقدم ابتغاء وجه الله، ولا لمساعدة الأيتام وسائر الضعفة والمساكين والمنكسرين إحسانًا إليهم وشفقة عليهم، وتواضعًا معهم، كما جاء في عنوان هذا الباب من رياض الصالحين، وقد ورد أنه قيل من عظم غنيًا ذهب ثلثا دينه، وذلك لأن أعمال العبادة باللسان والجنان، والأركان، فهذا الذي حرم الفقراء، وعظم الأغنياء لغناهم فقط وليس لعملهم الصالح، استعمل لغرض نفسه ثلثي ما يستعمل في العبادة، فأثنى عليه بلسانه بالباطل، وأكرمه بجوارحه طمعًا فيما عنده، قالوا: فإن جمع إلى تعظيمه بلسانه وأركانه تعظيمه بجنانه ذهب جميع دينه!!. فأي شر أعظم من هذا، وأي نفق مظلم يستقبل مصير الإنسان أخطر من هذا النفق السلوكي الحياتي في ظل هذا المنهج المعوج.

ولغة الحديث تفصح عن مقاصده، وألفاظه تجسد دلالاته ومعانيه، وتراكيبه تفصح عن ثمراته وآثاره.

فالوليمة: الطعام المتخذ للعرس، ومادتها اللغوية مأخوذة من "الولم"، وهو الجمع وذلك لأن الزوجين يجتمعان ويكونان مجتمعًا واحدًا وذرية متواصلة، وقيل "الوليمة" إصلاح الطعام واستدعاء الناس لأجله، وهي تجمع الناس وتقع على كل دعوة تتخذ لسرور حادث من زواج وختان، وغيرهما، وهي في العرس أشهر[١].

ولنتأمل هذه المقابلة التي تتشكل من التضاد بين الألفاظ والمواقف، فقوله "يمنعها" يتضاد مع "يدعى إليها"، وقوله: "يأتيها" يتضاد مع: "يأباها"، والمقابلة التي تصنع المفارقة تنشأ من ارتباط الإتيان بالمنع، وارتباط الرفض، بالدعوة والقبول، إنه موقف عجيب غريب كما قال الشاعر.

أريد فلا أُعطَى، وأُعطي ولم أرد"!!!.

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٦٦، ٤٦٧.

وبناء الفعلين "يمنعها، ويدعى إليها" للمجهول، يرشد إلى رفض هذا السلوك، ورفض صاحبه الذي طعامه: شر الطعام.

وفي القسم الثاني من الحديث: يأتي أسلوب الشرط: ليحدد قاعدة شرعية، وليرشد إلى خير الطعام، وهو الوليمة التي تعد في مواسم الخير والسرور والأعراس، ويدعى إليها الأقارب والفقراء، والأصدقاء بلا تمييز ولا منع، ولا تحيز، ولا رياء، وقيل المراد هنا : الدعوة لوليمة النكاح.

والرواية الثانية: تأتي في أسلوب الذم، "بئس الطعام طعام الوليمة" وهو كذلك شر الطعام، وهنا تصريح بما أومأ إليه في الرواية الأولى: حيث حدد المدعوين وهم الأغنياء، والمتروكين وهم الفقراء، والجملة الثانية بيان لسبب جعل هذا الطعام مذمومًا، ودلالة الفعل "يترك" تؤكد حق الفقير، فالأمر ليس حرمانًا فقط، لأن في اللغة يقولون: ترك حقه إذا أسقطه: فيؤخذ من التعبير، كما يقول صاحب دليل الفالحين[1]: أن للفقراء الحق في ذلك، وأن المانع لهم ساع في إسقاط حقهم، فتأمل بلاغة هذا البيان النبوي العظيم، فهو كما يقول الرافعي: كلام كلما زدته فكرًا زادك معنى، وتفسيره قريب، ولكنه بعيد كالروح في سرها الإلهي، فهو معك على قدر ما أنت معه، فهو بيان من أعطى جوامع الكلم.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم إجابة الدعوة إلى الوليمة، وقد سبق الكلام عنه في الحديث رقم ٢٣٨، ويزيد في هذا الحديث وصفه ﷺ لها بأنها شر الطعام متى دعي فيها الأغنياء وترك الفقراء، ولذا اشترط الفقهاء[2] القائلون بوجوب إجابة الداعي

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٦٧.

(٢) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٣٤٩/٣، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، محمد المواق ٢٤١/٥، والأم، الإمام الشافعي ١٩٥/٦، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٢٤٤/٣، وإحكام الإحكام لابن دقيق العيد ٢٩٥/٢، والفروع لابن مفلح٢٩٧/٥، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٣١٨/٨، والمغني٢١٣/٧، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٣٧/٢٠، ٢٤٥/٤٥.

للوليمة للزوم إجابتها أن لا يظهر من الداعي قصد تخصيص الأغنياء من أجل غناهم، فلو خصهم بالدعوة لأجل غناهم، لم يجب على المدعو إجابة الدعوة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترهيب - الشرط.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل إجابة الدعوة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: عناية الإسلام بالفقراء والحث على إكرامهم.

أولاً- من أساليب الدعوة: الترهيب، الشرط:

١- **الترهيب:** حيث قال النبي ﷺ في الحديث: (شر الطعام طعام الوليمة)، وفي رواية: (بئس الطعام طعام الوليمة)، إن الترهيب هو كل ما يخيف المدعو ويحذره من عدم الاستجابة أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله[1]. وفي هذا الحديث يرهّب النبي ﷺ من طعام الوليمة الذي يُدعى إليه من يرفضه من الأغنياء، وتترك دعوة من يجيب من الفقراء.

فيجب على الداعية استخدام أسلوب الترهيب في موقعه المناسب (نظرًا لأن هناك بعضًا من الناس، وأصنافًا منهم لا يجدي فيهم الترغيب والوعود الجميلة، وإنما ينفع معهم التقريع والتعنيف، وكسر حدة النفس ونتوئها وإعراضها عن الحق وإلزامها كلمة التقوى والمتابعة؛ فكان الترهيب والتخويف مناسبًا لذلك[2]).

٢- **الشرط:** ورد الشرط في هذا الحديث في قوله ﷺ: "ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله"، ويعتبر أسلوب الشرط من أساليب الدعوة التي تلفت انتباه المدعوين إلى الجواب، ويشد الفكر إلى ترقبه، كما أن الشرط يربط بين العمل والجزاء عليه.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل إجابة الدعوة:

إن مما يستنبط من هذا الحديث أهمية وفضل إجابة الدعوة إلى الطعام وقد ورد ذلك في قوله ﷺ: "ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله"، وقد جاء في القرآن

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٢) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي ص ١٩٤.

الكريم ما يدل على آداب إجابة الدعوة إلى الوليمة، وذلك عندما تزوج رسول الله ﷺ أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها، نزل القرآن يعلم آداب إجابة الدعوة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾[١].

قال ابن عاشور: (ومعنى ذلك لا تحضروا البيوت للطعام قبل تهيئة الطعام للتناول فتقعدوا تنتظرون نضجه، وكذلك البقاء بعد انقضاء الطعام فإنه تجاوز لحد الدعوة لأن الدعوة لحضور شيء تقتضي مفارقة المكان عند انتهائه، لأن تقييد الدعوة بالغرض المخصوص يتضمن تحديدها بانتهاء ما دعي لأجله، وفي هذه الآية دليل على أن طعام الوليمة وطعام الضيافة ملك للمتضيف وليس ملكًا للمدعوين ولا للأضياف، فلذلك لا يجوز لأحد رفع شيء من ذلك الطعام معه)[٢]، وقد جاء الأمر بإجابة الدعوة ففي الحديث: ((إذا دُعِي أحدُكُم إلى الوليمة فلْيأتِها))[٣]، وفي الحديث أيضًا: ((إِذَا دُعِيتُمْ إِلَى كُرَاعٍ فَأَجِيبُوا))[٤]، وفيه أيضًا: ((إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى طَعَامٍ فَلْيُجِبْ فَإِنْ شَاءَ طَعِمَ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ))[٥]، قال النووي: (فالصوم ليس بعذر في الإجابة، فإذا دعي وهو صائم لزمه الإجابة كما يلزم المفطر ويحصل المقصود بحضوره، وإن لم يأكل فقد يتبرك به أهل الطعام والحاضرون وقد يتجملون به، وقد ينتفعون بدعائه أو بإشارته، أو ينصانون عما لا ينصانون عنه في غيبته)[٦].

قال ابن عثيمين رحمه الله: (والحديث يدل على أن إجابة الدعوة واجبة لأنه لا شيء يكون معصية بتركه إلا وهو واجب)[٧].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٥٣.

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور مج٩/٢٢/٨١.

(٣) أخرجه البخاري ٥١٧٣، ومسلم ١٤٢٩.

(٤) أخرجه مسلم ١٤٢٩.

(٥) أخرجه مسلم ١٤٣٠.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٩٥.

(٧) شرح رياض الصالحين ٦٤٨/١.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: عناية الإسلام بالفقراء والحث على إكرامهم:

يستنبط هذا من عموم الحديث، ومما ورد في قوله ﷺ: "يمنعها من يأتيها ويُدْعَى إليها من يأباها"، وفي رواية: "يدعى إليها الأغنياء ويترك الفقراء"، شر الطعام طعام الوليمة يمنعها من يأتيها ويدعى إليها من يأباها ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله، قال أبو العباس القرطبي: (سياق أن الجهة التي يكون فيها طعام الوليمة شر الطعام إنما هي ترك الأولى، وذلك أن الفقير هو المحتاج للطعام الذي إن دعي سارع وبادر ومع ذلك فلا يدعى، والغني غير محتاج ولذلك قد لا يجيب أو تثقل عليه الإجابة ومع ذلك فهو يدعى، فكان العكس أولى، وهو أن يدعى الفقير ويترك الغني، ولا يفهم من هذا القول: أعني الحديث. تحريم ذلك الفعل، لأنه لا يقول أحد بتحريم إجابة الدعاء للوليمة.

ولذلك كره العلماء اختصاص الأغنياء بالدعوة، ومقصود هذا الحديث: الحض على دعوة الفقراء والضعفاء، ولا تُقصر الدعوة على الأغنياء، كما يفعل من لا مبالاة عنده بالفقراء من أهل الدنيا[(١)].

وما من شك في أن الإسلام اعتنى بالفقراء وحث على إكرامهم في الدعوة والمجلس، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ﴾[(٢)]، وعاتب الله نبيه لما أقبل على الأغنياء وترك الفقراء قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾[(٣)].

(إن أول واجب إنساني نحو الضعفاء والفقراء الرحمة التي تتمثل في الرفق بهم

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤/١٥٥، ١٥٦.

(٢) سورة الكهف، آية: ٢٨.

(٣) سورة عبس الآيات: ١ - ٤.

والحنو عليهم، والمساهمة الفعالة في تخفيف آلامهم، ودفع ما ينزل بهم من ضرر وجور، ومحاولة الترفيه عنهم بكل وسيلة ممكنة، فإذا تحجرت القلوب، وغلظت الأكباد، وتنكرت للقيام بهذا الواجب الإنساني، كان ذلك إيذانًا بأن هؤلاء القساة ليسوا أهلاً لأن ينتظموا في سلك السعداء وإنما عني الإسلام بشأن هؤلاء:

أولاً: لأنهم أناس ومن حق الإنسان أن تصان كرامته ويأخذ حقه كاملاً غير منقوص.

ثانيًا: لأنهم يمثلون الأكثرية في كل مجتمع، والمجتمع الصالح لا بد له من رعاية أمثال هؤلاء، لأنهم قوة وثروات بشرية يمكن الانتفاع بها لو أحسنت رعايتها، ووجهت الوجهة الصالحة لاستخراج ما فيها من قوى وطاقات.

ثالثًا: إن رعاية هؤلاء تقي المجتمع من أن يتعرض للهزات التي تؤثر في كيانه، وتقيه شر التمرد عليه)[1].

وهذا الموضوع من الموضوعات الدعوية المهمة فيجب على الدعاة تنبيه المدعوين له وحثهم على إكرام الفقراء.

---

(١) إسلامنا، السيد سابق ص ٢٤٩، ٢٥٠.

الحديث رقم (٢٦٧)

٢٦٧- وعن أنس رضي الله عنه، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْن حَتَّى تَبْلُغَا، جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ أنَا وَهُوَ (كَهَاتَيْنِ)[1])) وضَمَّ أصَابعَهُ. رواه مسلم[2].

((جَارِيَتَيْنِ)): بنتين.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

عال جاريتين: قام عليهما بالمؤونة والتربية ونحوهما[3].

جاريتين: بنتين[4].

الشرح الأدبي

لقد أعاد الإسلام للمرأة مكانتها، وفرض لها حقوقًا، وألزمها بواجبات، تحفظ كرامتها، وتصون عرضها وعزتها، وقال رسول الله: ((خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي))[5]، وقد كان المصطفى صلى الله عليه وسلم القدوة المثلى في حسن معاملة النساء، وفي حسن عشرتهن، ولين الجانب معهن، ومواقفه المضيئة بجلائل الأقوال والأعمال مع زوجاته وبناته ونساء المؤمنين، تظل نبراسًا لكل من ينشد الحكمة والحقيقة، ولكل من يتصدى لأي دعوة إصلاحية اجتماعية، فكان صلى الله عليه وسلم، لا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له الحاجة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كانتِ الأمَة من إماء أهلِ

---

(١) هذه الزيادة لا توجد عند مسلم، وإنما هي عند الترمذي (١٩١٤). تنبيه: أورد المنذري عقب إيراده للفظ الحديث عن مسلم، لفظ الترمذي، وجمع المؤلف بين لفظي مسلم والترمذي.

(٢) برقم (٢٦٣١/١٤٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٩٣٦).

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٦٧.

(٤) رياض الصالحين (١٥٥).

(٥) أخرجه الترمذي ٣٨٩٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٣٠٥٧).

المدينة لَتَأخُذُ بيد رسولِ الله ﷺ فتنطَلقُ به حيث شاءت)[1]. والمقصود من الأخذ باليد لازمه وهو الانقياد، وقد اشتمل على أنواع من المبالغة في التواضع لذكره المرأة دون الرجل، والأمة دون الحرة، وحيث عم بلفظ الإماء: أي أمة كانت، وبقوله: "حيث شاءت" أي: من الأمكنة، والتعبير باليد إشارة إلى غاية التصرف حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة، والتمست منه مساعدتها في تلك الحالة لساعدها على ذلك، وهذا من مزيد تواضعه وبراءته من جميع أنواع الكبر.

وفي ضوء هذه الآثار الجليلة، والمقاصد النبيلة، والسلوكيات الجميلة: نستقبل مقاصد هذا الحديث ودلالاته، ونقرأ ما يكمن من أسرار خلف ألفاظه وعباراته، فالحديث يدعو إلى رفض هذه النزعة الجاهلية التي كانت تتشاءم بولادة البنات، وإغراقًا في التشاؤم، وإمعانًا في الكفر كانوا يدعون إلى وأد البنات: خشية العار والإملاق، وضنًا عليهن بالإنفاق، وخوفًا من تحول الميراث إلى الأغراب فيتفرق المال، وتضعف الأعراق، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[2].

وقضاءً على هذا السلوك، وذلك المنهج الفاسد: يبشر رسول الله ﷺ كل من قام برعاية بناته وأخواته وعماته، وكل من يتصل به من نسب: ومن إمائه وجواريه، فهو مع رسول الله ﷺ في الجنة يوم القيامة، وضم أصابعه: إشارة إلى شدة القرب والملازمة لرسول الله ﷺ، وفي حديث سابق قيل: وفرج بينهما، دلالة على المصاحبة ولكن في درجة أقل، أما هنا، فالإشارة تعني أن الصحبة قريبة، وأن من يحسن رعاية النساء، ويحسن عشرتهن، ويحافظ عليهن ويصون أعراضهن، فهو في معية النبوة، وطيب الصحبة، وأي فضل أعظم من هذا الفضل العظيم في صحبة النبي الكريم ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠٧٢.

(٢) سورة النحل، الآيتان: ٥٨، ٥٩.

والحديث في بنائه اللغوي صيغ في جملة شرطية واحدة: وهذه الصياغة اللغوية تفصح عن تحقق الثواب، ومضاعفه الجزاء، لأن الجزاء من جنس العمل، وألفاظ الحديث ذات دلالات لغوية متسعة تتماوج مع المعنى، وتزيده جلاءً وتأثيرًا: فمعنى: "أعال جاريتين": أي قام عليهما بالمؤنة والتربية ونحوهما: والعول هو العون: ومنه: عال الرجل اليتيم عولاً: أي كفله وقام به وفي القاموس المحيط: العول: كل ما عالك، والمستعان به، وقوت العيال، وعول عليه معولاً: اتكل واعتمد، والتعبير بحتى يفيد الغائية: أي تظل الرعاية متواصلة حتى سن البلوغ أو الزواج، ويقول القرطبي: ويعني ببلوغهما: وصولهما إلى حال يستقلان بأنفسهما، والتعبير بالجارية: لا يعني: الأمة فقط، ولكن المراد جنس النساء، والجارية في اللغة من معانيها: السفينة، وقيل للأمة جارية على التشبيه لجريها مسخرة في أشغال مواليها، وقيل الجري: بوزن الوصي: الوكيل، لأنه يجري في أمور موكلة، ومنه الجارية لجريانها وخفتها في إنجاز الأمور، وما أعظم صحبة الحبيب محمد ﷺ يوم لا ينفع مال ولا بنون.

فقه الحديث

الإحسان أن يكون بأداء الواجب أم زيادة عليه؟

قال ابن حجر: (وقد اختلف في المراد بالإحسان هل يقتصر على قدر الواجب أو بما زاد عليه؟ والظاهر الثاني، فإن عائشة رضي الله عنها أعطت المرأة التمرة فآثرت بها ابنتيها فوصفها النبي ﷺ بالإحسان بما أشار إليه من الحكم المذكور، فدل على أن من فعل معروفًا لم يكن واجبًا عليه، عدّ محسنًا، والذي يقتصر على الواجب، وإن كان يوصف بكونه محسنًا، لكن المراد من الوصف المذكور قدر زائد، وشرط الإحسان أن يوافق الشرع لا ما خالفه، والظاهر أن الثواب المذكور إنما يحصل لفاعله إذا استمر إلى أن يحصل استغناؤهن عنه بزوجٍ أو غيره، كما أشير إليه في بعض الأحاديث[١]، والإحسان إلى كل أحد بحسب حاله)[٢].

---

(١) قال ابن حجر: وفي حديث ابن عباس عند الطبراني: "فأنفق عليهن وزوجهن وأحسن أدبهن"، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٤٢/٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٤٢/٣.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط، والترغيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل رعاية البنات الأيتام.

ثالثًا: من واجبات الداعية: استثارة همم المدعوين لتحصيل معالي الأمور.

رابعًا: من أساليب الدعوة: التشبيه والتمثيل.

أولاً- من أساليب الدعوة: الشرط، والترغيب:

١- **الشرط:** حيث جاء في الحديث: (من عال جاريتين)، ولا شك أن الشرط من الأساليب الدعوية التي تحفز المدعوين إلى معرفة الجواب مما يلفت انتباههم، كذلك فإن أسلوب الشرط يقرن بين العمل والجزاء عليه، وواجب الدعاة الاستفادة من هذا الأسلوب في الدعوة إلى الله تعالى.

٢- **الترغيب:** حيث جاء في الحديث: "جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين"، وهذا تحفيز وترغيب للإقدام على الفعل، فالترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[١]، ولا شك أن الإنسان مجبول على حب ما ينفعه، وتقر به عينه، وتطمئن به نفسه، لذا فإنه يحسن بالداعية أن يفيد من ذلك، كما أن (للترغيب أهمية كبيرة في جنس الطاعات، وعلى رأسها تحقيق كلمة التوحيد، والقيام بمقتضياتها وشروطها، والترغيب في أركان الإسلام، والترغيب في بقية أنواع الطاعات وأشكالها كبرِّ الوالدين وصلة الرحم والصدقة والإحسان إلى اليتيم والجار)[٢]، والداعية الحصيف هو الذي يعرف متى يستخدم أسلوب الترغيب، ومتى يستخدم الترهيب ويوازن بينهما.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل رعاية البنات الأيتام:

يستنبط ذلك مما ورد في الحديث في قوله ﷺ: "من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين"، ولا شك أن هذا يدل دلالة قاطعة على فضل رعاية البنات

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٢٧.

(٢) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي ص ١٩٤.

الأيتام، قال النووي: (وفي الحديث فضل الإحسان إلى البنات والنفقة عليهن والصبر عليهن وعلى سائر أمورهن، ومعنى عالها: قام على أمورهما بالمؤنة والتربية ونحوهما)[١].

وقال ابن عثيمين: (في هذا الحديث فضل عول الإنسان للبنات، وذلك لأن البنت قاصرة ضعيفة، والغالب أن أهلها لا يأبهون بها، ولا يهتمون بها، فلذلك جعل النبي ﷺ من يحسن إليها رفيقًا له في الجنة، والعول في الغالب يكون بالقيام بمؤونة البدن من الكسوة والطعام وكذلك يكون في غذاء الروح بالتعليم والتهذيب والتوجيه)[٢].

قال القاضي عياض: (وقوله ﷺ: "جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين وضم أصابعه" يريد رفاقته معه في الجنة، أو دخوله معه إياها في أول من يدخل وكفى بهذا فضلاً)[٣].

هذا وقد أمر الله في القرآن بالإحسان إلى اليتيم، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾[٤]، وبيّن جزاء من يقصر في حق اليتيم، فقال سبحانه: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾[٥]، وبيّن سبحانه أن من صفات المتقين: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾[٦]، وأرشد سبحانه إلى أن من وسائل العتق من النار الإحسان إلى اليتيم: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[٧].

ثالثًا- من واجبات الداعية: استثارة همم المدعوين لتحصيل معالي الأمور:

إن من أهم الواجبات التي تجب على الداعي أن يعمل باستمرار لاستثارة همم

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٦٢.

(٢) شرح رياض الصالحين ١/ ٦٥٠.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١١١/٨.

(٤) سورة الضحى، آية: ٩.

(٥) سورة الماعون، الآيات: ١ - ٣.

(٦) سورة الذاريات، آية: ١٩ .

(٧) سورة البلد، الآيات: ١٣ - ١٦.

المدعوين لتحصيلهم معالي الأمور، يستفاد ذلك مما ورد في عموم الحديث في قوله ﷺ: (من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين وضم أصابعه)، ولا شك أن ذلك تشويق للمدعوين للوصول إلى هذه الدرجة العالية، وهي رفقة النبي ﷺ، فيجب على الداعية أن يرتفع بهمة المدعوين، ويرشدهم إلى أعلى درجات الفضل والثواب على الأعمال، ليكون ذلك أدعى إلى تنفيذها والالتزام بها، قال ابن عثيمين: (وينبغي للإنسان أن يهتم بالأمور التي تقربه إلى الله لا بالأمور الشكليات، أو مراعاة ما ينفع في الدنيا فقط، بل يلاحظ هذا ويلاحظ ما ينفع في الآخرة أكثر وأكثر)[1]، وهذا منهج القرآن في تشويق أتباعه لبذل أقصى وسعهم في الطاعة والعبادة والامتثال، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾[2].

(إن الهمة العالية خلق سام، ومسلك رائع، تحبه النفوس، وتهفو إليه القلوب، وأجمل ما في ذلك الخلق، وأروع ما فيه ما كان مقترنًا بشرف المقصد، ونبل الهدف والغاية فالناس تتفاوت هممهم رفعة وضعة، وتختلف مشاربهم علوًا وحطة، ولكن الشأن كل الشأن فيمن جمع إلى علو الهمة شرف المقصد، ونبل الهدف والغاية، ولا ريب أن أعلا المطالب وأشرف المكاسب هو ما كان لله وفي سبيل الله تبارك وتعالى، ولذلك لما كان مجد الآخرة أعظم المجد، كان ابتغاؤه أعظم الغايات، وكان هو الهمّ الأكبر للمؤمنين الصادقين، ذوي الهمم العلية، والنفوس الكبيرة الزكية، وأما الدنيا في نظرهم - مهما بلغت أمجادها - قليلة القيمة في جنب الآخرة، لذلك فهم يحاولون أن يبتغوا فيما آتاهم الله الدار الآخرة مع أنهم لا ينسون نصيبهم من الدنيا)[3].

رابعًا- من أساليب الدعوة: التشبيه والتمثيل:

إن للتشبيه أثرًا واضحًا في تقريب المعنى للمدعوين، واستحضار الصورة كاملة في الذهن، وقد جاء في الحديث: "من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو

---

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١/٦٥٠.

(٢) سورة يونس، آية: ٢٦.

(٣) الهمة العالية، محمد إبراهيم الحمد ص ١١٣ - ١١٤.

كهاتين - وضم أصابعه"، حيث شبّه النبي ﷺ منزلة من عال جاريتين في الجنة بالقرب من النبي بقرب الأصابع من بعضها. وأسلوب التشبيه من الأساليب الدعوية التي يحسن بالداعية أن يفيد منها في الدعوة.

قال علي محفوظ: (لضرب الأمثال أثناء العظة أكبر الآثار في النفوس، فإن المقصود من ضرب الأمثال أنها تؤثر في العقول ما لا يؤثره وصف الشيء ذاته، ذلك بأن الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد، فيتأكد الوقوف على ماهيته، ويصير الحسّ مطابقًا للعقل، وذلك هو النهاية في الإيضاح)[١].

فعلى الدعاة الهداة إلى الله تعالى أن يوضحوا ما غمض، ويجلوا ما استتر من خلال استخدام أدوات التشبيه والتمثيل لإفادة المدعوين، وتوضيح الصورة لديهم.

(١) هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة ١٧٧.

الحديث رقم (٢٦٨)

٢٦٨- وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، قَالَتْ: دَخَلَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا ابنتان لَهَا تَسْأَلُ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ (وَاحدَةٍ)[١] ، فَأعْطَيْتُهَا إيَّاهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْها ولَمْ تَأكُلْ مِنْهَا ، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا ، فَأخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ((مَنِ ابْتُلِيَ مِنْ هذهِ البَنَاتِ بِشَيءٍ فَأحْسَنَ إلَيْهِنَّ، كُنَّ لَهُ سِترًا مِنَ النَّار)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[٢] .

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

ابْتُلِيَ: اختبر[٣] .

الشرح الأدبي

هذه صورة فريدة من صور التراحم والعطف يفيض بها بيت النبوة ، وهذا درس جليل من دروس الإيثار والزهد ، تلقنه أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، لكل من يتطاول على الإسلام، وعلى نبيه المختار صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إن هذه الصورة تنقل إلينا طبيعة الحياة الزاهدة القانعة في بيت النبوة.

وعائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لم تجد غير تمرة واحدة في بيتها ، وعلى الرغم من ذلك تجود بها لمن جاءت تتضوَّر جوعًا مع بنتيها... وتسأل المعونة !! وقد سئل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عن أحب الناس إليه، فذكر منهم عائشة وأبها أباب بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، فعن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ((أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثَهُ على جيش ذاتِ السلاسلِ، فأتَيتُه فقلتُ: أيُّ الناسِ أحبُّ إليك؟ قال: عائشة. فقلتُ منَ الرجال؟ قال: أبوها. قلتُ ثمَّ مَن؟ قال: ثمَّ عمرُ بن الخطاب، فعَدَّ رجالاً))[٤] .

---

(١) (واحدة) ليست عند البخاري في هذه الرواية ، وإنما عنده برقم (٥٩٩٥). تبع المؤلف فيه المنذري في ترغيبه ، حيث أوردها هكذا.

(٢) أخرجه البخاري (١٤١٨) واللفظ له ، ومسلم (٢٦٢٩/١٤٧). أورده المنذري في ترغيبه (٢٩٣٤).

(٣) الوسيط (٧١).

(٤) أخرجه البخاري ٣٦٦٢.

وقد فارقت عائشة بيت أبيها وهي في نحو العاشرة أو أكبر من ذلك بقليل كما استخلص بعض المؤرخين من مراجعة التواريخ الكثيرة، فإذا هي في تلك السن -كما يقول العقاد- قد وعت ما وعته من الشعر البليغ، والأمثال السائرة، والأخبار النادرة، وقد نضجت لمصاحبة النبي ﷺ والوعيْ عنه، والدراية بالمأثور من كلامه، وكانت بعد ذلك مرجعًا من مراجع الفقه والسنة خليقًا باعتماد الثقات الأجلاء.

إن صاحبة هذا الفضل الواسع، والعطاء الجزيل، والخلق الإسلامي العظيم أم المؤمنين عائشة: التي تروي هذا المشهد الصادق من مشاهد الحياة في بيت رسول الله ﷺ. تقدم لهذا الجيل النموذج الأعلى للمرأة في الإسلام، ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف، حيث يبدأ الحديث بداية سردية تحكي فيها عائشة رضي الله عنها وقائع هذا الحديث الجليل، حيث تدخل عليها امرأة ومعها بنتان لها تسأل، ولم تذكر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الاستئذان، مما يفصح عن أن بيت عائشة كان غير محجوب عن الطارقين، بل مفتح الأبواب، كناية عن الكرم والقبول والتواضع والزهد والتقوى، وجملة "ومعها بنتان"، في موقع الحال، وجملة "تسأل" استئناف بياني، حيث يتضمن الكلام هنا إيجازًا بالحذف، وكأن سائلاً يسأل: ما سبب دخول هذه المرأة على عائشة رضي الله عنها، فقيل: جاءت للسؤال أي طلب المعونة والطعام، والمفاجأة غير المنتظرة هو: قول أم المؤمنين "فلم تجد عندها شيئًا غير تمرة!!!" فماذا تعطي؟ وماذا تبقي؟ ولنتأمل ولنتعظ، ولنراجع أنفسنا ونحن نلهث ونشكو وبيوتنا تفيض بالزاد، وما يُلقى في صناديق المهملات، يكفي لإشباع آلاف الجوعى، وما ينفق على مظاهر اللهو والترف وحفلات الاستقبال والتهاني والأعراس يكفي لإنقاذ كثير من الشعوب المسلمة من المجاعات والأمراض، وحروب الإبادة، ولكن لا حياة لمن تنادي!!، إنها تمرة واحدة في بيت عائشة رضي الله عنها، ولا تفكر صاحبة التمرة في الاحتفاظ بها ولكنها تقول: "فأعطيتها إياها"، وحرف الفاء هذا ينقل ويصور طبيعة هذا العطاء وهو، السرعة والإجابة الفورية التي لا تترك للنفس أي اختيار إلا العطاء والإيثار.

ويتعاظم الإيثار، ويتسابق العطاء سريعًا في اللحظة نفسها، حيث قسمت المرأة التمرة بين ابنتيها... ولم تأكل منها!!، وحرف الفاء يطل مرة أخرى حين يقترن بالفعل "قسمت"، ليصور سرعة الحركة من الأم وعدم التفكير في تذوق هذه التمرة.

وتؤكد هذا عائشة رضي الله عنها فتقول في زهو وحب لهذه الأم المعطاء: ولم تأكل منها، والتعبير بـ"ثم" قبل: الفعل "قامت": يفصح عن بطء الأم في الخروج وانتظارها لمزيد من العطاء لأنها في حاجة إلى سد الرمق، وبعد ذلك يتوالى العطف بالفاء ليصور سرعة تتابع مشاهد هذه القصة الواقعية المثالية، فخرجت، فدخل النبي ﷺ، فأخبرته... فقال: "من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترًا من النار" وتجيء هذه الحكمة النبوية في ختام الحديث: لتبشر كل من يجاهد ويكافح في سبيل إعفاف بناته وصيانة أعراضهن، وصيغة الشرط تجعل البشارة محققة لأن الجزاء من جنس العمل، وعبر عن البنات "بالابتلاء" لأن رعايتهن تحتاج إلى مجاهدة ومعاناة وتحمل، والستر من النار يحصل بالإحسان إليهن، وهو طريق الفوز بالجنة في صحبة النبي ﷺ.

فقه الحديث

يشير هذان الحديثان[1] إلى حكم تربية الأولاد والإحسان إليهم، فإن كن إناثًا فالرعاية في حقهن أوجب، والثواب في تربيتهن أكبر بدلالة هذا الحديث.

وقد اتفق الفقهاء[2] على أن نفقه الأولاد الصغار واجبة على أبيهم، وأن نفقتهم تستمر حتى يقدروا على الكسب، فإن كان الولد أنثى استمرت النفقة لحين الزواج، وإن كان ذكرًا عاجزًا عن الكسب استمرت النفقة عليه.

---

(١) الحديث رقم (٢٦٨) والحديث رقم (٢٦٩).

(٢) المبسوط ٥/٢٢٢، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٤/٣٠، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٤/٢١٨، والمدونة ٢/٣٦٢، والبهجة في شرح التحفة، القاضي أبو بكر الأندلسي ١/٢٨٣، والمهذب للشيرازي ٣/١٥٨، وروضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٨/٤٦، والعزيز شرح الوجيز ١٠/٦٥، والمغنى١١/٢٧٣، والمبدع في شرح المقنع، ابن مفلح ٨/٢١٣.

وقد خص الشارع البنات بالذكر لكون الرغبة فيهن أقل، ونفقتهن أكثر، وتربيتهن أكثر صعوبة، والإحسان إليهن مؤثر، لأن المرأة هي المربية للصغار، فكأن الإحسان لها، فيه تأثير عليها في تربيتها لأولادها[(١)].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل التصدق ولو بالقليل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: مظاهر الرحمة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بما حدث لهم.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الشرط، الترغيب.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإحسان إلى البنات.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل التصدق ولو بالقليل:

للصدقة ثواب عظيم عند الله تعالى، حتى وإن كانت قليلة، لأن الإسلام يأمر بالبذل والإنفاق. وقد ورد في الحديث ما يؤيد ذلك في قول عائشة رضي الله عنها: "فلم تجد عندي شيئًا غير تمرة واحدة فأعطيتها إياها" ومما لا شك فيه أن فضل الصدقة وثوابها عند الله كبير، حيث بين الله عز وجل أن من صفات المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾[(٢)] وأخبرنا أن الأبرار استحقوا دخول الجنة، لأنهم كانوا يبذلون الصدقات، ويطعمون الجائعين، فقال سبحانه: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[(٣)] وبين الله سبحانه أن من أسباب عذاب النار: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي ١٠٤/٢، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٦٨/٧، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب، الإسفراييني الحنبلي ٤٣٧/٢.

(٢) سورة المعارج، آية: ٢٤، ٢٥.

(٣) سورة الإنسان، آية: ٨.

بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾[(١)] ولمَّا سئل أهل النار عن سر دخولهم فيها ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾[(٢)] وعدَّد لنا صور التكذيب بيوم الدين فقال سبحانه: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾[(٣)].

ولقد كان من رحمة الله أن من يتصدق ولو بالقليل أو يعمل عملاً صالحًا صغيرًا فإنه يؤجر عليه من الله، قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾[(٤)] وبين لنا رسولنا الكريم ﷺ أن الصدقة القليلة قد تقي الإنسان من النار ففي الحديث ((اتَّقوا النارَ ولو بشقِّ تَمرةٍ))[(٥)]. وكل هذه النصوص تبين فضل الصدقة ولو بالقليل، وثواب فاعلها، وأنها سبب في النجاة من النار يوم القيامة.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: مظاهر الرحمة:

إن من مظاهر الرحمة في هذا الحديث ما ورد في قول عائشة رضي الله عنها: "فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها" ولاشك أن هذا من رحمتها بابنتيها قال المباركفوري: (وتظهر رحمتها أنها أخذت التمرة ولم تستحقرها، ولم تأكل منها مع جوعها إذ يستبعد أن تكون شبعانة مع جوع ابنتيها)[(٦)].

ولقد دل فعلُ رسول الله ﷺ على فضل الرحمة، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه ويقعد الحسن بن علي على فخذه الآخر ثم يضمهما ثم يقول: ((اللهمَّ ارحمهْما فإني أرحمُهما))[(٧)].

---

(١) سورة الحاقة، آية: ٣٣، ٣٤.

(٢) سورة المدثر، آية: ٤٢-٤٤.

(٣) سورة الماعون، آية: ١-٣.

(٤) سورة الزلزلة، آية: ٧.

(٥) أخرجه البخاري ١٤١٧.

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ١٦٢٢/٢.

(٧) أخرجه البخاري ٦٠٠٣.

وفي فضل الرحمة والحث عليها قال ﷺ ((الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ. ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ))(١).

وفي التحذير من مجافاتها قال ﷺ: ((لا تُنْزَعُ الرحمةُ إلاّ مِنْ شَقِّي))(٢).

قال محمد الغزالي: (لقد أراد الله أن يمتن على العالم برجل يمسح آلامه، ويخفف أحزانه، ويرثى لخطاياه ويستميت في هدايته، وينصر الضعيف، ويقاتل دونه قتال الأم عن صغارها، فأرسل محمدًا ﷺ وسكب في قلبه من العلم والحلم، وفي خلقه من الإيناس والبر، وفي طبعه من السهولة والرفق، وفي يديه من السخاوة والندى ما جعله أزكى عباد الله رحمة وأوسعهم عاطفة، وأرحبهم صدرًا. إن القلوب الكبيرة قلما تستجيشها دوافع القسوة، فهي أبدًا إلى الصفح والحنان أدنى منها إلى الحفيظة والاضطغان. إن القسوة في خلق إنسان دليل نقص كبير، وفي تاريخ أمة دليل فساد خطير، وقد أمر الإسلام بالتراحم العام وجعله من دلائل الإيمان الكامل، فالمسلم يلقى الناس قاطبة، وفي قلبه لهم عطف مذخور، وبر مكنون، فهو يوسع لهم ويخفف عنهم جهد ما يستطيع)(٣).

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على إخبار النبي ﷺ بما حدث لهم:

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون أشد الحرص على إخبار النبي ﷺ بما يحدث معهم من مواقف، لمعرفة هديه ﷺ في ذلك، وشاهد ذلك ما ورد في الحديث "فدخل النبي ﷺ علينا فأخبرته" وما من شك في أن رسول الله ﷺ هو المرجع الأول للمسلمين، ولذا كانوا كثيرًا ما يبتدرون إليه يسألونه ﷺ عما وقع لهم من أحداث ليصحح ويصوب هذه التصرفات؛ ذلك لأن توجيه القرآن للمسلمين ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾(٤) وقد أمر الله بالاحتكام إليه فقال سبحانه وتعالى:

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٩٤١، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤١٣٢).

(٢) أخرجه الترمذي ١٩٢٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥٦٧).

(٣) خلق المسلم ٢٠٤-٢٠٥.

(٤) سورة الحشر، آية: ٧.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[(١)] وربط الله عز وجل بين محبته سبحانه وبين اتباع نبيه فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[(٢)] من أجل هذا كله حرص الصحابة ﷺ على إخبار النبي ﷺ وإطلاعه على ما يحدث لهم.

رابعًا- من أساليب الدعوة: الشرط، الترغيب:

١- الشرط: حيث جاء في الحديث "من ابتلى من هذه البنات بشيء" ولا شك أن الشرط أسلوب من أساليب الدعوة حيث يلفت انتباه السامع، ويشوقه إلى معرفة جواب الشرط.

٢- الترغيب: ويظهر هذا من الحديث "كن له سترًا من النار" ومما هو معلوم أن الترغيب يحث النفس على الإقبال على الفعل (والنفس تطمع فيما يرغبها من مسعدات وسارّات ومفرحات، ولذات من منافع ومكاسب وأرباح عاجلات أو آجلات، وأسلوب الترغيب يدور في فلك هذا الموجه الذاتي للنفس، وهو الذي يؤثر في النفس تأثيرًا إيجابيًا نافعًا)[(٣)].

والداعية الناجح يستطيع من خلال أسلوب الترغيب أن يغوص في أعماق النفس الإنسانية، مبرزًا جوانب الترغيب في الشريعة، لتستقيم النفس على الطاعة.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإحسان إلى البنات:

يظهر هذا من قول النبي ﷺ "من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترًا من النار" ولاشك أن الثواب الوارد في الحديث عظيم، وهو الوقاية من النار بفضل تربية البنات والإحسان إليهن. قال القرطبي: (قوله: "من ابتلي بشيء من البنات فأحسن إليهن كن له سترًا من النار" أي: أحسن إليهن وصانهن وقام بما يصلحهن ونظر في أصلح الأحوال لهن، فمن فعل ذلك وقصد به وجه الله تعالى، عافاه تعالى من النار

---

(١) سورة النساء، آية: ٦٥.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٣) فقه الدعوة إلى الله تعالى، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٦٣٢/١.

وباعده منها، وهو المعبر عنه بالستر من النار، ولا شك في أن من لم يدخل النار دخل الجنة، قوله: "بشيء من البنات" يفيد بحكم عمومه: أن الستر من النار يحصل بالإحسان إلى واحدة من البنات، فأما إذا عال زيادة على الواحدة فيحصل له زيادة على الستر من النار السبق مع رسول الله ﷺ إلى الجنة[1]. وقال النووي: "وإنما سماه ابتلاءً لأن الناس يكرهونهن في العادة، قال الله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[2]."[3] قال الإمام ابن حجر: (في الحديث تأكيد حق البنات لما فيهن من الضعف غالبًا عن القيام بمصالح أنفسهن، بخلاف الذكور لما فيهم من قوة البدن وجزالة الرأي وإمكان التصرف في الأمور المحتاج إليها في أكثر الأحوال)[4]. ولا يخفى أن مطمح أي مسلم أن ينجو من النار، وهو الجزاء الذي أعده الله تعالى لمن يحسن إلى البنات.

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٦٣٦، ٦٣٧.

(٢) سورة النحل، آية: ٥٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٦٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٤٤٣.

الحديث رقم (٢٦٩)

٢٦٩- وعن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأطْعَمْتُها ثَلاثَ تَمَرَات، فَأعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَة مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعتْ إِلَى فِيْهَا تَمْرَةً لِتَأكُلها، فَاسْتَطعَمَتهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتي كَانَتْ تُرِيدُ أنْ تَأكُلَهَا بَيْنَهُما، فَأعجَبَنِي شَأنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: **((إنَّ الله قَدْ أوْجَبَ لَهَا بها الجَنَّةَ، أَوْ أعتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ))** رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث قبس من مشكاة الحديث السابق، وهو فيما يضيفه من مشاهد يتماوج مع الحديث الذي قبله في دائرة واحدة، وهي دائرة التعاطف والتراحم بين الآباء والأبناء، وبين الأمهات والبنات، فالحديث السابق: لم يكن في حجرة عائشة غير تمرة واحدة، وأعطتها للمرأة السائلة، أما في هذا الحديث فإن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول: "جائتني مسكينة تحمل ابنتين لها: فأطعمتها ثلاث تمرات"، ولنتأمل دلالة الألفاظ، وخصائص التراكيب، وطبيعة الأساليب، وما توحي من دلالات ومعان، ومقاصد وغايات.

إنها وصفت المرأة هنا بأنها مسكينة، وأطلقت على التي جاءتها "مسكينة"، والتقدير امرأة مسكينة، وكأن المرأة لشدة عوزها وفاقتها أصبحت المسكنة علمًا عليها، وشارة لها: والدلالة اللغوية للفظ "مسكين" يفصح عن قلة الحيلة، وقلة الحركة، حيث قال علماء اللغة: إنه مأخوذ من السكون، أي ذهاب الحركة، والمسكين الذي لا شيء له، والفقير الذي له بُلْغَة من العيش، وقال ابن الأعرابي:

---

(١) برقم (١٤٨/٢٦٣٠) وقد تكلم عليه ابن عمار في علله رقم (٣٠). أورده المنذري في ترغيبه (٢٩٣٥).

المسكين هو الفقير وهو الذي لا شيء له، فجعلهما سواء، وقد سبق توضيح هذه الدلالة بالتفصيل في حديث سابق.

وجملة "تحمل ابنتين لها" صفة لهذه المرأة المسكينة لأن الجمل بعد النكرات صفات، وبعد المعارف أحوال، وفي الكلام إيجاز بالحذف، والتقدير بعد هذه الجملة التي صورت المرأة وهى تحمل ابنتيها، "وهي تسأل" وحذف هذا الفعل كما قالوا لدلالة الحال عليه، وقولها "تحمل ابنتين" يفيد أن البنات مازالوا صغارًا لا يقدرون على الحركة والمشى نظرًا لصغر سنهما، وهذه الحالة أدعى للعطف والتراحم والرثاء والإعانة.

والعطف بالفاء في قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يفيد سرعة الإعطاء وعدم التردد، وكذلك هذه المسكينة لم تتردد في إطعام بنتيها، وهذا الإسراع أفصحت عنه الفاء في قولها: "فأعطت كل واحدة منهما تمرة"، ولكنها حين أرادت أن تأكل تمرتها لم تسرع، وإنما تباطأت لإحساسها بأن بنتيها قد تحتاجان إلى هذه التمرة حبًا فيهما: وإيثارًا لهما.

وهذه هي الفطرة الإنسانية الصادقة، فالآباء والأمهات يؤثرون أبنائهم على أنفسهم، وهذه عاطفة لا تكلف فيها وليس فيها تصنع، والعطف بالواو في قولها: "ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها": يفيد هذا البطء وعدم الإسراع، لأن الواو لمطلق الجمع وليست للتعقيب مثل الفاء، فلنتأمل دلالة الحروف ودورها في إبراز المعنى، وإضفاء الظلال التي تصبغ الموقف بصبغة الحركة أو السكون أو الإسراع أو البطء، ولنتأمل دور الفاء في قولها، "فاستطعمتها ابنتاها"، ثم قولها: "فشقت التمرة"، إن الفاء هنا تنقل إلينا طبيعة الحركة السريعة بين الأم وابنتيها، بعد الحركة البطيئة في رفع الأم التمرة إلى فيها، وما أروع هذا المشهد الذي يقطر حنانًا وأمومة حانية، وعاطفة قطوفها دانية، إنها صورة فريدة من صور الأمومة المشرقة: فالأم ترفع إلى فيها التمرة ولكنها تبصر في عيني البنتين اللهفة إلى هذه التمرة، وسرعان ما تتحول بالتمرة من فمها إلى فم ابنتيها بعد أن شقتها وقسمتها بينهما، وهذا الإيثار الذي تتوجه عاطفة الأمومة يستحوذ على إعجاب أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فتذكر ذلك الصنيع، وتشيد بهذا الإيثار الجميل لرسول

الله ﷺ: فيبشر المبعوث رحمة للعالمين هذه المسكينة بقوله في صيغة التأكيد والوعد الواجب، بالعتق من النار، والفوز بالجنة، وما أصدق هذا الوعد من رسول الله ﷺ: "إن الله قد أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها بها من النار".

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: القصة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصدق والإنفاق.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الشفقة والرحمة على البنات.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

خامسًا: من واجبات الداعية: دلالة المدعوين إلى ما فيه فلاحهم.

أولاً- من وسائل الدعوة: القصة:

إن من وسائل الدعوة المستنبطة في هذا الحديث: القصة، حيث قصت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على النبي ﷺ فقالت: "جائتني مسكينة" ومما لاشك أن للقصة أهمية كبيرة كوسيلة من وسائل الدعوة (وأهمية القصة تبرز في أثرها في النفس البشرية وما تحدثه فيها من إقناع العقل وإمتاع العاطفة، والقصة وسيلة مهمة من وسائل الدعوة، يجد فيها الداعية ما يناسب حالة أي مدعو، سواء أكان من عِلْية القوم، أو من الضعفاء، أو من الأغنياء، أو من الفقراء، أو من أصحاب المعاصي والأهواء، والقصة في القرآن والسنة تقوم على اليقين النقلي، والإقناع العقلي والاطمئنان القلبي)[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الصدقة والإنفاق:

يظهر هذا من تصرف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لما جاءتها مسكينة فأعطتها ثلاث تمرات، ولا شك أن ثواب الصدقة يضاعفه الله يوم القيامة، قال سبحانه: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

---

(١) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم المغذوي، ١٢٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

وبيّن الله سبحانه أن الإنسان يجب عليه أن ينفق مما يحب، فقال جلّ شأنه: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[(١)] وأخبرنا سبحانه أن الذي يبتغي بنفقته وجه الله تعالى يحفظه الله من النار، قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾[(٢)].

وبين لنا أن ما يقدمه الإنسان من خير مدخر له عند الله، قال جلّ شأنه: ﴿وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ﴾[(٣)] وحث الله على النفقة فقال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾[(٤)].

وحض رسول الله ﷺ في الحديث على الصدقة فقال: ((مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ))[(٥)] وقال ﷺ: ((سَبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ: الإمامُ العادِلُ، وَشابٌّ نَشأَ في عِبادةِ ربِّه، ورجلٌ قلبُه مُعلَّقٌ في المساجد، وَرجُلانِ تَحابّا في اللهِ اجتَمَعا عليهِ وتَفرَّقا عليه، ورجلٌ طَلَبَتهُ امرأةٌ ذاتُ مَنصِبٍ وجمال فقال: إني أخافُ اللهَ، ورجلُ تَصدَّقَ أخفى حتى لا تَعلمَ شِمالُه ما تُنفِقُ يمينُه))[(٦)].

وجاء في الحديث أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: ((سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ» قَالُوا: وَكَيْفَ؟ قَالَ: «كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ تَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا وَانْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى عُرْضِ مَالِهِ فَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا))[(٧)].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٩٢.
(٢) سورة الليل، آية: ١٧-٢١.
(٣) سورة المزمل، آية: ٢٠.
(٤) سورة البقرة، آية: ٢٥٤.
(٥) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.
(٦) أخرجه البخاري ٦٦٠، ومسلم ١٠٣١.
(٧) أخرجه النسائي ٢٥٢٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن النسائي ٢٣٦٧).

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل الشفقة والرحمة على البنات:

حيث جاء في الحديث في قوله ﷺ: "إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها من النار" وهذا يبين فضل الشفقة والرحمة على البنات، ففي هذه الحديث ونظرائه فضل الإحسان إلى البنات والنفقة عليهن والصبر عليهن وعلى سائر أمورهن[١].

وقال ابن عثيمين: (لما رفعت الأم التمرة الثالثة إلى فيها لتأكلها، فاستطعمتاها - يعني أن البنتين نظرتا إلى التمرة التي رفعتها الأم- فلم تطعمها الأم بل شقتها بينهما نصفين، فأكلت كل بنت تمرة ونصف، والأم لم تأكل شيئًا، فلما رحمتهما هذه الرحمة العظيمة أوجب الله لها بذلك الجنة، فدل ذلك على أن ملاطفة الصبيان والرحمة بهم من أسباب دخول الجنة والنجاة من النار)[٢] وقد جاء في الحديث ((مَنْ كَانَ لَهُ ثَلاَثُ بَنَاتٍ، فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ وَأَطْعَمَهُنَّ وَسَقَاهُنَّ وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَتِهِ، كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[٣].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد الترغيب في قوله ﷺ: "إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها من النار" ولاشك أن أسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحث المدعوين على فعل الطاعات، وترغبهم في الخير وتحببهم إليه (والداعية المسلم عليه معرفة مواضع الترغيب في القرآن والسنة، فالإنسان تواق دائمًا لكل ما يحقق لذاته الخير والفلاح والسعادة، وفي الوقت ذاته حريص على تجنيب نفسه وحفظها من كل مكروه وشر، وأسلوب الترغيب محبب إلى النفس فأول ما يبدأ الداعية يكون بهذا الأسلوب)[٤]. إذ أن الترغيب أبرز البواعث التي تحمل على التقوى والاستقامة، ولزوم الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٥] وأساس هذا الباعث هو عقيدة الجزاء

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٦٢.

(٢) شرح رياض الصالحين ١/٦٥٣.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٣٦٦٩، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٩٥٩).

(٤) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري، ٥١٠.

(٥) سورة الأعراف، آية: ٥٦.

والإيمان بالآخرة، وأن الله أعد فيها لكل حسنة ثوابًا ولكل سيئة عقابًا، كما قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[1][2].

خامسًا- من واجبات الداعية: دلالة المدعوين إلى ما فيه فلاحهم:

يظهر هذا من إرشاد النبي ﷺ إلى أن تصرفها مما يوجب الجنة، ومن هنا كان من ألزم صفات الداعية إرشاد ودلالة المدعوين إلى ما فيه الخير لهم دائمًا، حتى يقبل عليه الناس (إن اشتمال الدعوة على جوانب الخير التي تملأ حياة الناس أمر مهم، لأن أي دعوة لم تتضمن الخير للمدعوين، لا تكون في مصلحتهم، ومن هنا ينفر منها الناس، ويعتبرونها خصمًا لهم فيقفون لها بالمرصاد)[3]. وبناء على هذا يجدر بالداعية دائمًا أن يدل على الخير ويرشد إلى الفلاح، حتى يجد لدعوته صدى، ولقوله مردود.

قال الماوردي: (ومن آداب العلماء أن لا يبخلوا بتعليم ما يحسنون، ولا يمتنعوا من إفادة ما يعلمون، فإن البخل به لؤم وظلم، والمنع منه حسد وإثم، وكيف يسوغ لهم البخل بما مُنِحُوه جودًا من غير بخل، وأُوتُوه عفوًا من غير بذل؟ أم كيف يجوز لهم الشح بما إن بذلوه زاد ونما، وإن كتموه تناقص ووهى، ولو استن بذلك من تقدمهم لما وصل العلم إليهم، ولصاروا على مرور الأيام جهالاً، وبتقلب الأحوال وتناقصها أرذالاً)[4].

(١) سورة الزلزلة، آية: ٧، ٨.

(٢) رسالة الإنسان في الحياة ومقتضياتها، د. عبدالستار نوير ص ١٩١، ١٩٢.

(٣) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد، ٢٤٠.

(٤) أدب الدنيا والدين ٨٧.

الحديث رقم (٢٧٠)

٢٧٠- وعن أَبي شُرَيحٍ خُوَيْلِدِ بن عمرو الخزاعِيِّ ﵁، قَالَ: قَالَ النَّبيّ ﷺ: ((اللَّهُمَّ إنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَينِ: اليَتِيم وَالمَرْأةِ)) حديثٌ حسنٌ، رواه النسائيُّ[1] بإسناد جيد.

ومعنى ((أُحَرِّجُ)): أُلْحِقُ الحَرَجَ وَهُوَ الإثْمُ بِمَنْ ضَيَّعَ حَقَّهُمَا، وَأُحَذِّرُ مِنْ ذلِكَ تَحْذِيرًا بَلِيغًا، وَأَزْجُرُ عَنْهُ زجرًا أكيدًا.

ترجمة الراوي:

ابو شُرَيْح الخُزاعيُّ: واسمه خويلد بن عمرو، وقيل: عمرو بن خويلد، وقيل: هانئ بن عمرو، وقيل: كعب بن عمرو، وقيل: عبدالرحمن بن عمرو، والأول أشهر وهو: خويلد بن عمرو بن صخر بن عبدالعزى بن معاوية، من بني ربيعة، الخزاعيّ، العدويّ ثم الكعبيّ، كانت كنيته "أبو شريح" وبها اشتهر، له صحبة، روى عن النبي ﷺ أحاديث، وروى عن ابن مسعود، وروى له الجماعة، أسلم قبل الفتح -وقيل يومه- وكان يحمل أحد ألوية بني كعب بن خزاعة، يوم الفتح، وهو في عداد أهل الحجاز، مات بالمدينة المنورة سنة (٦٨)[2].

---

(١) في السنن الكبرى (٩١٠٤)، وأخرجه ابن ماجه (٣٦٧٨) وقال البوصيري في الزوائد (١٢١٩): إسناده صحيح، رجاله ثقات كلهم.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٢١٢)، (٨٢١)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢/١٩٤)، (٦/١٦٠، ١٦١)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (١٤٩٥)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٨/٣٣٣)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٤/٥٣٦)، والسندي (٢٦/٢٩١).

الشرح الأدبي

إن الشريعة الإسلامية تحفظ الحقوق، وتنبذ العقوق، فلكل إنسان حقه المشروع، وقد توعد الحق سبحانه وتعالى الظالمين الذين يتعدون على حدود الله بالخسران المبين، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾[2]؛ ونقتبس من هذا الحديث الشريف ومضات من الرحمة المحمدية، وهالات من وصاياه الكريمة، وإنذاراته الحاسمة العظيمة، حيث يحذر المصطفى ﷺ من تضييع حق اليتيم، ويلحق الإثم بمن يسعى في ذلك ، أو يتسبب في ضياع حق المرأة واليتيم، ويحذر من ذلك تحذيرًا بليغًا، ويزجر عنه زجرًا أكيدًا، واليتيم في الإسلام: من فقد أباه: أو فقد أباه وأمه، وهما جناحاه في هذه الحياة، يحلق بهما بفضل رعايتهما واحتضانهما في آفاق وأجواء طموحاته، ويرجع إليهما في حل مشكلاته وتحقيق رغباته، وحين نتأمل دلالة لفظ اليتيم اللغوية، ندرك أنها تتوافق مع الدلالة الواقعية، فاليُتم بالضم الانفراد، أو فقدان الأب، واليتيم: الفرد، وكل شيء يعز نظيره، والفعل يَتِم: بكسر التاء بمعنى قصر وفتر وأعيا وأبطأ، واليَتْم بفتح الياء وسكون التاء: الهم، وبتحرك: التاء: الإبطاء.

واليتائم في اللغة: رمال منقطع بعضها عن بعض، كما ورد في القاموس المحيط، مادة يتم، فتأمل الدلالات السابقة: إنها كلها ترصد واقع اليتيم المحزن، وتصور إيقاع حياته المنكسر المهموم!!.

وكذلك المرأة في حاجة إلى من يؤازرها، ويعضدها، ويؤنسها، ويحميها، وهي السكن والمودة والرحمة، كما قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا

---

(١) سورة النساء، آية: ٢٩.

(٢) سورة النساء، آية: ١٠.

لِتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[1].

وفي ضوء هذه المعاني السامية، والعلاقات القائمة على سند من الشرع والفطرة التي فطر الله الناس عليها، نجد أسلوب المصطفى ﷺ يشتد، ووعيده يهدر، وكلماته تبرق وترعد، وتتوعد وتنذر، حيث يبدأ الحديث بالنداء والدعاء، بقوله "اللهم"، وحذف حرف النداء، ومجيء الميم المشددة عوضًا عنه، يعلن عن شدة الوعيد، وقوة التحذير، وكأن رسول الله ﷺ يدعو على من يضيع حق هذين الضعيفين، ويلجأ إلى ربه ليتولى أمر كل مضيع للحقوق حتى يناله العقاب الشديد، والفعل "أُحَرِّجُ" يسبق بالتأكيد في قوله "إني": واسم إن المؤكدة هو ياء المتكلم، وهو رسول الله ﷺ: إنه دفاع خاتم الأنبياء عن حق اليتامى والنساء، في هذه الصيغة المؤكدة.

وصيغة المضارعة في "أحرج" مع تشديد الراء: توحي بالشدة والاستمرار: لأن الحرج هو الإثم، والمبالغة في هذه الصيغة جاءت لكي يرتدع هؤلاء الذين لا يتقون الله في الضعيفين "اليتامى، والنساء".

والتعبير بقوله: "حق" أعم وأشمل من أى كلمة أخرى: فالحقوق كثيرة: مادية ومعنوية وشعورية ونفسية.

وقال العلماء: وإنما حرّج حقهما، وبالغ في المنع منه، لأنهما لا جاه لهما يلتجئان إليه ويحاج عنهما سوى المولى سبحانه وتعالى؛ ومن الحقوق المضيعة للمرأة: محاولة بعض الناس حرمانها من الميراث: وهذا جرم شنيع، وجرأة على الشرع، وتعد على حدود الله، ومن الناس من يدعو إلى المساواة في الميراث، وهذا تضييع لحق الشرع، وإهدار لحق المرأة في محيط أسرتها ومجتمعها: لأن الصلات ستنقطع بينها وبين إخوتها وأرحامها، وستنقطع أواصر السكن والمودة والرحمة.

فميراث البنت في الشريعة الإسلامية لم يقصد لذاته، بل هو مرتب على نظام الزواج فيها، لأن للمرأة حقًا واجبًا في مال زوجها وهو حق النفقة، وليس للرجل مثل هذا الحق

---

(١) سورة الروم، آية: ٢١.

في مال زوجه، والإسلام يحث على الزواج بل يفرضه، فهو بهذا يضيف إلى المرأة رجلاً، ويعطيها به حقاً جديدًا، فإن هي ساوت أخاها في الميراث مع هذه الميزة التي انفردت بها انعدمت المساواة في الحقيقة، فتزيد وينقص، إذ لها حق الميراث وحق النفقة، وليس له إلا مثل حقها في الميراث إذا تساويا(١).

والدعوات المغرضة التي تدعو إلى المساواة التامة بين المرأة والرجل، هي تضييع لحق المرأة في الرعاية والحماية، والنفقة والمسؤولية، والإسلام كفل لها حقوقها.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الدعاء والتحذير.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الوصية بالنساء واليتامى.

ثالثًا من أهداف الدعوة: رعاية وحماية الضعفاء من اليتامى والنساء.

أولاً- من أساليب الدعوة: الدعاء والتحذير:

حيث جاء في الحديث: "اللهم إني أحرج حق الضعيفين" وهذا دعاء وتحذير وهو أسلوب من أساليب الدعوة التي تخوف المدعو، وتحذره من اقتراف ما يُحذر منه، ويدل على حرص الداعية على المدعوين، حيث يحذرهم من كل ما فيه مفسدة.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الوصية بالنساء واليتامى:

يظهر هذا من قول النبي ﷺ في الحديث: "اللهم إني أحرج حق الضعيفين اليتيم والمرأة"، قال ابن علان: (حق الضعيفين، أي: ما يستحقانه بملك أو غيره كاختصاص، ولذا عبر به دون مال، وليشمل سائر الحقوق المالية وغيرها، واليتيم هو من بني آدم من لا أب له وهو دون البلوغ والمرأة معروفة، وإنما حرج حقهما وبالغ في المنع منه لأنهما لا جاه لهما يلجئان إليه، ويحاجّ عنهما سوى المولى سبحانه وتعالى، فالمعترض لهما كالمخفر لله في عهده فهو حقيق بأنواع الوبال، وهذا بخلاف الكامل من الرجال، فإن الغالب منهم من يعتمد على قوته، أو قوة من يركن إليه، ويعول في أمره عليه من مخلوق

---

(١) وحي القلم، الرافعي ص ٣.

ذي أمر صوري، ومن اعتز بغير الله ذلّ)[١].

هذا وقد دلت نصوص القرآن والسنة على الوصية بالنساء واليتامى، فمن الوصية بالنساء قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[٢]"، قال الإمام القرطبي: (أي على ما أمر الله به من حسن المعاشرة، والخطاب للجميع، إذ لكل أحد عِشْرة زوجًا كان أو وليًا، ولكن المراد بهذا الأمر في الأغلب الأزواج، ومن المعاشرة بالمعروف توفية حقها من المهر والنفقة وألا يعبس في وجهها بغير ذنب، وأن يكون منطلقًا في القول لا فظًا ولا غليظًا ولا مظهرًا ميلاً إلى غيرها، فأمر الله سبحانه بحسن صحبة النساء إذا عقدوا عليهن لتكون خلطة ما بينهم وصحبتهم على الكمال، فإنه أهدأ للنفس وأهنأ للعيش)[٣].

ومن الوصية بهن قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٤]، ومن وصية النبي ﷺ بالنساء قوله في الحديث: ((لاَ يَفْرَكْ[٥] مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً. إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ))[٦]، وجاء في الحديث أيضًا: ((واستوصوا بالنساء خيرًا فإنهنَّ خُلِقنَ من ضِلَع، وإنَّ أعْوَجَ شيءٍ في الضلَع أعلاه، فإن ذهبتَ تُقيمه كَسَرتَه، وإن تركتَهُ لم يَزَل أعوجَ، فاستَوصوا بالنساء خَيرًا))[٧].

وأما اليتامى فقد أمر الله تعالى بدفع المال إليهم عند الرشد: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾[٨].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٧١.

(٢) سورة النساء، آية: ١٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٩٧/٥.

(٤) سورة الروم، آية: ٢١.

(٥) يفرك: أي يبغض، لسان العرب في (ف ر ك).

(٦) أخرجه مسلم ١٤٦٩.

(٧) أخرجه البخاري ٣٣٣١، ومسلم ١٤٦٨.

(٨) سورة النساء، آية: ٦.

وحذر من أكلها بالباطل فقال جلّ شأنه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾[١].

وتوعد من يعتدي عليه فقال سبحانه: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ﴾[٢]، وأمر بحسن معاملته فقال عز وجل: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾[٣]، وجعل من البر الإحسان إلى اليتيم قال تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ﴾[٤].

وحضّ رسول الله ﷺ على كفالة اليتيم فقال ﷺ: ((أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا))، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا[٥]. وذلك لما كفالة اليتيم من أكبر الأثر في الحفاظ على بناء المجتمع وحمايته من التصدع والانهيار، إضافة إلى ما يجنيه الفرد من الحسنى في الدنيا والآخرة، ومن تلك الثمرات:

- صحبة النبي ﷺ وكفى بها شرفًا وفخرًا.
- كفالة اليتيم والإنفاق عليه دليل طبع سليم وفطرة نقية.
- كفالة اليتيم تعود على الكافل بالخير العميم في الدنيا فضلاً عن الآخرة.
- كفالة اليتيم تساهم في بناء مجتمع سليم خالٍ من الحقد والكراهية، وتسوده روح المحبة والمودة.
- إدخال السرور إلى قلوب الضعفاء واليتامى، ونشر روح السعادة بين أفراد المجتمع لتحقيقه أكبر قدر من العناية نحو الأيتام من الناحية المادية والمعنوية[٦].

---

(١) سورة النساء، آية: ١٠.

(٢) سورة الماعون، الآيتان: ١ - ٢.

(٣) سورة الضحى، آية: ٩.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٧٧.

(٥) أخرجه البخاري ٦٠٠٥.

(٦) انظر: موسوعة نضرة النعيم، د. صالح بن حميد وآخرون، ٣٢٦٤/٨.

ثالثًا- من أهداف الدعوة: رعاية وحماية الضعفاء من اليتامى والنساء:

إن حماية الضعفاء هدف رئيس من أهداف الدعوة، حتى لا يتعدى القوي على حق الضعيف، وحتى لا يغتر الإنسان بقوته وسلطانه فيأخذ حق غيره، ومن هنا حذر الشرع الحنيف من استغلال ضعف المرأة واليتيم، وأمر بتوفية حقوقهما، قال تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾[١]، وقال سبحانه وتعالى في حق اليتيم: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾[٢].

(إن اليتيم من فقد أباه الذي كان يرعاه بنفسه وماله، ويحبه من أعماق قلبه، ويؤثر مصلحته على مصلحته، وإن مما يذرف الدمع ساعة الموت صبية صغارًا، وذرية ضعافًا، يخلفهم المحتضر وراءه؛ يخشى عليهم إحن الحياة؛ وصروف الدهر، ويتمنى لهم وليًا مرشدًا، يرعاهم كرعايته، ويسوسهم كسياسته، يعزيهم بره وعطفه عن نفسه الراحلة، ويجدون فيه من العناية بمصالحهم ما يخرجهم رجالاً في الحياة يملأون العيون، ويشرحون الصدور، فالذي يكفل اليتيم ويتعهده، وينمي ثروته ويهذب نفسه، ويطمئن والده في جدثه، ويعوضه عنه كافلاً رحيمًا، وراعيًا حكيمًا، فلا جرم أن كان مكانه عند الله عظيمًا، وكان حريًا أن يكون لرسول الله ﷺ في الجنة صاحبًا وقرينًا، يتمتع بما فيها من النعيم، كما متع برعايته اليتيم، وفي هذا ترغيب عظيم في كفالة الأيتام، والعناية بأمورهم سواء أكان الكافل قريبًا أو أجنبيًا أو صديقًا)[٣].

---

(١) سورة النساء، آية: ٤.

(٢) سورة النساء، آية: ٦.

(٣) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ١١٦.

الحديث رقم (٢٧١)

٢٧١- وعن مصعب بن سعد بن أَبي وقَّاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ: رأى سعد أنَّ لَهُ فَضْلاً عَلَى مَنْ دُونَهُ، فَقَالَ النَّبيّ ﷺ : ((هَلْ تُنْصرُونَ وتُرْزَقُونَ إلاَّ بِضُعَفَائِكُمْ)) رواه البخاريُّ[1] هكذا مُرسلاً، فإن مصعب بن سعد تابعيٌّ، ورواه الحافظ أَبُو بكر البرقاني في صحيحه[2] متصلاً عن مصعب، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

الشرح الأدبي

في ظل المساواة بين أفراد الأمة الإسلامية ينعم كل من أسلم وجهه لله، وأطاع ربه وعصى هواه، وكان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، واتخذ منهجًا سويًا إسلاميًا في ارتياده لآفاق وقضايا الحياة، وهو أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، إن هذا المنهج السوي السديد: هو الطريق الوحيد الذي يجمل الحياة في عين الإنسان، ومن ثم يجد في قلبه وكيانه حلاوة الإيمان.

وإشعاعات هذا الحديث تمتد لتضيء هذا الموقف الذي ارتآه الصحابي الجليل، سعد بن أبي وقاص، وهو من هو في الإسلام: قوة وشجاعة وحميَّة: حيث ظن أن فروسيته وشجاعته، وبلاءه في ميدان القتال يجعل له الحق في أن يكون أفضل من غيره، وأن يأخذ من الغنائم أكثر.

وقد رُوى أنه قال: يا رسول الله أرأيت رجلاً يكون حامية القوم، ويدفع عن أصحابه: أيكون نصيبه كنصيب غيره، فالمراد بالفضل هنا الزيادة من الغنيمة، وليس

---

(١) برقم (٢٨٩٦). قال الحميدي في جمعه (١٩٦/١ رقم ٢٠٢): هكذا أخرجه البخاري منقطعا ومرسلًا من رواية سليمان بن حرب، وجوّده مسعر، عن محمد بن طلحة، عن أبيه، فقال فيه: عن مصعب بن سعد، عن أبيه. أورده المنذري في ترغيبه (٤٦٨٢).

(٢) أشار إليه أيضًا الحميدي في جمعه، وقال: وأخرجه أيضًا أبو بكر البرقاني عن مسعر وغيره مسندًا.

مطلق الفضل، وأعلمه رسول الله ﷺ أن مهام المقاتلة سواء، فإن كان القوي يترجح بفضل شجاعته، فإن الضعيف يترجح بفضل دعائه وإخلاصه[1].

والأشعة الهادية التي أضاءت الموقف لسعد بن أبي وقاص، تتألق في إجابة الرسول ﷺ له: ويقتنع ابن أبي وقاص، ولا يماري ولا يجادل، ويرسي المصطفى ﷺ: قاعدة راسخة من قواعد المنهج الإسلامي؛ وهذه القاعدة تصاغ في هذه الجملة الحديثية النبوية، المحكمة السديدة؛ المقنعة الرشيدة، وهي جملة واحدة يتصدرها الاستفهام ويحكم بنيانها أسلوب الاستثناء، الذي يحصر مع الاستفهام النصر والرزق في حماية الضعفاء، وفي رواية النسائي ((إنما يَنْصُرُ الله هذه الأمة بضعيفها بِدَعْوتِهِمْ، وصلاتهم وإخلاصهم))[2]، والفعلان "تنصرون" "وترزقون" يفيضان بدلالات كثيرة من خلال صيغة المضارع: التي توحي بالاستمرار، وعدم انقطاع هذه الصلة بين إعطاء الضعفاء قدرهم وبين النصر والرزق، وبناء الفعلين للمجهول يتمخض عن سر بلاغي، حيث إن الناصر معلوم، والرازق معلوم وهو الله سبحانه وتعالى مصداقًا لقول الله عز وجل: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾[4]، وصيغة الجمع في الفعلين تنبئ عن المسؤولية الجماعية في هذا السبيل، فالأمة كلها مطالبة بالعناية بالضعفاء اليتامى والنساء، والمرضى، والفقراء، والمساكين، وذوي الحاجات، وأصحاب العاهات.

والجيل الأول من الصحابة والتابعين الذين استضاءوا بنور الإسلام، وأشربت قلوبهم حب المصطفى ﷺ، كان جل عنايتهم باليتامى والمساكين والجيران، فعن الحسن البصري قال: "لقد عهدت المسلمين، وإن الرجل منهم يصبح فيقول: يا أهليه يا أهليه، يتيمكم، يتيمكم، يا أهليه، يا أهلية، مسكينكم، مسكينكم، يا أهليه يا أهليه جاركم جاركم، وكانوا يحرصون على إخوانهم ويؤثرونهم على أنفسهم.

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٧٢.

(٢) أخرجه النسائي ٣١٨٠، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٢٩٧٨).

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٢٦.

(٤) سورة الحج، آية: ٤٠.

وقال الشاطبي: (وتجدهم في الإجارات والتجارات، لا يأخذون إلا بأقل ما يكون من الربح أو الأجر، حتى يكون ما حاول أحدهم من ذلك كسبًا لغيره لا له، ولذلك بالغوا في النصيحة فوق ما يلزمهم، لأنهم كانوا وكلاء للناس لا لأنفسهم، بل كانوا يرون المحاباة لأنفسهم -وإن جازت- كالغش لغيرهم)[1].

والأمة الإسلامية في حاضرها المأزوم، وواقعها المكلوم، لابد أن تبحث عن أبواب النجاة، حتى لا تفقد أسباب الحياة، والنجاة في تمسكها بكتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، والعض عليها بالنواجز، حتى تعرف معالم الطريق.

فقه الحديث

يشير هذان الحديثان[2] إلى تعظيم أمر الضعيف ورعايته، وعدم المن عليه فقد يرزق الإنسان وينصر به، ولذا فالواجب في المغنم تخميسه، وصرف الخمس إلى من ذكره الله تعالى، وقسمة الباقي بين الغانمين، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الغنيمة لمن شهد الوقعة وهم الذين شهدوها للقتال، قاتلوا أو لم يقاتلوا، ويجب قسمها بينهم بالعدل، فلا يحابى أحد، لا لرياسته، ولا لنسبه، ولا لفضله، كما كان النبي ﷺ وخلفاؤه رضي الله عنهم يقسمونها، وكماجاء في الحديث أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه رأى له فضلاً على من دونه فقال النبي ﷺ هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم[3]، لكن يجوز للإمام أن ينفّل من ظهر منه زيادة نكاية كسرية، بَسَرَت[4] من الجيش، أو رجل صعد حصنًا عاليًا ففتحه، أو حمل على مقدم العدو فقتله، فهزم العدو ونحو ذلك، لأن النبي ﷺ وخلفاءه رضي الله عنهم كانوا ينفلون لذلك.

---

(١) انظر: التكافل الاجتماعي في الإسلام، د. عبدالعال أحمد عبدالعال ص ٢٤٣.

(٢) رقم ٢٧١، ٢٧٢.

(٣) انظر: فتاوى ابن تيمية ٢٧٠/٢٨، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨٩/٦، والدراري المضية للشوكاني ٤٨٩/١.

(٤) بَسَرَتْ: اي تقدمت للقاء العدو، لسان العرب في (ب س ر).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على التواضع.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تقويم النبي ﷺ لفهم الصحابة رضي الله عنهم في بعض الأمور.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الضعفاء.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على التواضع:

إن التواضع من الأخلاق الإسلامية الرفيعة التي أمر بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وقد رود في هذا الحديث الحث على التواضع من خلال قول النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص "هل تنصرون إلا بضعفائكم" لما رأى أن له فضلاً على من دونه وليس المقصود بالفضل رفعه في المنزلة، وإنما زيادة في قسم الغنيمة، فأعلمه ﷺ أن سهام المقاتلة سواء، فإن كان القوى يترجح بفضل شجاعته، فإن الضعيف يترجح بفضل دعائه وإخلاصه[1].

وقال ابن بطال: (تأويل الحديث أن الضعفاء أشد إخلاصًا في الدعاء، وأكثر خشوعًا في العبادة، لخلاء قلوبهم عن التعلق بزخرف الدنيا، وقال المهلب أراد ﷺ بذلك حض سعد على التواضع، ونفي الزهو على غيره، وترك احتقار المسلم في كل حالة[2] فالتواضع خلق كريم من أخلاق المؤمنين، ودليل محبة رب العالمين، وهو طريق موصل إلى مرضاته وإلى جنته[3] وكان التواضع من جملة ماعلمه الله نبيه ﷺ ليجعل منه الداعية الأول في العالم، وكان من جملة ما أرشده إليه قوله: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[4].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠٥/٦.

(٢) المرجع السابق نفسه، ١٠٥/٦.

(٣) موسوعة نضرة النعيم، د. صالح بن حميد، وعبدالرحمن بن ملوح ١٢٦٨/٤.

(٤) سورة الحجر، آية: ٨٨.

فالتواضع قليل التكلفة على المستوى الشعوري والعملي، فالمتواضع دائمًا يبدو أقل من حقيقته، وبذا فإنه يظل يكبر في أعين الناس دون جهد يبذل، كلما كشفت لهم الأيام عن جواهره المخبوءة، على حين أن المتكبر يضع نفسه في امتحان دائم، فهو رجل عريض الدعاوى، وعليه باستمرار أن يثبت أنه ليس أقل مما يعرف عنه، وهيهات هيهات أن يتم له ذلك، إن المتواضع كالأرض المنخفضة، تجتمع فيها خيرات السماء، على حين تغادر القمم والسفوح[١].

إن التواضع وخفض الجناح، ولين الجانب، كل ذلك له مكانته في المجتمع الإسلامي، فهذا المجتمع لا يتكبر فيه فرد، ولا يختال ولا يزهو بنفسه، فإن الكبر والخيلاء والعجب تغرس الفرقة والعداوة، فضلاً عن أنها تحول بين المتكبر وبين إصلاح نفسه، لتعاميه عن عيوبه ونقائصه، واعتقاده الكمال في نفسه ورضاه عنها، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾[٢] ويقول: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ﴾[٣].

إن التواضع وخفض الجناح من شأنه أن يوطد العلاقة بين الأفراد، ويجعلهم إخوانًا متعاطفين وخلانًا متناصرين[٤].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تقويم النبي ﷺ لفهم الصحابة في بعض الأمور:

إن تقويم النبي ﷺ للأفهام واضح في هذا الحديث من خلال تصحيح النبي ﷺ لذلك الفهم الذي عَرَض لسعد بن أبي وقاص، بأن المقاتل القوي له فضل على من دونه في المنزلة، أو على الأقل في الغنيمة، فصحح النبي ﷺ هذا الفهم وأعاد الأمور إلى

---

(١) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوى، د. عبدالكريم بكار ص ١٣١.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٣٧.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٤٦.

(٤) انظر: عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق ص ١٨٥، ١٨٦.

نصابها قائلاً "هل تنصرون إلا بضعفائكم" وأن هذا الضعيف الذي قد تزدريه الأعين له عند الله من المقام ما لا يتصوره إنسان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ((رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ))(١) أي لو حلف على وقوع شيء أوقعه الله إكرامًا له بإجابة سؤاله وصيانته من الحنث في يمينه، وهذا لعظم منزلته عند الله تعالى، وإن كان حقيرًا عند الناس(٢).

وقد كان رسول الله ﷺ لا يرى فهمًا خاطئًا -كما رأى عند سعد بن أبي وقاص في الحديث- إلا وسارع إلى تصحيحه، لذا كان من الواجب على الدعاة تصحيح الأفهام الخاطئة .

كما رأينا ذلك في الحديث في بيان رسول الله ﷺ أن الضعف والقوة من الأمور العارضة المتغيرة، وأن على القادرين مسئولية العاجزين، إضافة إلى ما في ذلك من تدعيم الأخوة بين أبناء الإسلام وتقرير للمسئولية الاجتماعية ورفع لمكانة المسلمين(٣) جميعهم دون استثناء لفقير أو ضعيف، (فالضعفاء سبب للنصر، وسبب للرزق، فإذا حنى الإنسان وعطف عليهم، وآتاهم مما آتاه الله، كان ذلك سببًا للنصر على الأعداء، وكان سببًا للرزق، لأن الله تعالى أخبر أنه إذا أنفق الإنسان لربه نفقة فإن الله تعالى يخلفها عليه، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾(٤). أي يأتي بخلفه وبدله(٥).

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل الضعفاء:

أشار النبي ﷺ إلى فضل الضعفاء في الحديث فقال "هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم" وقد رفع القرآن من شأن الضعفاء وأمر الله نبيه بالصبر معهم فقال

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦٢٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٦٠.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٢١٩.

(٤) سورة سبأ، آية: ٣٩.

(٥) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٦٥٣/١.

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾[1].

ففي هذه الآية يأمر الله نبيه ﷺ وغيره أسوته من الأوامر والنواهي: أن يصبر نفسه مع المؤمنين العباد المنيبين فوصفهم بالعبادة والإخلاص، وفي الآية أمر بصحبة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم ومخالطتهم، وإن كانوا فقراء، فإن في صحبتهم من الفوائد ما لا تحصى[2].

(١) سورة الكهف، آية: ٢٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٢٤.

الحديث رقم (٢٧٢)

٢٧٢- وعن أَبي الدَّرداءِ عُويمر رضي الله عنه، قَالَ: سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ، يقول: ((ابْغُونِي الضُّعَفَاء، فَإِنَّمَا تُنْصَرُونَ وتُرْزَقُونَ، بِضُعَفَائِكُمْ)) رواه أَبُو داود[١] بإسناد جيد.

ترجمة الراوي:

أبو الدرداء: هو عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري.

حكيم هذه الامة، وسيدُ القراء بدمشق، أسلم يوم بدر، وأحسن البلاء يوم "أحد" فقال فيه النبي ﷺ ((نعم الفارس عُويمر))[٢]، كان عالمًا ومحدثًا، وعابدًا، وهو معدود فيمن قرأ القرآن على النبي ﷺ وممن جمعه حفظًا على عهده ﷺ بلا خلاف.

وكان من أفاضل الصحابة، شهد اليرموك وكان قاضي أهله!! وحضر حصار دمشق وسكن حمص، ونقله عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى دمشق وولي بها القضاء، وكان أول قاضٍ بها.

وقد آخى النبي ﷺ بينه وبين سلمان الفارسي رضي الله عنهما.

وكان قدوةً في أخذه للعلم، فكان يقول: لو أُنسيت آية ثم لم أجد أحدًا يُذكِّرنيها إلا رجلاً بِبَرْك الغِماد، لرحلتُ إليه، وكان الصحابة يقولون فيه: أتبعنا للعلم والعمل أبو الدرداء، وقال فيه أبوذر رضي الله عنه: ما حملت ورقاءُ، ولا أظلَّت خضراءُ، أعلم من أبي الدرداء.

وكان رجلاً منقطعًا عن الدنيا مقبلاً على الآخرة، فقد جاءه سلمان رضي الله عنه يزوره يومًا، فوجد أمُّ الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ فقالت: إن أخاك لا حاجة له في الدنيا، يقوم الليل، ويصوم النهار، فجاء أبو الدرداء، فرحَّب به وقرب إليه طعامًا، فقال

---

(١) برقم (٢٥٩٤)، وأخرجه أيضًا الترمذي (١٧٠٢) وقال: حديث صحسن صحيح. أورده المنذري في ترغيبه (٤٦٨٣).

(٢) المستدرك، رقم (٥٥٠٠).

له سلمان كل. فقال: إني صائم. قال: أقسمتُ عليك لتفطرن، فأكل معه، ثم بات عنده، فلما كان الليل، أراد أبو الدرداء أن يقوم، فمنعه سلمان، وقال: إن لجسدك عليك حقًا، ولربّك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، صم وأفطر، وصلِّ وائتِ أهلك، وأعطِ كلَّ ذي حق حقه، فلما كان وجهُ الصبح، قال: قُم فصلِّيَا، فأخبر النبي ﷺ بما قاله سلمان، فقال النبي ﷺ ((صدق سلمان))(١).

وقد روى عن النبي ﷺ جلة أحاديث بلغت ١٧٩ حديثًا.

وكانت وفاته في خلافة عثمان بن عفان سنة ٣٢هـ وقيل ٣١هـ(٢).

غريب الألفاظ:

ابغوني: اطلبوا لي(٣).

الشرح الأدبي

هذا هو الحديث الأخير في باب "ملاطفة اليتيم والبنات، وسائر الضعفة والمساكين والمنكسرين، والإحسان إليهم، والشفقة عليهم، والتواضع لهم وخفض الجناح لهم.

وبداية الحديث تؤكد حرص الرسول ﷺ على مكانة هؤلاء الضعفة، وتلك الطوائف، حيث يطلب من الصحابة في صيغة الأمر الحاني الهادئ أن يطلبوا له الضعفاء، وذلك ليكتبهم في ديوان المجاهدين، ويستعين بهم؛ وفي رواية يطلب من

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٦٨).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٧/٣٩١-٣٩٣)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٧٩٨-٨٠٠)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (١٠٢٥)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٦/٩٤-٩٥) وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٣/٢٤٠-٢٤١)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٥/٥١٤-٥١٦)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (٢/٣٣٥-٣٥٣) والأعلام، خير الدين الزركلي (٥/٩٨)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (٣/٢٠٤٢-٢٠٥٢).

(٣) الوسيط في (ب غ ي).

الصحابة أن يرضوه، وأن يحققوا مطلبه في ملاطفتهم وحسن علاقتهم بهؤلاء الضعفاء، فيقول: "ابغوني في ضعفائكم".

وما أرق هذا الطلب، وما أجمل هذا الخطاب الآمر الذي يرغب الأصحاب الأخيار في احتضانهم ورعايتهم لضعفاء الأمة الأبرار.

وتشع الألفاظ ببريق الدلالة من خلال ضبط الصيغة وإيقاعها، فالفعل "ابغوني" إن كان من الفعل الثلاثي "بغي" فهمزته للوصل مكسورة ولا تظهر في النطق ولا الكتابة، والمراد به مطلق الطلب، وإن كان من الرباعي "أبغي"، فهمزته للقطع، والمراد به طلب الإعانة، والمراد بقول رسول الله ﷺ في ظل هذا التوجيه لصيغة الكلمة وجذرها "أعينوني على طلب الضعفاء".

وما أحرص الرسول ﷺ على أمته، وهو يطلب منهم فتح أبواب الرجاء والأمل لضعفاء الأمة، لأن هذا الاحتواء والأخذ بيد الضعفاء فيه نجاة للأمة، وقد قيل لو لا شيوخ ركع، وأطفال رضع، وبهائم رتع، لصب عليكم البلاء صبًا.

ويختم الحديث بهذه الجملة الفياضة بينابيع الخير والعطاء، والفضل والبر والوفاء، حيث يقول المصطفى ﷺ معللاً طلبه من الصحابة رضي الله عنهم أن يعينوه في رعايتهم للضعفاء: "فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم".

وأسلوب القصر هنا يفيض بدلالة التقدير، والقيمة والأفضلية لهؤلاء الضعفاء، فالنصر والرزق يكاد يكون محصورًا في وجوب مراعاة هؤلاء الضعفاء، وعدم هجرهم؛ والإحسان إليهم دائمًا ومجيء "إنما" في صدر الجملة يؤكد هذه الدلالة، ويوحي بهذا المفهوم.

وفي العبارة إيجاز بالحذف في قوله "تنصرون وترزقون"، والتقدير تنصرون على من يعادونكم، أو تنصرون على جميع العقبات في كل أمور حياتكم، وترزقون المطر والفئ وغيرهما مما تنتفعون به، وغير ذلك من أنواع الرزق التي تتعدد مصادرها، وتتجدد بتعدد البيئات، وتجدد الزمن.

ويقول صاحب دليل الفالحين في ختام هذا الباب: وفي أحاديث الباب الانقطاع إلى الله سبحانه، وإعانة الفقراء، وإغاثة المنقطعين، وعدم رؤية النفس وفضلها على أحد

من العالمين، والحذر من التعرض لإيذاء أحد من الضعفاء والمساكين الذين لا ناصر لهم ولا معين سوى رب العالمين[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر والطلب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل التواضع.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الضعفاء.

رابعًا: من أهداف الدعوة: تصحيح المفاهيم.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر والطلب:

ورد ذلك في قوله ﷺ "ابغوني في الضعفاء" أي اطلبوا لي الضعفاء أستعين بهم يقال بغيتك الشيء طلبته لك[٢] وطلب الشيء بصيغة أمر خاصة إذا كان موجهًا من أعلى إلى من هو أدنى منه، فإن ذلك لفت للأنظار وإثارة للانتباه، مما يثير الهمم ويحفز العزائم، ويدفع إلى تنفيذ ما يلقى من أوامر وإرشادات. وقد استخدم القرآن أسلوب الأمر في كثير من آياته، ومنها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[٣]، وقوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[٤].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل التواضع:

إن التواضع يدل على رفعة الإنسان وعلو مكانته، لأنه يسمو على نفسه وينتصر على زهوها وغرورها، وفي هذا الحديث يبين النبي ﷺ فضل الضعفاء في النصر بإخلاصهم في الدعاء والرجاء، وكذلك في أمور الرزق، وفي هذا الحديث طلب رسول

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٧٤.

(٢) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣٣٦/٩، تحفة الأحوذي، العظيم آبادي، ١٤٩٩/٢، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٤٧٣، ٤٧٤.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢١.

(٤) سورة البقرة، آية: ٤٣.

الله ﷺ من الضعفاء أن يدعوا للمسلمين بالنصر، وذلك تيمنًا بهم، ولأنهم لانكسار خواطرهم دعاؤهم أقرب إجابة[١] فأراد رسول الله ﷺ بذلك إظهار تواضعه وافتقاره إلى ربه، إرشادًا لأمته إلى استشعار التواضع والاحتراز عن الكبر ونحوه، وأراد بذلك التنبيه على علو درجات المساكين وقربهم من الله تعالى[٢]. وليس معنى دعوة الإسلام إلى التواضع ميلاً إلى الذل والمهانة، فليس هذا بصحيح، فالتواضع انكسار القلب لله وخفض جناح الذل والرحمة لعباده، فلا يرى له على أحد فضلاً، ولا يرى له عند أحد حقًا بل يرى الفضل للناس عليه، والحقوق لهم قبله، وهذا خلق إنما يعطيه الله عز وجل من يحبه ويكرِّمه ويقربه. والله سبحانه وتعالى يحب التواضع ويبغض الضِّعة والمهانة[٣].

إن تخلق المسلم بخلق التواضع من أسباب عزته ورفعته، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا وما تواضع أحد لله إلا رفعه))[٤].

قال القاضي عياض: ("وما تواضع أحد لله إلا رفعه" فيه وجهان:

-أحدهما أن الله تعالى يمنحه ذلك في الدنيا جزاء على تواضعه له، وأن تواضعه يثبت له في القلوب محبة ومكانة وعزة.

-والثاني أن يكون ثوابه في الآخرة على تواضعه.

-وقد يكون المراد الوجهين معًا في الدنيا والآخرة[٥].

وقد وعد الله عباده المتواضعين الجنة فقال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٦] حيث أخبر سبحانه وتعالى أن الدار

---

(١) تحفة الأحوذي، العظيم آبادي، ١٤٩٩/٢.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٣٦/٩.

(٣) موسوعة نضرة النعيم ١٢٥٦/٤.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٩/٨.

(٦) سورة القصص، آية: ٨٣.

الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول، جعلها لعبادة المؤمنين المتواضعين، الذين لا يريدون علوًا في الأرض، أي ترفعًا على خلق الله، وتعاظمًا عليهم، وتجبرًا بهم ولا فسادًا فيهم[(١)].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل الضعفاء:

نبه ﷺ في ذلك الحديث على فضل الضعفاء، فقال "ابغوني الضعفاء فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم" ويضرب لنا القرآن أكبر المثل في رفع شأن الضعفاء وعتاب من أعرض عنهم، حتى ولو كان رسول الله ﷺ كما رأينا في موقف الرسول ﷺ من عبدالله بن أم مكتوم وعتاب القرآن له، ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾[(٢)].

قال ابن كثير: (ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله ﷺ كان يومًا يخاطب بعض عظماء قريش وقد طمع في إسلامه، فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابن أم مكتوم -وكان ممن أسلم قديمًا- فجعل يسأل رسول الله ﷺ عن شيء ويلح عليه وودَّ النبي ﷺ أن لو كف ساعته ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل، طمعًا ورغبة في هدايته، وعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه، وأقبل على الآخر فأنزل الله عز وجل: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ أي يحصل له زكاة وطهارة في نفسه أو يذكر فتنفعه الذكرى ﴿أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ وما أنت بمطالب به إذا لم يحصل له زكاة)[(٣)].

وهكذا رفع الإسلام من شأن الضعفاء، ووصى بالمساواة بين الناس في كل شيء

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٥٨/٦.

(٢) سورة عبس، الآيات: ١-١٠.

(٣) المرجع السابق ٣١٩/٨.

ومن ذلك ما ورد في السورة من المساواة في إبلاغ العلم بين الناس من شريفهم ووضيعهم[١].

رابعًا- من أهداف الدعوة: تصحيح المفاهيم:

لقد صحح النبي ﷺ أن أسباب النصر لا تقتصر على القوة والمال، ولكن من أسباب النصر والرزق دعاء الضعفاء فقال ﷺ "ابغوني في الضعفاء فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم" أي بسببهم أو ببركة دعائهم[٢]. وفي ذلك رفع لشأنهم وتحذير من التعرض لإيذاء أحد من الضعفاء والمساكين، الذين لا جار لهم ولا كهف سوى رب العالمين[٣] وليس معنى أن الإسلام رفع من شأن الضعفاء أن نخلد إلى الضعف والسكينة[٤]، وإنما طالبنا بالأخذ بأسباب القوة، واستنفاد الطاقة في الإعداد، ويشترك في ذلك الكل، حتى ضعيف الخِلْقة، كل على قدر استطاعة، فخاطب الله عز وجل الجميع بقوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[٥].

والخطاب في الآية يشمل عموم المسلمين دونما تفرقه بين قوي وضعيف، كل حسب طاقته، قال الطاهر بن عاشور: (والخطاب لجماعة المسلمين، وولاة الأمر منهم، لأن ما يراد من الجماعة إنما يقوم بتنفيذه ولاة الأمور الذين هم وكلاء الأمة على مصالحها، والإعداد في الآية: التهيئة والإحضار، ودخل في (ما استطعتم) كل ما يدخل تحت قدرة الناس اتخاذه من العدة)[٦].

---

(١) انظر المرجع السابق، ٣١٩/٨.

(٢) تحفة الأحوذي، العظيم آبادي، ١٤٩٩/٢.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٧٤.

(٤) انظر: منهج القرآن في التربية، محمد شديد ص ١١٢، ١١٩.

(٥) سورة الأنفال، آية: ٦٥.

(٦) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٥٥/١٠/٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

يربي الإسلام أتباعه على ترك كل تقليد جاهلي لا يتفق مع قيم الإسلام، لقد كان من تقاليد الجاهلية أن الفقراء والضعفاء لا يجلسون في مجالس الأغنياء والأقوياء والوجهاء.

وفي حياة الرسول ﷺ جاءه من المشركين من يطلب منه عدم إحضاره بعض الفقراء معهم؟ فماذا يفعل الرسول عليه السلام؟ هل يترك المسلمين لإسلامهم ليتفرغ هذه الدقائق لدعوة المشركين، أم يجلس ويحمل المشركين على الجلوس مع فقراء المسلمين، أم يدع المشركين ويبقى مع المسلمين؟

نزل النص القرآني ليحسم القضية ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [سورة الأنعام:٥٢].

إننا مطالبون بأن لا يحتقر أحداً وبخاص إذا كان الآخر مسلماً فقد يزدريه الناس في الدنيا وهو أسمى مكانة عند الله من غيره، ومن أحاديث الباب ندرك المضامين التربوية الآتية:

أولاً- التربية على احترام الفقراء والمساكين:

إن من أهداف التربية الإسلامية الهامة التربية على احترام الفقراء والمساكين، لأن التربية الإسلامية تقوم على التواضع، فالمسلم الذي تربى على خلق التواضع وعدم الترفع على الناس، يُكنّ الاحترام والتقدير لهؤلاء الشرفاء الذين لا يملكون مالاً ولا جاهاً - مما يعد من معايير التقدير والاحترام لدى الناس في هذا الزمان- إلا أن تلك الفئات الفقيرة تربطها بخالقها صلات متينة، وهذا ما يجب أن يقوم عليه في تقدير الناس، ولذا أراد النبي ﷺ تربية المسلمين على هذا الخلق، وذلك من خلال المواقف التربوية العملية، ومما يؤكد ذلك ما رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: "كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطْرُدْ هؤُلاَءِ لاَ يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا... فأنزل الله تعالى ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[1]".

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٥٢.

ثانياً- التربية الاجتماعية:

من أهداف التربية الإسلامية التربية الاجتماعية لأنها تسعى إلى تنمية العلاقات الاجتماعية للفرد وبناء المجتمع الإسلامي، ولقد كان من أهداف النبي ﷺ في السنة النبوية إبراز الجوانب الاجتماعية متمثلة في نماذج تربوية. والتي منها في هذا الباب ما يلي: "لَيْسَ المِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ والتَّمْرَتَانِ"، "شَرُّ الطَّعامِ طَعامُ الْولِيمَةِ يُمْنَعُهَا مَنْ يأتيها ويُدْعَى إليْهَا الأَغْنِيَاءُ"، "من عال جارتين... حتى تبلغها، جاء يوم القيامة..."، "دَخَلَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا ابْنَتَانِ ... فَقَالَ: مَنِ ابْتُلِيَ مِنْ هذِهِ الْبَنَاتِ ..."، "جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا ..."، "اللَّهُمَّ إِني أُحَرِجُ عَنْ حَق الضَّعِيفَيْنِ الْيَتِيمِ وَالْمَرأَةِ"، "ابغُونِي بِضُعَفَائِكُمْ؛ فَإِنَّمَا تُنْصَرُونَ، وَتُرْزَقُونَ في الضعفاء".

فهذه نماذج تربوية اجتماعية أراد النبي ﷺ منها إبراز الجوانب المادية التي تنتج عن تقوية العلاقات الاجتماعية لأن اليتيم والمسكين في حاجة إلى هذه الوقفة الاجتماعية المادية، ولن يتحقق ذلك إلا من خلال هذه التربية الاجتماعية التي نادت بالوقوف مع هذه الفئة من المجتمع بالتعاون والتخلي عن الصراعات والتناقضات، ولذلك كان من أهداف التربية الاجتماعية التواصل بين الناس وهذا ما أراد النبي ﷺ إبرازه لكي تسود المودة والتعاطف بين الناس وترفع روح المجتمع وتنهض به[١].

ثالثاً- من مصادر التربية الإسلامية: القرآن الكريم:

تستمد التربية الإسلامية أصولها من المصادر الأساسية للشريعة الإسلامية، وهي القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن هذه المصادر تشتق أهداف التربية الإسلامية، يظهر ذلك من خلال ما ورد في أحد أحاديث الباب الذي رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حيث قال: «كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطْرُدْ هؤُلاَءِ لاَ يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا... فأنزل الله تعالى ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ ...﴾[٢]».

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات ص ٦٨. والتربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري ص ٢٦٠.

(٢) سورة الأنعام، جزء من آية: ٥٢.

وهذا مما يبين اهتمام القرآن الكريم بتربية المؤمنين من خلال ما حدث مع رسول الله ﷺ من طلب المشركين منه طرد الفقراء والمساكين واستبعادهم من أن تضمهم المجالس معهم، فكانت التربية القرآنية بعدم طرد هؤلاء، فهذا توجيه تربوي عظيم للنبي ﷺ والمؤمنين وللأمة كافة من خلال ما ورد في القرآن الكريم الذي يعد المصدر الأول من مصادر التربية الإسلامية(١).

رابعاً- التربية بالوسائل التعليمية:

الوسائل التعليمية من الوسائل التربوية الهامة لأنها تسهم في تيسير عملية التعلم وتوضيح المعاني وتشرح الأفكار، لعلاقتها بإثارة الحواس، وظهر إبراز هذا الجانب التربوي في استعمال وسيلة (الإشارة) بالأصابع فقد ورد في حديث الباب عندما قال ﷺ: "أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا"، "وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا"، فهذا نموذج تربوي عملي استخدم فيه الرسول ﷺ وسيلة من وسائل التعليم وهي وسيلة الإشارة بالأصبع: "السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى" والوسائل التعليمية لها فوائد التعليم، والتي تتمثل في أنها توفر الجهد في التدريس وتخفف العبء عن كاهل المعلم(٢).

خامساً- من الأساليب التربوية:

من الملاحظ أن أحاديث الباب قد تضمنت عدة أساليب تربوية، منها:

أ-الحوار والمناقشة: كحديث عائذ بن عمرو المزني رضي الله عنه: "أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال رضي الله عنهم في نفر فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها. فقال أبو بكر رضي الله عنه: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟" الحديث.

والحوار له خاصية تربوية مميزة وهي تفعيل تحصيل المتعلمين وجذب انتباههم.

ب-الممارسة العملية: كما تصرفت عائشة رضي الله عنها مع المرأة التي دخلت عليها مع ابنتيها وتصرف المرأة نفسها مع ابنتيها. وهناك كذلك تربية بالمواقف من قبل النبي

---

(١) أصول التربية الإسلامية، أ. د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٥١، أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ١١.

(٢) انظر: طرق تدريس التربية الإسلامية، د. هدى الشمري ص ١٢٦.

ﷺ بأن بين ثواب هذه المرأة على ما فعلته بابنتيها.

ج-أسلوب الترهيب: كما في قوله ﷺ: "اللهم إني أحرّج حق الضعيفين: اليتيم والمرأة وأسلوب الترهيب من الأساليب التي تجدي في التعامل مع المواقف التي تستدعي اهتمام المجتمع بها وإلزام كل فرد بالقيام بدوره في المجتمع وتحذير كل فرد من التهاون في القيام بهذا الدور وبيان العواقب التي سوف تعود عليه نتيجة إهماله.



٣٤- باب الوصية بالنساء

قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[النساء: ١٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[النساء: ١٢٩].

الحديث رقم (٢٧٣)

٢٧٣- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: **((اسْتَوْصُوا بالنِّساءِ خَيْرًا**[١]**؛ فَإنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلعٍ، وَإنَّ أعْوَجَ مَا**[٢] **فِي الضِّلَعِ أعْلاهُ، فَإنْ ذَهَبتَ تُقيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإنْ تَرَكْتَهُ، لَمْ يَزَلْ أعْوجَ، فاسْتَوصُوا بالنِّساءِ))** مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[٣].

وفي رواية في الصَّحيحين[٤]: **((المَرأةُ كالضِّلَعِ إنْ أقَمْتَهَا كَسَرْتَهَا، وَإن اسْتَمتَعْتَ بِهَا، اسْتَمتَعْتَ وفِيهَا عوَجٌ))**.

وفي رواية لمسلم[٥]: **((إنَّ المَرأةَ خُلِقَت مِنْ ضِلَع، لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَة، فإن اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَفِيهَا عوَجٌ، وإنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا كَسَرْتَها، وَكَسْرُهَا طَلاَقُهَا))**.

---

(١) (خيرًا) لا توجد عند البخاري في هذه الرواية، وإنما عنده برقم (٥١٨٦)، وكذا عند الحميدي في جمعه.

(٢) لفظ البخاري: (شيء) بدل: (ما)، والمثبت لفظ مسلم، وكذا عند الحميدي في جمعه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٣١)، ومسلم (١٤٦٨/٦٠)، والسياق للحميدي في جمعه (١٧٩/٣، رقم ٢٤٠٧). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٨١).

(٤) أخرجه البخاري (٥١٨٤) من حديث مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، وهذا لفظه، كما في الجمع للحميدي. وأخرجه مسلم (١٤٦٨/٦٥) من حديث الزهري، عن سعيد بن المسيب، ولفظه: (إن المرأة كالضلع، إذا ذهبت تقيمها كسرتها، وإن تركتها استمتعت بها، وفيها عوجٌ)، كما في الجمع للحميدي.

(٥) برقم (١٤٦٨/٥٩) من حديث سفيان بن عيينة، عن أبي الزناد، عن الأعرج، كما في الجمع للحميدي. أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٨١).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ضِلع: الضلع: عظم من عظام قفص الصدر منحنٍ وفيه عِرَض، والعود فيه اعوجاج وعرض[١].

تقيمه: قوم المعوج: عدَّله وأزال عَوَجه[٢].

عوج: قوله (عوج) هو بفتح العين والواو[٣].

الشرح الأدبي

لقد كرم الإسلام المرأة، وصان حقوقها، وأوجب على الرجل القيام على جميع شؤونها، فالقوامة تكليف ومسؤولية، وليست تحكمًا واستبدادًا كما يتوهمه كثير ممن لا يفقهون حقيقة العلاقة بين الرجال والنساء، فالمرأة إما أن تكون أمًا أو أختًا أو زوجة أو بنتًا، أو تربطها بالرجل قرابة أو غير ذلك من الروابط الاجتماعية، وهذه العلاقات الحميمة ليس من شأنها أن تنشىء العداوة أو البغضاء بين الرجل والمرأة، ولكن بعض المجتمعات في نظامها وأعرافها لا تحتكم إلى شرع الله في ضبط العلاقات السوية بين الرجل والمرأة، فينشأ الخلل، ويستشرى الفساد، وتندلع أسباب الشقاق والعداوة والبغضاء، ووصايا رسول الله ﷺ بالنساء كثيرة ومتعددة، وفي كل وصية يشرق معنى جديد، ومسلك حميد، وتوجيه نبوي سديد، وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث النبوي الشريف، نجده وهو يضيء الطريق أمام الرجال، ويوضح لهم السبيل الأقوم للتعامل مع النساء.

---

(١) الوسيط في (ض ل ع).

(٢) الوسيط في (ق و م).

(٣) رياض الصالحين ١٥٧.

نجد الحديث الشريف في أسلوبه وصيغه يفيض بالتوازن، والتعادل، حيث تضمن الحديث أمرين وتأكيدين ، وشرطين، وهذا التوازن في الصيغ، وتلك المساواة في الأساليب، تعد إشارة وإيحاءً بضرورة التوازن في معاملة المرأة، والعدل بين الزوجات: والاحتكام إلى العقل والتروي في استقبال ردود أفعالهن، فالحديث يبدأ بصيغة الأمر "استوصوا بالنساء خيرًا" وينتهي كذلك بالصيغة نفسها، "فاستوصوا بالنساء" وفي هذا المسلك الأسلوبي تأكيد على حسن التعامل مع النساء، وهن على طبيعتهن اللاتي خلقن عليها، وهى عدم الاستواء.

ومن أسرار البيان النبوي أن قوله ﷺ: "استوصوا بالنساء خيرًا" يحمل أربع دلالات، ويمكن أن تفيض هذه الصيغة بأكثر من ذلك حسب السياق والتفسير الملائم؛ وتعدد الدلالة نتج عن صيغة الاستفعال المتمثلة في زيادة السين والتاء، "استوصوا"، والأمر لكل المكلفين من أمة الإسلام في كل زمان وفي كل مكان.

فالمعنى الأول: اطلبوا الوصية من أنفسكم في حقهن: أى تواصوا فيما بينكم واعملوا على تنفيذ هذه الوصايا.

والمعنى الثاني: اطلبوا الوصية من غيركم بهن، ومعنى ذلك أن من يطلب الوصية من غيره عليه أن يكون قدوة في ذلك.

والمعنى الثالث: أن رسول الله ﷺ يقول: اقبلوا وصيتي فيهن، واعملوا بها والأمر للوجوب: فتكون الوصية واجبة.

والمعنى الرابع: ارفقوا بهن وأحسنوا عشرتهن، وكل هذه المعاني مطلوبة ولا تتعارض ولا تتناقض فيما بينها.

وأما التأكيدان، فيردان في الإخبار عن طبيعة المرأة، وهى طبيعة خلقت بها، وليس في إمكانها تغييرها، حيث أكد الحديث على أن المرأة خلقت من ضلع، ثم أكد على أن أعوج ما في الضلع أعلاه، وفي ذلك إشارة إلى تكوين المرأة الذي يختلف عن تكوين الرجل في المزاج والطبع، والهيئة، وطريقة التعامل مع قضايا الحياة ومشكلاتها، وأشار بعض العلماء إلى أن حواء خلقت من ضلع آدم الأيسر، وقيل من ضلعه القصير.

قال تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾[1].

وقيل: إن قوله: "أعوج ما في الضلع أعلاه": فيه إشارة إلى أن أعوج ما في المرأة لسانها[2]. وأما الشرطان فهما يمثلان العقدة والحل في هذه القضية: حيث قال رسول الله ﷺ فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج.

فالمسلم في تعامله مع المرأة لابد أن يكون حكيمًا، فالمرأة لن تتغير طبيعتها، وإنما يمكن تهذيب هذا الطبع بالعشرة الحسنة والمعاملة الجميلة، ولذلك عبر بأداة الشرط "إن" في الجملتين، لأن النتيجة من الإصلاح غير متيقنة، وكذلك على الإنسان أن لا يترك الأمر على اعوجاجه، بل عليه أن يعالج الأمور ويَسُوسُها في اتزان وثبات ومحبة ومودة ورحمة، حتى تحسن العشرة، استجابة لأمر رسول الله ﷺ "فاستوصوا بالنساء".

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم معاشرة النساء وما يجب لكل من الزوجين نحو الآخر، وقد اتفق الفقهاء[3] على أنه يلزم كلا الزوجين الإحسان إلى الآخر والبر به، فتلتزم الزوجة بطاعة زوجها في كل ما يأمرها به، ما لم يأمرها بمعصية فلا طاعة له لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ويلتزم الرجل بمعاشرة زوجته بالحسنى والبر بها

---

(١) سورة النساء، آية: ١.

(٢) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٧٥.

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٣٣٤/٢، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٢١٢/٧، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٥٤/٨، والزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي ٦٢/٢، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٢٢٩/٣، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٢٥٥/٥، والمغنى٢٢٣/٧، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٨٥/٥.

وإكرامها، وعدم إهانتها وسبها أو ضربها، ما لم ترتكب محظورًا فيجوز له حينئذ تأديبها حسبما ورد في الشرع من طرق التأديب، وإكرام الرجل لزوجته لا يعني عدم إيذائها بل تحمل أذاها إن حدث وذلك أكرم الخلق.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر، والتوكيد.

ثانيًا: من أصناف المدعوين: الرجال.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التشبيه.

رابعًا: من فقه الداعي: بيان طبائع المدعوين.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: الصبر.

سادساً: من موضوعات الدعوة: مراعاة طبيعة المرأة.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر، والتوكيد:

ورد أسلوب الأمر في الحديث في قوله ﷺ "استوصوا بالنساء خيرًا" أي تواصوا بهن[(١)]. قال الطيبي والمعنى أوصيكم بهن خيرًا فاقبلوا وصيتي فيهن، والأظهر أن السين للطلب مبالغة، أي اطلبوا الوصية من أنفسكم في حقهن بخير، ويجوز أن يكون من الخطاب العام أي ليستوص بعضكم بعضًا في حق النساء[(٢)].

والتوكيد في قوله ﷺ للحقائق التي ساقها "فإنهن خلقن من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه" واجتماع الأمر والتوكيد فيه دلالة على أهمية الأمر، ووجوب تنفيذ المدعو ما ألقى على مسامعه من إرشادات.

ثانيًا- من أصناف المدعوين: الرجال:

إن خطاب رسول الله ﷺ في هذا الحديث موجه للرجال فقال "استوصوا بالنساء خيرًا" وهذا مما يلفت نظر الداعية إلى تنوع دعوته وتوجيهها إلى شرائح المجتمع المختلفة

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٧٥.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣٠٦/٦، ٣٠٧.

ولا شك أن الرجال يملكون حق القوامة على النساء. قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾[1]، فالزوج قيم على زوجته، والمقصود أن الزوج أمين عليها، يتولى أمرها، ويصلحها في حالها، ويقوم عليها آمرًا ناهيًا كما يقوم الوالي على رعيته [2]، وإنما كان حق القوامة للرجل على المرأة بالتأديب والتدبير والحفظ والصيانة وغير ذلك لأمرين:

أ- لما فضل الله الرجل على المرأة في العقل والرأى (بما فضل بعضهم على بعض).

ب- بما ألزمه الله تعالى من الإنفاق عليها (وبما أنفقوا من أموالهم)[3].

فالقوامة هنا لا يراد بها التغلب والاستطالة والقهر، وإنما هي مراعاة لطبيعة الرجل والمرأة، وإلزام للرجل بما تقتضيه هذه القوامة من بذل المهر والنفقة، وحسن العشرة وصيانة المرأة وما شاكل ذلك.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: التشبيه:

في هذا الحديث شبه النبي ﷺ ما فطرت عليه المرأة بالضلع الأعوج فقال: "فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج وإن أعوج ما في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج" وبهذا التشبيه البليغ يتضح وجه الشبه لأن المرأة كما وصفها النبي ﷺ خلقت من ضلع أعوج، مما يدل على احتياج المرأة إلى تعامل من نوع خاص كالرفق والرحمة، والحكمة في تقبل بعض التبرم الذي قد يحدث منها في بعض المواقف إلى غير ذلك مما يطرأ على تصرفات المرأة مع زوجها، لأنه حينما يعلم طبيعتها، يمكنه أن يتقبل بعض التصرفات العادية التي تنم عن تلك الطبيعة، التي تحتاج إلى الحكمة والرفق والصبر. والتشبيه وضرب المثل من عناصر الجمال الأدبي الرفيع، وقد استخدم القرآن التشبيه وضرب الأمثال لتقريب المعاني والمفاهيم في كثير من الآيات،

---

(١) سورة النساء، آية: ٣٤.

(٢) الكشاف، الزمخشري، ٥٢٣/١٠.

(٣) انظر: أحكام القرآن، الجصاص، ١٨٨/٢.

ومنها قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾[١].

فينبغي على الدعاة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، أن ينتفعوا من هذا العنصر، ويهتدوا بهدي كتاب الله وهدي سنة رسول الله ﷺ في ذلك، فكم فيهما من أمثال رائعات[٢].

رابعًا- من فقه الداعي: بيان طبائع المدعوين:

في هذا الحديث بين الرسول ﷺ طبيعة المرأة وما فطرت عليه من اعوجاج، وبهذا بين الرسول ﷺ للرجال طريقة معاملتهن، وما يوجب ذلك من صبر عليهن، قال ابن حجر وفائدة هذه المقدمة أن المرأة خلقت من ضلع أعوج فلا ينكر اعوجاجها، أو الإشارة إلى أنها لا تقبل التقويم كما أن الضلع لا يقبله[٣].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: الصبر:

أرشد النبي ﷺ الرجال إلى الصبر على نسائهن، وبين لهم طبيعتهن التي جبلن عليها، فالمرأة قاصرة بمتقضى جبلتها وطبيعتها، فإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها، يعني معنى ذلك أنك إن حاولت أن تستقيم لك على ما تريد، فلا يمكن ذلك وحينئذ تسأم منها وتطلقها فكسرها طلاقها، وفي ذلك توجيه من رسول الله ﷺ إلى معاشرة الإنسان لأهله بالمعروف وأنه ينبغي أن يأخذ منهم العفو وما تيسر كما قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾[٤] يعني ما عفى وسهل من أخلاق الناس ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ

---

(١) سورة الرعد، آية: ١٧.

(٢) مبادئ في الأدب والدعوة، عبدالرحمن الميداني ص ١٢١.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٤٢٥/٦.

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ وأيضًا فالمرأة إن كرهت منها خلقًا رضيت منها خلقًا آخر، فقابل هذا بهذا مع الصبر وقد قال تعالى: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1]،[2]. أي فعسى أن يكون صبركم مع إمساككم لهن وكراهتهن فيه خير كثير لكم في الدنيا والآخرة، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: هو أن يعطف عليها فيرزق منها ولدًا، ويكون في ذلك الولد خيرٌ كثيرٌ[3]، وفي الحديث الصحيح «لاَ يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً. إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ»[4].

فالنبي ﷺ يأمر الرجال بالصبر على النساء على ما فيهن من اعوجاج "استوصوا بالنساء خيرًا" فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج ما في الضلع أعلاه" وذلك من حسن العشرة التي أمرنا الله بها قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[5] أي على ما أمر الله به من حسن المعاشرة، والآية نبهت على معنيين أحدهما: أن الإنسان لا يعلم وجوه الصلاح، فرب مكروه عاد محمودًا، ومحمود عاد مذمومًا. والثاني أن الإنسان لا يكاد يجد محبوبًا ليس فيه ما يكره، فليصبر على ما يكره لما يحب، وأنشدوا في هذا المعنى:

ومن لم يُغمِّض عينه عن صديقه ... وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب

ومن يتتبع جاهدًا كل عثرةٍ ... يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب[6]

سادساً- من موضوعات الدعوة: مراعاة طبيعة المرأة:

شاء الله عز وجل وتجلت حكمته أن يخلق المرأة على طبيعة تلاءم ما كلفت به،

---

(١) سورة النساء، آية: ١٩.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين ٦٥٦/١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٤٣/٢.

(٤) أخرجه مسلم ١٤٦٩.

(٥) سورة النساء، آية: ١٩.

(٦) زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج بن الجوزي، ٤٢/٢.

من رعاية للأزواج والأولاد وحنو عليهم، فخلقها الله من ضلع الرجل، وليس هذا تنقصًا منها أو قدحًا فيها، وإنما هو تمييز لها عن الرجل، وخلق لها على ما تقتضيه فطرتها وطبيعتها وإلى ذلك أشار الرسول ﷺ في الحديث في قوله: ((فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ أَعْوَجَ، وَإِنَّ أَعْوَجَ مَا الضلْعِ أَعْلاَهُ فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ به عْوَجَ)).

وفي ذلك إشارة إلى الطبيعة التكوينية للنساء، وهي تغليب الفطرة على العقل، فهو حث للرجال على مخاطبة الفطرة والغرائز، قبل مخاطبة العقل، ودعوة للرجال للصبر على عوج النساء، وذلك لا يعني نقصان المرأة ولا امتهانها ولا كون الرجل أفضل منها لأن الحق يسوى من يشاء مما يشاء وينزله كيف يشاء، وقد كثرت النصوص في القرآن والتي تؤكد على منزلة النوعين من ناحية، وكون المرأة مظهرًا من مظاهر نعم الله على الرجال، فضلاً عن التسوية بينهما في التكاليف والثواب والعقاب وسائر الحقوق والواجبات، وكل إسقاط عن المرأة في جانب التكاليف -أو إرجاء- فهو من باب التخفيف عليها من ناحية، مراعاة لطبيعتها التكوينية ولظروفها الاجتماعية كإسقاط وجوب الجمعة والجماعة والجهاد، مع إعطائها استقلالية ذاتية بمثل ما يعطي الرجل، وما القوامة إلا لتحميل الرجل دوره تجاه المرأة في الرعاية والعناية ودرء الأذى، ورد عادية المعتدى، حتى وإن أدى ذلك لقتله دفاعًا عنها فينال الشهادة[1]، كما جاء ذلك فيما رواه الإمام أحمد بسنده عن سعيد بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ))[2].

---

(١) دعوة الرسل بين القرآن الكريم والكتاب المقدس، دراسة تحليلية موضوعية مقارنة، د. بكر زكي إبراهيم عوض، مطبعة أولاد عثمان ص٧٧، ٧٨.

(٢) أخرجه أحمد١/١٩٠ رقم ١٦٥٢، وقال محققو المسند: إسناده قوي ٣/١٩٠.

الحديث رقم (٢٧٤)

٢٧٤- وعن عبد الله بن زَمْعَةَ رضي الله عنه: أنَّهُ سَمِعَ النَّبيّ ﷺ يَخْطُبُ، وَذَكَرَ النَّاقَةَ وَالَّذي عَقَرَهَا[١]، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: ((﴿إذ انْبَعَثَ أشْقَاهَا﴾ انْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ، عَارِمٌ مَنيعٌ في رَهْطِهِ)) [٢]، ثُمَّ ذَكَرَ النِّسَاءَ[٣]، فَوعَظَ فِيهنَّ، فَقَالَ: ((**يَعْمِدُ أحَدُكُمْ فَيَجْلِدُ امْرَأتَهُ جَلْدَ العَبْدِ فَلَعَلَّهُ يُضَاجِعُهَا مِنْ آخِرِ يَومِهِ**)) ثُمَّ وَعَظَهُمْ في ضَحِكِهِمْ مِنَ الضَّرْطَةِ، وَقالَ: ((**لِمَ يَضْحَكُ أحَدُكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ؟!**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[٤].

(**وَالعَارِمُ**) بالعين المهملة والراء: هُوَ الشِّرِّيرُ المفسِدُ، وقوله: (**انْبَعَثَ**)، أيْ: قَامَ بسرعة.

ترجمة الراوي:

ابن زمعة: هو عبدالله بن زمعة القرشي.

من أشراف قريش، وهو ابن أخت أم سلمة زوج النبي ﷺ وكان يأذن رضي الله عنه على النبي ﷺ، ويعدُّ من أهل المدينة، وهو الذي خرج فأمر عُمر بن الخطاب رضي الله عنه بالصلاة حين سمع النبي ﷺ يقول ((مُروا أبابكر أن يصلي بالناس))[٥] فلم يجد أبابكر فأمر عمر، وتوفي النبي ﷺ وهو ابنُ خمس عشرة سنة.

وله في الصحيح حديث يشتمل على ثلاثة أحكام، أحدها في قصة ناقة ثمود، والآخر في النهي عن الضحك مع الضرطة، والثالث عن جلد المرأة.

---

(١) لفظ البخاري ومسلم: (عقر) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه.

(٢) عندهما زيادة: (مثل أبي زمعة).

(٣) قال الحميدي في جمعه (٣/٣٦٤): (وذكر النساء، وفي رواية ابن نُمير، عن هشام بن عروة: ثم ذكر النساء).

(٤) أخرجه البخاري (٤٩٤٢)، ومسلم (٢٨٥٥/٤٩) والسياق للحميدي في جمعه (٣/٣٦٤، رقم ٢٨٤٧) حيث قال: حديث واحدٌ يجمع ثلاثة معانٍ، فرّقها البخاري في مواضع من كتابه، وجمعها هو ومسلم في موضع واحد، وأخرجاه مفرقًا ومجموعا، من رواية عروة بن الزبير، عن عبد الله بن زمعة.

(٥) أخرجه مسلم ٤١٨.

قُتل يوم الدّار. توفي سنة ٣٥هـ[١].

عقرها: نحرها وذبحها. وأصل العقر: ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف وهو قائم[٢].

انبعث: قام بسرعة[٣].

عارم: والعارم بالعين المهملة والراء: هو الشرير المفسد[٤].

منيع في رهطه: أي قوي ذو منعة يمنعه قومه من الضيم[٥].

يضاجعها: أي يجامعها ووقع في رواية عند البخاري (٥٢٠٤): يجامعها[٦].

الضرطة: ضرط: ضرطًا وضُراطًا: أخرج ريحًا من استه مع صوت[٧].

الشرح الأدبي

إن راوي الحديث يقتبس كلمات من خطبة رسول الله ﷺ، حيث سمع النبي ﷺ يخطب، ويقتبس الراوي ثلاث قضايا من البيان النبوي في هذه الخطبة: أولاها: رصد لأوصاف الذي عقر ناقة صالح حين كذبت ثمود بطغواها: وهو قدار بن سالف أحيمر ثمود، وهو كما حكم عليه الحق سبحانه وتعالى: أشقى قبيلة ثمود، وأشقى الأولين "إذا انبعث أشقاها" ومعنى انبعث قام بسرعة.

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٢٢٠/٢-٢٢١، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٤٠٢-٤٠٣، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٢٤٦/٣، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٤٧٤، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ١٣٦/٤، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٦٣٦/٢.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، والمفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، والوسيط في (ع ق ر).

(٣) رياض الصالحين ١٥٨.

(٤) رياض الصالحين ١٥٨.

(٥) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٧٦/٨، والقاموس المحيط في (م ن ع).

(٦) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي (٣٠٨/٦).

(٧) الوسيط ٥٣٨.

وهذا الشقي وصفه رسول الله ﷺ بثلاث صفات توحي بالقوة: ولكنها قوة باطشة مفسدة ظالمة، فهو "رجل عزيز" أي قليل المثل ونادر الشبه، ولكن في سلوكه المشين، وعمله الوحشي الذي لا يقدم عليه إلا كل كافر خاسر، وهو "عارم"، أي شرير مفسد، فالعرام: هو القوة والشدة والشراسة، وهذه الصفة حين تقرن بصفة "عزيز" تعطي للعزة دلالة غير محمودة في هذا السياق، لأن الكلمات قد لا يظهر معناها المطلوب والمراد، إلا حين تأنس بجارتها من كلمات، ويسلكن في عقد من التركيب والنظم البليغ.

والصفة الثالثة: "منيع في رهطه" أي قوي ذو منعة: وقومه يمنعونه ويحمونه من الضيم والإذلال.

وأما القضية الثانية: فقد لا تبدو متسقة مع موضوع الخطبة أو مقدمة الخطبة: وهي "الوصية بالنساء خيرًا"، كما جاء في الحديث السابق، ولكن بعد التأمل والتدقيق والتفكر، نجد أن صفات الذي عقر الناقة، وهي صفات غير محمودة، وهى مذمومة في علم السلوك، تشابه صفات ذلك الذي يجلد امرأته جلد العبد، في قسوة، وشدة وادعاء للقوة والفحولة، فوجه الشبه قائم بين الذي عقر الناقة والذي يجلد امرأته عامدًا جلد العبد، غير عابئ بما أمر به الحق سبحانه وتعالى من حسن العشرة وكريم المعاملة، وبما أوصى به رسول الله ﷺ من الرفق بالنساء، والحكمة في معاملتهن، وفهم طبيعتهن اللاتي خلقن عليها، وليس في مقدورهن تغييرها، أو تبديلها، فالجزء الأول من المقدمة تمهيد وإلحاح وإضاءة لما سيوصي به الرسول ﷺ من الرفق بالنساء، والوصية هنا ليست مباشرة، ولكنها توغل في إدراك ما بين الرجل والمرأة من أسرار، فكيف يضربها ويجلدها في قسوة ووحشية، ثم يدنو منها ويعاشرها ويضاجعها من آخر يومه، فهذا سلوك يستبعد من العاقل، والمسلم الذي يفقه أصول دينه، ومعالم عقيدته، كما قال العلماء: كيف يبالغ في ضرب امرأته، ثم يجامعها من بقية يومه أو ليلته، والمضاجعة، أو المجامعة إنما تستحسن مع الميل والرغبة في العشرة، وخاتمة الحديث تنبه على سلوك عام، فالمسلم يجب أن يظل بعيدًا عن السلوكيات التي تُذْهب بمروءته،

وفقده احترام الناس، وتزيل هيبته ووقاره، وهذا الذي يقسو على امرأته ويجلدها ويعاملها معاملة العبد، ربما تقوده هذه السلوكيات التي تذهب بالمروءة والهيبة فيضحك عليه الناس، ويسخرون منه، ونلاحظ أن الراوي ربط بين القضايا الثلاث بحرف العطف ثم، إيحاءً بأن كل قضية تحتاج إلى تأمل وتدبر، وبأن الرسول ﷺ كان في أناة وتمهل حرصًا منه على الإفادة: حتى يعي السامعون والمسلمون أبعاد القضية كلها، ويدركوا دلالاتها، ومنها حسن معاملة النساء، لأن الإسلام أعطاها حقها، وأباح لها الدين أن تكسب كما يكسب الرجال، ورسول الله ﷺ -كما يقول العقاد في كتابه "عبقرية محمد" جعل خيار المسلمين خيارهم لنسائهم، وأمر بمدارة ضعفها ونقصها، وأوجب على الرجل أن يتجمل لامرأته، ويبدو لها في المنظر الذي يروقها، يقول الله عز وجل في محكم كتابه ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾[1].

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم فقهي يتعلق بضرب الرجل زوجته تأديبًا لها، وقد اتفق الفقهاء[2] على أنه يجوز للزوج تأديب زوجته بالموعظة، والهجر، والضرب إن لم تستجب للأولين، على أن يكون الضرب خفيفًا يتقي فيه المقاتل والمهانة، كاللكزة ونحوها،

---

(١) سورة النساء، آية: ١٩.

(٢) تكملة البحر الرائق، وهو مطبوع في نهاية البحر الرائق، محمد بن الطوري ٣٩٢/٨، ومجمع الأنهر لداماد أفندي ٦٣٢/٢، وأحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٢٦١/٤، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٧٢/٥ ط٢، دار الشعب، القاهرة: ١٣٧٢هـ، وتبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، برهان الدين المكي ٢٤٠/٢، والغرر البهية في شرح البهجة الوردية، القاضي أبو يحيى الأنصاري ١٠٨/٥، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ١٦٣/٤، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٧٩/٦، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٥٠/٩، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢١/١٠ وما بعدها.

ولا يجلدها جلد العبد، ففي ذلك مهانة لها وانتقاص من كرامتها، وأن يقصد بالضرب زجر المرأة وعودتها إلى الحق، فإن فاءت لم يكن له أن يبغي عليها، أو يضربها ثانية، وإلا ضمن تلفها إن حدث.

وفي هذا الحديث أيضًا النهي عن ضرب النساء لغير ضرورة التأديب، وفيه النهي عن الضحك من الضرطة يسمعها من غيره، بل ينبغي أن يتغافل عنها، ويستمر على حديثه واشتغاله بما كان فيه من غير التفات ولا غيره، ويُظهرُ أنه لم يسمع[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: الخطبة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الوعظ.

ثالثًا: من تاريخ الدعوة: ذكر قصة ناقة صالح.

رابعًا: من فقه الداعي: التنويع في الدعوة ومراعاة جميع شرائح المدعوين.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: حسن المعاشرة.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: الحفاظ على المروءة.

أولاً- من وسائل الدعوة: الخطبة:

إن من وسائل الدعوة المستنبطة في هذا الحديث الخطبة، حيث كان النبي ﷺ يستعملها كثيرًا إذا ما عَنَّ له أمر وأراد أن يتحدث إلى الناس فيه، ومن الشواهد على ذلك في الحديث الذي معنا، ما وردت الإشارة إليه في قول الراوي عبدالله بن زمعة "أنه سمع النبي ﷺ يخطب" ولقد استعمل النبي ﷺ الخطبة في نشر دعوته لكثرة فائدتها وعظيم جدواها، ذلك أن الخطابة علم من العلوم المهمة التي تساعد على الاتصال الجماعي، ولعل أكبر ما يدلنا على اهتمام النبي ﷺ بالخطابة، أنها أول وسيلة أبرزها بعد الجهر بالدعوة مباشرة حين صعد على الصفا[2].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٨٨/١٧، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٦٤/١٠.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها، د. أحمد أحمد غلوش ص ٤١٩، ٤٢٠.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الوعظ:

ورد ذكر الوعظ في هذا الحديث في قوله ﷺ "ثم ذكر النساء فوعظ فيهن" والوعظ أحد الأساليب المهمة التي لها عظيم الأثر في نشر الدعوة، حيث يستطيع الداعية من خلاله أن يؤثر تأثيرًا إيجابيًا في مشاعر المدعوين فيحرك وجدانهم، ويستثير عواطفهم إلى الله تعالى، فتلين قلوبهم وتتبعث آمالهم إلى ما يحبون أن يصلوا إليه[(١)].

والوعظ أحد الأساليب الرئيسية في الدعوة إلى الله، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[(٢)]، والموعظة هي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب[(٣)].

ثالثًا- من تاريخ الدعوة: ذكر قصة ناقة صالح:

ورد ذلك في الحديث في قوله (وذكر الناقة والذي عقرها) فإنه مما ينبغي أن يراعيه الداعية أن يفيد الدعوة من تاريخ الدعوة مع الأقوام السابقين.

وقد أورد القرآن قصة ناقة صالح في كثير من المواضع منها قوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَـٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَـٰهَا﴾[(٤)].

ففي هذه الآيات يخبر الله عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم، بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي، فأنزل الله بهم سوء العذاب على السواء فقال: "فسواها" أي فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء "ولا يخاف عقباها" قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يخاف اللهُ من أحدٍ تبعة[(٥)].

---

(١) انظر: تذكرة الدعاة، د. البهي الخولي ص ٣٩.

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٣) التفسير القيم، ابن القيم، ٣٤٤.

(٤) سورة الشمس، الآيات: ١١-١٥.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/٤١٣-٤١٥.

وجمهور المسلمين على أن الناقة كانت معجزة لصالح عليه السلام وهو ما توافرت عليه الأدلة في القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١).

﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾(٢).

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾(٣).

﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾(٤).

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾(٥).

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾(٦).

وندرك من جملة النصوص السابقة النقاط التالية:

أ- أن هذه الناقة آية، أي: دليل على نبوة صالح عليه السلام وأنها على غير ما عهدوا من

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٧٣.

(٢) سورة هود، آية: ٦٤.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٥٩.

(٤) سورة الشعراء، الآيتان: ١٥٥، ١٥٦.

(٥) سورة القمر، الآيتان: ٢٧، ٢٨.

(٦) سورة الشمس، آية: ١٣.

الآيات قبلها وهي آية بينة.

ب- أن هذه الناقة فتنة لهم من حيث البعث أو السلوك الواقع منها أو الأثر الناتج عنها.

ج- أنها مضافة إلى الله للتهديد من ناحية وللفت النظر إليها من ناحية ثانية.

د-حرم عليهم مسها بسوء وبين النتيجة المترتبة على المخالفة ﴿فيأخذكم عذاب أليم﴾، ﴿فيأخذكم عذاب قريب﴾، ﴿فيأخذهم عذاب يوم عظيم﴾.

هـ- تقسيم الماء بينهم وبين الناقة، ويبدو أنه أراد بئرًا معينًا أو موردًا خاصًا ﴿لها شرب ولكم شرب يوم معلوم﴾، ﴿ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر﴾، ﴿ناقة الله وسقياها﴾.

وأما وجه كون الناقة آية، فقد اجتهد فيه المفسرون. ومما أثر عنهم في ذلك:

أ- أنها خرجت من صخرة صماء -مع فصيل لها- قد حددها القوم لصالح عليه السلام.

ب- أنها كانت تشرب سائر المياه في اليوم الذي ترد فيه الماء.

ج- أنها كانت تدر لبنا يعدل الماء الذي تشربه، حتى تغدق على ثمود بأسرها ما يكفيهم.

د- ربط هلاكهم بأذاها إن وقع منهم، وقليله وكثيره في ذلك سواء، بدليل ورود النكرة بعد النهي (ولا تمسوها بسوء).

هـ- أن جميع الحيوانات كانت يوم مجيئها للماء تمتنع من الورود، وكانت يوم غيابها تأتي الماء.

و- أنها تختلف في النشأة عن غيرها من نوعها، من حيث عدم التوالد وكبر الحجم وخروجها عشراء من صخرة صماء.

ويرى بعض العلماء: أن الناقة لم تكن خارقة للعادة من حيث الوجود والتكوين والطبيعة، بل هي ناقة شأنها شأن غيرها من حيث الوجود. حددها صالح كرمز لحرمات الله، وتشديدًا على القوم بعد شدة العنت، وزاد من التضييق عليهم قسمة الماء بينهم، وتحديد يوم خاص بها ترد فيه الماء، ويوم خاص بهم أجمعين. تهكما وتشديدًا وتهديدًا.

ولم يتأثر قوم صالح بتلك الآية ولم يستجيبوا لنصائح صالح عليه السلام فرغم تحذير صالح لهم من مسها بسوء حتى لا يأخذهم عذاب - سبق بيانه - إلا أن القوم قد بيتوا النية على عقر الناقة وقتل صالح، وقتل المؤمنين به معه، بهدف القضاء التام على الدعوة ويمكن إيجاز مواقفهم فيما يلي:

أ- عدم التسليم بكون الناقة آية من آيات الله، مع توافر الأدلة على ذلك حتى وصف القرآن ذلك بالظلم، مع أن القوم لم يبالوا بها ولم يخافوها أو يخافوا النتائج المترتبة على أذاها.

ب- اتهام صالح بالكذب في حديثه عنها مع الإصرار على عقرها.

ج- كان قرار العقر جماعيًا وإن نهض به بعضهم، فكل فعل يرضى عنه الإنسان يثاب ثواب فاعله، ويعاقب عقاب فاعله في الآخرة، وذلك من باب حمل الأمة على فعل الخير، والأخذ على يد الظالم والتوجه نحو الخير العام، وإلا أثمت الأمة جمعاء إذا رضيت بما يفعله الفسقة، ولذلك نسب العقر إليهم جميعًا في قول الحق: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾[1].

وإلى من ابتدأ العقر أو أتمه ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾[2]. وصف القرآن ذلك الشخص بالشقاء. قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾[3]. كما وصف في السنة بمثل ذلك، وفي الحديث عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «ألا أحدثك بأشقى الناس؟» قال: بلى. قال: «رجلان، أحدهما أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذا - يعني قرنه - حتى تبتل منه هذه - يعني لحيته»[4].

(١) سورة الشمس، آية: ١٤.

(٢) سورة القمر، آية: ٢٩.

(٣) سورة الشمس، الآيتان: ١١، ١٢.

(٤) أخرجه أحمد ٢٦٣/٤ رقم ١٨٣٢١، وقال محققو المسند: حديث حسن لغيره ٢٥٧/٣٠.

تَحَدَّوْا صالحًا أن ينزل العذاب بهم: وجعلوا نزوله دليل صدقه وإرساله. كبرا منهم وبطرا ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[1]. فجمعوا في كلامهم هذا بين كفر بليغ من وجوه:

منها: أنهم خالفوا الله ورسوله في ارتكابهم النهي الأكيد في عقر الناقة التي جعلها الله لهم آية.

ومنها: أنهم استعجلوا وقوع العذاب بهم، فاستحقوه من وجهين: أحدهما الشرط عليهم في قوله: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ﴾[2]، وفي آية ﴿عظيم﴾ وفي الأخرى ﴿أَلِيمٞ﴾[3]، والكل حق. والثاني استعجالهم على ذلك.

ومنها: أنهم كذبوا الرسول الذي قد قام الدليل القاطع على نبوته وصدقه، وهم يعلمون ذلك علمًا جازمًا، ولكن حملهم الكفر والضلال والعناد على استبعاد الحق ووقوع العذاب بهم[4]. قال الله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ﴾[5]. وهذه الفترة الزمنية هي المفسرة لقول الحق سبحانه ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ﴾[6].

ويبدو أن الندم أصاب بعضهم بعد عقر الناقة وتحديد وقت العذاب. ولات حين مناص. قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ﴾[7][8].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٧٧ .

(٢) سورة هود، آية: ٦٤.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٧٣.

(٤) قصص الأنبياء، ابن كثير.

(٥) سورة هود، آية: ٦٥.

(٦) سورة الذاريات، آية: ٤٣.

(٧) سورة الشعراء، آية: ١٥٧.

(٨) انظر: دعوة الرسل، د. بكر زكي عوض، ٢٤٧-٢٥١.

رابعًا- من فقه الداعي: التنويع في الدعوة ومراعاة جميع شرائح المدعوين:

إن القارئ للحديث ليجد التنويع واضحًا في هذا الحديث، حيث جمع النبي ﷺ بين الخطابة "أنه سمع النبي ﷺ يخطب"، والوعظ "ثم ذكر النساء فوعظ فيهن" وذكر أخبار الأمم الغابرة "وذكر الناقة والذي عقرها" وكما تكلم عن بعض الأمور الاجتماعية المهمة مما يتعلق بعلاقة الرجل بزوجته، وذكر مثالاً: ضرب الرجل لزوجته "يعمد أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد فلعله يضاجعها من آخر يومه" حتى مجرد الضحك للضراط "لم يضحك أحدكم مما يفعل" وبذلك نجد أن النبي ﷺ استعمل أكثر من وسيلة، واتبع أكثر من أسلوب، واستغرق شرائح المجتمع، وعالج عددًا من القضايا دون فرق بين كبيرها وصغيرها.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: حسن المعاشرة:

أشار النبي ﷺ إلى ذلك في قوله "يعمد أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد فلعله يضاجعها من آخر يومه" (وفي هذا الحديث النهي عن ضرب النساء لغير ضرورة التأديب)[١]. وفيه استبعاد ذلك من العاقل أن يبالغ في ضرب امرأته ثم يجامعها من يومه أو ليلته، والمجامعة أو المضاجعة إنما تستحسن مع الميل والرغبة في العشرة والمجلود غالبًا ينفر ممن جلده فوقع الإشارة إلى ذلك[٢].

وقد جاءت الآيات والأحاديث حاضّة على حسن المعاشرة، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[٣]، والعشرة هنا تتعلق بالنساء والمراد منها توفية حق المرأة من المهر والنفقة وألا يعبس في وجهها بغير ذنب، وألا يكون فظًا ولا غليظًا ولا مظهرًا ميلاً إلى غيرها، وقيل: حسن العشرة مع المرأة أن يتصنع لها كما تتصنع له[٤].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦٦٢.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٤٧٨.

(٣) سورة النساء، آية: ١٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢/٤/٩٧.

وقال السعدي رحمه الله: (وهذا يشمل المعاشرة القولية والعقلية، فعلى الزوج أن يعاشر زوجته بالمعروف من الصحبة الجميلة، وكف الأذى وبذل الإحسان وحسن المعاملة، ويدخل في ذلك النفقة والكسوة ونحوهما، فيجب على الزوج لزوجته المعروف من مثله لمثلها في ذلك الزمان والمكان، وهذا يتفاوت بتفاوت الأحوال، "فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل الله فيه خيرًا كثيرا" أي ينبغي لكم -أيها الأزواج-أن تمسكوا زوجاتكم مع الكراهة لهن، فإن في ذلك خيرًا كثيرًا، من ذلك امتثال أمر الله تعالى وقبول وصيته التي فيها سعادة الدنيا والآخرة.

ومنها أن إجباره نفسه مع عدم صحبته فيه مجاهدة النفس والتخلق بالأخلاق الجميلة، وربما أن الكراهة تزول وتخلفها المحبة كما هو الواقع في ذلك، وربما رُزِقَ منها ولدًا صالحًا نفع والديه في الدنيا والآخرة، وهذا كله مع الإمكان في الإمساك وعدم المحذور)[١].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: الحفاظ على المروءة:

ورد ذلك في قوله ﷺ في وعظه في ضحكهم من الضرطة قال "لم يضحك أحدكم مما يفعل" وذلك لما في الضحك من ذلك من خوارم المروءة، ولما فيه من هتك للحرمة[٢]؛ ففي الحديث نهي عن الضحك من الضرطة يسمعها من غيره، بل ينبغي أن يتغافل عنها، ويستمر على حديثه وانشغاله بما كان فيه من غير التفات ولا غيره ويظهر أنه لم يسمع وفيه حسن الأدب والمعاشرة[٣].

وفي ذلك إشارة ضمنية من رسول الله ﷺ إلى المروءة والمحافظة عليها، لما لها من ثمرات (يجنيها صاحبها، ويستلذ بها، فهي تهب صاحبها الرياسة والشرف والمكانة العالية، والمحلة السامية، فيصبح في أعين الناس كبيرًا صاحب هيبة، ويصبح له في أنفسهم مكانة عظيمة، لا يجاريه فيها إلا من كان مثله أو زاد عليه في المروءة)[٤].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٣٨.

(٢) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٧٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦٦٢.

(٤) المروءة، سيد عاصم علي، مكتبة الصحابة، طنطا: ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ص ٢٩.

الحديث رقم (٢٧٥)

٢٧٥- وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((لاَ يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ))، أَوْ قَالَ: ((غَيْرَهُ)) رواه مسلم[1].

وقولُهُ: ((يَفْرَكْ)) هُوَ بفتح الياءِ وإسكان الفاء وفتح الراءِ معناه: يُبْغِضُ، يقالُ: فَرِكَتِ المَرأةُ زَوْجَهَا، وَفَرِكَهَا زَوْجُهَا، بكسر الراء يفْرَكُهَا بفتحها: أيْ أبْغَضَهَا، والله أعلم.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يفرك: قوله ((يَفْرَك)) هو بفتح الياء وإسكان الفاء وفتح الراء، معناه: يُبغض. يقال: فركت المرأةُ زوجَها وفركها زوجها -بكسر الراء- يفرَكها -بفتحها-: أي أبغضها. والله أعلم[2].

الشرح الأدبي

إن الحياة الزوجية سكن آمن، ومودة صادقة، ورحمة تفيض بالعطف والحنان، والحياة تتقلب بالناس، وتفيض بكثير من معضلات الأمور، وتصادم الآراء، واختلاف الطبائع، وطريقة استقبال الأحداث، والحكم على الأمور المستجدة.

ومن متطلبات الرحمة بين الزوجين أن يصبر كل منهما، وأن يفهم طبيعة الآخر، وأن تكون المودة والعاطفة منهجًا حياتيًا يؤدي بهما إلى واحات السكينة، وأن يكون التراحم خلقًا بينهما يقود سفينتهما الزوجية إلى شاطئ الاستقرار: في ظل أبوة راعية، وأمومة حانية.

---

(١) رقم (٦١/١٤٦٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٨٣).

(٢) رياض الصالحين ١٥٨.

وفي ضوء هذا المنهج الإسلامي الذي يؤطر العلاقة بين الزوجين وهما يخوضان غمار الحياة، ويسعيان على رزق أولادهما، ويقومان على تربيتهم وتنشئتهم التنشئة الإسلامية الصحيحة بعيدًا عن المنازعات والصراعات، في أسرة متحابة كالشجرة السامقة مهما تفرعت غصونها، واختلفت هيئات أوراقها، فإنها تظل متشبثة بجذورها، منتمية إلى تربتها، تسقى بماء واحد، وتثمر ثمرًا طيبًا، وتؤتي أكلها كل حين، هكذا الأم والأب في دوحتهما الإنسانية وأسرتهما الإيمانية، ولنتأمل قول الله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا﴾[1].

في ضوء هذا الواقع الأسري الجميل نستقبل كلام رسول الله ﷺ، استقبالاً حسنًا كما تستقبل الأرض الظمأى الغيث من بعد القنوط، ولنتأمل دلالات هذا البيان النبوي الكريم وهو: يحث على التواصي بالحق والتواصي بالصبر، وحسن معاملة الرجل المؤمن لزوجته المؤمنة، والحديث يتكون في بنائه اللغوي من جملتين تشعان بكثير من أضواء السلوك الإسلامي الصحيح، فالجملة الأولى "لا يفرك مؤمن مؤمنة"، وهي جملة منفية أو منهية، فإذا كانت اللام نافية: تكون الجملة خبرية، فالرسول ﷺ يخبر كل مؤمن بأنه لا يبغض زوجته المؤمنة، والتعبير بالمضارع في "يفرك" يعلن عن استمرار هذا الخلق السمح، وهو عدم البغض، وقيل إن هذا الأسلوب نهي في أسلوب الخبر، إذا كان الفعل "يفرك" مرفوعًا، ولكنه كما ورد في كثير من الروايات جاء مجزومًا، فاللام هنا: لام النهي، والجملة: إنشائية.

ودلالة النهي هنا: أن المسلم يجب أن لا يبغض زوجته الملتزمة بالسلوك الإسلامي، لأن بغضه فيه جور وظلم، لأنه إن كره منها خلقًا رضي منها خلقًا آخر، ودقة التعبير في الحديث الشريف التي تُجلي المعنى تبدو في قوله: "مؤمن ومؤمنة" فالإيمان شرط في ضبط العلاقة بين الزوجين، فالمرأة العاصية التي لا يكتمل إيمانها تظل خارج دائرة هذه الوصية النبوية، وكذلك الزوج إذا فقد صفات المؤمن فهو فاقد لأهليته وشخصيته

---

(١) سورة نوح، الآيتان: ١٧-١٨.

الإيمانية التي أرادها رسول الله ﷺ لأن الإيمان له ثلاثة أركان: التصديق بالجنان، والعمل بالأركان، والإقرار باللسان.

وجاء لفظ مؤمن في صيغة النكرة للتعميم، ليشمل كل النساء المؤمنات في كل زمان وكل مكان، وكذلك يشمل الأزواج المؤمنين من عصر البعثة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها في جميع بقاع الأرض، فما أعظم هذا البيان النبوي، ولا غرو، فهو من جوامع الكلم، والمادة اللغوية تتسع لكثير من الدلالات ، حيث دلالة الإيمان، ودلالة: الأمن، ودلالة: الأمان، ودلالة الأمانة، كلها دلالات تموج بالسكن والمودة والرحمة، وكذلك اختيار لفظ "يفرك"، وهو يوحي بالتفرق والتبعثر من قولهم "فرك السنبل" أي: دلكه: فانفرك أي انفرط، ومنه "الفركان"، وهو خاص ببغضة الزوجين، ورجل مُفرَّك تبغضه النساء، وامرأة مفركة، يبغضها الرجال، ومعنى: فاركة، تاركة، فهذا اللفظ الذي اختاره الرسول الكريم لا يغني عنه لفظ غيره: فتأمل!!!.

وأما الجملة الثانية: فهي تعليل للنهي في الجملة الأولى، وهي جاءت في صيغة الشرط والجواب: وأداة الشرط "إن" ، حيث يقول: "إن كره منها خلقًا"، "رضي منها آخر"، لأنها مؤمنة ملتزمة ولا تخلو من الصفات الحسنة، وأداة الشرط تعلن عن عدم التيقن من هذا الخلق المكروه، وربما يكون من سوء القصد أو خطأ التفسير.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم فقهي يتعلق بالحياة بين الزوجين، وهو أدب معاشرة الرجل لزوجته، وقد ذكر الفقهاء[1] أنه يلزم الرجل معاشرة زوجته بالحسنى، ويندب له أن يصبر عليها حتى ولو كرهها، إن كان كرهه لها لدمامة أو سوء خلق أو سوء عشرة

---

(١) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٢٣/٧، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب، الإسفراييني الحنبلي ٤٠٤/٢ وما بعدها، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ٢٤٤/٦، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٧٦/٧، ٢٣٢/٣٤ وما بعدها.

من غير ارتكاب فاحشة، وأن يعمل على مدارة المرأة وألا يطمع في إقامة اعوجاجها كاملاً، ولا بغضها بمجرد كراهة خلق من أخلاقها، فإنها لا تخلو مع ذلك عن أمر يرضاه منها، وإذا كانت مشتملة على المحبوب والمكروه، فلا ينبغي ترجيح مقتضى الكراهة على مقتضى المحبة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانيًا: من صفات الداعي: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حسن معاشرة الزوجة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الدعوة إلى العدل وضبط العواطف والانفعالات.

خامسًا: من أهداف الدعوة: الحفاظ على الأسرة.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي:

ورد هذا الأسلوب في الحديث في قوله ﷺ: (لا يفرك مؤمن مؤمنة) وأسلوب النهي من الأساليب المفيدة في الدعوة لما فيها من لفت المدعو إلى مكامن الخطر وحمله على عدم الوقوع فيها، وقد استعمل النبي ﷺ النهي في هذا الحديث، لإبعاد المسلم عن بغض زوجته وكرهها، مما تنتج عنه المشكلات الأسرية من تفكك وضياع للأولاد، ولكن لا بدّ من الحكمة والتريث في الأمور.

أرشد النبي ﷺ في هذا الحديث الأزواج بقوله: (لا يفرك مؤمن مؤمنة) إن كره منها خلقًا رضي منها آخر، حفاظًا على الأسرة وحمايتها من أسباب التفكك والتباغض، ولتسودها المحبة والمودة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، وفي الآية إشارة إلى السكن الذي هو من الأنس وزوال الوحشة، والمودة التي بمعنى المحبة،

---

(١) سورة الروم، آية: ٢١.

والرحمة وهي صفة تبعث على حسن المعاملة[١]، وحفاظًا على هذه المعاني وتلك الثمار نهى رسول الله ﷺ عما يذهبها أو يكدر صفوها فقال: (لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقًا رضي الآخر).

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: حسن معاشرة الزوجة:

لقد أرشد النبي ﷺ في هذا الحديث الأزواج إلى حسن معاشرة أزواجهن، والحث على الرفق بهن[٢]، فقال: (لا يفرك مؤمن مؤمنة) أي: لا يبغضها (إن كره منها خلقًا رضي منها آخر) بمعنى: أنه إن وجد فيها خلقًا يُكره وجد فيها خلقًا مرضيًا، بأن تكون شرسة الخلق، لكنها دينه أو جميلة أو عفيفة أو رفيقة به أو نحو ذلك[٣]، وذلك أن الإنسان ينبغي عليه أن يوازن بين السيئات والحسنات، وينظر أيهما أكثر وأعظم وقعًا فيغلب ما كان أكثر وما كان أشد تأثيرًا[٤]، فإذا كان هناك شيء سيء فقد تكون هناك أشياء حسنة، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٥].

قال البغوي: (قيل: هو ولد صالح، أو يعطفه الله عليها)[٦]، وقال السعدي: (أي ينبغي لكم أيها الأزواج أن تمسكوا أزواجكم مع الكراهة لهن، فإن في ذلك خيرًا كثيرًا، من ذلك امتثال أمر الله وقبول وصيته التي فيها سعادة الدنيا والآخرة، ومنها أن إجباره نفسه مع عدم محبته فيه مجاهدة النفس، والتخلق بالأخلاق الجميلة وربما أن الكراهة تزول وتخلفها المحبة كما هو الواقع في ذلك وربما رزق منها ولدًا صالحًا نفع والديه في الدنيا والآخرة وهذا كله مع الإمكان في الإمساك وعدم المحذور)[٧].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ٧٢/٢١/٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٩٢١.

(٣) المرجع السابق ٩٢١.

(٤) شرح رياض الصالحين ٦٥٨/١.

(٥) سورة النساء، آية: ١٩.

(٦) معالم التنزيل، البغوي، ١٨٦/٢.

(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٣٨.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الدعوة إلى العدل، وضبط العواطف والانفعالات:

في قوله ﷺ: (لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقًا رضي منها آخر) دعوة الإنسان إلى القيام بالعدل، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ﴾[1]، يعني: لا يحملنكم بغضهم على عدم العدل، لذا ينبغي على الإنسان أن يعامل مَنْ بينه وبينه صلة من زوجيه أو صداقة أو معاملة، أن يعامله بالعدل، إذا كره منه خلقًا أو أساء إليه في معاملة أن ينظر للجوانب الأخرى الحسنة حتى يقارن بين هذا وهذا، فإن هذا هو العدل الذي أمر الله به رسوله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2][3].

خامسًا- من أهداف الدعوة: الحفاظ على الأسرة:

من الأهداف الرئيسة للدعوة الإسلامية في المجال الاجتماعي: الحفاظ على الأسرة ووقايتها من التفكك، نجد ذلك واضحًا في هذا الحديث في قوله ﷺ: (ولا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقًا رضي منها آخر)، ففي هذا الحديث إشارة للجانب الوقائي على وقاية المجتمع من المشكلات وأخطارها قبل وقوعها، حفاظًا على تماسك المجتمع وقوته[4]. ويقول الشوكاني: (في هذا إرشاد إلى أن المرأة يجب ملاطفتها والصبر على ما لا يستقيم من أخلاق، والتنبيه على أنهن لا يفيد معهن التأديب الدائم، فلا يبق إلا الصبر وترك التأنيب والمخاشنة لكي تستقيم الأسرة، وفي هذا تقدير وإعمال لأحكام الأنوثة)[5].

---

(١) سورة المائدة، آية: ٨.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين ٦٥٨/١ - ٦٥٩.

(٤) انظر: الضبط الاجتماعي والتماسك الأسري، خالد بن عبدالرحمن بن عبدالعزيز السالم ص ١١١ - ١١٢.

(٥) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ٢٤٤/٦، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٧٦/٧.

الحديث رقم (٢٧٦)

٢٧٦- وعن عمرو بن الأحوصِ الجُشَمي رضي الله عنه: أنَّهُ سَمِعَ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في حَجَّةِ الوَدَاعِ يَقُولُ بَعْدَ أنْ حَمِدَ الله تَعَالَى، وَأثْنَى عَلَيهِ وَذَكَّرَ وَوَعَظَ، ثُمَّ قَالَ: **((ألا وَاسْتَوصُوا بالنِّساءِ خَيْرًا، فَإنَّمَا هُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذلِكَ، إلاَّ أنْ يَأتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فَإنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ في المَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإنْ اطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيهِنَّ سَبيلاً؛ ألاَ إنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا؛ فَحَقُّكُمْ عَلَيهِنَّ[1] أنْ لا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلا يَأْذَنَّ في بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ؛ ألاَ وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أنْ تُحْسِنُوا إلَيْهِنَّ في كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ))** رواه الترمذيُّ[2]، وَقَالَ: (حديث حسن صحيح).

قوله صلى الله عليه وسلم "عَوَانٍ" أي: أَسيرات جمع عَانية، بالعين المهملة، وهي الأسيرة، والعَانِي: الأسير. شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة في دخولها تحت حكم الزوج بالأسير "والضرب المبرح" هو الشاق الشديد، وقوله صلى الله عليه وسلم "فلا تبغوا عليهن سبيلا" أي: لا تطلبوا طريقًا تحتجون به عليهن وتؤذونهن به، والله أعلم.

ترجمة الراوي:

عمرو بن الأحوص الجشمي: هو عمرو بن الأحوص الجُشَمي. وعند ابن عبدالبر: عمرو بن الأحوص بن جعفر بن كِلاب الجشمي الكلابي.

شهد حجة الوداع مع النبي صلى الله عليه وسلم وروى خطبته بعرفة، كما في الحديث المذكور، ويقال: إن أمه وامرأته شهدتا معه حجة النبي صلى الله عليه وسلم.

وشارك في الفتوحات ونشر دعوة الإسلام، فشهد اليرموك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

---

(١) لفظ الترمذي: (فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن).

(٢) برقم (١١٦٣). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٨٤).

روى عنه ابنه سليمان بن عمرو بن الأحوص، وليس له إلا هذا الحديث الواحد -وهو حديث طويل- وبعضهم يقطعه[١].

غريب الألفاظ:

حجة الوداع: هي الحجة التي حجها النبي ﷺ عام ١٠هـ، وخطب الناس فيها خطبة الوداع وبعدها كانت وفاته ١١هـ. وسميت بذلك لأن النبي ﷺ ودع الناس فيها[٢].

الشرح الأدبي

إن فن الخطابة فنٌّ أدبي يقصد به إلى التأثير في نفوس المتلقين عن طريق مخاطبة قلوبهم وعقولهم، وللخطيب أدوات تأثيرية وفي مقدمتها جذب انتباه السامعين وإيقاظ ضمائرهم، وإثارة مشاعرهم، بما يلقيه من عبارات لها إيقاعها المؤثر، في صياغتها، وفي نسيج كلماتها وحروفها، وفي طريقة إلقائها، وفي تلوين الصوت جهرًا وهمسًا، وعلوًا وانخفاضًا، وغير ذلك من وسائل تأثيرية متعددة، وللخطابة أهمية قوية وتأثيرية في الإسلام، وخطبة حجة الوداع من كنوز البيان النبوي، حيث تتضوأ بالقيم الجمالية والأساليب التعبيرية، والمبادئ المكونة للشخصية الإسلامية.

وهذا اقتباس جليل من هذه الخطبة، حيث اقتطف الراوي هذا الجزء الذي يُرسي فيه رسول الله ﷺ دعائم العلاقة الأسرية بين الرجال والنساء، ويبدأ الحديث بعد التنويه بالحمد والثناء على الله، والذكر والوعظ بالأمر بالاستيصاء بالنساء، وتبدأ هذه الوصية بأداة الاستفتاح"ألا"، وهي يؤتى بها أول الكلام إذا كان المقام يُهتم به، وقد كررت هذه الأداة في الحديث ثلاث مرات، مما يدل على جدية الأمر، واهتمام

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٥٠٣، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١٧٦/٤)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٩٥٨، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣٩٣/٥) والتهذيب (٢٥٦/٣).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٧٥٦، وأطلس السيرة النبوية، د. شوقي أبو خليل ٢٢١.

المصطفى ﷺ، ولذلك بعد هذا الاستفتاح يأتي فعل الأمر "استوصوا بالنساء خيرًا" والأمر يدل على الوجوب، وكل زوج عليه واجب الحفاظ على بيته والإنفاق على أسرته؛ وقال "النساء"، وهذا اللفظ: يشمل الزوجة والأخت والبنت والأم: وكل من يجب على الإنسان نفقته ورعايته.

ويأتي التأكيد كثيرًا في هذه الخطبة، وقد ورد تسع عشرة مرة فيها، وقد ورد كثيرًا في هذا الحديث الذي يؤكد على حسن معاملة النساء والرفق بهن، واتباع الطريق الشرعي الحكيم في معالجة كل مسائلهن وخلافاتهن فقوله: "إنما هن عوان عندكم"، فيه تأكيد وقصر وتشبيه، وليس بعد اجتماع هذه المؤثرات الأسلوبية والبيانية اهتمام وعناية بهذا الأمر، فإنما تفيد التأكيد والقصر، وقد شبههن الرسول ﷺ بالأسيرات في قوله: "عوان عندكم"، حيث شبه رسول الله ﷺ المرأة في دخولها تحت حكم الزوج ووجوب طاعتها له بالأسير، وللأسير كذلك حق يجب أداؤه، وحتى لا يكون الأمر تحكمًا مطلقًا، وتملكًا خانقًا، قيد رسول الله ﷺ هذا التشبيه بقوله: "ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك"، واسم الإشارة يرشد إلى حق الاستمتاع، والطاعة والحفاظ على البيت والأبناء، أما غير ذلك فالمرأة لها عقلها، ولها كيانها، ولها ميراثها، ولها ذمتها المالية، وحقوقها المستقلة، ويشرح المصطفى ﷺ الوسائل التي يقضي بها على كل أي خلاف ينشأ بين الزوجين، وأتى بأسلوب الاستثناء في قوله: "إلا أن يأتين بفاحشة مُبيِّنة" أو مُبيَّنة: وفي الحالتين يجوز للرجل أن يتخذ الوسائل الشرعية التي يصلح بها ذلك الاعوجاج أو يهذبه، وصيغ الإصلاح في أسلوب الشرط والجواب، والأداء "إن" في جملتين، الأولى تشخص الداء وتصف الدواء، "فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن"، والثانية ترصد النتيجة في قوله: "فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا".

وأداة الشرط "إن" يوحي استعمالها بأن مثل هذه الوسائل لا تفيد، ولا تحقق المطلوب في بعض المواقف، لأن بعض النساء لا يرتدعن إلا بالطلاق، حين تستحيل العشرة، ثم تتكرر أداة الاستفتاح "ألا"، في سياق بيان حق النساء على الرجال، وحق الرجال على

النساء، فالرجل من حقه على زوجته أن تحافظ على بيته ولا تستقبل فيه أحدًا إلا بإذنه وفي حضوره، وللنساء حقوق كثيرة، ومنها الإحسان إليهن في كسوتهن وطعامهن، حتى تستقيم أمور الحياة في ظل المودة والرحمة.

فقه الحديث

إن الحياة الزوجية شركة تقوم على التوافق والتفاهم بين الزوجين، ولا يتسنى لهذه الشركة النجاح إلا إذا عرف كل طرف فيها ما له من حقوق وما عليه من واجبات وحرص على أدائها كاملة دون تقصير، فحق الرجل على المرأة الطاعة والعفة، وألا تدخل في بيته من يكره ولا تأذن لأحد بالدخول إلا بإذنه وعلمه، فإن فعلت ذلك لم يكن له عليها شيء، وإن قصرت في ذلك كان له تأديبها باتفاق الفقهاء[1] بما يراه مصلحًا لها من الوعظ والهجر في المضجع ثم الضرب الخفيف إن لم ينفع كل ذلك.

وحق المرأة على زوجها باتفاق الفقهاء[2] أن ينفق عليها سواء أكانت مسلمة أم ذمية ما دامت أنها انتقلت لبيته ولم تمنعه من نفسها، ولا يجوز له التخلي عن هذا الحق أبدًا وإلا كان لها طلب الطلاق.

---

(١) تكملة البحر الرائق، وهو مطبوع في نهاية البحر الرائق، محمد بن الطوري ٣٩٢/٨، ومجمع الأنهر لداماد أفندي ٦٣٢/٢، وأحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٢٦١/٤، وتبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، برهان الدين المكي ٣٤٠/٢، والغرر البهية في شرح البهجة الوردية، القاضي أبو يحيى الأنصاري ١٠٨/٥، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ١٦٣/٤، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٧٩/٦، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٥٠/٩.

(٢) البناية للعيني ٦٥٩/٥، وتحفة الفقهاء للسمرقندي، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ١٨١/٤، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٤٧٨/٣، والمذهب للشيرازي ١٤٨/٣، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٤٢٦،٣، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٤٧/١١، والمبدع في شرح المقنع، ابن مفلح.

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: حجة الوداع.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الحمد والثناء والوعظ.

ثالثًا: من وسائل الدعوة: الخطابة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الوصية بالنساء.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: تأديب الزوج لزوجته.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: بيان حقوق الأزواج على زوجاتهم وحقوق الزوجات على أزواجهن.

أولاً- من تاريخ الدعوة: حجة الوداع:

من تاريخ الدعوة في هذا الحديث حجة الوداع ويدل على ذلك قول عمرو بن الأحوص الجُشمي ﵁ أنه سمع النبي ﷺ في حجة الوداع.

وحجة الوداع معلم بارز في تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد رسول الله ﷺ وقد كانت حجة الوداع في آخر ذي القعدة للسنة العاشرة من الهجرة حيث، خرج رسول الله ﷺ للحج هو ومن معه من المسلمين، وأقبلت الوفود من كل صوب تُيمّم وجهها شطر البيت العتيق، وهي تعلم أن رسول الله ﷺ في هذا العام أمير حجهم ومعلمهم مناسكهم، ونظر رسول الله ﷺ إلى الألوف المؤلفة وهي تلبي وتهرع إلى طاعة الله، فشرح صدره انقيادها للحق واهتداؤها إلى الإسلام، وعزم أن يغرس في قلوبهم لباب الدين، وأن ينتهز هذا التجمع الكريم ليقول كلمات تبدد آخر ما أبقت الجاهلية من مخلفات في النفوس، وتؤكد ما يحرص الإسلام على إشاعته من آداب وعلائق وأحكام[1].

فخطب خطبته الجامعة في جموع المسلمين، ونصحهم وبيّن ما لهم وما عليهم، ثم أتم مناسك الحج معلمًا وهاديًا للمسلمين.

---

(١) انظر: فقه السيرة، محمد الغزالي ص ٤٥٤.

وفي يوم عرفة من هذه الحجة العظيمة نزل قول الله عز وجل ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1].

يقول ابن كثير: (هذه أكبر نعم الله عز وجل، على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم، صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه، ولا خلف. وقال أسباط عن السدى نزلت هذه الآية يوم عرفة فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام ورجع رسول الله ﷺ فمات[2]. فكانت حجة الوداع مشتملة على المضامين الدعوية الكثيرة التي تعد زادًا للدعاة إلى الله تعالى.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الحمد والثناء والوعظ:

من أساليب الدعوة التي تظهر من هذا الحديث أسلوب الحمد والثناء والوعظ ويدل على ذلك قول عمر بن الأحوص رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ "... بعد أن حمد الله تعالى، وأثنى عليه وذكر ووعظ...".

والحمد أسلوب من أساليب الدعوة التي يبدأ بها الدعاة دائمًا، فهو حمد لله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وأعظمها نعمة الإسلام.

والثناء أيضًا أسلوب من أساليب الدعوة يثني به الداعية على المولى سبحانه بما يليق من الثناء والتعظيم.

وأسلوب الوعظ والتذكير أسلوب من أساليب الدعوة التي يفيد منها الداعية في دعوته.

ولا ريب أن للموعظة أهمية كبرى في مجال الدعوة إلى الله تعالى، سواء اتخذت صفة النصح أو التذكير أو الترغيب، أو غير ذلك من صفات وأساليب الموعظة الحسنة.

وتتضح أهمية الموعظة في احتفاء القرآن الكريم والسنة المطهرة بها، واعتناء سلف الأمة الصالح وأخذه بها.

---

(١) سورة المائدة، من آية: ٣.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٦/٣.

فمن القرآن الكريم نجد قول الله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[2].

ومن السنة المطهرة، فقد ثبت أن النبي ﷺ كان يباشر الموعظة ويقوم بأدائها وكان يتخوّل أصحابه بها مخافة السآمة عليهم[3].

كما كان يحث على تذكير الناس ونصحهم، ويرغب في ذلك ويجعله من مهمات الدين ولوازمه.

قال ﷺ: ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ))[4].

وأما اعتناء السلف الصالح بالموعظة فلا يحتاج إلى برهان، وذلك لما زخر به تاريخهم من مواعظ ونصائح تعد غررًا في جبين التاريخ.

فتعد الموعظة وسيلة مهمة من وسائل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، يجني الداعية من وراء الأخذ بهذه الوسيلة خيرًا كثيرًا في اقتفاء أثر الأنبياء والرسل والصالحين، فما من نبي ولا رسول إلا وعظ أمته، ونصح لهم، وبشر وحذر، ورغب وأنذر. قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا﴾[5])[6].

ثالثًا- من وسائل الدعوة: الخطابة:

من وسائل الدعوة في هذا الحديث الخطابة، حيث ورد في هذاالحديث ما يدل على ذلك "في خطبته الجامعة في حجة الوداع".

---

(١) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٢) سورة هود، آية: ١٢٠.

(٣) انظر: حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في صحيح البخاري ٦٨.

(٤) أخرجه مسلم.

(٥) سورة النساء، آية: ٦٣.

(٦) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم المغذوي ص ٧١-٧٣.

والخطابة وسيلة دعوة مهمة فهي من أقدم الوسائل وأكثرها فاعلية في تبليغ الدعوة وكذلك التأثير في المدعوين.

فالخطابة أداة الدعوة، واللسان الناطق بمحاسنها، تبين للناس ما خفي من الصواب، وتدلهم على الهدى والحق والصلاح، وتحبب الناس في الخير، وتحملهم على فعله وتفند آراء المخالفين، وتجادل الخصوم[١].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الوصية بالنساء:

ويظهر هذا في قوله ﷺ "ألا واستوصوا بالنساء خيرًا..."، والإسلام يوصي بالنساء ويحث على الإحسان إليهن ومعاشرتهن بالمعروف، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[٢].

قال ابن كثير: (أي: طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله)[٣].

وأمر النبي ﷺ الرجال أن يستوصوا بالنساء خيرًا، وذلك لأن الضعف ملازم للمرأة، فهي تحتاج إلى من يحسن إليها ويرفق بها[٤]. فقال ﷺ: ((اسْتَوْصُوا بِالنسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ أَعْوَجَ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضلْعِ أَعْلاَهُ فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنسَاءِ خَيْرًا))[٥]؛ فينبغي على الداعية أن يوصي بالنساء خيرًا ويذكر وصية الإسلام بهن.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: تأديب الزوج لزوجته:

إن من موضوعات الدعوة في هذا الحديث حق تأديب الزوج لزوجته لقوله ﷺ: "... فإن فعلن، فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربًا غير مبرح..." وهذا حق أعطاه الإسلام للزوج على زوجته - دون تعسف أو ظلم- ولكن بحدود وضوابط وضعها

---

(١) طرق الدعوة الإسلامية، د. أحمد بن محمد العدناني ص ٤٠.

(٢) سورة النساء، من آية: ١٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/٢٤٢.

(٤) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ٣٤٧.

(٥) أخرجه البخاري ٣٣٣١، ومسلم ١٤٦٨.

الإسلام، قال تعالى: ﴿وَٱلَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾[(١)].

قال السعدي: (قال تعالى: "واللاتي تخافون نشوزهن" أي ارتفاعهن عن طاعةأزواجهن بأن تعصيه بالقول أو الفعل، فإنه يؤدبها بالأسهل فالأسهل "فعظوهن" أي: ببيان حكم الله في طاعة الزوج ومعصيته والترغيب في الطاعة، والترهيب من المعصية، فإن انتهت، فذلك المطلوب، وإلا فيهجرها الزوج في المضجع، بأن لا يضاجعها، ولا يجامعها بمقدار ما يحصل به المقصود، وإلا ضربها ضربًا غير مبرح)[(٢)].

فينبغي للداعية بيان حق الزوج في تأديب زوجته، وبيان حدوده، فلا يكون قاسيًا في التأديب، متسلطًا في استخدام هذا الحق، ويعلم أن هذا التأديب يجب أن يكون على الترتيب لأنه قد ينجح الأول فالأول.

سادسًا- من موضوعات الدعوة: بيان حقوق الأزواج على زوجاتهم، وحقوق الزوجات على أزواجهن:

إن من موضوعات الدعوة في هذا الحديث ذكره ﷺ لبعض الحقوق والواجبات التي بين الأزواج، ويدل على ذلك قوله ﷺ "فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون؛ ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن" فبعد ذكره ﷺ لحق الزوج في تأديب زوجته ذكر أن له أيضًا ألا يدخل منزله من يكرهه بدون إذنه. وذكر حقوق الزوجة أن يحسن إليها في الكسوة والطعام، وقد سئل رسول الله ﷺ عن حق المرأة على الزوج؟ فقال: ((أَنْ تُطْعِمَهَا إذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إذَا اكْتَسَيْتَ أو اكْتَسَبْتَ وَلا تَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلا تُقَبِّحْ، وَلا تَهْجُرْ إلاَّ فِي الْبَيْتِ))[(٣)].

---

(١) سورة النساء، آية: ٣٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٤٢، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٣٢٤/٢..

(٣) أخرجه أبو داود ٢١٤٢، وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ١٨٧٥).

الحديث رقم (٢٧٧)

٢٧٧- وعن معاوية بن حيدة رضي الله عنه ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُول الله، مَا حق زَوجَةِ أَحَدِنَا عَلَيهِ؟ قَالَ: ((**أنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طعِمْتَ، وَتَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ**[1]، **وَلاَ تَضْرِبِ الوَجْهَ، وَلا تُقَبِّحْ، وَلا تَهْجُرْ إلاَّ في البَيْتِ**)) حديثٌ حسنٌ، رواه أَبُو داود[2]، وَقالَ: معنى ((**لا تُقَبِّحْ**)) أي: لا تقل: قبحكِ الله.

ترجمة الراوي:

معاوية بن حَيْدة: هو معاوية بن حَيْدة بن معاوية بن صعصعة القشيري، له ولأبيه صحبة، وهو جد بهز بن حكيم المحدث الفقيه. روى عنه ابنه حكيم، وهو جد بهز بن حكيم المحدث المشهور.

قال البخاري: وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه وسأله عن أشياء وروى عنه أحاديث[3].

نزل البصرة. وقيل: إنه غزا خراسان ومات بها غازيًا[4].

---

(١) وزاد: (أو اكتسبت).

(٢) برقم (٢١٤٢). قال الحاكم (١٨٧/٢): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال ابن الملقن في البدر المنير (٢٩٠/٨): هذا الحديث صحيحٌ، وألزم الدارقطني في التتبع (ص: ١٣٦) الشيخين تخريج هذه الترجمة، وهي: حكيم بن معاوية، عن أبيه. وقال في علله كما نقله ابن الملقن: إنه حديث صحيح.

(٣) انظر مسند أحمد (٢٠٠١١/٣٣).

(٤) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٣٥/٧) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٧٢ وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٠٠/٥) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٢٥٨، (٢١٣ ترجمة أبيه) وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٥٢/٧) والتهذيب (١٠٦/٤) والثقات لابن حبان (٢٧٤/٣).

الشرح الأدبي

ما أسمى العلاقة التي تقوم بين الزوجين في ظل القيم الإسلامية، فالمرأة في ظل الإسلام لم تعد فراشًا مستباحًا أو دمية يُتلَهَّى بها، أو عبئًا على المجتمع فتوأد خشية الإملاق، وهربًا من العار، وإنما رد لها الإسلام كرامتها وكيانها، فلم تعد تورث أو توأد، بل شاركت في مسيرة المجتمع الإسلامي الجديد، وأعطاها القرآن قيمتها الإنسانية التي فقدتها في عصور الجاهلية الأولى.

وفي ضوء هذا الواقع الإسلامي نقرأ هذا الحديث النبوي الشريف قراءة تأملية ترصد جماليات الأداء الأسلوبي في البيان النبوي، ونستلخص مقاصد وأهداف الحديث من خلال لغة الحديث، وأسلوبه، وبناء عباراته وتراكيبه، وأول ظاهرة أسلوبية تبرق في هذا الحديث هي: النداء في بداية الحديث، وبعده هذا الحوار المقنع المفيد بين، معاوية بن حيدة رضي الله عنه ورسول الله ﷺ: حيث نادى في تقدير وتصديق ورغبة في معرفة حقوق الزوجة حتى لا يفرط في هذه الحقوق: قال: يا رسول الله ﷺ: ثم سأل "ما حق زوجة أحدنا عليه؟" قال: أي رسول الله ﷺ، ولم يذكر اسم رسول الله ﷺ أو لقبه، وإنما اكتفى بالضمير العائد على رسول الله ﷺ: أي قال: هو: وجعل الضمير المحذوف وجوبًا فاعلاً، وذلك لأن السياق يقتضي أن يكون المجيب هو رسول الله ﷺ، ولا يتوقع غيره، لأنه المسؤول، فبماذا أجاب رسول الله ﷺ على هذا السؤال الذي لم يحصر في إطار حق الزوجة فقط الخاصة بهذا الصحابي، وإنما قال في صيغة عامة شاملة: "ما حق زوجة أحدنا عليه"، فقال المصطفى ﷺ مفصلاً بعض هذه الحقوق، ومنها مأمورات يجب القيام بها، ومنهيات يجب الإقلاع عنها وعدم الزيغ والتردي في أخطائها، فأما المأمور به، فقد جاء في جملتين شرطيتين حيث قال: "أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت"، وأداة الشرط "إذا"، وهي تفيد التحقق فكسوة الزوجة واجبة، وإطعامها واجب، فاستعمال أداة الشرط إذا، في هذا الحديث هو الأبلغ، والأكثر ارتباطًا بالواقع، ونلاحظ أن بداية الجملتين فعلان مضارعان منصوبان، ويمكن أن يؤولا بمصدر، والمضارعية هنا إشارة إلى استمرار هذا النهج

وعدم انقطاعه، لأن المضارع فعل يتوالى حدوثه في الحال والاستقبال، أي الحاضر والمستقبل، ونلاحظ أن فعل الشرط ماضي، "طعمت، واكتسيت"، ولكنهما في إطار الحال والاستقبال، وفي الجملتين تماثل وتشابه، حيث حذف جواب الشرط في كل منهما، وهو يفسر بما قبل أداة الشرط، وفي ذلك إيجاز بليغ عن طريق الحذف، والتقدير، إذا طعمت فأطعمها، وإذا اكتسيت فاكسها، ومع هذه الظواهر الأسلوبية التي ترتفع بلغة الحديث، وهو في ظلها يفيض رقة وترغيبًا، حيث نرى الإيقاع الصوتي المؤثر حيث السجع الجميل غير المتكلف "أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت".

وأما المنهيات التي نهى عنها رسول الله ﷺ وهو يجيب على سؤال هذا الصحابي فقد وردت في صيغة الأمر ثلاث مرات، فقال: "ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت".

والأفعال هنا مضارعة "ولا تضرب، ولا تقبح، ولا تهجر" وهذه الصيغة ترشد إلى وجوبية استمرار هذا السلوك في التعامل مع الزوجة، فالزوجة إذا ضربها ضربًا خفيفًا غير مبرح لا يضرب الوجه تكريمًا وورعًا لأن الوجه عضو لطيف، والشين فيه شنيع، ولا يقبح ولا يذم خلقة الله، فإن ذم الصنعة ذم لخالقها، وكذلك لا يهجر الزوجة، ويهرب إلى بيت آخر أو زوجة أخرى، وإنما يهجر وهو في البيت، حتى لا يزداد نفور المرأة، وتتسع هوة الخلاف بين الزوجين.

والعطف بالواو في جمل الحديث يرشد إلى أن الحقوق كلها متساوية في الفضل، فالواو لمطلق الجمع، وهى تجمع بين المأمورات والمنيهات، فنسأل الله الأمن والأمان والإيمان.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين فقهيين:

الأول: حكم نفقة الزوجة، وقد سبق الكلام عنه في الحديث السابق.

الثاني: حكم ضرب الرجل لزوجته، وقد سبق الكلام عنه في الحديث رقم ٦٨.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من واجبات المدعو: معرفة ما عليه من حقوق تجاه زوجته.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حقوق الزوجة على زوجها.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الأمر بمعاشرة النساء بالمعروف.

خامسًا: من أصناف المدعوين: الأزواج.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

إن من أساليب الدعوة التي تظهر من هذا الحديث أسلوب السؤال والجواب، وهذا يظهر في قول معاوية بن حيدة ﷺ: قلت: يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال "أن تطعمها إذا طعمت... الحديث" وأسلوب السؤال والجواب من الأساليب الدعوية المهمة التي تجعل المدعو يسأل الداعية عن كل ما خفي عليه ويمكّن الداعية من بيان حقيقة الأمر؛ لأن المدعوين ينظرون إلى الداعية على أنه طبيب قلوبهم ودواء عللهم، ومن ثمَّ يفصحون له بما يستحيون من ذكره أمام خاصتهم وذويهم.

ولا يلجأ الناس لمثل هذا المسلك، إلا إذا علموا بأن الداعية لديه من القدرة العلمية، والبصيرة النافذة، ما يسد خللهم، ويقيل عثراتهم... ومن ثم كان على الداعية - إذا أراد الفلاح والنجاح لدعوته -أن يكون على فقه في دين الله، وأن يستكثر من فترات عمره كلها في العلم النافع، عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[(1)][(2)] حتى يكون أهلاً للدعوة، وقادرًا على إجابة أسئله من يلجأ إلى سؤاله من المدعوين.

ثانيًا- من واجبات المدعو: معرفة ما عليه من حقوق تجاه زوجته:

إن من واجبات المدعو التي تظهر من هذا الحديث معرفة ما عليه من حقوق نحو زوجته، وهذا يظهر في قول معاوية بن حيدة ﷺ، قلت: يا رسول الله ما حق زوجة

---

(١) سورة طه، آية: ١١٤.

(٢) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، د. طلعت محمد عفيفي سالم ص ٩٦.

أحدنا عليه؟ والصحابة رضي الله عنهم كانوا إذا سألوا النبي ﷺ فإنما يسألونه ليعملوا لا ليعلموا فقط[(١)].

فهو حريص على معرفة ما عليه من حقوق، حتى ينقاد إليها ويلتزم بها، ذلك لأن المدعو مطالب بالانقياد للحق وتطبيق منهج الله، وطالب الله سبحانه أمة الدعوة جميعًا بالانقياد للحق والاستجابة للرسول ﷺ فقال لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[(٢)].

فيجب على المدعو أن يحرص على معرفة ما عليه من حقوق فإذا استبان له الحق كان مطالبًا بأدائه.

والمسلم مطالب أن يأخذ العلم من أهله قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[(٣)].

قال السعدي: (فاسألوا أهل العلم بذلك ... فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم، حيث أمر بسؤالهم)[(٤)] فيجب على المدعو أن يكون حريصًا على سؤال أهل العلم والفقه لأنهم أعلم الناس في تخصصهم وحتى يطمئن قلبه.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: حقوق الزوجة على زوجها:

من موضوعات الدعوة التي يتضمنها الحديث ذكر بعض حقوق الزوجة وذلك في قوله ﷺ "أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت" وحقوق الزوجة على زوجها من الأمور التي أقرها الإسلام قال تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ

---

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ١/٦٦٣.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٣) سورة النحل، من آية: ٤٣.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٣٩٤.

قُرُوٓءٍۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤۡمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنۡ أَرَادُوٓاْ إِصۡلَٰحٗاۚ وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[١] أي: وللنساء على بعولتهن من الحقوق واللوازم مثل الذي عليهن لأزواجهن من الحقوق اللازمة والمستحبة، ومرجع الحقوق بين الزوجين إلى المعروف، وهو: العادة الجارية في ذلك البلد، وذلك الزمان من مثلها لمثله، ويختلف ذلك باختلاف الأزمنة والأمكنة، والأحوال، والأشخاص، والعوائد، وفي ذلك دليل على أن النفقة والكسوة والمعاشرة والمسكن وكذلك الوطء - الكل يرجع إلى المعروف، فهذا موجب العقد المطلق، وأما مع الشرط فعلى شرطهما إلا شرطًا أحل حرامًا أو حرم حلالاً[٢].

فمبجرد تمام عقد الزواج وتمكن الزوج من الاستمتاع بالزوجة، يلزم الزوج الإنفاق على زوجته، وتوفير ما تحتاجه من مسكن وملبس، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾[٣] وقال ﷺ: ((فَاتَّقُوا اللَّهِ فِي النِّسَاءِ. فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ ... وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ))[٤]. وقد أجمع العلماء رحمهم الله على وجوب إنفاق الزوج على الزوجة.

قال ابن قدامة: (اتفق أهل العلم على وجوب نفقات الزوجات على أزواجهن إذا كانوا بالغين إلا الناشز منهن... وفيه ضرب من العبرة وهو أن المرأة محبوسة على الزوج يمنعها من الصرف والاكتساب، فلابد أن ينفق عليها)[٥].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٢٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٨٤.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٣٣.

(٤) أخرجه مسلم ١٢١٨.

(٥) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٤٨/١١.

ولا شك أن إنفاق الرجل على زوجته من أعظم أسباب استقرار الأسرة واستدامة الزواج، كما أنه دليل على علو مكانة المرأة ورفيع منزلتها.

ومن حقوق المرأة على زوجها أن يعاشرها بالمعروف، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[(١)] ولاشك أن المعاشرة لفظ عام يشمل جميع جوانب الحياة الأسرية والتعاملات الزوجية التي تقع بين الزوجين، وبناء عليه فإن الزوج مطالب بأن يحسن إلى زوجته من جهة تحسين الحديث، والتأدب معها، وعدم تحميلها ما لا تطيق، ومن جهة التجمل لها ومراعاة ما يدخل السرور عليها، والتجاوز عما قد يبدر منها مما يكدر الصفو[(٢)].

فينبغي على الداعية أن يذكر الأزواج بحقوق زوجاتهم عليهم.

إن من موضوعات الدعوة التي دعا إليها الحديث معاشرة النساء بالمعروف وهذا يظهر في قوله ﷺ "... ولا تضرب الوجه ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت".

وقد أمر الله بمعاشرة النساء بالمعروف قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[(٣)]. وإذا كان الإسلام أعطى الزوج إذا رأى من امرأته نشوزًا وترفعًا عليه. وأنها لا تقوم بحقه، أن يعظها أولاً، ثم يهجرها في المضجع، ثم يضربها ضربًا غير مبرح، فإذا حق له أن يضربها لوجود السبب، فإنه لا يضرب الوجه وذلك للنهي عن الضرب عليه.

ولا يقول لها أنت قبيحه، والنهي عن التقبيح الحسي والمعنوي، فلا يقبحها فيقول: أنت من قبيلة رديئة أو من عائلة سيئة.

ولا يهجر الزوجة علنًا، بل تُهجر في البيت، حتى لا يطلع أحد على ما بينهما[(٤)].

وكل ذلك من المعاشرة بالمعروف التي أمر بها الدين الإسلامي؛ فينبغي على الداعية حث الأزواج على معاملة أزواجهن بالمعروف، وبيان أن ذلك مما أمر به النبي ﷺ.

---

(١) سورة النساء، آية: ١٩.

(٢) القوامة الزوجية أسبابها - ضوابطها - متقضاها، د. محمد بن سعد بن محمد المقرن، بحث ضمن بحوث مجلة العدل، العدد ٣٢ ص ٢٨، ٢٩.

(٣) سور النساء، من آية: ١٩.

(٤) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٦٦٣/١، ٦٦٤.

خامسًا- من أصناف المدعوين: الأزواج:

إن من أصناف المدعوين في هذا الحديث الأزواج، وهذا يظهر من أن معاوية بن حيدة يسأل عما عليه من حقوق كزوج تجاه زوجته.

والأزواج من أصناف المدعوين، لأنهم عنصر أساس من عناصر الأسرة والمجتمع، وقد أعطاهم الإسلام حق القوامة على الزوجة وولاية التأديب، قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا﴾[(١)].

قال رسول الله ﷺ ((كلكم راع ومسؤول عن رعيته...، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته...))[(٢)].

والإسلام اهتم بدعوة الزوج وبيان ماله من حقوق وما عليه من واجبات، حتى تستقر الحياة الزوجية، وتشيع المودة والرحمة بين الزوجين؛ فينبغي على الداعية الاهتمام بدعوة الأزواج إلى أداء ما عليهم من حقوق لزوجاتهم بالمعروف، وأن يحسنوا عشرتهن وأن يتقوا الله تعالى في العلاقة الموجودة بينهم والتي تقوم على السكن والمودة والرحمة.

---

(١) سورة النساء، آية: ٣٤.

(٢) أخرجه البخاري ٨٩٣.

الحديث رقم (٢٧٨)

٢٧٨- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ : ((**أكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إيمَانًا أحْسَنُهُمْ[١] خُلُقًا، وخِيَارُكُمْ خياركم لِنِسَائِهِمْ**)) رواه الترمذيُّ[٢] ، وَقالَ: ((حديث حسن صَحيح)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن لشخصية المسلم معالم وسلوكيات تصبغها بصبغة الإسلام، وتضفي عليها هالة من الوقار والالتزام والهيبة والانسجام، ومن هذه المعالم، الثبات، والتوازن، وحسن الخلق، والخلق الحسن، ملكة تبعث النفس على أفعال حميدة، واكتساب قيم شريفة؛ يقول الحسن البصري: حسن الخلق: بذل المعروف وكف الأذى، وطلاقة الوجه.

وحين نتأمل مكونات هذا الحديث الشريف، نجده يتكون من جملتين أو بارقتين من بوارق ومعالم شخصية المسلم، البارقة الأولى: تشع بقيمة إيمانية تتوهج في سلوكيات المؤمن الذي اكتمل إيمانه وهى حسن الخلق، ولذلك يقول المصطفى ﷺ: "أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا".

وهذه البارقة الإيمانية... تعد مقدمة وتمهيدًا للبارقة الثانية، التي تمثل قيمة إيمانية اجتماعية، تعلن عن حياة أسرية هانئة، تنعم بالسكن والمودة والرحمة، وهي حسن معاملة الزوج لزوجته ولأسرته بصفة عامة، حيث يعامل زوجته -كما قال العلماء- بطلاقة الوجه، وكف الأذى، والإحسان إليها، والصبر على أذاها، وكلمات المصطفى

---

(١) لفظ الترمذي: (أحسبهم).

(٢) برقم (١١٦٢). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٧٩)، وقال الحاكم (٣/١): هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين، وهو صحيح على شرط مسلم بن الحجاج. أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٧٦). وسيكرره المؤلف برقم (٦٢٨).

ﷺ تُجْمل هذه المعاني، وتومض بها في قوله: "وخياركم خياركم لنسائهم"، وفي ذلك أيضًا إشارة إلى صلة الرحم والحث عليها، وذلك لن يكون إلا بحسن الخلق الذي هو من أمارات كمال الإيمان، وذلك من أسرار تقديم الجملة الأولى في الحديث على الثانية.

والجملتان اسميتان، لا تقيدان بحدث داخل إطار زمني محدد: لأن هاتين القيمتين ثابتتان في سلوكيات المؤمن، وفي منهجه الحياتي في كل مراحل حياته، والجملة الاسمية من خصائصها الثبات بعيدًا عن التغير والتحول والانقطاع، الذي يتسم به الحدث داخل إطار الزمن في الجمل الفعلية.

والحديث في بنائه اللغوي يتسم بالتناسق والتوازن، وكأنه صدى لغوي وتعبيري لسلوك المؤمن الذي اكتمل إيمانه وحسن خلقه، فهو أفضل الخلق في إطار هذا السلوك، ولذلك نرى الجملة الأولى تبدأ بأفعل التفضيل، وهو "أكمل" المضاف إلى "المؤمنين"، ثم يأتي التمييز وهو "إيمانًا"، وهذا التمييز في حقيقة الأمر هو فاعل معنوي، لأن المعنى، اكتمل إيمان المؤمن، وهذا التفضيل هنا "أكمل"، في موقع المبتدأ، ثم نجد الركن الثاني للجملة، يأتي في صيغة أفعل التفضيل كذلك، وهو "أحسن" مضافًا إلى ضمير الغائب العائد على المؤمنين، وحتى يتم التناسق، والتوازن اللغوي الموازي للتوازن السلوكي والنفسي نجد كلمة "خلقًا" وهى نكرة في موقع التمييز، وهى أيضًا فاعل معنوي، تمييز محول عن الفاعل: والمعنى: حسن خلق المؤمن.

ولنتأمل السر التعبيري والدلالي في اختيار لفظ المؤمنين، ولماذا لم يقل أكمل الناس أو أكمل الخلق، لأن بلاغة الرسول ﷺ تفاضل بين مؤمن ومؤمن في هذا السياق، أما غير المؤمن فهو خارج هذا الدائرة التفاضلية إلى أن يتوب ويثوب إلى رشده، وينعم الله عليه بالإيمان، وهو التصديق بالجنان، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان.

وأما البارقة الثانية في هذا الحديث فهي من فيوضات وتألقات البارقة الأولى، فحسن الخلق الناشئ من كمال الإيمان، يقود المرء إلى معاملة أهل بيته معاملة حسنة، وقد كرر الرسول ﷺ: لفظ "خياركم" مرتين لتأكيد قيمة "الخبرية"، وفي هذه

الجملة التفات من الغائب إلى المخاطب، حيث خاطب الرسول ﷺ المؤمنين الذين حسن خلقهم بضرورة استثمار هذا الخلق في محيط الأسرة، ومعاملة النساء معاملة طيبة فيها صدق في المشاعر وتلطف في الحديث، وصبر على عوجهن الذي خلقن به، وحرص على التصالح والوئام، وبعد عن التشاجر والخصام، ويقول العقاد: والمعاملة الطيبة في الزمن الطويل خلق نادر بين الناس، ولكنه في حال الرضا خلق لا يشق فهمه على كثيرين، إلا أن الخلق الذي يشق فهمه على الأكثرين، هو طيب المعاملة عندما تتعرض الحياة الزوجية لأخطر ما يمسها من خطر، وهو المساس بالوفاء.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تفاوت درجات الإيمان.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل حسن الخلق.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإحسان للنساء.

خامسًا: من واجبات الداعية: حث المدعوين على مكارم الأخلاق.

سادسًا: من أهداف الدعوة: حسن معاملة الزوج لزوجته.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

إن من أساليب الدعوة التي تظهر من هذا الحديث أسلوب الإخبار ويظهر في قوله ﷺ "أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم".

وأسلوب الإخبار من الأساليب الدعوية المهمة، لأنه من خلاله تتم عملية التبليغ. (وذلك لأن الدعوة إلى الله تعالى من الأمور التي لا غنى للبشرية عنها قديمًا وحديثًا، فدعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام كانت لإنقاذ الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق، ودور الدعاة بيان معالم الدين، وإخبار الناس بحقائقه)[(١)].

---

(١) انظر: أصناف المدعوين، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ١٩.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تفاوت درجات الإيمان:

ويظهر هذا في قوله ﷺ "أكمل المؤمنين إيمانًا..."؛ فالإيمان يتفاوت ويتفاضل كما قال الله تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾[1] وليس الناس في الإيمان سواء؛ من الناس من يؤمن بالغيب وكأنه يشاهده شهود عيان، يؤمن بيوم القيامة كأنه الآن في تلك الساعات، يؤمن بالجنة وكأنها ماثلة أمامه، يؤمن بالنار كأنه يراها بعينه، يؤمن إيمانًا حقيقيًا لا يخالطه شك[2].

ومن الناس من يكون مزعزع الإيمان - نسأل الله العافية-كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾[3] يعني على طرف "فإن أصابه خير" يعني إن لم يواجه أحدًا يشككه في الدين، ولم يواجه إلا صلحاء يعينونه "اطمأن به" أي ركن إليه ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ﴾[4] إن أصابته فتنة في بدنه أو ماله، أو أهله، انقلب وجهه واعترض على القضاء والقدر، تسخط وهلك -والعياذ بالله- (خسر الدنيا والآخرة)[5]؛ فينبغي على الداعية دعوة المدعوين إلى ما يزيد إيمانهم ويثبتهم عليه، وينهاهم عما ينقص إيمانهم.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل حسن الخلق:

لما كانت ثمرات الخلق القويم للسلوك الديني وللسلوك الشخصي عظيمة جدًا وكانت عند المقارنة أجلَّ من الثمرات التي تحققها المبالغة في أداء كثير من العبادات المحض.

ولما كانت سلامة النفس من المساوئ الخلقية أهم من سلامة السلوك الظاهر من

---

(١) سورة المدثر، من آية: ٣١.

(٢) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١/ ٦٦٤.

(٣) سورة الحج، من آية: ١١.

(٤) سورة الحج، من آية: ١١.

(٥) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١/ ٦٦٤.

طائفة من المعاصي والذنوب الظاهرة، وكان ما يتحقق بحسن الخلق من رضوان الله تعالى أكثر مما يتحقق بالاستكثار من نوافل العبادات المحضة، كالصلاة والصيام والأذكار اللسانية.

لما كان كل ذلك وجدنا النصوص الإسلامية توجه الاهتمام العظيم والعناية الكبرى لقيمة حسن الخلق في الإسلام، وتذكر الخلق الحسن بتمجيد كبير[١]. وهذا يظهر في قوله ﷺ "أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا".

وحسن الخلق لا تخفى في الدين فضيلته، وهو الذي مدح الله سبحانه به نبيه ﷺ إذ قال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٢].

وقال ﷺ: ((أَكْثَرَ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ، تَقْوَى الله وَحُسْنُ الْخُلُقِ))[٣] فحسن الخلق يثمر بين المسلمين المودة والرحمة والألفة، فينبغي على الداعية دعوة المدعوين إلى حسن الخلق فيما بينهم.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإحسان للنساء:

لقد أولى الإسلام النساء اهتمامًا خاصًا، وحث على معاشرتهن بالمعروف والإحسان إليهن. وهذا يظهر في قوله ﷺ "خياركم خياركم لنسائهم".

قال رسول الله ﷺ ((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأهلِي))[٤]، وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه، حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين يتودد إليها بذلك[٥]. قالت: ((سابقني النبيّ ﷺ فسبقته فلبثنا حتى إذا رَهَقَني اللحم سابقني فسبقني، فقال: هذِهِ بِتِلْكَ))[٦].

---

(١) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٤٨.

(٢) سورة القلم، آية: ٤.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٠٠٤، وقال الألباني: حسن الإسناد (صحيح سنن الترمذي ١٦٣٠).

(٤) أخرجه ابن ماجه ١٩٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٦٠٨).

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٤٢/٢.

(٦) أخرجه النسائي في السنن الكبرى برقم ٨٩٤٢، وابن ماجه برقم ١٩٧٩، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٦١٠).

ويجتمع نساؤه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها رسول الله ﷺ فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان، ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها، وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعار[١] واحد، يضع عن كتفيه الرداء وينام بالإزار، وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قليلاً قبل أن ينام يؤانسهم بذلك ﷺ[٢]، وقد قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٣] فينبغي على المسلمين التأسي برسول الله ﷺ في الإحسان إلى النساء.

خامسًا- من واجبات الداعية: حث المدعوين على مكارم الأخلاق:

من واجبات الداعية التي تستنبط من عموم الحديث الحث على مكارم الأخلاق.

وهذا يظهر من بيانه ﷺ أن أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، فهو يدعو إلى مكارم الأخلاق ويحث عليها، حتى يكمل الإيمان؛ فالداعية يجب عليه أن يتأسى برسول الله ﷺ في الحثّ على مكارم الأخلاق، وذلك لأن أيَّ مجتمع من المجتمعات الإنسانية لا يستطيع أفراده أن يعيشوا متفاهمين متعاونين سعداء، ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة[٤]. فيجب على الداعية حث المدعوين على التحلي بمكارم الأخلاق.

من أهداف الدعوة التي يتضمنها الحديث حسن معاملة الزوج لزوجته، فالدعوة تهدف إلى الخير دائمًا، وتحاول أن يصل الإنسان إلى تمام الخير وكماله، فشرعت لأجله كثيرًا من التعاليم كل منها له هدفه الخاص لتصل في النهاية إلى الهدف الرئيسي الذي ترجوه الدعوة لاتباعها ألا وهو تحقيق السعادة[٥]، وحسن معاملة الزوج لزوجته من الأشياء الي تحقق السعادة الزوجية، وتدعو إلى الاحترام المتبادل.

---

(١) الشعار: ما ولي شعر جسد الإنسان دون ما سواه من الثياب، انظر: لسان العرب في (ش ع ر).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٢/٢٤٢.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٤) انظر: الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٢٣.

(٥) انظر: الدعوة الإسلامية، د. أحمد غلوش ص ٢٩.

فإن من حقوق الزوجة على زوجها أن يعاشرها بالمعروف، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ (١) ولاشك أن المعاشرة لفظ عام يشمل جميع جوانب الحياة الأسرية، والتعاملات الزوجية التي تقع بين الزوجين، وبناء عليه فإن الزوج مطالب بأن يحسن إلى زوجته من جهة تحسين الحديث، والتأدب معها، وعدم تحميلها ما لا تطيق، ومن جهة التجمل لها ومراعاة ما يدخل السرور عليها، والتجاوز عما قد يبدر منها مما يكدر الصفو.

---

(١) سورة النساء، آية: ١٩.

الحديث رقم (٢٧٩)

٢٧٩- وعن إياس بن عبد الله بن أَبي ذُباب رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ : ((لاَ تَضْرِبُوا إمَاء الله)) فجاء عُمَرُ رضي الله عنه إلى رسولِ الله ﷺ، فَقَالَ: ذَئِرْنَ النِّسَاءُ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ، فَرَخَّصَ فِي ضَرْبِهِنَّ، فَأَطَافَ بآلِ رَسُولِ الله ﷺ نِسَاءٌ كَثيرٌ يَشْكُونَ أزْوَاجَهُنَّ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: ((لَقَدْ أطَافَ[1] بآلِ بَيتِ مُحَمَّدٍ نِسَاءٌ كَثيرٌ يَشْكُونَ أزْوَاجَهُنَّ لَيْسَ أولَئكَ بخيَارِكُمْ)) رواه أبو داود[2]، بإسناد صحيح.

قوله: "ذَئِرْنَ" هو بذال معجمة مفتوحة ثم همزة مكسورة ثم راء ساكنة ثم نون، أي: اجْتَرَأْنَ، قوله: "أطاف" أي: أحاط.

ترجمة الراوي:

من أهل مكة.

مختلف في صُحبته، وله رواية عن النبي ﷺ[3].

إماء الله: الإماء: جمع أمة، أي زوجاتكم[4].

الشرح الأدبي

إن البيان النبوي يتسم بدقة العبارة، وصحة المعنى، وسلامة القصد، والمعنى والمبنى يمتزجان في الحديث النبوي الشريف، والفكر والأسلوب يتعانقان في هذا البيان

---

(١) لفظ أبي داود: (طاف).

(٢) برقم (٢١٤٦). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤١٨٩)، وقال الحاكم (٢/١٨٨): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال ابن الملقن في البدر المنير (٨/٥٠): صحيح.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (١٠٢)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٦٩)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١/٣٣٨)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١/٣٠١)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (١/١٩٦).

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٩٥٤.

المشرق، ليقدما للبشرية المنهج الإسلامي السديد المنبثق من هدْي القرآن العظيم.

وهذا الحديث يعد نموذجًا للحوار المقنع، والتدرج التشريعي، والحكمة في استقبال المواقف، وإصدار الأحكام، فالحديث في سياق الوصية بالنساء، وبدايته نهي من رسول الله ﷺ عن ضرب النساء، وجاء النهي صريحًا في هذه الجملة المفتاحية التي جاءت في صدر الحديث "لا تضربوا إماء الله".

وتحذف أحداث كثيرة، منها كيفية استقبال مجتمع النساء لهذا الأمر، وكذلك مجتمع الرجال.

فالرجال امتثلوا لأمر رسول الله ﷺ وانتهوا عن ضرب نسائهم، ولكن النساء "ذئرن على أزواجهن" كما أخبر عمر رضي الله عنه رسول الله ﷺ، وجاء إخباره سريعًا بعد أن شاهد ما شاهد من اجتراء النساء على أزواجهن، وهذه السرعة في تعقب الأمور، والحسم، في إنجازها، هي طبيعة عمر فهو شديد في غير عنف، رحيم في غير ضعف، والعطف بالفاء في قوله: "فجاء عمر" هو الذي أوحى بهذه السرعة في إبلاغ رسول الله ﷺ بما يحدث بعد النهي عن ضرب النساء، والتعبير بقوله: "ذئرن النساء" يصور التوتر والقلق والغضب في طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة، لأن المادة اللغوية لهذا الفعل تعني الفزع والأنفة والاجتراء والغضب، ومجيء الفعل جمعًا رغم مخالفته للقياس النحوي، وتوافقًا مع لغة "أكلوني البراغيث"، يوحي بأن هذا الغضب جماعي من النساء، فالكلمة في مبناها إضاءة لدلالاتها ومعناها.

ويقال: ذئرت المرأة على بعلها أى نشزت، ويقال : ناقة مُذائر: تنفر من الولد ساعة تضعه أو ترأم بأنفها، ولا يصدق حبها، فانظر دلالات هذه الكلمة، وتأمل إشعاعاتها، وتأمل فصاحة ابن الخطاب: بكلمة واحدة يصور الموقف، ويحدد المشكلة، وينوه بالخطر، ولا غرو فهو الفاروق عمر رضي الله عنه !!!.

ويستجيب المصطفى ﷺ لشكوى عمر رضي الله عنه، وموقفه: ويحكي الراوي: سرعة استجابة رسول الله ﷺ في قوله: "فرخص في ضربهن"، وتأمل: العطف بالفاء وهي للترتيب والتعقيب، وتأمل كذلك التعبير بالفعل "رخص"، ولم يقل أمر، لأن الرخصة

أدق وأنسب وهى للاختيار، وكما قال العلماء في تحديد مفهومها هي تغيير الحكم من صعوبة إلى سهولة للعذر مع قيام سبب حكم الأصل؛ وسبب المنع من الضرب أولاً الرفق بهن، وهو قائم حال إباحته للعذر، وهو دوام الزوجية، والقيام بحقوقها عند من ترك ذلك – كما جاء في دليل الفالحين، فقوله: "رخص في ضربهن" أبلغ وأدق من قوله: أمر بضربهن[1].

ويترتب على هذه الرخصة موقف آخر، وحدث أخطر، وهو أن الرجال لم يستعملوا الرخصة حسب الشرع استعمالاً حكيمًا في ضوء السكن والمودة والرحمة، ولكنهم بالغوا في تطبيق هذه الرخصة الاختيارية، فأطاف بآل رسول الله نساء كثير يشكون أزواجهن، ولفظ "أطاف"، يصور الحركة والحوار، والجدل، والشكوى، وكل ذلك عبر أحاديث تموج بمتعلقات الحدث، وتفاصيل الموقف، والعطف بالفاء في قوله: "فأطاف" يدل على سرعة المواجهة والحركة، ورسول الله ﷺ لم يترك الأمر، ولكنه أسرع بعد معرفته بهذه الشكاوى، وأعاد تشخيص الموقف وتوصيفه للتأكيد على أهميته، وضرورة القضاء على هذه الظاهرة فقال: "ليس أولئك بخياركم"، أي الذين يضربون زوجاتهم ضربًا مبرحًا يلجئ إلى الشكوى والغضب، ليسوا بخياركم: وقال: "خياركم خياركم لنسائهم"[2].

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على حكم فقهي يتعلق بباب نشوز الزوجة، وهو الضرب.

اتفق الفقهاء على أنه لا يجوز للزوج أن يسلك طريق الضرب مع زوجته إلا بعد الموعظة والهجر، فإن أقامت على النشوز ضربها.

كما اتفق الفقهاء على جواز تأديب الزوجة إذا نشزت، لأن النبي ﷺ أخبر بذلك عندما سئل عن الضرب، لكنه اختار لهم أن لا يضربوا.

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٨٣.

(٢) أخرجه الترمذي برقم ١١٦٢ وقال حديث حسن صحيح.

"وضابط الضرب" عند الفقهاء ألا يبلغ حدًا، ولا يكون مبرحًا، ولا دميمًا، يتقي فيه الوجه، فإن لم يأخذ بمحاذير هذا القيد عليه الفدية.

ولا يجوز للزوج ضرب زوجته بغير نشوز، ومتى تركت النشوز لم يحل هجرها ولا ضربها(١).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانيًا: من صفات الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين في الإفتاء.

ثالثًا: من حقوق المدعو: مراجعة الداعية في فتواه لمعرفة عواقبها.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي:

ورد النهي في قوله ﷺ: "لا تضربوا إماء الله"، فنهى عن الضرب، وأسلوب النهي يشعر المدعو بأهمية الامتثال في البعد عما نهى عنه، فينبغي للداعية أن يفيد في دعوته من هذا الأسلوب الدعوي.

ثانيًا- من صفات الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين في الإفتاء:

من صفات الداعية التي تظهر من خلال الحديث مراعاة أحوال المخاطبين في الإفتاء وهذا يظهر في نهيه ﷺ عن ضرب النساء، وعندما رأى أن النساء اجترأن على الرجال رخّص في ضربهن، فلما زاد الرجال عن الحد المأمور به من الضرب واشتكت النساء، فبين أن من يفعل ذلك ليس من خيارهم.

إن مما ينبغي للداعية مراعاته في الإفتاء النظر إلى حال السائل، فكم من مسائل تختلف أحكامها باختلاف أحوال الناس، فيصير ما كان مستحبًا بالنسبة لشخص واجبًا على شخص آخر، بل قد يكون الواجب على شخص حرامًا على شخص آخر

---

(١) الأحكام السلطانية الماوردي ٢٦٩، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٢/٢٣٥، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٧/٨٩، الأم، الشافعي ٥/١٢٠، ٢٠٨، ومختصر المزني ص ٢٩٠، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٧/٢٤٩، والمحلى، ابن حزم ٩/١٧٦.

بسبب اختلاف الأحوال والظروف لكل واحد[١]، فلكل مقام مقال، فعلى الداعية أن يتعرف على نوعية المخاطبين ومشكلاتهم وقضاياهم، وأن يعالج كل قضية في دعوته بما يلائمها، وبذلك يجد الداعية في خطابه مدخلاً إلى نفوس المخاطبين[٢].

فإذا كان قال بفتوى، ثم وجد غيرها خيرًا منها، فعليه أن يرجع إلى الصواب، وهذا ما بينه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كتاب القضاء (ولا يمنعك قضاء قضيت به اليوم فراجعت فيه رأيك وهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق، فإن الحق قديم ولا يبطله شيء، ومراجعة الحق خير من التمادي فيه) قال ابن القيم: يريد أنك إذا اجتهدت في حكم ثم وقع لك مرة أخرى، فلا يمنعك الاجتهاد الأول من إعادته، فإن الاجتهاد قد يتغير، ولا يكون الاجتهاد الأول مانعًا من العمل بالثاني إذا ظهر أنه الحق، فإن الحق أولى بالإيثار؛ لأنه قديم سابق على الباطل، فإن كان الاجتهاد الأول قد سبق الثاني والثاني هو الحق، فهو أسبق من الاجتهاد الأول، لأنه قديم سابق على ما سواه، ولا يبطله وقوع الاجتهاد الأول على خلافه، بل الرجوع إليه أولى من التمادي على الاجتهاد الأول[٣]. فيجب على الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين في الإفتاء.

ثالثًا- من حقوق المدعو: مراجعة الداعية في فتواه لمعرفة عواقبها:

يظهر ذلك في مراجعة الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أمره بعدم ضرب النساء، وكذلك شكوى النساء من قسوة ضربهن عندما أباحه صلى الله عليه وسلم، فالإسلام كفل للمدعو الحق في مراجعة الداعية في فتواه لمعرفة عواقبها، وهذا كان حال الصحابة رضي الله عنهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خفي عليهم حكم، أو تضرروا من فتوى والشواهد على ذلك كثيرة، منها:

---

(١) انظر: من صفات الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين، د. فضل إلهي ص ١٦٢.

(٢) الدعوة إلى المضامين الحميدة في الحج، د. محمد بن إبراهيم بن سليمان الرومي، بحث ضمن مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ٥٥، ٢/٥٦٨.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص ٨٠.

قوله ﷺ: ((إذا التَقَى المُسلِمان بسَيْفَيْهما فالْقاتِلُ والمقتولُ في النار. فقلتُ: يا رسولَ اللّهِ هذا القاتِلُ، فما بالُ المقتول؟ قال: إنه كان حَريصًا على قتلِ صاحبه))[١].

وكذلك مراجعة سعد بن عبادة رضي الله عنه لرسول الله ﷺ لما نزل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗا﴾[٢]، قال سعد بن عبادة رضي الله عنه -وهو سيد الأنصار- هكذا أنزلت يا رسول الله[٣]، ومراجعة الصحابة لرسول الله ﷺ ليست لإنكار الفتوى، بل لمعرفة عواقبها وآثارها عليهم.

فيحق للمدعو مراجعة الداعية في فتواه، حتى يعرف عواقب هذه الفتوى، دون إنكار من الداعية على هذه المراجعة. ويشهد لذلك في حديث الباب، "لقد طاف بآل ببيت محمد نساء كثير يشكون أزواجهن، ليس أولئكم بخياركم" فهذه شكوى لرسول الله ﷺ ظهر منها طلب النظر في الفتوى التي صدرت من قبل، لأنه وقع عليهن ضرر جراء هذا الضرب.

---

(١) أخرجه البخاري ٣١، ٦٨٧٥، ٧٠٨٣، ومسلم ٢٨٨٨.

(٢) سورة النور، آية: ٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/١٥.

الحديث رقم (٢٨٠)

٢٨٠- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنَّ رَسُول اللهِ ﷺ، قَالَ: ((الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيرُ مَتَاعِهَا المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

متاع: المتاع: كل ما ينتفع به ويُرغب في اقتنائه، كالطعام، وأثاث البيت، والسلعة والأداة والمال، والمراد أنه ينتفع بها إلى وقت معلوم[2].

الشرح الأدبي

ما أجل النعم التي أنعم الله بها على الإنسان، وما أعظم المنن الإلهية، والعطاءات الربانية التي منحها الله لخلقه من الإنس والجان، في الدنيا والآخرة، ومتاع الدنيا متعدد ومتنوع، وهو يتجدد ويزداد كلما تقدم الزمن، وتطورت الاكتشافات، ولكن هذا المتاع مهما تكاثر، ومهما تنوع فهو قليل ضئيل أمام ما يدخره الله لعباده المؤمنين الذين شكروا الله على نعمه عليهم في الدنيا، والتي لا تعد ولا تحصى، قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾[3].

ومتاع الدنيا قد يلقي بالإنسان إلى التهلكة، وقد يأخذ بيده إلى طريق النجاة، وفي سورة آل عمران ينبه الخالق عز وجل عباده إلى أن يفطنوا للنعيم الأبقى في الدار الآخرة، وذلك بالتقوى والعمل الصالح في دنياهم، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[4].

---

(١) برقم (١٤٦٨/٦٤). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٥٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والوسيط في (م ت ع).

(٣) سورة النساء، آية: ٧٧.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٥.

والحديث الشريف يبدأ بهذه الجملة المشعة بكثير من التوجيهات والدلالات والإيحاءات: حيث يقول رسول الله ﷺ: "الدنيا متاع"، وكلمة متاع تحمل كل أنواع الزينة في الدنيا، من حب النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، والجذر اللغوي لهذه الكلمة يفيد الظهور والارتفاع والشدة، والجودة والرجحان، وكل ما سبق من أنواع الزينة يتضمن ذلك، ولكنه لا يكون مجديًا إلا إذا كان متلبسًا بالعمل الصالح: ففي اللغة يقولون: متع النهار متوعًا: أي ارتفع قبل الزوال، ومتع الضحى: أي بلغ آخر غايته، ويقولون: متع السراب: أي ارتفع، ومتع الحبل أي : اشتد، وقالت العرب والماتع: الطويل والجيد من كل شيء، والفاضل المرتفع من الموازين[١].

وفي ضوء هذه الدلالات لمادة "متع" ندرك القيمة البيانية والبلاغية لقول رسول الله ﷺ الدنيا متاع، ومجيء الجملة في إطار الثبات وهو اسميتها، يؤكد أن الدنيا مقترنة بهذا المتاع الذي يتعدد ويختلف من شخص لآخر، ومن زمن لآخر، ولكن هذا المتاع في أفضل صورة له هو المرأة الصالحة، ولذلك قدم رسول الله ﷺ خيرية المتاع على المرأة الصالحة، لأنه إذا وجدت المرأة وهي غير صالحة، كان المتاع فاقدًا لخيريته، وصلاحيته، فالمتاع الحلال كثير... وكله خير، ولكن أفضل متاع هو المرأة الصالحة.

---

(١) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، في (م ت ع).

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم النكاح في الإسلام، وقد اتفق الفقهاء[1] على أن النكاح تجرى عليه الأحكام التكليفية الخمسة: فهو واجب على من له شهوة النكاح ويخاف على نفسه الوقوع في الزنا، فيكون النكاح حينئذ عاصمًا له ومحصنًا له من ذلك، فإن كانت عنده الشهوة ولم يخف على نفسه الوقوع في الزنا، فهو في حقه سنة، فإن كانت الشهوة عنده ساكنة كان النكاح في حقه مباحًا، وإن كان يظن في نفسه عدم القدرة على الإنفاق أو الوطء، كان النكاح في حقه مكروهًا، وإن أيقن أنه عاجز عن الوطء ولا يستطيع تحصين امرأته، كان النكاح في حقه حرامًا.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الإخبار بحقيقة الدنيا.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الإخبار بحقيقة الدنيا:

ويظهر هذا في قوله ﷺ "الدنيا متاع" والدنيا في حقيقتها متاع زائل، وهذا ما أقره المولى تبارك وتعالى في كتابه قال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ

---

(١) انظر: في ذلك تفصيلاً: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٩٤/٢ وما بعدها، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٢٢٨/٢ وما بعدها، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٤٠٣/٣ وما بعدها، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٢١٤/٢ وما بعدها، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ١٠٧/٣ وما بعدها، وتحفة المحتاج ١٨٣/٧ وما بعدها، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٦/٥ وما بعدها، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي وما بعدها.

مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾[١].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: يقول تعالى موهنًا أمر الحياة الدنيا ومحقرًا لها (أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتكاثر في الأموال والأولاد). أي أنما حاصل أمرها عند أهلها هذا، كما قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾[٢].

ثم ضرب تعالى مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية ونعمة زائلة فقال: "كمثل غيث" وهو المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس، وقوله: "أعجب الكفار نباته" أي:يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث؛ وكما يعجب الزراع ذلك كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار، فإنهم أحرص شيء عليها. "ثم يهيج فتراه مصفرًا ثم يكون حطامًا" أي: يهيج الزرع فتراه مصفرًا بعد ما كان خضرًا نضرًا، ثم يكون بعد ذلك كله حطامًا، أي يصير يبسًا متحمطًا، هكذا الحياة الدنيا تكون أولاً شابة ثم تكتهل، ثم تكون عجوزًا شوهاء، والإنسان كذلك يكون شابًا في أول عمره طريًا ثم يصير عجوزًا ضعيفًا، ولماكان هذا المثل دالاً على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة هي الباقية والكائنة، حذر من أمرها، ورغب فيما فيها من الخير. فقال تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ فالدنيا هي متاع فانٍ غارٌ لمن ركن إليه، فإنه يغتر بها وتعجبه حتى يعتقد أنه لا دار سواها ولا معاد وراءها، وهي حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة[٣].

---

(١) سورة الحديد، آية: ٢٠.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٤.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٥/٨.

وفي هذا الحديث بيّن النبي ﷺ أن الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة، لأن كل متاع الدنيا سيفنى، إلا أن الزوجة الصالحة هي التي تعين زوجها على طاعة الله وتقواه، وهذا هو الذي سيبقى للإنسان بعد رحيله عن الدنيا.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

من أساليب الدعوة في هذا الحديث الترغيب وهذا في قوله ﷺ "الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة" الحديث.

فقد رغب رسول الله ﷺ في اختيار الزوجة الصالحة؛ لأنها تكون معينة للإنسان على طاعة الله وقد قال ﷺ ((لِيَتَّخِذْ أَحَدُكُمْ قَلْبًا شَاكِرًا، وَلِسَانًا ذَاكِرًا، وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً، تُعِينُ أَحَدَكُمْ عَلَى أَمْرِ الآخِرَةِ))[1].

وقد بيّن رسول الله ﷺ الخصال التي تنكح لأجلها المرأة فقال: ((تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا ، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ))[2].

قال ابن حجر: قوله "فاظفر بذات الدين" المعنى أن اللائق بذي الدين والمروءة، أن يكون الدين مطمع نظره في كل شيء، لا سيما فيما تطول صحبته، فأمره النبي ﷺ بتحصيل صاحبة الدين الذي هو غاية البغية[3].

ففي ذلك ترغيب في اختيار الزوجة الصالحة لأنها حسنة الدنيا؛ فينبغي على الداعية ترغيب المدعوين في اختيار الزوجة الصالحة، فهي رفيقه الحياة وأم الأولاد، وصلاحها يكون فيه إعانة على صلاح المجتمع.

ثالثًا- من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

وهذا يظهر في بيانه ﷺ لحقيقة الدنيا وأنها متاع زائل وفان، وخير ما فيه الزوجة الصالحة؛ والداعية ناصح أمين للمدعوين، فيجب عليه أن يبيّن الحقيقة للمدعوين كاملة، وذلك لأن الداعية قدوته في دعوته رسول الله ﷺ وقد قام رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه ابن ماجه ١٨٥٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٥٠٥).

(٢) أخرجه البخاري ٥٠٩٠، ومسلم ١٤٦٦.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٨/٩.

ببيان الحقائق والتي من جملتها أن الدنيا متاع زائل، ولكن خير هذا المتاع، تلك الزوجة الصالحة ذات الدين التي تعين زوجها على التقوى والطاعة، وتذكره بآخرته وبأهمية العمل لها، وهذا من أهم ما ينبغي أن تتوجه إليه همّة المسلم في هذه الحياة؛ فينبغي على الداعية أن يركز على بيان هذه المعاني وغيرها، مما يجدر بيانه من حقائق للمدعوين.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

المرأة في الإسلام مخلوق ضعيف لطيف، والتعامل معها يكون على أساس من الرفق واللين في القول والفعل. ويشبه الرسول ﷺ المرأة بضلع أعوج صلب، إن حرص الإنسان على استقامته كرهاً كسره، وإن تركه لم يزل على عوجه، فكأن الوسطية مطلوبة.

وقد لفت الرسول ﷺ الانتباه إلى لمسة طيبة حين نهى عن ضرب المرأة على عجل وطلبها بعد الضرب في غير وجل، وكلاهما لا ينهض به كريم، لأن الضرب فيه إذلال وامتهان للكرامة، وما أكرم النساء إلا كريم.

وعلينا أن نربي أولادنا على أن المرأة مخلوق مثل الرجل ومشاركة له في النفس الواحدة، وتحكيم العقل لا يتعارض مع الشرع، فمن استباح ضرب المرأة لأدنى سبب، هل يقبل هذا بحق ابنته أو أخته أو أمه، فضلاً عن ذي القرابة القريبة. ومن وسائل التربية في الباب:

أولاً- التربية بالوصية:

تعد التربية بالوصية من أهم أنواع التربية، وذلك عند الحاجة إلى نمط سلوكي معين في التعامل، وهذا ما يحتاجه المربي عند التعامل مع المرأة، لاسيما الرجل مع زوجته، وتلك العلاقة الحميمة بينهما والتي تحتاج إلى نوع من المرونة واللطف، واستصحاب الطبيعة المعوجة للمرأة وتغير مزاجها وتنكرها في بعض الأحيان لحسن عشرة زوجها، ولقد بين النبي ﷺ ذلك الجانب في أحاديث الباب. ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اسْتَوْصُوا بالنسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ أَعْوَجَ»، وفي الصحيحين: «المرأةُ كالضِّلَع: إن أقمتَها كَسَرتَها، وإن استمتعتَ بها استمتعتَ بها وفيها عِوَج». وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً»، وقوله ﷺ في حجة الوداع: «.. واسْتَوْصُوا بالنسَاءِ خَيْرًا...».

فهذه إشارة تربوية من النبي ﷺ إلى مراعاة أن هذه امرأة ضعيفة فينبغي مراعاة ذلك عند وعظها، ولذلك كرر في الحديث الحث على ذلك، والتأكيد على التوجيه برحمة ورفق، ولذلك ينبغي مداراتها، وفي هذا التوجيه النبوي نكتة تربوية هامة، وهي

معرفة المربي لطبيعة من أراد تقويمه وتهذيبه في مهمته التربوية، ولذلك راعت العملية التربوية ذلك لكي تعتمد على سلامة تلك العناصر، وقيامها على أسس صحيحة، وإلا فإنها لن تحقق الغرض المنشود لأن هناك توجيهات تصلح للرجال دون النساء، فإن من لم يراع ذلك يخفق في العملية التربوية»[١].

لذلك كانت الوصية بالمرأة مناسبًا لحالها؛ لما للوصية من وقع في النفس أشد من وقوع الموعظة لأن الوصية تشبه العهد الذي يؤخذ على الإقرار فهذا أسلوب تربوي ناجح[٢].

ثانيًا- التربية بالعقوبة:

التربية بالعقوبة أسلوب تربوي هام من أساليب التربية الإسلامية لأن العقوبة شرعت رحمة من الله تعالى بعباده فهي صادرة عن رحمة الخلق وإرادة الإحسان إليهم لأن الهدف الذي يجب أن توجه إليه العقوبة هو إصلاح المتربي وتقويم سلوكه، لذلك جاءت التوجيهات النبوية متضمنة هذه الأساليب التربوية العقوبية لكن بالتدرج، ولذلك قال ﷺ: «إلاَّ أَنَّ يَـأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَـةٍ فَـإِنْ فَعَلْـنَ فَـاهجُرُوهُنَّ فِي المضَاجِعِ ...» وقال: «ولا تضربوا إماء الله ...». فالرسول ﷺ استخدم هذا الأسلوب كوسيلة من وسائل التربية الإسلامية لتقويم أخلاق الزوج مع زوجته وتعديل السلوك وإصلاح النفس وأنه لم يكن القصد منها الانتقام والتنكيل وإشفاء الغيظ، وهذا الحديث دليل على مشروعية التربية بالعقوبة عن طريق الهجر للزوجة التي بدا منها تقصير في جانب من جوانب الدين ومقاطعتها وترك السلام عليها، وهذا يكون الرسول ﷺ قد أرسى قواعد التربية بالعقوبة كأسلوب تربوي لتقويم الخطأ واستقامة السلوك، لكن نتعلم من هذا الهدي النبوي أن المربي لا يعمد إلى أسلوب العقوبة إلا إذا لم تؤثر الأساليب التربوية الأخرى لأن ذلك مُضر به، وله آثار تربوية خطيرة، كما نتعلم منه أن أساليب العقوبة التربوية تتنوع

---

(١) أصول التربية الإسلامية، الحازمي ص ٢٦٠، ٢٧٠.

(٢) رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، الحمد ص ٧٠. أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، العاني، ٢٧٤. تربية الأبناء والبنات في ضوء الكتاب والسنة، خالد العك ص١١١.

وتتدرج حسب كل حالة معاقبة[١].

ثالثًا- التربية بالترغيب:

من أهم أساليب التربية الإسلامية التربية بالترغيب لما فيه من تحبب وإغراء بمصلحة أو لذة أو منفعة آجلة ومؤكدة خيرة خالصة، ولقد اهتم الهدي النبوي بإبراز هذا الأسلوب واعتبره من أكبر الأساليب تأثيرًا على شخصية المسلم، فقال ﷺ مرغبًا في اقتناء المرأة الصالحة: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة...» فهذا هدي نبوي يربي فينا الترغيب في اختيار المرأة الصالحة لأنها ركن من أركان السعادة وعون للزوج على طاعة ربه، باعتبارها من طيبات الدنيا، وأنها سبب في القيام بالعمل الصالح، فالتربية الإسلامية متمثلة في التربية بالترغيب تدل على أن الإسلام دين شامل ليس دين عبادة فقط، بدليل أنه اعتنى بحياة الإنسان في المجتمع وداخل أسرته متمثلة في الحديث الذي معنا، ومن هذا الحديث نتعلم أن التربية الترغيبية هي الأساس والعنصر الذي يقوم عليه الإصلاح الإسلامي في الأسرة، لما لها من أسلوب رائع يساعد على نشر المحبة بين الزوجين، ولما لها من شأن في تحقيق التوازن بين الحياتين الدنيا والآخرة، وهذا ما أراد إبرازه النبي ﷺ عندما قال: "الدنيا متاع..."، من هنا نتربى ونتعلم أن التربية الإسلامية متمثلة في الترغيب ساعدت على بلوغ أهداف التربية الإسلامية[٢].



---

(١) أساليب التربية والدعوة، د. زياد العاني ص ٧٠، وأصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٣٢١، وتربية الأولاد في الإسلام ص ١٥٩، وأصول التربية الإسلامية، د. أمين أبولاوي ص ٢٠٤.

(٢) تربية الأبناء والبنات في ضوء الكتاب والسنة، عبدالرحمن العك ص ١٨٦. أصول التربية الإسلامية، د. محمد عزب ص ٢٠٣.

٣٥- باب حق الزوج على المرأة

قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّه﴾[النساء: ٣٤].

وأما الأحاديث فمنها: حديث عمرو بن الأحوص السابق في الباب قبله[(١)].

الحديث رقم (٢٨١)

٢٨١- وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امرَأتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَلَمْ تَأتِهِ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعَنَتْهَا المَلائِكَةُ حَتَّى تُصْبحَ**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[(٢)].

وفي رواية لهما[(٣)]: ((**إِذَا بَاتَت المَرأةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا، لَعَنَتْهَا المَلائِكَةُ حَتَّى تُصْبحَ**)).

وفي رواية[(٤)]: قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَتَأبَى عَلَيهِ إلاَّ كَانَ الَّذِي في السَّمَاءِ سَاخِطاً عَلَيْهَا، حَتَّى يَرْضَى عَنها**)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

دعا امرأته إلى فراشة: طلب إليها الجماع[(٥)].

---

(١) تقدم برقم (٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٣٧)، ومسلم (١٤٣٦/١٢٢) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٢٩٠٧). وسيكرره المؤلف برقم (١٧٥١).

(٣) أخرجه البخاري (٥١٩٤)، ومسلم (١٤٣٦/١٢٠) واللفظ له. أوردها المنذري في ترغيبه (٢٩٠٧).

(٤) أخرجها مسلم (١٤٣٦/١٢١). أوردها المنذري في ترغيبه (٢٩٠٧).

(٥) اللسان والوسيط في (ف ر ش).

الشرح الأدبي

إن صلاح أحوال الناس لا تتم صورته المثلى إلا في ظل التمسك بشرع الله عز وجل، والالتزام بما أمر الله به، وإلا فسدت الأمور، واختلت الموازين، والعلاقة بين الرجل وزوجته في ظل التعاليم الشرعية تظل قوية متماسكة، لا يتسرب إليها الملل، ولا يزلزل قواعدها الشك والقنوط، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾[1].

وفي ضوء هذا المنهج الإسلامي نقرأ هذا الحديث الشريف، ونتأمل أسراره، ونستبطن معانيه، ونستجلي أنواره، والحديث غايته سديدة، ومقاصده عديدة، حيث يحرص رسول الله ﷺ على حسن العشرة، وطيب المعاملة بين الرجل وزوجته، حتى في أدق الأمور، وأخفى الأسرار، ويرسي منهجًا سويًا، وهو طاعة الزوجة لزوجها إلا فيما حرم الله، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ومن أمارات هذه الطاعة أن تلبي رغبته في قضاء وطره، وأن تستجيب له حينما يرغب في ذلك وهي لا يمنعها عذر شرعي.

والحديث في بنائه اللغوي: يتكون من جملة واحدة وهى جملة شرطية، ولكنها مفحمة بأسرار تعبيرية، وقيم جمالية تجلي المعنى، وتعلن عن المقصد الأسنى من هذه الرسالة النبوية، التي تنير الطريق لكل زوجة صالحة والتي صورها رسول الله ﷺ في الحديث السابق: بأنها خير متاع الدنيا.

وأداة الشرط هنا: "إذا" وهى للتحقق، لأن المعاشرة الزوجية متحققة في الواقع، وواجبة شرعًا، فالهجر في المضاجع لا يكون إلا في حالة النشوز، ويقول رسول الله ﷺ: ((وفي بضع أحدكم صدقة))[2]، ويدعو رسول الله ﷺ أمته إلى الزواج والإنجاب.

---

(١) سورة النحل، آية: ٧٢.

(٢) أخرجه مسلم ١٠٠٦.

فالتعبير بـ"إذا" في الحديث الشريف يعلن عن مقاصد وأهداف كثيرة، ولو عبر بإن، لكان التعبير غير بليغ، والتعبير بالفعل "دعا"، وهو فعل الشرط، فيه إيحاء بالأنس والترغيب بعيدًا عن الإكراه والإجبار، لأن المعاشرة لا تؤتي ثمرتها إلا بالرغبة والسكن والمودة والرحمة، والمحبة والملاطفة، كما أوصى رسول الله ﷺ، وإضافة المرأة إلى الضمير العائد على الرجل، يرشد إلى أن الرجل لا يدعو أي امرأة، ولكن لابد أن تكون زوجته، فغيرها محرم عليه، فضمير الغائب، في "امرأته"، يقيد الدعوى ويُحض الطلب، ويجعله منحصرًا في الزوجة وليس غيرها، وقوله: إلى فراشه، كناية عن المعاشرة الزوجية، وهي كلمة تُغني عن الجماع، وعما يستحي من التصريح به، وذلك أمر فاش في الكتاب والسنة، وهي من سمات البلاغة النبوية، وهى من أبدع المسالك البيانية. والطرق الأسلوبية، التي يعبر بها المنشئ عن المعنى تعبيرًا مظلاً هادفًا موجزًا، يخفي تحته لطائف مراده، وقد عرفها العلماء بقولهم، لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه[1]. وفي كلمة "فراشه"، إيحاء بأن على الزوج إعداد فراش الزوجية.

والعطف بالفاء في قوله: "فلم تأته" يوحي بالإسراع في النفور والتمنع من الزوجة، وكذلك العطف بالفاء في قوله: "فبات غضبان عليها" يوحي بالغضب السريع المترتب على ذلك التمنع والتأبي من الزوجة، ولكن إذا لم يغضب الزوج، نظرًا لأن الزوجة لديها عذرٌ، أو أنه تسامح وتحمل، فالزوجة لا تكون عرضة للعقاب ولا للعن الملائكة، أما إذا غضب الزوج، ولم يكن للزوجة عذر أو مانع شرعي، فإنها تستحق العقاب، وهو أن تلعنها الملائكة حتى تصبح، واللعن هو: الطرد والإبعاد عن رحمة الله، وقوله "حتى تصبح" إشارة إلى أن هذا اللعن مقيد بغضب الزوج، فإذا رضي الزوج نجت المرأة ونجا معها زوجها.

---

(١) انظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، د. عز الدين السيد ص ١٦٦.

فقه الحديث

إن من أهم مقاصد النكاح الاستمتاع بين الزوجين، ولذا يجب على المرأة إذا دعاها زوجها إلى فراشه، أن تلبي طلبه ولا تمانع في ذلك بدون عذر، وإلا كانت ناشزًا.

وقد اتفق الفقهاء[1] على انه يجب على المرأة أن تمكن زوجها من نفسها متى طلبها ولم يكن ثمة مانع شرعي عندها مهما كانت الظروف والأحوال، فإن امتنعت كانت ناشزًا وجاز له تأديبها بما يراه مصلحًا لها.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من أساليب الدعوة: الكناية، والقصر، والشرط.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: وجوب طاعة الزوجة لزوجها ما لم يأمرها بمعصية.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

رابعًا: من أصناف المدعوين: النساء.

خامسًا: من صفات الداعية: دلالة المدعوين إلى ما ينفعهم.

سادسًا: من واجبات المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ.

أولاً- من أساليب الدعوة: الكناية، والقصر، والشرط:

ورد أسلوب الكناية في الحديث من قوله ﷺ "إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه"، وقوله ﷺ: "إذا دعا الرجل زوجته لحاجته..." وهو كناية عن الجماع.

وذلك من جميل وعظيم آداب الإسلام، قال النووي: (والمستحب في مثل هذا، الكناية عن قبيح الأسماء، واستعمال المجاز والألفاظ التي تحصل الغرض...، وبهذا

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٨٤/٣، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٢٣١/٢، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ١١/٤، وشرح منح الجليل ٢٧٩/٣، ونهاية المحتاج ٣٣٩/٤، ومغني المحتاج ٣٠٩/٦، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٦٧٥/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٠٥/٥.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ٢٨١ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٢٨٢، ٢٨٤).

الأدب جاء القرآن العزيز والسنن كقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[١]. ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾[٢]. ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾[٣]. وقد يستعمل صريح الاسم لمصلحة راجحة، وهي إزالة اللبس أو الاشتراك أو نفي المجاز أو نحو ذلك كقوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾[٤]. وكقوله ﷺ: «أنِكْتَهَا»[٥]. وكقوله ﷺ: «أدْبَرَ الشيطانُ ولهُ ضُراط»[٦]... إلخ"[٧].

فعلى الداعية أن يُكنى في ألفاظه عن قبيح الأسماء، إن لم يكن هناك مصلحة للتصريح بها.

وأما القصر كأسلوب دعوي فقد ورد في الحديث في قوله ﷺ: "لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه... ولا تأذن في بيته إلا بإذنه" والقصر في الحديث الوارد يفيد تخصيص صيام التطوع للزوجة على إذن زوجها، وتخصيص دخول بيت الزوج على إذنه، وهو من الأساليب الدعوية التي بها لفت انتباه المدعوين على أهمية الأمر المدعو إليه، والحرص على القيام به.

أما أسلوب الشرط فهو من الأساليب الدعوية التي تستحضر أذهان المدعوين لمعرفة جواب الشرط، وقد اشتمل هذا الأسلوب في الحديث على أداة للشرط المتمثلة في قوله ﷺ: "إذا" ومن فعل الشرط في قوله ﷺ: "دعا" ومن جواب الشرط في قوله ﷺ: "فلتأته وإن كانت على التنور"، وقد أفاد وجوب طاعة الزوجة لزوجها إذا دعاها إلى فراشه.

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

(٢) سورة النساء، آية: ٢١.

(٣) سورة البقرة آية: ٢٢٢.

(٤) سورة النور، آية: ٢.

(٥) أخرجه البخاري ٦٨٢٤، ومسلم ١٦٩٣.

(٦) أخرجه البخاري ٦٠٨، ومسلم ٣٨٨.

(٧) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٣.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: وجوب طاعة الزوجة لزوجها ما لم يأمرها بمعصية:

هذا ما يستفاد من سياق الأحاديث الشريفة، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بوجوب طاعة الزوجة لزوجها فقال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾[(١)] يعني: (أمراء، فعليها أن تطيعه فيما أمرها به من طاعة، وطاعته: أن تكون محسنة إلى أهله حافظة لماله)[(٢)]، وقال تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾[(٣)] أي: (مطيعات لأزواجهن حتى في الغيب تحفظ بعلها بنفسها، وماله)[(٤)]، وفي بيان وجوب طاعة الزوجة لزوجها وعظم حقه عليها قال ﷺ ((لَوْ كُنْتُ آمرًا أحَدًا أنْ يَسْجُدَ لأحَدٍ، لأمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا))[(٥)].

قال المباركفوري: (قوله ﷺ: "لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها" أي لكثرة حقوقه عليها وعجزها عن القيام بشكرها. وفي هذا غاية المبالغة لوجوب إطاعة المرأة في حق زوجها فإن السجدة لا تحل لغير الله"[(٦)]. وقال ﷺ ((لَوْ تَعْلَمُ المَرْأَةُ حَقَّ الزَّوْجِ مَا قَعَدَتْ مَا حَضَرَ غَدَاؤُهُ وَعَشَاؤُهُ حَتَّى يَفْرَغَ))[(٧)]، وبيَّن النبي ﷺ أن طاعته سبب في دخول الجنة فقال: ((إذَا صَلَّتِ المَرْأَةُ خَمْسَها، وصَامَتْ شَهْرَهَا، وحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وأَطَاعَتْ زَوْجَهَا دَخَلتِ الجنَّةَ))[(٨)]، ثم رهب النبي ﷺ من مخالفة طاعته فقال ﷺ ((ثلاثةٌ لاَ

---

(١) سورة النساء، آية: ٣٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/٢٩٣.

(٣) سورة النساء، آية: ٣٤.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٤٢.

(٥) أخرجه الترمذي ١١٥٩، وقال الألباني: حديث حسن (صحيح سنن الترمذي ٩٢٦)

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ١/١١٨٣.

(٧) أخرجه البزار في مسنده ٢٦٦٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥١٣٥.

(٨) أخرجه البزار كما في كشف الأستار للهيثمي ١٤٦٣، وقال الألباني حديث حسن في آداب الزفاف ص ٢١٤.

تُجاوِزُ صلاتُهمْ آذانَهُمْ: ثم ذكر منهم وامرأةٌ باتتْ وزوجُهَا عليها ساخِطٌ))[(١)].

وقد بين النبي ﷺ أنه لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد (أي حاضر) إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه، وذلك لبيان أهمية طاعة الزوجة لزوجها، حتى في أمور النوافل، مثل: صوم التطوع فلم يُحلّ النبي ﷺ للزوجة أن تصوم التطوع إلا بإذن زوجها طالما أنه حاضر في بيته أو في بلدته، وليس مسافراً وكذلك لا يحل للزوجة أن تأذن لأحد بدخول البيت إلا بإذن زوجها وهذا مما أوجبه الإسلام من طاعة الزوجة لزوجها.

وقد بين النبي ﷺ أن وجوب هذه الطاعة تكون ما لم يأمرها بمعصية وفي ذلك قال ﷺ ((لاَ طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللّهِ . إنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ))[(٢)] وفي ذلك بيان على عظم حق الزوج على زوجته وعلى وجوب طاعته.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

قد ورد هذا الأسلوب الدعوي المهم في الحديث من قوله ﷺ "لعنتها الملائكة حتى تصبح" وفي رواية "إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها". (والترهيب ركيزة من ركائز الإيمان، ولازمة من لوازمه: فالإيمان يقتضي الخوف، لذا قيده الله تعالى بالإيمان في قوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[(٣)]، فجعل الخوف -الرهبة- شرطًا في تحقيق الإيمان، فإذا تحقق الشرط -وهو الخوف- حقق المشروط- وهو الإيمان)[(٤)]، (والترهيب من أبرز أساليب المنهج العاطفي: فهو يغوص في النفس الإنسانية ويخاطب فيها العاطفة والوجدان، ويهيج فيها عنصر الخوف، ومتى وجد الخوف في القلوب والنفوس، قطع دابر الشهوات واللذات .... فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح، ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة)[(٥)].

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٦٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٩٥).

(٢) أخرجه مسلم ١٨٤٠.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٧٥.

(٤) انظر: طريق الهجرتين، ابن القيم.

(٥) إحياء علوم الدين، الغزالي، ٤/١٥٦.

رابعًا- من أصناف المدعوين: النساء:

هذا ما يستفاد من سياق الأحاديث الواردة، وقد اهتم الإسلام بالنساء اهتمامًا عظيمًا، وذلك لما تحظى به من دور عظيم واحترام عال في الشريعة، سواء كانت بنتًا أو زوجة أو أمًا، وهن المؤثرات على الأزواج والمحارم، وبالتالي فإن العناية بالمرأة هي عناية بالدعوة ذاتها. ويكفي القول بأن أول من آمن بالنبي ﷺ من النساء هي "خديجة ﵂، فالزوجات هن المؤثرات على الأزواج والراعيات للأطفال، ولذا فإن خطاب النبي ﷺ للنساء في هذه الأحاديث الشريفة لبيان حقوق الأزواج على الزوجات، ولحث الزوجة على أهمية القيام بحق زوجها وطاعته، والحذر من معصيته أو مخالفته طالما كان مطيعًا لله تعالى، يخاف الله فيها، لذا أمر النبي ﷺ الزوجة بحسن التبعل لزوجها وطاعته ومراقبة الله تعالى فيه[1].

خامسًا- من صفات الداعية: دلالة المدعوين إلى ما ينفعهم:

هذا ما يستفاد من جملة الأحاديث في حرصه ﷺ على دلالة المدعوين إلى ما فيه خير لهم، وفي ذلك قال ﷺ: ((إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد نارًا، فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه، فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقحمون فيه))[2]. وقد حث النبي ﷺ على ذلك فقال: ((من دل على خير فله مثل أجر فاعله))[3]. قال النووي: (فيه فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله)[4]، فعلى الداعية أن يحرص على دلالة المدعوين إلى ما ينفعهم، لما في ذلك من عظيم الفائدة وجزيل الثواب، وفي هذه الأحاديث يرشد النبي ﷺ النساء إلى ما يحقق بذلك لهن الأجر والمثوبة عند الله تعالى، وذلك من خلال بيانه ﷺ لحقوق الزوج على الزوجة، وأهمية القيام بذلك لنيل رضوان الله تعالى.

---

(١) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٧٣.

(٢) أخرجه البخاري ٢٤٢٦، ومسلم ٢٢٨٤.

(٣) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٥.

سادسًا- من واجبات المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ:

هذا ما يستفاد من سياق الأحاديث الواردة، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ﴾(١) وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾(٢)، قال ابن كثير: (فهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء، فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد هاهنا، ولا رأي ولا قول، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾(٣)،(٤).

فعلى الزوجة المؤمنة أن تستجيب لأوامر الله عز وجل ورسوله ﷺ في طاعتها لزوجها، وقيامها بحقوقه عليها، ومراقبتها لله تعالى فيه، رغبة في رضوانه سبحانه.

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٠.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

(٣) سورة النساء، آية: ٦٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٤٢٣.

الحديث رقم (٢٨٢)

٢٨٢- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه أيضًا: أنَّ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((**لاَ يَحِلُّ لامْرَأةٍ أنْ تَصُومَ وزَوْجُهَا شَاهدٌ إلاَّ بإذْنِهِ، وَلاَ تَأذَنَ فِي بَيْتِهِ إلاَّ بإذنِهِ**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1]، وهذا لفظ البخاري.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

شاهد: حاضر[2].

الشرح الأدبي

من حق الزوج على المرأة أن تصون بيته، وتحفظ ماله، وتكتم أسراره، وأن لا تدخل داره إلا من رغب ورضي له الدخول، وكذلك للمرأة حقوق على زوجها.. وهي كثيرة وفي مقدمتها الإنفاق، والحماية، والعشرة الحسنة، والمعاملة الطيبة، والاختيار الصالح حيث تُخْتار المرأة لكثير من المزايا والمقومات، ولكن الدين في أعلى قائمة هذه الاختيارات: الجمال، والحسب، والنسب، والمال، ولكن وصية رسول الله الآمرة المرغبة تقول: "فاظفر بذات الدين تربت يداك"[3].

وهذا الحديث يعد ثمرة من ثمار هذا الاختيار الراشد، حيث يبين ما ينبغي أن تكون عليه معاشرة الزوجة لزوجها، فلا يحل لها أن تصوم نفلاً وهو حاضر إلا بإذنه، فقد يتضرر بهذا الصوم، ويفوت عليه بعض مقاصده، ولمنزله حرمة لا تنتهك، فلا يجوز

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٩٥) واللفظ له، ومسلم (١٠٢٤/٨١). أورده المنذري في ترغيبه (٢٩٠٠). وسيكرره المؤلف برقم (١٧٥٢).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش هـ د).

(٣) أخرجه البخاري ٥٠٩٠.

لها أن تدخل فيه أحدًا أيا كان، وهو حاضر أو غائب إلا بإذنه، فقد يغار على زوجته من الأجنبي، وقد يكون في بيته من القصور والعيوب ما يحرص على إخفائه، ولا يحب أن يراه أقرب الأقربين، والزوجة راعية في مال زوجها، مسؤولة عنه أمام الله، فلا تنفق شيئًا منه إلا بإذنه، فإن أنفقت من غير إذنه الخاص بعد حصول إذنه العام وهي تعلم رضاه فلها أجر بقصدها الخير، وفعلها له، ولزوجها أجر مثله باكتسابه هذا المال لا ينقص بعضهم أجر الآخر شيئاً[(١)].

والحديث في بنائه اللغوي في هذه الرواية يتكون من جملتين فعليتين، وهاتان الجملتان تؤكد صياغتهما التشدد في حفظ حق الزوج، حيث صيغت الجملة الأولى في أسلوب القصر عن طريق النفي بـ"إلا" والاستثناء، وفي هذا القصر إيحاء بأن حق الزوج لابد أن يصان وأن يقدم على النوافل، والطاعات التي لا تجب عليها، فلو صامت الزوجة بغير إذن زوجها صح الصوم وأثمت، وأمر قبوله إلى الله، كما قال العلماء، وقيل في علة النهي عن الصوم والزوج حاضر إلا بإذنه: لأن من حقه الاستمتاع بها في كل وقت، ولا يبعد أن يكون النهي لما للزوج من حقوق كالتمتع وغيره.

وأما الجملة الثانية: فهي "ولا تأذن في بيته إلا بإذنه"، فهي كذلك في صيغة القصر عن طريق النفي والاستثناء، فالجملتان تحصنان حق الزوج بهذه الصيغة اللغوية، وذلك الأسلوب النبوي الذي يفصح مبناه عن معناه، وفي الجملة الثانية إيجاز بالحذف، فالفعل "تأذن" معطوف على "تصوم" وهو داخل في حيز نفى الحل، والتقدير، ولا يحل لها أن تأذن، والمأذون به محذوف للإيجاز والتعميم، والتقدير أن تأذن في دخول أحد إلى بيته.

---

(١) انظر: المنهل العذب الفرات، د. عبد العال أحمد عبد العال، ج٥، حديث رقم ٢٤٤.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين فقهيين:

الأول: حكم صوم المرأة المتزوجة تطوعًا، وقد اتفق الفقهاء[١] على أنه يجوز للمرأة أن تصوم تطوعًا في أي وقت كالرجل، إلا أنه لا يجوز للمرأة المتزوجة أن تصوم صوم تطوع وزوجها حاضر مراعاة لحقه إلا أن يأذن لها في ذلك، فإن أذن لها في الصوم كان لها أن تصوم، ولو صامت بدون إذنه صح صومها مع الحرمة، ولا تحتاج المرأة إلى إذن زوجها إذا كان غائبًا أو مريضًا أو محرمًا بحج أو عمرة، ويجوز للزوج إذا صامت زوجته تطوعًا بدون إذنه أن يأمرها بالإفطار، وخص المالكية الجواز هنا بالجماع فقط؛ لأن احتياجه إليها الموجب لتفطيرها إنما هو من جهة الوطء فقط.

الثاني: حكم الإذن في البيت، وقد ذكر الفقهاء[٢] أنه يجب على الزوجة استئذان زوجها إن أرادت أن تدخل إليه من تعلم أن زوجها يكره دخوله، ولا يجوز لها أن تأذن في بيت زوجها وهو شاهد إلا بإذنه ما لم تكن هناك ضرورة، لأنه لا يفتات على مالكي البيوت بغير إذنهم.

المضامين الدعوية[٣]

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ١٠٧/٢، والمدونة لمالك ٢٧٩/١، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٦٧/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٤٥/٦، والغرر البهية في شرح البهجة الوردية، القاضي أبو يحيى الأنصاري ٣٨٥/٤، وتحفة المحتاج ٤٦١/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٤٩/٢، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٥٠٠/١ وما بعدها، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٩٩/٢٨.

(٢) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٤٢/٤، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٩٦/٩، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٥/٧، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٤٢/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٨٨/٥، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٢٨٨/٥، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ٢٥١/٦، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٥٢/٢ وما بعدها، ٢٣٠/٨.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٢٨٣)

٢٨٣-وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: ((كلكم راعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: وَالأَمِيرُ رَاعٍ، والرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى اهْلِ بَيْتِهِ، وَالمَرْأةُ رَاعِيةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجها وَوَلَدِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[١].

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

إن الخطاب النبوي في هذا الحديث الشريف موجه إلى الأمة كلها... حيث جعل رسول الله ﷺ أبناء الدين الإسلامي شركاء في تحمل التبعات والمسؤوليات العامة، كل واحد فيما أعده الله له، فالعلماء مسؤولون عن التوجيه والإرشاد، وتثقيف المسلمين بأحكام الدين، وإنارة العقول بتعريفها ما لها من حقوق، وما عليها من واجبات، ورجال الشرطة مسؤولون عن استتباب الأمن والمحافظة على الأرواح والأموال، ورجال الجيش مسؤولون عن الدفاع وحماية البلاد والحدود والثغور، والحكام مسؤولون عن توفير العدالة والطمأنينة بين الناس، والأغنياء مسؤولون عن إسعاد الفقراء وكفايتهم المؤنة والحاجة بدافع من الإسلام وكمال الإيمان.

والحديث - كما يقول د. عبدالعال أحمد عبدالعال- من أبرز ما يصور مبدأ التكافل الاجتماعي في الإسلام[٢].

ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في الحديث الشريف: حيث تفصح المباني عن المعاني، وتبوح الأساليب والتراكيب بكثير من الدلالات والمقاصد التي يرمي إليها الحديث الشريف.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٠٠) واللفظ له، ومسلم (١٨٢٩/٢٠). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٧٥). وسيكرره المؤلف برقم (٣٠٠)، و (٦٥٣).

(٢) انظر: المنهل العذب الفرات في شرح الأحاديث الأمهات، د. عبدالعال أحمد عبدالعال، ج٣ حديث رقم ١٨٨.

فالراعي: كل من ولي أمر قوم، وهو مستعار من مستلزمات البيئة، حيث لا نجد أشد من حرص الراعي على غنمه وماشيته، فهو يحفظها من التلف والسرقة، ويحرص على إشباعها وأمنها[١]، فالرعية في اللغة: الماشية الراعية والمرعية، وفي الحديث تتطور الدلالة وتتعدد: فالراعي: كما يقول صاحب دليل الفالحين: هو: الحافظ المؤتمن الملتزم بصلاح ما أؤتمن على حفظه، فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه، وقد صيغ الحديث كله في إطار الأسلوب الخبري، وجاءت جمله كلها اسمية لا ترتبط بزمن دون آخر، ولا تتقطع أحداثها، ولا تؤطر في زمن محدد، للدلالة على ثبات هذه القواعد التي أرسى دعائمها الرسول الكريم ﷺ، فالمسؤولية ثابتة ومؤكدة، وهي تتنوع حسب المسؤول والراعي.

ولذلك تكرر لفظ "راع" وهو بصيغة اسم الفاعل: أربع مرات في صيغة المذكر، ومرة في صيغة المؤنث، للتأكيد على شرعية هذه المسؤولية، التي تنبع من حرص الإسلام وحرص رسول الله ﷺ على صورة المجتمع المثلى في ظل القيم والمبادئ الإسلامية؛ ويكرر المصطفى ﷺ جملة البدء "كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته" في ختام الحديث لمزيد من التأكيد والتذكير بعدم التفريط في هذه المسؤولية، وذلك من باب رد العجز على الصدر، إيحاءً بترسيخ هذه القاعدة الثابتة في المنهج الإسلامي.

وفي الحديث: تفصيل بعد الإجمال، وإجمال بعد التفصيل، وهذا من أسرار البيان النبوي الذي يجنح للإفهام والبيان، والتوجيه والإرشاد، في منطق محكم، وبيان جامع، والتفصيل يتمثل في تعدد أوجه المسؤولية والرعاية، فالأمير راعٍ، والرجل راعٍ على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده؛ يقول الخطابي: فرعاية الإمام الأعظم رعايته الشريعة، بإقامة حدودها والعدل في الحكم، ورعاية الرجل أهله، سياسته لأمرهم وإيصال حقوقهم، ورعاية المرأة: تدبيرها لأمر البيت والأولاد والخدم والنصيحة

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٨٧.

للزوج، والرجل يرعى جوارحه وفؤاده وحواسه، فيعمل المأمورات ويجتنب المنهيات: فهو راع على جوارحه.

فقه الحديث

يعد هذا الحديث جامعًا لأنواع المسئولية عند الإنسان في كل أعماله، فهو كرجل مسئول عن أسرته وأولاده، وكعامل مسئول عن عمله، والحاكم مسئول عن الأمة، والمرأة مسئولة عن بيتها وأولادها بتربيتهم على الخلق الكريم، وأن تحافظ على ما لزوجها وولده وترعاه بما هو مطلوب منها شرعًا، فالكل راع ومسئول عن رعيته.

وقد اتفق الفقهاء[١] على أن الرجل مسئول عن زوجته وأولاده ومواليه، بأن ينفق عليهم ويتعاهدهم بما يصلحهم من مأكل ومشرب وملبس، وكذا على المرأة والرجل تعليم أولادهم أمور دينهم ودنياهم.

كما اتفقوا[٢] على أن الإمام مسئول عن الأمة، فكما تجب له الطاعة من الرعية يجب عليه المراعاة لمصالحهم وتعهدها، والحكم بينهم بالعدل.

---

(١) المبسوط للسرخسي ١٨٠/٥، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ١٥/٤، ومجمع الأنهر ٤٨٤/١، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٥٠/٣، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، محمد المواق ١٨١/٤، وشرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي بن يوسف الزرقاني ٢٤٤/٤، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٤٧٨/٣، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥١/١، وروضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٣/٨، والتهذيب ٣٢٠/٦، والعزيز شرح الوجيز ٣/١٠، والمبدع في شرح المقنع، ابن مفلح ١٨٥/٨.

(٢) أحكام القرآن، الجصاص ٦٩٧/٣، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ١٥/٤، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ١٥١/٥، وأحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٥٧٢/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٢٧٦/٦ وما بعدها، وشرح منح الجليل ١٩٥/٩، والأحكام السلطانية للماوردي ص١٨ وما بعدها، ونهاية المحتاج ٤٠٢/٧، ومغني المحتاج ٢٩٩/٥، والسياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لابن تيمية ص٢٠ وما بعدها، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٣٨٧/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٨٥/٦.

المضامين الدعوية

أولاً: من الأساليب الدعوية: التفصيل بعد الإجمال.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: المسؤولية.

ثالثًا: من واجبات المدعو: القيام بمسؤولياته.

أولاً- من أساليب الدعوة: التفصيل بعد الإجمال:

إن أسلوب التفصيل بعد الإجمال من الأساليب الدعوية المهمة التي تعين الداعية على توضيح وبيان ما أشكل على المدعوين من كلام الداعية، وقد ورد في الحديث من قوله ﷺ والأمير راع، والرجل راع... إلخ" بعد قوله ﷺ "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته".

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: المسؤولية:

(إن من أبرز مميزات هذا الدين أنه وزع المسؤولية توزيعًا دقيقًا لتنظيم الحياة الاجتماعية، ومحاسبة المسؤولين والمكلفين كل حسب مهمته وواجباته)[1]، وهذا ما يظهر في الحديث من قوله ﷺ "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راع... إلخ"؛ فالمسؤولية: (هي ما يكون به الإنسان مسؤولاً ومطالبًا عن أمور، أو أفعال أتاها)[2] (والشريعة الإسلامية لم تُخْلِ أحدًا من المكلفين من المسؤولية... سواء كان ذلك بالنظر إلى الشخصية الطبيعية أو الشخصية المعنوية، بمعنى أنها تعتبر الفرد مسؤولاً مسؤولية تامة عن ذاته، وتحمله نتيجة أفعاله بالنسبة إلى نفسه وبالنسبة إلى الآخرين أيضًا... هذه دائرة... تليها دائرة أخرى أوسع منها مدى: تلك هي مسؤولية الأسرة عن أفرادها الذين هم في رعايتها وتحت إشرافها، ثم الجماعة مسؤولة عن توجيه الأسر التي تمثل الخلايا التي تتكون منها الجماعة ذاتها، وعن سلامة الأفراد الذين يشكلون الجزئيات، التي هي في حقيقتها أجزاء لذلك المجتمع الكبير أو الجسد العام، والدولة بأجهزتها وأنظمتها مسؤولة عن استقامة الأفراد، وسلامة الأسر، وأمن الجماعة،

(١) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، أ. د. محمد لقمان الندوي ص ٢٩٨.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن حميد، عبدالرحمن بن ملوح ٣٤٠١/٨.

وتقويم ما يحدث في أي من ذلك من اعوجاج... والرواد وقادة الفكر ورجال الدعوة والمربون مسؤولون عن إصلاح المقاييس، وسلامة الموازين، وإيضاح خطوط السير، ومحاسبون على أي خلل أو فساد أو اعوجاج في ذلك بالنسبة للأفراد أو الجماعات.

فمن ذلك نجد شبكة ذات دوائر متصلة الحلقات، يأخذ بعضها بحجز بعض أخذًا محكمًا، فيظهر لنا منطق الإسلام في جعل المسلمين أمة واحدة مترابطة الأجزاء، ونعلنا في دراستنا للنظرة الإسلامية نحو المسؤولية، لا نجد الإسلام قد أسرف فيها أو تعسف، وإنما يُعِد أفراده إعدادًا دقيقًا، ويهيؤهم بالخبرات الزمنية، والقوى الجسدية والمدارك العقلية، والطاقات الروحية والنفسية، بما يجعلهم قادرين على مزاولة رسالتهم في المجموعة الإنسانية التي يعيشون معها بمقدرة ونجاح، بعد ذلك يجعل كلاً منهم مسؤولاً بقدر ما أتيح له من ظروف، وما تهيأ له من أسباب، أو تذرع به من وسائل، ما يجعله يصل إلى ما يسمى بالتعبير الفقهي بلوغ مرحلة التكليف)[1]، وفي ذلك قال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[2] وقال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[3] وقال: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾[4].

قال الشنقيطي: (وهذا صريح في إثبات سؤال الجميع يوم القيامة)[5]. (وقد كان من خصائص النظام الاجتماعي في الإسلام، تحميل الفرد مسؤولية إصلاح المجتمع، بمعنى أن كل فرد فيه مطالب بالعمل على إصلاح المجتمع، وإزالة الفساد منه على قدر طاقته ووسعه، والتعاون مع غيره لتحقيق هذا المطلوب، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[6]...، وإذا كان الفرد مسؤولاً عن إصلاح المجتمع فما

(١) انظر: المسؤولية في الإسلام، محمد زكي الدين حجازي ص ١٠-١٢.
(٢) سورة الأعراف، آية: ٦.
(٣) سورة الحجر، آية: ٩٢.
(٤) سورة الصافات، آية: ٢٤.
(٥) إيضاح البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي ٢/ ٢٩٠.
(٦) سورة المائدة، آية: ٢.

تعليل ذلك؟ ولماذا يطالب الفرد بهذا الواجب مع مطالبته بإصلاح نفسه؟ الذي نراه أن تعليل هذه المسؤولية أو هذه المطالبة، يتمثل فيما يأتي:

أولاً: الفرد يتأثر بالمجتمع: الإنسان كائن اجتماعي يتأثر بالمجتمع الذي يعيش فيه، فتمرض روحه أو تهزل، أو تصح وتقوى تبعًا لصلاح المجتمع أو فساده. وقد أشار النبي الكريم ﷺ إلى هذه الحقيقة. فقد جاء في الحديث الشريف ((ما من مَولودٍ إلاَّ يولَدُ على الفِطرةِ، فأَبَواهُ يُهوِّدانه أو يُنَصِّرانهِ... إلخ))[1] فالأبوان بالنسبة للصغير، مُجتمعُهُ الصغير الذي يؤثِّرُ فيه، فيدفعه إلى الفساد أو الصلاح، فإذا كان الأبوان ضالّين دفعاه إلى الضلال، وأخرجاه عن مقتضى الفطرة السليمة التي خلقه الله عليها، وإذا كانا صالحين أبقياه على الفطرة التي خلقه الله عليها، ونميًا فيه جانب الخير. وهكذا شأن المجتمع الكبير في تأثيره في الفرد صلاحًا وفسادًا.

ثانيًا: ضرورة قيام المجتمع الصالح: وقيام المجتمع الصالح ضروري للفرد، لأن المطلوب من المسلم تحقيق الغرض الذي خلق من أجله، وهو عبادة الله وحده، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2]...

... ولهذا يجب على كل مسلم مسؤولية تعهد المجتمع الذي يعيش فيه، وإزالة المنكر حال ظهوره أو وقوعه، وأن لا يستهين به، لأن المنكرات كالجراثيم التي تؤثر في الجسد قَطْعًا، وإذا لم تُمرِضِ البعض فإنها تضعف مقاومته، فيسهُلُ عليها فيما بعد التغلب عليه. ولهذا كانت أولى مهمات الدولة الإسلامية، إقامة هذا المجتمع الإسلامي الفاضل، وإزالة المنكرات منه، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[3].

ثالثًا: النجاة من العقاب الجماعي: وقيام الأفراد بواجب المسؤولية من إصلاح

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٥٩.

(٢) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٣) سورة الحج، آية: ٤١.

المجتمع، ينجيهم وينجي المجتمع من الهلاك الجماعي، أو العقاب الجماعي، أو الضيق والضنك، والقلق والشر، الذي يصيب المجتمع، وتوضيح هذه الجملة يحتاج إلى شيء من التفصيل لأهمية الموضوع وخطورته. فنقول: من سنة الله تعالى، أن المجتمع الذي يشيع فيه المنكر، وتنتهك فيه حرمات الله، وينتشر فيه الفساد، ويسكت الأفراد عن الإنكار والقيام بواجب المسؤولية في التغيير، فإن الله تعالى يعمهم بمحن غلاظ قاسية، تعم الجميع، وتصيب الصالح والطالح، وهذه في الحقيقة سنة مخيفة وقانون رهيب يدفع كل فرد لا سيما من كان عنده علم أو فقه أو سلطان إلى المسارعة والمبادرة فورًا لتغيير المنكر دفعًا للعذاب والعقاب عن نفسه وعن مجتمعه)[1].

فالفرد مسؤول عن صلاح المجتمع، ومن باب أولى مسؤول عن صلاح نفسه، وفي ذلك بيان على عظم حق المسؤولية والقيام بها في الإسلام.

ثالثًا- من واجبات المدعو: القيام بمسؤولياته:

(دلت النصوص على أن الإنسان يُسألُ عن كل الأشياء التي جعل الله له سلطانًا عليها، أو قدرة على التصرف فيها، ولو من وجه من الوجوه، أو قدرة تأثير بقول أو عمل أو تفكير، ومسؤولية الإنسان في ذلك تنحصر في حدود استطاعته وقدرته على التصرف أو التأثير: فمن كان باستطاعته العمل، والواجب الديني يُلزمه بالعمل فهو مسؤول عنه، ومن كان باستطاعته إبداء الرأي والفكر والواجب يُلزمه بذلك فهو مسؤول عنه، وهذه المسؤولية تلاحقه منذ يبدأ تكليفه حتى يوافيه أجله، ما لم يسقط التكليف لانعدام شرط من شروطه، وتزداد مسؤوليته كلما ازدادت منح الله له، وتنخفض مسؤوليته بمقدار انخفاض منح الله له)[2].

وقد كان من هذه النصوص المبينة لعظم مسؤولية الإنسان، ما ورد في نص الحديث من قوله ﷺ: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته والأمير راع، والرجل راع... إلخ".

(١) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ١٣٢-١٣٦.

(٢) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حبنكة، ١٨٣-١٨٤.

(فأبان الرسول ﷺ في هذا الحديث مسؤولية الرعاية المنوطة بكل راع، عظمت دائرة رعايته أم صغرت، ومسؤوليته تكون على مقدار دائرة رعايته ومقدار سلطته فيها)[١].

وقد بدأ النبي ﷺ في بيان مسؤولية الإمام بقوله "الإمام راع ومسؤولية عن رعيته" (والإمام هنا يقصد به الإمام الأعظم، ورعايته تكون بحياطة الشريعة وإقامة الحدود والعدل في الحكم)[٢]. قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾[٣].

(فإمام الناس من ملك أو أمير - راع كفيل. وحافظ أمين مسؤول عن أهل مملكته أو إمارته. فعليه إقامة العدل فيهم؛ وردّ الحقوق لأربابها. واحترام حرياتهم في دائرة الحق والأدب، واستشارتهم في الأمور، والاستماع لنصائحهم والذود عن كرامتهم، والحرص على مصالحهم، والدفاع عن حقوقهم، وفتح الأبواب لمعايشهم، وتذليل السبل لتنمية ثروتهم. والضرب على أيدي المفسدين والتنكيل بالمجرمين الخائنين...، وإن الإمام مسؤول أمام الله عن أمته وجماعته، يُسأل عن كل فرد فيها، وعن كل عمل من أعمالها، يُسأل عن ثروتها موردًا ومصرفًا، وعما عمل لمصلحتها، وسلك لسعادتها، بل يُسأل عن حيوانها: ماذا صنع لراحته. وتخفيف مشقته. وبعبارة أوجز: بقدر ما في يده من الشؤون، وما وكل إليه من الأمور، يكون الحساب وتكون المسؤولية. فلا يلهِ ذو منصب بمنصبه عن القيام بواجبه، ولا يغترن الرؤساء بمظاهر الرياسة من الحيطة والكياسة وإعداد العدة لحساب أحكم الحاكمين)[٤].

(وقد عني الإسلام بالأسرة عناية خاصة، وجعل منها أساس المجتمع، وحتى يتحقق

---

(١) المرجع السابق ص ١٨٦.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/١٢١.

(٣) سورة ص، آية: ٢٦.

(٤) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ٤٨-٤٩.

هدف الإسلام في بناء الأسرة على أساس متين، فقد وزع المسؤولية والأعمال توزيعًا جميلاً ينتظم به شأن البيت من جهة، كما ينتظم به العمل خارجه من جهة أخرى، مع تحديد الواجبات والمسؤوليات على كل من الرجل والمرأة)[١].

وهذا ما ورد في نص الحديث من قوله ﷺ: "والرجل راع، على أهل بيته؛ والمرأة راعية على بيت زوجها وولده... إلخ". قال ابن حجر نقلاً عن الخطابي: (ورعاية الرجل أهله سياستهم لأمرهم وإيصالهم حقوقهم)[٢]، (فالرجل راع على أهل بيته، فمن أوجب واجباته أن يسعى ويكد وينهض بالكسب، ما يحتاج إليه البيت من مال ونفقة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾[٣]...

... ومن أبرز مسؤولية الرجل أن يتجه بالدعوة أول ما يتجه إلى بيته وأهله وزوجته؛ لأن البيت المسلم هو نواة الجماعة، ونواة البيئة الإسلامية، وهو الخلية التي يتألف منها ومن الخلايا الأخرى ذلك الجسم الحي (المجتمع الإسلامي)، ومن ثم كان القرآن يتنزل للرجال والنساء، وكان ينظم البيوت ويقيمها على المنهاج الإسلامي، وكان يحمل المؤمنين مسؤولية أهليهم، كما يحملهم تبعة أنفسهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[٤])[٥].

(ورعاية المرأة تكون بتدبير أمر البيت والأولاد والخدم، والنصيحة للزوج في كل ذلك)[٦].

---

(١) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الندوي، ٣٠٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢١/١٣.

(٣) سورة النساء، آية: ٣٤.

(٤) سورة التحريم، آية: ٦.

(٥) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الندوي، ٣٠٢، ٣٠٤.

(٦) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢١/١٣.

(وبعبارة أخرى: نريد من المرأة بيتًا نظيفًا منظمًا، وولدًا صحيحًا مؤدبًا، ومالاً مرعيًا وطعامًا شهيًا، وثمرًا جنيًا، وطاعة لزوج في معروف، وأدبًا في منطق وكمالاً في نفس. ونظافة في بدن وزي. وفي ولد وخدم، فإن فعلت ذلك فنعمّت الراعية، ونعمت من ترعى، وإن المرأة مسؤولة أمام الله عن هذه الرعية: أقامت بواجبها أم قصرت في حقها، فإن كان القيام فروح وريحان وجنة نعيم. وإن كان التقصير فنزل من حميم وتصلية جحيم. فليتق الله نساؤنا ولا يكن كل همهنَّ الطعام والشراب، وزيارة الأحباب، والتفنن في الزينات، والمشي في الطرقات)[1].

ومن مظاهر المسؤولية التي يتحملها الإنسان، تلك المهام التي بنسد إلى الخدم والعمال والعاملات في البيوت، خاصة المهام المالية، لأنها أمانة يجب أن تؤدى بصدق وإخلاص، لأنه كثيرًا ما يناط بالعمال والخدم عدد من الأمور المالية وغيرها، مما يستوجب استشعار المسؤولية والخوف من الله تعالى، والقيام بما أنيط بهم من أعمال طمعًا في مرضاة الله تعالى، وهذه مجرد أمثلة، وما أكثر المسؤوليات التي تتطلب القيام بها، ومراقبة الله في السر والعلن.

---

(١) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ٥٠.

الحديث رقم (٢٨٤)

٢٨٤- وعن أَبي علي طَلْق بن علي رضي الله عنه: أنَّ رَسُول الله ﷺ، قَالَ: ((**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ**[١] **زَوْجَتَهُ لحَاجَتِهِ فَلْتَأتِهِ، وَإنْ كَانَتْ عَلَى التَّنُور**)). رواه الترمذي والنسائيُّ[٢]، وَقالَ الترمذي: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

طلق بن علي: وهو طلق بن علي بن طلق -وقيل طلق بن علي بن قيس، وقيل طلق بن ثُمامة- بن عمرو بن عبدالله بن عمرو بن عبدالعزى بن سُحَيم بن مرة، السُّحَيْميٌّ، الحنفي، اليماميّ، يكنى أبا علي اليمامي، وهو من الصحابة المشهورين، له صحبة، ووفادة ورواية، روى عن النبي ﷺ وروى عنه الأربعة أصحاب السنن، وكان من الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ من حنيفة من اليمامة، فأسلموا وذكره الواقدي باسمه في وفد بني حنيفة.

وفي إسلامه يروي عن نفسه قائلاً: ((خرجنا وفدًا إلى النبي ﷺ فبايعناه وصلينا معه، وأخبرنا أنَّ بأرضنا بيعةً لنا فاستوهبناه من فضل طهوره، فدعا بماء فتوضأ وتمضمض، ثم صبه في إداوة وأمَرَنا فقال: اخرجوا فإذا أتيتم أرضكم فاكسروا بيعتكم، وانضحوا مكانها بهذا الماء، واتخذوها مسجدًا، قلنا: إن البلد بعيد، والحر شديد، والماءَ يَنْشَف، فقال: مدوه من الماء فإنه لا يزيده إلا طيبًا.

فخرجنا حتى قدمنا بلدنا، فكسرنا بيعتنا ثم نضحنا مكانها، واتخذناها مسجدًا فنادينا فيه بالأذان، قال: والراهب رجل من طيء، فلما سمع الأذان، قال: دعوةُ حقٍ، ثم

---

(١) لفظهما: (إذ الرجل دعا زوجته).

(٢) أخرجه الترمذي (١١٦٠)، والنسائي في الكبرى (٨٩٢٢) ولفظهما سواء، وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسن غريبٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤١٦٥). أورده المنذري في ترغيبه (٢٩٠٦).

استقبل تَلْعَةً من تلاعنا[١] فلم نره بعد)) ولم يؤرخ لوفاته رضي الله عنه[٢].

التنور: الفرن يخبز فيه[٣]، والمراد: وإن كانت تخبز له[٤].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يجيء تاليًا للحديث السابق الذي يؤكد مسؤولية الرجل تجاه بيته، ومسؤولية المرأة تجاه زوجها وأولادها.. وفي ظل القيام بهذه المسؤولية المزدوجة، والرعاية المتكاملة يكون حق الزوج على المرأة أي زوجته، ولذلك تجمع الآية الكريمة بين هذين النموذجين: أنموذج الرجل القوام الراعي لأهل بيته، وأنموذج المرأة الصالحة القانتة الحافظة للغيب حيث يقول الله عز وجل: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾[٥]. أي بحفظ الله إياهن بالأمر على حفظ الغيب، والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له، أو بالذي حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة، والقيام بحفظهن والذب عنْهن.

وفي ظل هذه الرؤية الإسلامية للعلاقة الزوجية نقرأ هذا التوجيه النبوي الراشد في تحصين العلاقة بين الرجل وزوجته في كل أمور الحياة، ومن أدق هذه الأمور قضاء

---

(١) التلاع جمع تَلْعة وهي في اللغة من كلمات الأضداد، يقع على ما انحدر من الأرض وأشرف منها، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ١١٠.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٣١٦/١، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٣٦٨، ٣٦٩، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٩١/٣، ٩٢، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٦٥٤، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ١٥٧/٣، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢٤٦/٢، والسندي ٢١١/٢٦.

(٣) الوسيط في (ت ن ر).

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ١١٨٣/١.

(٥) سورة النساء، آية: ٣٤.

الوطر المتمثل في إشباع الرغبة، وكسر حدة الغريزة، وذلك أمر محبب في الشريعة لأنه -في إطاره الشرعي- يحجب المرء عن ارتكاب الفاحشة، والوقوع في جريمة الزنا وانتهاك الأعراض، والتعدي على الحرمات، ولذلك يقول المصطفى ﷺ "وفي بضع أحدكم صدقة"(١).

والحديث في بنائه اللغوي يؤكد هذه الرغبة، حيث تكوَّن من جملتين شرطيتين: الأولى أداتها "إذا"، وهى للتحقق، وجاءت في سياق دعوة الرجل زوجته للمعاشرة الزوجية، واختيار مادة فعل الشرط "دعا"، تومئ إلى التلطف في الطلب، فالدعوة لا تكون إلا بالرفق واللين والمودة والرحمة، ولم يقل إذا أمر أو استدعى وإنما قال "إذا دعا"، فتأمل ما وراء هذه الكلمة من اللطف والرقة والإيناس ترغيبًا في الاستجابة، وقال "زوجته" ولم يقل: امرأته أو المرأة، وذلك للإشعار بضرورة توفر الأمان الشعوري والنفسي وتنامي شعور المحبة والإحساس بالتزاوج الحقيقي، والاتحاد التام بين هذين اللذين خُلقا من نفس واحدة، وإضافة: زوجته إلى الضمير العائد إلى الزوج. يؤكد أن الدعوة لا تكون لأي زوجة، وكذلك الزوجة لا تستجيب لأي رجل، وتأمل، وراء هذه الكلمة من إيحاءات وإشارات في قوله "لحاجته"، حيث لم يصرح المصطفى ﷺ باللفظ المباشر، حتى لا يفهم أن المقصد هو إشباع الرغبة الحسية فقط، وإنما هو إشباع نفسي وأمان وصَوْن، ومودة ورحمة، وسكن واطمئنان، ورغبة في التكاثر والتوالد، والإعفاف.

وجواب الشرط في قوله: "فلتأته" يرشد إلى ضرورة الإسراع وعدم التباطؤ أو التمنع في إجابة هذه الدعوة، ولذلك لم يقل فلتستجب له، ولم يقل: فلتلب الدعوة، وإنما الجواب يحمل الاستجابة والتنفيذ: لأن قوله "فلتأته" يدل على الحركة والسعي إلى الزوج، وتجيء الجملة الشرطية الثانية مؤكدة لهذه الاستجابة حيث يصور الرسول ﷺ أنه لابد من إجابة الدعوة حتى في أشد الحالات خطرًا وانشغالاً، فيقول: "وإن

(١) أخرجه مسلم ١٠٠٦.

كانت على التنور": أي كانت مشغولة بإعداد الطعام وغير ذلك من الأمور الحياتية، وأداة الشرط هنا "إن" وهي احتمالية لا تفيد اليقين: لأن هذه الحالة طارئة: حيث يمكن أن تكون المرأة غير مشغولة ساعة دعوة زوجها، وفي الكلام إيجاز بالحذف حيث حذف جواب الشرط في الجملة الثانية اختصارًا، لأن الجواب السابق دلَّ عليه وأرشد إليه: والتقدير: وإن كانت على التنور فلتأته.

فتأمل هذه الأسرار التي يشرق بها هذا البيان النبوي البليغ في إيجازه واستيفائه، وإحاطته بالمعنى الجميل النبيل.

فقه الحديث[١]

المضامين الدعوية[٢]

(١) تم الشرح الفقهي لهذا الحديث (٢٨٤) أثناء الشرح الفقهي للحديث (٢٨١).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (٢٨١).

الحديث رقم (٢٨٥)

٢٨٥- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((**لَوْ كُنْتُ آمِرًا أحَدًا أنْ يَسْجُدَ لأحَدٍ، لأمَرْتُ المَرأةَ أنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا**)) رواه الترمذيُّ[١]، وَقالَ: ((حديث حسن صحيح)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن السجود لا يكون إلا لله عز وجل، وهو من سمات العبادة والخضوع، والطاعة والامتثال، فسجد في اللغة بمعنى: خضع؛ وقيل عين ساجدة أي فاترة، ونخلة ساجدة أي أمالها حملها.

وفي القرآن الكريم ورد فعل سجد وما يشتق منه في أربع وستين آية، يضاف إليها عشرون آية أخرى ذكر فيها كلمة المسجد، وآيتان وردت فيها كلمة مسجدًا، وست آيات ذكرت فيها كلمة مساجد، وقد أسند فعل السجود في القرآن إلى عناصر متعددة من خلق الله، كالملائكة والشمس والقمر والنجم والشجر والإنسان، وكل من في السماوات والأرض، وما في السماوات والأرض، والسجود في الآيات المتعلقة بالظواهر الكونية معناه الطاعة والخضوع لله عز وجل، وهذا المعنى هو معنى مجازي متطور عن المعنى الحسي اللغوي، وهو الانحناء والتطامن، حتى يصل الوجه إلى الأرض، وإذا ذكر السجود اليوم، فهو سجود الصلاة خضوعًا وعبادة لله عز وجل[٢].

وفي ضوء هذه الآفاق الدلالية لمصطلح السجود نتأمل هذا الحديث الشريف وهو يحض الزوجة على طاعة زوجها في ظل الأعراف والتعاليم الإسلامية، ولذلك نرى

---

(١) برقم (١١٥٩) وقال: حديث حسن غريبٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤١٦٢). وقال الحاكم (١٧٢/٤): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٩٧).

(٢) انظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، د. عودة خليل أبو عودة.

الحديث الشريف يصاغ في جملة لغوية واحدة، وهذه الجملة صيغت في قالب الشرط والجواب، وهذا القالب يحمل الرغبة في الإقناع: لأن المقدمة الشرطية تؤدي إلى الجواب المترتب على إنجاز الفعل الشرطي، وأداة الشرط التي جاء بها رسول الله ﷺ هي "لو" ، وهي بدلالتها لا تستطيع أداة سواها أن تؤدي وظيفتها ودلالتها وثمرتها في دقة المعنى، فهي أداة امتناع لامتناع، حيث يمتنع الجواب لامتناع الشرط، وهنا يمتنع أن تسجد المرأة لغير الله، وإنما المراد الطاعة والامتثال، وذلك من متعلقات السجود، ومن دلالاته اللغوية، وكذلك جاء أمر الرسول بعدم السجود من أحد لأحد: لأن السجود في المنظور الإسلامي لا يكون إلا لله، وصياغة الحديث تقيد هذا الامتناع عن السجود، ولذلك قال رسول الله ﷺ في إجابته لسؤال قيس بن سعد حينما قال: "أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لِمَرْزُبَانٍ لهم، فقلت: رسولُ الله ﷺ أحقُّ أن يُسْجَدَ له، قال: ((فأتيت النبي ﷺ فقلت: إني أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم، فأنت يا رسول الله أحق أن نسجد لك. قال: أرأيت لو مررت بقبري أكنت تسجد له؟ قال: قلت: لا. قال: فلا تفعلوا، لو كنت آمرًا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن، لما جعل الله لهم عليهن من الحق))[1].

وتأمل قوله: "لو كنت آمرًا أحدًا"، فهو أكثر احتراسًا وتقييدًا من قوله: لو أمرت أحدًا، حتى لا يقع في الظن أن الأمر بالسجود للبشر يُحتمل وقوعه، فالتعبير بقوله: "لو كنت آمرًا" يحمل دلالة عدم وقوع هذا الأمر، إضافة إلى مجيء "لو" أداة للشرط، والتعبير بقوله "أحدًا"، يفيد: أنه لا يجوز لأي إنسان مهما كانت عقيدته أن يسجد لإنسان آخر، وجواب الشرط: لا يأمر بالسجود، ولكن يوحي بضرورة طاعة الزوجة لزوجها، ومراعاة حقوقه، وحفظه في نفسها وماله وبيته، فهي راعية على بيت زوجها وولده، كما جاء في الحديث الشريف.

(١) أخرجه أبو داود، ٢١٤٠، وقال الألباني: صحيح دون جملة القمر (صحيح سنن أبي داود ١٨٧٣).

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين فقهيين:

الأول: حكم طاعة المرأة لزوجها، وقد سبق الكلام عنه في الحديث رقم ٢٧٦.

كما اتفق الفقهاء[1] على أن المرأة الناشز لا نفقة لها في مدة نشوزها، لأنها لم تقم بوفاء ما عليها، فتسقط نفقتها لأجل ذلك.

الثاني: حكم السجود لغير الله، وقد اتفق الفقهاء[2] على أن السجود لغير الله من الأصنام والشمس والقمر، كفر يخرج به الساجد عن الملة إذا كان عاقلاً بالغًا مختارًا سواء أكان عامدًا أم هازلاً، وكذا اتفقوا على أن السجود لغير الصنم كأحد الجبابرة أو الملوك أو أي مخلوق آخر من المحرمات وكبائر الذنوب، فإن أراد الساجد بسجوده عبادة ذلك المخلوق، كفر وخرج بإجماع العلماء.

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٢٢/٤، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٥٢/٣، والفروق للقرافي ١٣٢/١، وأحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٥٣٥/١، والأم ٢٠٨/٥، وأحكام القرآن للشافعي ٢١٢/١، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٣٧/٣، والفروع، ابن مفلح ٥٨٥/٥، وإعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ٧٥/٢، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٨٩/٨.

(٢) أحكام القرآن، الجصاص ٤٥/١ وما بعدها، ورد المحتار لابن عابدين ٣٨٣/٦، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٥٦/١، وإعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ٢٤٧/٤، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب، الإسفراييني الحنبلي ٣٢٩/١، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ٢٤٨/٦، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢١١/٢٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعي: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: عظم حق الزوج على زوجته.

ثالثًا: من أصناف المدعوين: الزوجات.

أولاً- من مهام الداعي: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

في هذا الحديث أرشد النبي ﷺ النساء إلى عظم حق أزواجهن عليهن فقال "لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها" ففي الحديث بيان أن مصلحة المرأة في طاعة زوجها، ما دامت لا تخرج عن إطار طاعة الله تبارك وتعالى، وإن قيام الداعية ببيان حق الزوج على زوجته، وإرشاد الزوجات إلى ما ينفعهن، باب عظيم من أبواب الدعوة إلى الله تعالى، يؤكد خيرية هذه الأمة، التي ينتصب المتخصصون من أبنائها للدعوة إلى الله امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1] أي يدعون إلى الإسلام وإلى العمل بطاعة الله آمرين بطاعة الله ناهين عن معصيته[2].

وقد حث الإسلام على الدعوة إلى الخير، مبينًا أن الداعي إلى الخير له مثل أجر فاعله، فعن أبي مسعود الأنصاري قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال إني أبْدِع بي... أي هلكت دابتي وهي مركوبي فاحملني فقال ما عندي، فقال رجل: يا رسول الله أنا أدله على من يحمله فقال رسول الله ﷺ: ((مَنْ دَلَّ علىٰ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[3] وفي الحديث فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله[4]. من خلال بيان حق الزوج على زوجته حتى تستقيم الحياة الزوجية ويُعرف قدر كل فرد من أفراد الأسرة وتعرف الحقوق والواجبات.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٢) انظر: زاد المسير، في علم التفسير، ابن الجوزي، ٤٣٥/١.

(٣) أخرجه مسلم ١٨٩٣

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٥.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: عظم حق الزوج على زوجته:

وقد أشار إلى ذلك رسول الله ﷺ في الحديث "لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها" لكثرة حقوقه عليها، وعجزها عن القيام بشكرها، وفي هذا غاية المبالغة لوجوب إطاعة المرأة في حق زوجها فإن السجدة لا تحل لغير الله(١).

وقد حذر النبي ﷺ الزوجات من كفران العشير، وبيّن أن ذلك من أسباب النار واستحقاقها، فقال ﷺ في حديث طويل: «ورأيت النارَ فلم أرَ كاليوم منْظرًا قَطُّ، ورأيتُ أكثرَ أهلِها النساء، قالوا: لِمَ يا رسولَ الله؟ قال: بكفرِهِن. قِيل: يَكْفُرْنَ بالله؟ قال: يكفُرْنَ العَشِير، ويكفُرْنَ الإحْسَانَ، لو أحسَنْتَ إلى إحداهُنَّ الدَّهرَ، ثم رأت منك شيئًا، قالت: ما رأيتُ منك خيرًا قَطُّ»(٢).

ثالثًا- من أصناف المدعوين: الزوجات:

وجه النبي ﷺ إرشاده في هذا الحديث إلى صنف من أهم أصناف المدعوين، ألا وهو: الزوجات قائلاً: (لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)، فلقد اهتم الإسلام بالنساء، واعتبرهن شقائق الرجال، وقد شملهن خطاب التكليف ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾(٣)، والمرأة تحظى بدور كبير واحترام عال في شريعة الإسلام، وكان لدعوتهن وهدايتهن عظيم الشأن، فإن هداية المرأة كسب لها وحماية للمجتمع وأخلاقه، ومنع أية آثار سلبية تتركها في المجتمع حينما تكون بلا هداية، وبهذا نفهم أن الدعوة في صفوف النساء هي أيضًا حماية للمجتمع وأخلاقه وشبابه(٤).

---

(١) تحفة الأحوذي، العظيم آبادي، ١٨٣/١.

(٢) أخرجه البخاري ٥١٩٧.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٠٤.

(٤) انظر: فقه الدعوة، د.بسام العموش ص ٧٣-٧٤.

الحديث رقم (٢٨٦)

٢٨٦- وعن أم سَلَمَة رضي الله عنها ، قَالَتْ: قَالَ رسولُ الله ﷺ : ((**أيُّمَا امْرَأةٍ مَاتَتْ، وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الجَنَّةَ**)) رواه الترمذيُّ[1] ، وَقالَ: ((حديث حسن)).

ترجمة الراوي:

أم سلمة: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٨٢).

الشرح الأدبي

إن الحياة الزوجية لا تستقيم أمورها ، ولا تثمر بذورها ، إلا في ظل التماسك الأسري، والتعاطف الوجداني، وإحساس المرأة بواجبها الشرعي تجاه زوجها ، واقتناعها بقوامة الرجل، ووجوب طاعته فيما أحل الله ، وكذلك الرجل عليه تبعات وواجبات تجاه زوجته وأولاده... وهو راعٍ ومسؤول عن رعيته في ظل القيم الإسلامية ، واتباعًا لتعاليم المصطفى ﷺ.

وفي ضوء هذا المعيار الإسلامي، والتصور الإيماني نتأمل آفاق المعنى، وأسرار الأسلوب في هذا الحديث الشريف، الذي يجعل من طاعة الزوج، ورضاه عن زوجته طريقًا ممهدًا يؤدي إلى دخول الجنة ، وتحت كلمة "راضٍ" التي تصور موقف الزوج من زوجته في حياتها وبعد موتها... نضع كثيرًا من خطوط التأمل، وعلامات التعجب، فهي كلمة تتموج وتشع بصور كثيرة، ومواقف متصلة ، ومعانٍ متعددة ، فالرضا حالة من الطمأنينة والسكون والمحبة ، لا يصل إليها الإنسان إلا بعد تجارب ومواقف حياتية كثيرة، وهذه الزوجة التي فازت برضا زوجها ، لا شك أنها قدمت له الكثير في حياتها من الرعاية ، والطاعة ، والحب والولاء ، وما أصدق الشاعر العربي جرير ، حين قال في معرض رثاء زوجته وهو يصور قيمتها وعطاءها :

---

(١) برقم (١١٦١) وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. قال الذهبي في الميزان (٤/٩٥ ، في ترجمة : مُساور الحميري): فيه جهالة ، والخبر منكرٌ. أورده المنذري في ترغيبه ٢٨٨٥).

عمِـرَتْ مُكَرمَـةَ المَسَاكِ وَفارَقَـتْ ... مَـا مَـسّهَا صَـلَفٌ، وَلا إقْتَـارُ
كانَتْ مُكَرِّمَـةَ العَـشيرِ وَلمْ يَكُـنْ ... يَخْـشَى غَوَائِـلَ أُمّ حَـزْرَةَ جَـارُ

ثم يقول:

وَلَقَـدْ أرَاكِ كُـسِيتِ أجمَـلَ مَنظَـرٍ ... وَمَـعَ الجَمَـالِ سَـكِينَةٌ وَوَقَـارُ
وَالـرِّيحُ طَيّبَـةٌ إذا اسـتَقْبَلْتِهَا ... وَالعِـرْضُ لا دَنِـسٌ وَلا خَـوّارُ
صَـلّى المَلائِكَـةُ الـذِينَ تُخُيّـرُوا ... وَالـصّالحُونَ عَلَيْـكِ وَالأبْـرَارُ[(١)]

وهذه الصفات الكريمة، والسجايا الحميدة هي التي تأسر الزوج، وتستولي على رضاه ومشاعره فيظل في شوق إلى زوجته، ويظل قلبه معلقًا بها حتى بعد رحيلها، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة حيث ظل يثني على خديجة رضي الله عنها ويشيد بها أمام الأخريات من نسائه، وذلك لأنها صدقته، وآوته، وأمدَّته بمالها، ورزقه الله منها الولد، والحديث فيه إيجاز وبلاغة، وإيماءات وإيحاءات، فهو يتكون من جملة واحدة، وهي جملة شرطية، وأسلوب الشرط دائمًا يفصح عن قيمة الجزاء، وعن جنس العمل، والشرط هنا يتمثل في رضا الزوج عن زوجته في حياتها وبعد موتها، وهو رضا نابع من السلوك الإيماني للزوج والزوجة، وهذا الرضا يكون جزاؤه دخول الجنة، ونعيم الجنة غير محدود، وكيف يُحد؟ وفي الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، والشرط وجوابه صيغا في قالب الفعل الماضي دلالة على التمكن، وحصول الحدث، وثبات الأجر، فلم يقل ستدخل الجنة، وإنما قال: "دخلت الجنة"، لأن هذا وعدٌ من الله، فهو واقع وثابت لأن الله لا يخلف الميعاد.

---

(١) انظر: شرح هذه القصيدة في كتاب: جماليات النص الأدبي في ضوء القيم الإسلامية، د. صابر عبدالدايم، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٦م ص ٢٤٢-٢٧٠.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة الشرط:

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل رضا الزوج عن زوجته.

أولاً- من أساليب الدعوة: الشرط:

استعمل النبي ﷺ أسلوب الشرط في هذا الحديث فقال "أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض" فقوله "أيما" الشرطية[(١)] وبين جواب الشرط بقوله "دخلت الجنة" وأسلوب الشرط من أساليب الدعوة المفيدة، التي تحث المدعوين وتُحفز هممهم على فعل الخير واجتناب الشرط، وهو أسلوب كثر استعماله في القرآن والسنة، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[(٢)] وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[(٣)].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث رغب النبي ﷺ الزوجة في طاعة زوجها ورضاه عنها بدخول الجنة قائلاً: "أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة" لمراعاتها حق الله وحق عباده[(٤)] وأسلوب الترغيب والترهيب من أساليب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم إلى الله، لأن النفوس البشرية مختلفة الطباع منها، ما يجلبه الترغيب، ومنها ما يخيفه

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٤٨٩.

(٢) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٩.

(٤) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ١/١١٨٤.

الترهيب، ولهذا جاء القرآن الكريم فيقول: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[١] ويقول عن رسول الله ﷺ ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٢]، ويقول عن رسول الله ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[٣].

فرسل الله دعاة جاءوا بوحي ورسالة، وحق وهداية، فمن قبل هدى الله فلا يضل ولا يشقى تبشره الرسل بالهداية، وتسره بالفوز في الدنيا والآخرة، ومن أعرض عن هدي الله سبحانه أنذروه بالويل والثبور في الدنيا والآخرة، وتوعدوه وأرهبوه بعذاب الله وغضبه عليه[٤].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل رضا الزوج عن زوجته:

في هذا الحديث يبيّن النبي ﷺ فضل الزوج على زوجته، وأنه سبب لأعظم بغية وأفضل رجاء، وهو دخول الجنة، فقال رسول الله ﷺ "أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة" وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا صَلَّتِ المَرْأَةُ خَمْسَها، وصَامَتْ شَهْرَهَا، وحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وأَطَاعَتْ زَوْجَهَا دَخَلَتِ الجَنَّةَ))[٥] فبالطاعة تستقر الحياة الزوجية وتستقيم الأسرة، وينعم أفرادها ويسعدون في دنياهم وأخراهم، والواجب على الزوج أن يراعي الله في هذا الحق، فلا يأمرها إلا بما هو خير وحق، وعليه أن يتحلى بالخلق الرفيع عندما يأمر وينهى، حتى تحصل له الطاعة عن طيب نفس ورضا[٦].

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٤٨.

(٢) سورة النساء، آية: ١٦٥.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

(٤) الدعوة إلى الله، الرسالة، الوسيلة، الهدف، د. توفيق الواعي ص ٢٠١، ٢٠٢.

(٥) أخرجه أحمد ١/١٩١ رقم ١٦٦١، وقال محققو المسند: حديث حسن لغيره، (مسند أحمد ٣/١٩٩).

(٦) دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح بن محمد بن فالح الصغير ص ١٤٠.

ولقد أثنى الإسلام على طاعة المرأة لزوجها، وجعل ذلك مؤهلاً لها بأن تكون من خير النساء، إضافة إلى ما يتسبب ذلك في رضا الزوج عن زوجته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ: ((أي النساء خير؟ قال التي تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمر ولا تخالفه فيما يكره في نفسها وماله))[1].

(١) أخرجه أحمد ١٥١/٢ رقم ٧٤٢١، وقال محققو المسند :إسناده قوي، (مسند أحمد ٣٨٤/١٢).

الحديث رقم (٢٨٧)

٢٨٧- وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: ((**لاَ تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا، إلاَّ قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الحُورِ العِينِ: لاَ تُؤْذِيهِ؛ قَاتَلَكِ اللهُ! فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكِ دَخِيلٌ، يُوشِكُ أنْ يُفَارِقَكِ إلَيْنَا**)) رواه الترمذي[1]، وَقالَ: ((حديث حسن)).

ترجمة الراوي:

معاذ بن جبل: تقدمت ترجم[illegible] ().

غريب الألفاظ:

الحور العين: هن نساء أهل [illegible]وراء وهي الشديدة بياض العين الشديدة سوادها وذلك نهاية في الحسن من العين[2].

دخيل: الدخيل: الضيف والنزيل[3].

الشرح الأدبي

يعرض هذا الحديث صورة من صور التنافر بين الزوجين، وحالة من حالات النشوز والإعراض من قبل الزوجات، وكأن هذا الحديث يقدم الوجه الآخر للحديث السابق: حيث يرغب الرسول ﷺ الزوجة في السعي إلى تحقيق وإنجاز ما يرضي زوجها عنها وجزاء ذلك الجنة.

وهذا الحديث يتوجه بالتقريع إلى الزوجات اللائي لم يحرصن على رضا أزواجهن، بل يسْعين في إيذائهن، ولذلك يبشر الرسول ﷺ هؤلاء الأزواج بأن الله سيعوضهم بالحور العين اللائي يدافعن عنهم، ويدعون على الزوجات المؤذيات بقتال الله لهن.

---

(١) برقم (١١٧٤). قال الذهبي في سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (٤/٤٧): إسناده صحيحٌ متصل. أورده المنذري في ترغيبه (٢٩٠٥).

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح و ر).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (د خ ل).

وفي كثير من سور القرآن الكريم يعد الله عباده المتقين بالحور العين، يقول الله عز وجل في سورة الطور: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾(١). وفي سورة الرحمن، وسورة الواقعة، وغيرهما يتكرر هذا الوعد الإلهي الصادق.

ويبدأ الحديث الشريف بصيغة النفي في قوله: "لا تؤذي امرأة زوجها"، ولكن هذا النفي يجيء في سياق أسلوب القصْر: فهو نفي يثبت حالة من حالات الإيذاء، وطريق القصر هنا: النفي والاستثناء وذلك لتأكيد الجزاء الذي يعده الله لمن صبر على الإيذاء، ويتكرر الفعل المتضمن للإيذاء مرة أخرى في نهاية الجملة، ولكنه يجيء في صيغة النهي "لا تؤذيه" وهو نهي صادر من الحور العين دفاعًا عن ذلك الزوج الصالح، ثم بعد هذا النهي الذي جاء عقب جملة القصر للدلالة على تكرار النهي كلما تكرر الإيذاء تجأر الحور العين بهذه الجملة الدعائية، "قاتلك الله" حيث تدعو الحور العين على هذه الزوجة المؤذية لزوجها بأنها سيقاتلها الله، وكأنها حين نشزت وأعرضت وآذت زوجها خرجت عن طاعة ربها، وقيل إن صيغة المفاعلة في هذه الجملة الدعائية للمبالغة لأن المرأة المؤذية لما فعلت ذلك وتعرضت لعقوبة الله، صارت كالمقاتلة له تعالى!!!

ولفظ الإيذاء أو الأذى يحمل كل ألوان النفور والنشوز، وعدم الطاعة وعدم الرضا ويؤدي إلى القلق والحزن والتقلبات النفسية، والتموجات الغضبية، فيصبح الإنسان كالموج لا يستقر على حال، وفي اللغة الأذي هو الموج وكذلك البعير يقال له: أذِ: وهو الذي لا يقر في مكان بلا وجع ولا مرض، وهذه حالة تتطابق مع حالة الزوج المؤمن الذي آذته زوجته فصبر واحتسب، ولذلك يكافئه الله عز وجل، والحور العين من نساء الجنة، والحور: جمع حوراء: وهي الشديدة بياض العين: الشديدة سوادها، ويتكرر أسلوب القصر في الحديث في هذه الجملة: فإنما هو عندك دخيل وهذه الجملة من كلام الحور العين، وهى توحي بأن الزوج في ضيافة زوجته، وبأن الحياة قصيرة، ويجب أن يجملها الزوجان، وأن يجعلا منها بستانًا من المحبة والسعادة، والرضا والقناعة،

---

(١) سورة الطور، آية: ٢٠.

والتعبير بالمضارع في ختام الحديث في قول الحور العين على لسان رسول الله ﷺ "يوشك أن يفارقك إلينا"، يوحي بقصر الحياة ويرشد إلى ضرورة إكرام الزوجة لزوجها، وعدم إيذائه، والتعبير بقوله: "يفارقك إلينا" بعد فعل المقاربة الذي يفيد الدنو والإسراع، فيه تهديد ووعيد لهذه الزوجة التي لم ترع زوجها، ولم تحرص عليه، بأن الفراق وشيك، وأنه سينتقل إلى نعيم مقيم، وثواب عظيم، حيث يكون مع الذين أنعم الله عليهم "في جنات النعيم" حيث يقول عز وجل: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١ وَحُورٌ عِينٌ﴾[(١)].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الحصر والقصر.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: عظم حق الزوج على زوجته.

رابعًا: من مهام الداعي: تحذير المدعوين مما يضرهم.

خامسًا: من أصناف المدعوين: النساء.

أولاً- من أساليب الدعوة: الحصر والقصر:

ورد في الحديث استعماله ﷺ النفي والاستثناء، واجتماعهما الذي يفيد الحصر والقصر فقال ﷺ "لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجه من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله" أي لا يقع إيذاء من امرأة لزوجها في الدنيا إلا دعت عليها زوجته من الحور العين قائلة قاتلك الله.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

حيث رهب النبي ﷺ في الحديث من إيذاء الأزواج الذي يكون سببًا في دعاء زوجته من الحور العين على تلك المرأة التي كانت سببًا في إيذاء زوجها، ومن الشواهد

(١) سورة الواقعة، الآيات: ١٧-٢٢ .

على ذلك في الحديث الذي نحن بصدده ما ورد في قوله ﷺ: "لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجه من الحور لا تؤذيه قاتلك الله" أي قتلك أو لعنك أو عاداك، وقد يرد للتعجب كتربت يداك[١] وقال ابن علان: "قاتلك الله" جملة دعائية، والمراد من المفاعلة فيه أصل الفعل، وعبر بها للمبالغة، وأنها لما فعلت ذلك وتعرضت لعقوبة الله صارت كالمقاتلة له فعبر بذلك[٢].

ووردت أحاديث عدة ترهب المرأة من إيذاء زوجها أو عصيانه فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال ((إذا دعا الرجل امرأتَهَ إلى فِراشه، فأَبت أن تجيءَ، لَعَنَتْها الملائكة حتى تُصبح))[٣] وفي رواية للبخاري أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ ((إذا باتَتِ المرأةُ مُهاجرةً فِراشَ زوجها لَعَنَتْها الملائكةُ حتَّى ترجعَ))[٤]؛ (فالترهيب أسلوب دعوى ناجح يعالج النفس البشرية، وحبها للأمن والسلامة، وإيثارها البعد عن الخوف والخطر، وذلك من خلال تخويفها وتهديدها، ومن خلال أسلوب الترهيب، يمكن للداعي عرض الدعوة إلى الله عرضًا يجذب الناس حول الحق، خوفًا من العقاب وخوفًا من فقدان السلامة والأمن)[٥].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: عظم حق الزوج على زوجته:

للزوج الصالح حق على زوجته، ذكر النبي ﷺ ما يؤكد هذا الحق من خلال ما يترتب على إيذاء الزوجة لزوجها في قوله ﷺ "لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك" وحق الزوج على زوجته ليس بالشيء الهين، فلا ينبغي الاستهانة به، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ بابنة له فقال يا رسول الله هذه ابنتي

---

(١) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ١١٨٩/١.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٤٨٩.

(٣) أخرجه البخاري، ٥١٩٣.

(٤) أخرجه البخاري، ٥١٩٣.

(٥) انظر: فقه الدعوة إلى الله، د. علي عبد الحليم محمود ٢٣٢/١.

قد أبت أن تتزوج، فقال لها النبي ﷺ أطيعي أباك، فقالت: والذي بعثك بالحق لا أتزوج حتى تخبرني ما حق الزوج على زوجته؟ فقال النبي ﷺ "حق الزوج على زوجته أن لو كانت قَرْحةٌ فلحستها ما أدت حقه" قالت والذي بعثك بالحق لا أتزوج أبدًا فقال النبي ﷺ ((لا تَنْكِحُوهُنَّ إلا بإذْنِ أَهْلِهِنَّ))(١).

لذا بات معلومًا في الذهن أنه يجب على المرأة المسلمة أن تطيع ربها، ثم تطيع زوجها وتقوم بحقه بالمعروف وأن تحفظ ماله وسره وفراشه(٢) إلى غير ذلك مما أوجبه الشرع عليها.

رابعًا- من مهام الداعي: تحذير المدعوين مما يضرهم:

يحذر النبي ﷺ المرأة المسلمة من إيذاء زوجها فيقول: "لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله" دعاء عليها، وأنى لها بمعاداة الله وتحمل غضبه، لذا كان من مهام الداعي تحذير المدعوين من مكامن الخطر والإلقاء بالنفس إلى موارد التهلكة.

خامسًا- من أصناف المدعوين: النساء:

في هذا الحديث وجه النبي ﷺ دعوته إلى معشر النساء، يحذرهن من إيذاء أزواجهن، أو التفريط في حقوقهم، مبينًا لهم ومحذرًا لهن من عاقبة ذلك "لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا"، والعناية بدعوة النساء وخطابهن عناية بالدعوة وعناية بالمجتمع كله، لذا نجد أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ورد فيها الخطاب الدعوي الموجه للنساء، لما لذلك من أهمية، ولما للمرأة من دور اجتماعي وتربوي كبير في المجتمع، فهن راعيات الأطفال ومربيات الأبناء وهن المؤثرات على الأزواج والمحارم(٣)، ومن هنا يتبين لنا أهمية النظر بعين الاعتبار للنساء بأنهن من أصناف المدعوين الذين لا يستهان بهم.

---

(١) صحيح ابن حبان، ٤١٦٤، وقال محقق الحديث: إسناده حسن، ٤٧٢/٩.

(٢) انظر: موسوعة الآداب الإسلامية، عبدالله بن محمد المعتاز، ١٣١/١.

(٣) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٧٣ - ٧٤.

ولقد أوضح القرآن أن الرجل والمرأة في التكليف والثواب والعقاب سواء، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1]، وفي هذا البيان دلالة على أن أحكام الإسلام يستوي فيها الرجال والنساء، ما عدا ما خصصه الدين بأحد الصنفين[2].

---

(١) سورة النحل، آية: ٩٧ .

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٧٣/١٤/٦.

الحديث رقم (٢٨٨)

٢٨٨- وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: ((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّساء)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

أسامة بن زيد: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٩).

الشرح الأدبي

إن الحياة تموج بألوان الفتن، والإنسان محاصر فيها بحب الشهوات، ومتعلق بزينتها وبما تنْضح من مغريات وأهواء ومرغبات: من النساء والبنين، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث.

والحياة الدنيا في كمال زينتها، وفي قمة إغرائها لعب ولهو وزينة وتفاخر، وتكاثر في الأموال والأولاد، وهي في هذه الزينة الخادعة كمثل غيث أعجب الكفار نباته، ثم يهيج فتراه مصفرًا، ثم يكون حطامًا ...!!!! وفي الآخرة عذاب شديد، ومغفرة من الله ورضوان.

إن هذه الفتن المائجة بكل أنواع الشهوات تتصدرها فتنة النساء، فهي كما أخبر المصطفى ﷺ أكثر إضرارًا على الرجال من أي فتنة أخرى، لأن الافتتان بالنساء أشد منه بغيرهن من أنواع الفتن الأخرى.

وهذا الحديث لا يدعو إلى كراهية النساء، ولا إلى عداوتهن، ولا يقدح في طبيعتهن وخلقهن وإنما يدعو إلى التوازن في التعلق بهن، وعدم الانشغال بهن انشغالاً يؤدي بالإنسان إلى التهلكة، ويوقعه في الحرام، وتعطيل حدود الله، وفروضه وواجباته.

والحديث من البيان النبوي الموجز الذي يشع بدلالات كثيرة، ويرشد إلى آفاق سلوكية، ودروس اجتماعية تهدي الحيارى، وترشد السائرين، وتنقد السادرين في

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٩٧/٢٧٤٠) واللفظ له.

غواياتهم، والغارقين في شهواتهم وضلالاتهم، فهو ينبه ولا يسفه، ويفتح أبواب النجاة،ولا يغلق منافذ التمتع بالحياة، في ظل القيم المرتضاة، والتعاليم المرتجاة، والسلوكيات المبتغاة.

والحديث حين نتأمل بناءه اللغوي نجده يتكون من جملة واحدة، لا يكتمل المعنى إلا بعد قراءتها كاملة.

والتعبير بالماضي في قوله عليه الصلاة والسلام "ما تركت بعدي" والعدول عن التعبير بالمضارع يرشد إلى أن هذه حقيقة كائنة وماثلة، وفي ذلك تحذير لكل رجل، وللمؤمنين خاصة من الاستغراق في خضم فتنة النساء: لأنها من عين الشهوات، وهي الأصل في تكاثر كل أنواع الفتن، والتعبير بقوله "بعدي"، يوحي بأنَّ هذا التحذير الضمني موجه إلى المسلمين خاصة، وفيه كذلك إشارة إلى أن كل رجل بالغ عاقل مكلف عليه أن يدخل في دين الإسلام، وأن يحذر من التردي في حمأة فتنة النساء.

ولفظ: الفتنة من الألفاظ ذات الدلالات المتعددة.. وكلها تتجمع كحزمة الأشعة المكثفة، وتتوهج بكثير من المعاني التي تتوافق مع ما يقصد إليه رسول الله ﷺ من الإشارة إلى أنواع الفتن وفي صدارتها النساء، فالفتنة هي المحنة والابتلاء، والجمع فتن وأصلها من قولك: فتنت الذهب والفضة، إذا أدخلتهما النار لتمييز الجيد من الرديء، والفتن في اللغة: الإحراق، ومنه قوله سبحانه: ﴿عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ﴾[1].

ومن معاني الفتنة ودلالاتها: الضلال والإثم والكفر والفضيحة والعذاب وإذابة الذهب والفضة، والإضلال والجنون والمحنة والمال والأولاد، واختلاف الناس في الآراء، ويقال: فتن إلى النساء، أي أراد الفجور بهن، والفتَّان اللص والشيطان"[2]. فهذه المفاهيم اللغوية تتضمن كثيرًا من أنواع الفتن.. وفي مقدمتها فتنة النساء، ولذلك جاءت كلمة فتنة في صيغة النكرة، إشارة إلى ألوان الفتن الأخرى فهي ليست الفتنة الوحيدة، ولكنها أشدها ضررًا وقوله: "هي" لمزيد من التحديد والتخصيص، والتعبير بأفعل

(١) سورة الذاريات، آية: ١٣ .

(٢) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ف ت ن).

التفصيل في قوله: "أضر" يفصح عن خطورة الانزلاق في مهاوي هذه الفتنة، والتعبير بـ"على" يفيد تحكم هذه الفتنة، واستعلاء ذلك الضرر، ووقوع الرجال في قبضته، وقوله: "الرجال" فيه تعميم، ولم يخصص الضرر بالمؤمنين أو المسلمين، لأن هذه فطرة يشترك فيها الناس جميعًا، وعليهم أن يقاوموا هذا الجموح حتى لا يصيبهم الهلاك، وقوله "النساء": إشارة إلى أن الفتنة قد تكون بما لا يحل للإنسان، ولم يقل الزوجات!!!.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، التحذير.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان خطر الفتنة بالنساء.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ بفتنة الرجال بالنساء من بعده.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار، الحذر:

أ- **الإخبار:** حيث أخبر النبي ﷺ في الحديث بضراوة الافتتان بالنساء، وذلك على سبيل التحذير قائلاً: "ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء" وإخبار الداعي المدعوين بمكامن الخطورة وموارد التهلكة، يجعلهم آخذين للحيطة، نائين بأنفسهم عن التهلكة وأسبابها.

ب- **التحذير:** فهذا الحديث في معناه يحمل معنى التحذير الذي وجهه النبي ﷺ إلى الرجال من فتنة النساء، والتحذير بمعنى التخويف، يقصد بذلك التيقظ والاستعداد وأخذ الحذر[(١)].

وقد أمرنا الله بأخذ الحذر والحيطة في الأمور عامة، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾[(٢)]، وحذرنا من مخالفة الأمر الشرعي سواء في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ﴾[(٣)]، وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ

---

(١) انظر: المعجم الوسيط ١٦٢.

(٢) سورة النساء، آية: ٧١.

(٣) سورة المائدة، آية: ٩٢.

أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[(١)].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان خطر الفتنة بالنساء:

يبين النبي ﷺ في هذا الحديث خطر الفتنة بالنساء فيقول ﷺ: ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء" ففيه أن الفتنة بالنساء أشد من الفتنة بغيرهن[(٢)] وقد ذكرها الحق تبارك وتعالى في مقدمة الشهوات التي زينت للناس ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[(٣)].

قال ابن الجوزي: (وهذه الأشياء المذكورة قد تحسن نية العبد بالتلبس بها، فيثاب عليها، وإنما يتوجه الذم إلى سوء القصد فيها وبها[(٤)]، فإذا قصد سوء القصد كانت فتنة وضررها واضح جلي، وقال ابن حجر في قوله: ("زين للناس حب الشهوات من النساء" فجعلهن -أي النساء-من حب الشهوات، وبدأ بهن قبل بقية الأنواع، إشارة إلى أنهن الأصل في ذلك. وقد قال بعض الحكماء: النساء شر كلهن، وأشر ما فيهن عدم الاستغناء عنهم، ومع أنها ناقصة عقل ودين، تحمل الرجل على تعاطي ما فيه نقص العقل والدين، كشغله عن طلب أمور الدين، وحمله على التهالك على طلب الدنيا، وذلك أشد الفساد[(٥)]. وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[(٦)] أي أن هذه الأشياء تفتتن بها النفس، ويجري

---

(١) سورة النور، آية: ٦٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١/٩.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٤.

(٤) زاد المسير في علم التفسير ٣٦٠/١.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١/٩.

(٦) سورة التغابن، الآيتان: ١٤ - ١٥.

عليها البلاء إذا أوثروا على محبة الحق، والله عنده أجر عظيم لمن آثر طاعة الله ومحبته على ما دونه، وأدى حق الله في الأموال[١] وما طلب منه تجاه الأزواج والأولاد.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ بفتنة الرجال بالنساء من بعده:

إن ما يستنبط من هذا الحديث خصوصية النبي ﷺ في إخباره بما سيحدث من بعده من افتتان الرجال بالنساء وخطر ذلك، ففي الحديث يتجلى بعض ما اختص به النبي ﷺ بالإخبار ببعض ما يحدث بعده، ومن ذلك شدة خطورة افتتان الرجال بالنساء "ما تركت بعدي فتنة أضرّ على الرجال من النساء" فمن معجزات الرسول ﷺ ودلائل نبوته ما اطّلع عليه من الغيوب الماضية والمستقبلة وإخباره عنها، ومن المعلوم المقرر أن علم الغيب مختص بالله تعالى وحده، وقد أضافه الله تعالى إلى نفسه ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[٢] ومن المعلوم أيضًا أن الأنبياء لا يعلمون الغيب ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾[٣] إلا أنه قد جاءت أدلة تفيد أن الله استثنى من خلقه من ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم[٤]. قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[٥]، قال القاضي عياض: ((وهذه المعجزة من جملة معجزات الرسول ﷺ المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر، لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب))[٦].

---

(١) انظر محاسن التأويل، الإمام القاسمي، مج٩/١٦/١٨٥، ١٨٦.

(٢) سورة النمل، آية: ٦٥.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٥٠.

(٤) موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن حميد، عبدالرحمن بن ملوح ٥٤٢/١، ٥٤٣.

(٥) سورة الجن، الآيتان: ٢٦ - ٢٧.

(٦) كتاب الشفا، بتعريف حقوق المصطفى، ٣٢٩/١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

يحرص الرسول ﷺ على إقامة توازن في العلاقات بين الزوجين، وقد مضى الحديث عن مسؤولية الرجل تجاه المرأة ودوره في رعايتها وعنايتها وحسن التعامل والتعاون معها.

وفي هذا الباب يظهر الرسول ﷺ حق الرجل على امرأته، فذكر الكثير مما ينبغي القيام به. وقد راعى في هذه الحقوق غيرة الرجل وحرمة المرأة ونزغ الشيطان وقالة السوء. ومن المضامين التربوية ما يلي:

أولاً- التربية على أداء الحقوق:

إن التربية على أداء الحقوق دعوة لتقويم سلوك الإنسان وضبط حركته في حياته للتنشئة على هذه الروح الطيبة، لذلك اهتم الرسول ﷺ، بتربية النساء على معرفة حقوق أزواجهن وأدائها، وتربية النفس على التقرب إلى الله تعالى بطاعة الزوج وأداء حقوقه، ومن الشواهد في التربية على أداء حق الزوج ما جاء في أحاديث الباب من حث الزوجة على أداء حقوق زوجها، قال ﷺ: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ، فَلَمْ تَأْتِهِ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ». وقال: «إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا، لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ ...». وقال: «لا يَحِلُّ لامرأةٍ أن تَصُومَ وزَوْجُهَا شَاهِدٌ إلا بإذنِهِ، ...» فهذه توجيهات تربوية لتربية المرأة على أداء حق زوجها وطاعته طمعًا في رضوان الله تعالى فضلاً عن دور هذه التربية في تقوية العلاقة الوثيقة بين الرجل وزوجته، مما ينعكس انعكاسًا إيجابيًا مباشرًا على أفراد الأسرة، ويعمل على حمايتها من الأسباب التي يمكن أن تصدع تماسكها، لأن من أهم وأبرز عوامل التفكك الأسري تساهل الزوجين أو أحدهما في حقوق الآخر مما يؤدي إلى ظهور الخلافات الزوجية، لذلك وضع الإسلام الأسس الزوجية لكي يأخذ منها التوجيهات التربوية الذي تربى في الزوجة معرفة حق زوجها[1].

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٣٢٥. موسوعة الحقوق الإسلامية، سعد يوسف أبو غدير ص ٢١٥.

ثانيًا- التربية بالترهيب والترغيب:

إن من أساليب التربية الإسلامية الهادفة الترغيب والترهيب، ولقد استخدم رسول الله ﷺ هذا الأسلوب في التربية لما له من الأثر الكبير، وأحاديث الباب تدل على ذلك، فلقد قال رسول الله ﷺ في معرض الحديث عن حق الزوج على زوجته: "فلتأته وَإِنْ كَانَتْ عَلَى التَّنُّورِ»، وقال: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً، هِيَ أَضَرُّ، عَلَى الرِّجَالِ، مِنَ النِّسَاءِ». فهذه نماذج تربوية أراد النبي ﷺ إبراز الترهيب كأسلوب تربوي مؤثر لتغيير بعض السلوكيات الخاطئة، وذلك لأن الترهيب فيه من الوعيد عقوبة أو حرمان منفعة، ولذا أبرز النبي ﷺ هذه النماذج التي تدل على الترهيب لعلمه أن الإنسان لديه القدرة على التمييز بين ما يضره، وما ينفعه كما أنه يستطيع أن يستجيب أوامر التكليف، فيمتنع عما نهى عنه ويعمل بما أمر به، مما يجعل للترهيب أثراً في سلوكه ولولا هذه الخاصية الفطرية لما كان للترهيب أثر تربوي متمثل في عامل الخوف، كما أراد النبي ﷺ إبراز الترغيب أيضًا كأسلوب من أساليب التربية من خلال التوجيهات التربوية التي ذكرها النبي ﷺ في معرض الحث على طاعة الزوجة لزوجها، وهذا الثواب العظيم المترتب على تلك الطاعة، ومن الشواهد على ذلك قوله ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ، وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ، دَخَلَتِ الْجَنَّةَ». وهذا مما يجعل المرأة المؤمنة تتوق نفسها إلى الجنة، فتحرص على السلوكيات التي تؤهلها لذلك من خلال طاعتها لزوجها ومراقبة الله تعالى في ذلك، وكذلك حسن رعايتها لبيتها وأولادها، إن الترغيب فيه تحريك للدوافع الخيرة وتنشيطها بالترغيب فيما أعده الله تعالى لمن خاف مقام ربه، وهناك فائدة هامة في هذا المضمون وهي أن على المربي أن يعتدل في استخدام الترغيب والترهيب وأن يوائم بينها فلا يغلب أحدهما على الآخر[1].

ثالثًا- التربية على تحمل المسؤولية:

التربية على تحمل المسؤولية من أساليب التربية الإسلامية الصادقة والتي تهدف إلى تربية الجيل وإعداده، والرسول ﷺ جعل جميع أفراد المجتمع مسؤولين فيه ومكلفين

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. الحازمي ص ٢٩٣. أصول التربية الإسلامية، د. عزب ص ٢٦٣.

بواجبات حيث قال: «كلُّكم راعٍ ومَسْؤولٌ عن رعيَّته... والمَرْأَةُ رَاعِيةٌ عَلى بَيْتِ زَوْجِها ووَلَدِهِ ...»، فهذا نموذج تربوي أراد النبي ﷺ أن يبرز فيه كيفية تحمل المسؤولية وتقسيم أدوارها، وذلك من باب التربية على الحرص على كل ما هو نافع. وذلك أن إشراك الجميع في تحمل المسؤولية من شأنه أن يشعر كل فرد فيهم بأن عليه دورًا مهمًا يجب أن يحرص على أدائه بكل أمانة، ويجعلهم يندفعون ذاتيًا نحو العمل، والإصلاح، وتلافي الخطأ والانحراف، وفي ظل هذا التوجيه التربوي النبوي تتحدد المسؤوليات، ويزداد التنافس الشريف في العطاء والبذل، وإتقان العمل فيكون المجتمع الإسلامي أعظم قابلية للنمو والتجديد، حيث يتحمل كل فرد من أفراد الأسرة، وكل فرد من أفراد المجتمع دوره الخاص به، ويجتهد في القيام به بالصورة الجادة المناسبة، وبعيدًا عن أي تخاذل، إلا أن للمسؤولية ضوابط تتلخص في أهلية التصرف، العلم الذي يقتضي التميز بين الحق والباطل، والإرادة، وهي القصد والنية دون إكراه أو اضطرار، والاستطاعة للقيام بهذه المسؤولية[1].

رابعًا- التربية بتهذيب اللسان في التعبير عن المعاني الصريحة:

من أهداف التربية الإسلامية تهذيب اللسان والتعبير عن المعاني الصريحة التي يستحيا من ذكرها صراحة بالألفاظ المناسبة، ومن الشواهد على ذلك في أحاديث باب حق الزوج على زوجته قوله ﷺ: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ، فَلَمْ تَأْتِهِ، ...». وقال: «إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا، ...». وقوله: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَتَأْبَى ...». وقوله: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ لِحَاجَتِهِ فَلْتَأْتِهِ ...» هذه توجيهات نبوية للتعود على تهذيب اللسان في الحديث عن العلاقة الزوجية، فقد عبّر النبي ﷺ عنها بكلمة "الفراش" أو "حاجته"، وهذا أدب نبوي تربوي عال ومتميز، لتهذيب الألسنة في التعبير عن المعاني التي يستحيا منها، ولغرس العفة في الألفاظ،

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية ص ٢٩٩، القيم بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية مقارنة، د. مانع بن محمد المانع ص ٩٩. التربية الذاتية في الكتاب والسنة، إعداد. هشام علي أحمد ص ٥٦.

وتعويد الزوجين والناشئة على ذلك لأن هذه عورات فلا ينبغي الحديث عنها صراحة لأن النبي ربى الصحابة على التزام الستر وإحاطة تلك العلاقة بنوع من السرية التي تتناسب مع حساسيتها، لأنها أمانة عظيمة، ومخالفتها تعد نذالة وانعدام نخوة تستوجب عقاباً شديداً، قال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا»[١].

فهذا التوجيه التربوي يدعو إلى عدم الحديث عن الأمور الجنسية ولا الأمور الشخصية في زوجته ولو حدث لكان عيبًا كبيرًا في رجولته، ولذلك امتدح الله تعالى الزوجات الحافظات لما يجري بينهن وبين أزواجهن مما يجب كتمه، قال تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾[٢].

فهذه دعوة إلى تهذيب اللسان في التعبير عن المعاني الصريحة في العلاقات الزوجية وعدم الحديث عنها، وليس كما يحدث الآن في وسائل الإعلام من حديث الأزواج صراحة عن علاقتهم مع زوجاتهم[٣].

خامسًا- التربية الخلقية:

لقد قال رسول الله ﷺ: "ما تركت بعدي فتنة هي أضرّ على الرجال من النساء" وهذا الحديث يدخل ضمن التربية الوقائية التي تهدف إلى حماية المجتمع المسلم من الوقوف فيما هو مكروه وضار له، وذلك من خلال تحذير المسلمين من الفتن والمخاطر التي تحدق بهم، مثل فتنة النساء وبقية الشهوات.



---

(١) مختصر صحيح مسلم للمنذري، ٨٣١ ص ٢٤٠.

(٢) سورة النساء، آية: ٣٤.

(٣) انظر: موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان وآخرين ٤٠/٢٧.

٣٦- باب النفقة على العيال

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[البقرة: ٢٣٣]، وَقالَ تَعَالَى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾[الطلاق: ٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾[سبأ: ٣٩].

الحديث رقم (٢٨٩)

٢٨٩- وعن أَبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((دِينَارٌ أنْفَقْتَهُ فِي سَبيلِ اللهِ، وَدِينار أنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أنْفَقْتَهُ عَلَى أهْلِكَ، أعْظَمُهَا أجْرًا الَّذِي أنْفَقْتَهُ عَلَى أهْلِكَ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

رقبة: الرقبة: العبد أو الأمة[2]، أي: أعتقت به عبدًا أو أمةً[3].

الشرح الأدبي

هذا هو الحديث الأول في باب "النفقة على العيال" وهو يفتح آفاق التعاون على البر والتقوى، ويعدد مجالات الإنفاق، وذلك من شأنه أن يؤكد قيمة التكافل الاجتماعي بين طوائف المجتمع، ويحدث تقاربًا وتماسكًا بين أفراد الأمة، وتراحمًا وتعاطفًا بينهم، وقد صدق الشاعر العربي حين قال:

---

(١) برقم (٩٩٥/٣٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٩١٤).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢٧٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٣٧.

أحسِنْ إلى النّاسِ تَستعبِدْ قُلوبَهُمُ ... فطالَما استعْبدَ الإنْسانَ إحسانُ

وهذا التعاطف والتراحم الذي يدعو إليه الحديث يتضح في ضوء الدعوة القرآنية في آيات كثيرة، ومنها قوله عز وجل: ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾[1].

وفي ضوء الترغيب في الإنفاق، تأتي هذه الدعوة الكريمة من رسول الله ﷺ إلى التكافل بين أبناء الأمة حتى يتألفوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا..؛ في ضوء هذا نتأمل صياغة الحديث الشريف. وهي صياغة دقيقة لا مجال فيها للتصوير الفني.. ولا التأنق البياني، ولكن على الرغم من ذلك فإن أسلوب الحديث الشريف جمع بين دقة الدلالة، وحسن الترغيب في الإنفاق على المحتاجين، ومن مظاهر الجمال الأسلوبي في هذا الحديث، حسن التقسيم، حيث يتضمن الحديث خمس جمل، والأربع الأولى كلها تبدأ بلفظ واحد وهو "دينار"، وهو المبتدأ الذي به تفتتح الجمل الأربع، ثم بعد هذا المبتدأ تأتي جملة الخبر، وهي تبدأ في ثلاث جمل بالفعل "أنفقته" وفي جملة واحدة يقول "تصدقت به"، وهذا التقسيم وذلك التجانس في بناء الجمل، هو صورة لما يهدف إليه الحديث من تجانس أفراد الأمة، وتوحد مشاعرهم في ظل هذا التعاطف الذي ينبع من قيمة الإنفاق، وثمرة التصدق، وكسر الحواجز بين الأغنياء والفقراء، فالتجانس اللغوي في الحديث يؤدي إلى التجانس الاجتماعي.

والبدء بالنكرة في قوله "دينار" جائز، ومسوغه يتفق مع مقاصد الحديث، وهو إرادة التنويع: أي تنويع مصادر الإنفاق وجهاته، والدينار ليس مقصورًا لذاته بقيمته العددية، وإنما هو رمز لكل ما ينفقه من مال، ومن مظاهر الجمال الأسلوبي تكرار لفظ "دينار" أربع مرات، وذلك للترغيب في الإنفاق والحث عليه، والدينار ليس مقصودًا لذاته بقيمته العددية، وإنما هو رمز لكل ما ينفق من مال، ولا حدَّ لذلك حسب القدرة المادية للمنفق، وحسب المشروع الذي ينفق عليه، وهي متنوعة ومنها في سبيل الله، وفي

---

(١) سورة الطلاق، آية: ٧.

دائرة ذلك يتنوع الإنفاق وتتعدد آفاقه، ومنها الإنفاق في تحرير الرقاب من الرِّق، أو بعض الأجراء والخدم، الذين يتعرضون للتعذيب والقسوة، وتكرار الفعل "أنفقته" أربع مرات في صيغة الخطاب الموجَّه إلى كل مسلم منفق متصدق، يؤكد هذا المنهج الترغيبي الذي يحرص عليه رسول الله ﷺ، وفي مجال الترغيب في الإنفاق على المسكين قال: "تصدقت به"، ولم يقل: أنفقته، لأن المسكين لا تجب النفقة عليه، وإنما تجب له الزكاة، أما عتق الرقبة، والإنفاق في سبيل الله، والإنفاق على الأهل، قد يكون واجبًا في مواقف كثيرة حسب ما قاله الفقهاء في هذه المجالات، وأسلوب الحديث ينزع إلى التشويق، حيث لم يقدم الغرض تقديمًا مباشرًا: وهو الإنفاق على الأهل، ولكنه عدَّد أوجه الإنفاق، حتى يفتح المجالات أمام المتصدقين.

وفي النهاية أصدر الحكم، وأبان عن المقصد المراد فقال: "أعظمها أجْرًا الذي أنفقته على أهلك"، والنفقة: المراد بها: سائر المؤن من كسوة ونفقة وسكن، وسميت بذلك إما لذهابها بالموت، وإما لرواجها من نفقت السوق أو من نفق البيع: أي كثر طلابه، وإما لنفادها من نفق الزاد: إذ ذهب لأنه عرضة للنفاد[1].

فقه الحديث

يشير هذ الحديث إلى أكثر من حكم فقهي:

الأول: حكم النفقة وأسبابها، وقد اتفق الفقهاء[2] على أن النفقة تجب بأسباب ثلاثة هي: الزوجية، والقرابة، والملك (الرق).

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٩١، ٤٩٢.

(٢) المبسوط للسرخسي ١٨٠/٥، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ١٥/٤، ومجمع الأنهر ٤٨٤/١، وتبين الحقائق ٥٠/٣، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، محمد المواق ١٨١/٤، وشرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي بن يوسف الزرقاني ٢٤٤/٤، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٤٧٨/٣، وروضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٣/٨، والتهذيب ٢٢٠/٦، والعزيز شرح الوجيز ٣/١٠، والمبدع في شرح المقنع، ابن مفلح ١٨٥/٨.

الثاني: حكم الإنفاق على الجهاد في سبيل الله وقد اتفق الفقهاء[١] على أن الجهاد كما يكون بالنفس يكون بالمال، فمن لم يستطع أن يجاهد بنفسه، ويخرج للقتال يستطيع كسب مثل أجر المجاهد، بإنفاقه في سبيل إعلاء كلمة الله عز وجل، ومعاونة المجاهدين في سبيله، بالإنفاق على أهليهم بعد خروجهم للجهاد.

الثالث: النفقة في سبيل الله، وقد اختلف الفقهاء في المقصود بسبيل الله، فذهب الفقهاء وعامة المفسرين إلى أن المقصود بسبيل الله الطرق الموصلة إلى الله، ويشمل جميع القرب إلى الله، إلا أنه عند الإطلاق ينصرف إلى الجهاد لكثرة استعماله فيه في القرآن، وقال بعض الحنفية سبيل اله طلبة العلم، وقال محمد بن الحسن إنه الحاج المنقطع[٢]، وقيل غير ذلك.

الرابع: حكم الإنفاق في عتق الرقاب، وقد أجمعت الأمة على مشروعية عتق الرقاب، وأنه من الأمور التي يحصل بها القربة إلى الله تعالى، وقد نقل ابن قدامة هذا الإجماع[٣].

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٤٢/٣، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٩٩/٧، والبحر الرائق لابن نجيم ٨٩/٥، ومواهب الجليل للحطاب ٣٤٧/٣، ومغني المحتاج للشربيني ١٩/٦، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد للبهوتي ٣٦/٢، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٦١٨/١.

(٢) المبسوط ٢٠٣/٢، ودرر الحكام ١٨٩/١، وأحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٥٣٣/٢، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ١٥٤/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٨/٦، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٣٩٨/١، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٤٥٨/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٨٣/٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٧/٢٤ وما بعدها.

(٣) المبسوط ٦٠/٧ وما بعدها، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، محمد المواق ٤٤٥/٨، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٤٣٤/٤، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٧٨/١٠، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٢٩٣/٧، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٦٥/٢٩.

الخامس: حكم الإنفاق على المساكين، وقد ذكر الفقهاء[(١)] على أنه يسن للمرء أن يتصدق على الفقراء والمساكين، وأن ذلك من خير الأعمال عند الله تعالى.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من مهام الداعي: الدلالة على أبواب الخير.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: مراعاة ترتيب الأولويات.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل النفقة على الأهل.

خامسًا: من أهداف الدعوة: الترغيب في النفقة على الأهل.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

استعمل النبي ﷺ هذا الأسلوب في الحديث فأخبرنا بأن خير ما ينفقه الإنسان وأعظمه أجرًا ما ينفقه على أهله فقال: "دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك"، وإخبار الداعي بأعمال الخير وأفضلها، يجعل المدعو أكثر حرصًا عليها وتحصيلاً لها، كما أن إدراكه لمكامن الخطر وموارد التهلكة، يجعله أكثر حذرًا منها وابتعادًا عنها.

ثانيًا- من مهام الداعي: الدلالة على أبواب الخير:

في هذا الحديث يبين النبي ﷺ عددًا من أبواب الخير والإنفاق والأفضل منها، فيذكر الإنفاق في سبيل الله، والعتق، والصدقة، والإنفاق على الأهل، ويبين أن أفضل

---

(١) أحكام القرآن، الجصاص ٤٣٧/١، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٠٦/١، وبلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، أحمد بن محمد الصاوي ٤٨٩/٣، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٧٤/٤، والزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي ٤٢٠/١، وأدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي ص١٨٨ وما بعدها، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٤٤/٦، والفروع، ابن مفلح ٥٢٣/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤١٤/١، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥٤٣/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٦٢/٨.

ذلك كله الإنفاق على الأهل فقال: "دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجرًا الذي انفقته على أهلك"، وإن دلالة الناس على الخير من أهم ما يضطلع به الداعية من مهام قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[(١)] أي يدعون إلى الإسلام[(٢)]، أصوله وفروعه، وشرائعه، ويأمرون بالمعروف وهو ما عرف حسنه شرعًا وعقلاً، وينهون عن المنكر، وهو ما عرف قبحه شرعًا وعقلاً وأولئك هم المفلحون، ويدخل في هذه الطائفة أهل العلم والتعليم، والمتصدون للخطابة ووعظ الناس عمومًا وخصوصًا، والمحتسبون الذين يقومون بإلزام الناس بشعائر الدين، فكل من دعا الناس إلى خير، أو قام بنصيحة فإنه داخل في هذه الآية الكريمة[(٣)].

في هذا الحديث بين النبي ﷺ وذكر أبوابًا من فعل الخير والإنفاق، ثم بين أن أعظم هذه الأبواب أجرًا هو الإنفاق على الأهل فقال "أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك" فالواجب على الإنسان أن يقدم الأهم على المهم، فالحديث بين فضل الإنفاق على الأهل على غيرهم، لأن الإنفاق على الأهل فرض عين، والإنفاق على من سواهم فرض كفاية، وفرض العين أفضل ومقدم على فرض الكفاية؛ فالواجب على المسلم أن يبدأ بالواجب الذي هو محتم عليه، ثم بعد ذلك ما أراد من التطوع[(٤)].

لذا ينبغي على المسلمين عامة الاهتمام بترتيب الأولويات دعاة ومدعوين، ويتضح ذلك جليًا في قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ((إن أول ما أنزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٢) معالم التنزيل، البغوي ٢/٤/٨٥.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١١٢.

(٤) شرح رياض الصالحين ١/٦٧٨.

شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبدًا ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبدًا))[١]. وقد أشارت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى الحكمة في ترتيب التنزيل وأن أول ما نزل من القرآن: الدعوة إلى التوحيد، والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة، وللكافر والعاصي بالنار، فلما اطمأنت النفوس على ذلك أنزلت الأحكام[٢].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل النفقة على الأهل:

أشار النبي ﷺ في الحديث إلى فضل النفقة على الأهل مبينًا عظيم أجره على غيره فقال "أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك" والنفقة على الأهل وتعهدهم من الأمانات التي اؤتمن الإنسان عليها قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾[٣] فالأولاد والزوجات أمانات عند الأزواج والآباء، عليهم القيام بحفظ هذه الأمانات وكفهم عن جميع المضار والمفاسد[٤]. والإنفاق على الأهل يشمل جميع المؤن من النفقة والسكن والكسوة على من يعول من زوجة وولد وخادم وهي مقدرة بالكفاية[٥]؛ بل إن الإسلام ليعتبر النفقة على الأهل إذا احتسبت صدقة فعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا أَنْفَقَ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً، وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا، كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً))[٦] حتى مجرد اللقمة يرفعها إلى فم زوجته صدقة، فعن سعد بن أبي وقاص من حديث طويل قال رسول الله ﷺ: ((وإنكَ لن تُنفِقَ نفقةً تبتغي بها وَجه الله إلاّ أجِرتَ بها، حتَّى ما تَجعَلُ في فِي امرأتِكَ))[٧].

---

(١) أخرجه البخاري ٤٩٩٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٠/٩.

(٣) سورة المؤمنون، آية: ٨.

(٤) انظر: الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة، عبدالرحمن السعدي ص ٦٧.

(٥) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٥٩٨/٢.

(٦) أخرجه مسلم ١٠٠٢.

(٧) أخرجه البخاري ١٢٩٥.

خامسًا- من أهداف الدعوة: الترغيب في النفقة على الأهل:

يتضح ذلك من خلال ترغيب النبي ﷺ في النفقة على الأهل، حيث أمر بتقديمهم على غيرهم، وذلك استصحابًا لفقه الأولويات، وتقديم الواجب على غيره فقال: "أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك" فبهم البدء ولهم الأولوية على غيرهم، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا ((فَبَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ))[1] وحذر الإسلام من التقصير في النفقة على الأهل، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: ((كَفَى بالمرءِ إثمًا أن يُضيع مَنْ يَقُوتُ))[2] أي من تلزمه نفقته من أهله وعياله، وقال الخطابي: (يريد من يلزمه قوته، والمعنى كأنه قال للمتصدق لا يتصدق بما لا فضل فيه عن قوت أهله يطلب به الأجر فينقلب ذلك الأجر إثمًا إذا أنت ضيعتهم)[3] وقال بكر بن عبدالله: (نفقة الرجل على أهله في كفة الميزان اليمنى، وكفة اليمنى في الجنة، وكان أبو قِلابَة يقول: أيُّ رجل أعظم أجرًا من رجل ينفق على عيالٍ صغارٍ، فيعفهم وينفعهم الله تعالى ويغنيهم به)[4].

---

(١) أخرجه مسلم ٩٩٧.

(٢) أخرجه أبي داود ١٦٩٢، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١٤٨٤).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٧٧٠.

(٤) موسوعة الحقوق الإسلامية، سعد يوسف أبو عزيز ص ١٦٤.

الحديث رقم (٢٩٠)

٢٩٠- وعن أَبي عبد الله، ويُقالُ لَهُ: أَبو عبد الرحمان ثَوبَان بن بُجْدُد مَوْلَى رَسُول الله ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**أفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ: دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ، وَدينَارٌ يُنْفِقُهُ[1] عَلَى دَابَّتِهِ فِي سَبيلِ الله، وَدِينارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى أصْحَابِهِ فِي سَبيلِ الله**)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

ثوبان بن بُجْدُدٍ: تقدمت ترجمته في الحديث (١٠٧).

غريب الألفاظ:

مولى: خادم[3].

الشرح الأدبي

تتعدد وجوه البيان النبوي، وتتوهج بالمعاني السامقة في كل وجه من هذه الوجوه البيانية، وعلى المسلم أن يقتبس من أساليب المصطفى ﷺ ما يضيء له الطريق، وعليه أن يهتدي بنور الهدي النبوي، وأن يسير في إشعاعاته التي تتألق بالتوجيهات الإلهية، والمعاني القرآنية.

وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث، ونوازن بينه وبين الحديث السابق، نرى أن هذا الحديث يبدأ بأفضلية الإنفاق على أهل الرجل وعياله، ثم الإنفاق على الدابة في سبيل الله، ثم الإنفاق على الأصحاب الذين نذروا أنفسهم للجهاد في سبيل الله، أو نشر الدعوة الإسلامية في جميع أنحاء المعمورة، أما الحديث السابق فقد نهج مسلكًا بيانيًا آخر وهو: التشويق، رغبة في الوصول إلى قمة التأثير والأفضلية حين

---

(١) عند مسلم زيادة: (الرجل). وهي لا توجد عند المنذري.

(٢) برقم (٣٨/٩٩٤). أورده المنذري في ترغيبه (٢٩١٥).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والوسيط في (و ل ي).

ختم الحديث بالإنفاق على الأهل وقال: إنه أعظم وجوه الإنفاق أجرًا ، وليست في بيان رسول الله ﷺ طريقة بيانية أفضل من أخرى، وإنما سياق الحديث هو الذي يعطي للنهج الأسلوبي مذاقه، حسب القاعدة البلاغية التي استنبطها العلماء من أساليب العرب: لكل مقام مقال، ومراعاة مقتضى الحال، وقد وصف الجاحظ كلام النبي ﷺ بأنه الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجمع بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام، وقلة عدد الكلام، وببين الخطب الطوال، بالكلم القصار.

والحديث يبدأ بأفعل التفضيل، والمادة اللغوية نفسها وهي "فضل" تجسد المعنى المطلوب: فالأفضلية هنا تقدمها الصياغة ، ويجسدها الجذر اللغوي، وهما يقدمان جوهر المعنى الذي أراده رسول الله ﷺ، والأفضلية تبدأ بالإنفاق على الأهل، وقيل بأن الأفضلية تشمل الأنواع الثلاثة التي فصَّلها رسول الله ﷺ في الحديث، وهذا لا يلغي أفضلية الإنفاق على الأهل: لأن رسول الله ﷺ في الحديث السابق بيّن: أنه أعظمها أجرًا .

وهنا يبدأ بالإنفاق على الأهل إشارة إلى أنه أفضل الأفضل، وقال العلماء: إذا أريد مطلق الطاعة في وجوه الإنفاق يكون الأول أفضلها، وقيل بأنه: لا مانع أن الثلاثة وإن كانت أفضل من غيرها ، أن يكون أحدها أفضلها ، فهو أفضل الأفضل، وتأمل تكرار الفعل "ينفقه" أربع مرات في هذا الحديث الموجز. وهذا التكرار لمزيد من الترغيب في الإنفاق، وللتذكير الدائم بهذه الأبواب المشرعة للإنفاق والعطاء ورعاية الأهل، وللمشاركة في إعداد العدة للدفاع عن العقيدة، وهذه العدة تتمثل في تجهيز آلات الدفاع ووسائل المقاومة التي رمز إليها رسول الله ﷺ بالدابة، ولذلك فسرها العلماء بأنها الدابة التي يركبها أو يحمل عليها ،ويمكن أن يطلق المعنى، ويراد به: الإنفاق على أي وسيلة تعين الإنسان على رزقه ورزق أولاده، وتقدم مجتمعه، والدفاع عن عقيدته وأمته، وكذلك الإنفاق على الأصحاب في سبيل الله، وقوله "في سبيل الله" من المصطلحات الإسلامية المشعة كالشمس في كل اتجاه، وكل أفق يستضيء بالهدي

القرآني، والتوجيه النبوي، فكل جهد مادي أو معنوي يبذله الإنسان طاعة لله، وإعلاء لراية الإسلام، وتقوية للمسلمين فهو في سبيل الله، ولذلك قرن رسول الله ﷺ، الإنفاق على الدابة في سبيل الله، وكذلك الإنفاق على الأصحاب، لأن الإنفاق في هذين البابين ينحرف أحيانًا عن الصراط المستقيم، ولا يكون في سبيل الله، بل في سبل أخرى يقود إليها الهوى ويزينها الشيطان.

أما الإنفاق على الأبناء فهو فطرة إنسانية وهو أشرف الأنواع، ولا يملك الإنسان له دفعًا، ولا يقدر على الامتناع، ولكن يشترط أن يكون من الكسب الحلال، وأن يعين على طاعة الله، وتأمل: صيغة المضارع في مادة الإنفاق، حيث تكرر الفعل أربع مرات في صيغة المضارع، وفي ذلك إرشاد إلى ضرورة استمرار هذا المسلك الإيماني، حيث لا ينقطع ولا يمتنع، لأنه وقود حياة المسلمين وسر نهضتهم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والتفصيل بعد الإجمال.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل النفقة على العيال.

ثالثًا: من مهام الداعية: إرشاد الناس إلى الخير ودلالتهم عليه.

رابعًا: من فقه الداعية: مراعاة ترتيب الأولويات.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار، والتفصيل بعد الإجمال:

١- **الإخبار:** ورد الإخبار في قوله ﷺ: "أفضل دينار ينفقه الرجل" والإخبار من الأساليب الدعوية المهمة إذ لا يخلو حال الداعية من إخبار عن أمر من أمور الشرع، أو إخبار لبيان الجزاء على الأعمال وفي هذا الحديث أخبر النبي ﷺ عن أفضل النفقة وأنها التي تكون على الأهل والعيال وفي سبيل الله.

٢- **التفصيل بعد الإجمال:** وذلك حيث جاء في الحديث "أفضل دينار ينفقه الرجل" هذا إجمال وإبهام ثم قال "دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه على دابته...". وهذا تفصيل وبيان للإجمال السابق، ولاشك أن التفصيل بعد الإجمال، أسلوب يلفت انتباه المدعوين إلى ما يقال، وفي نفس الوقت فيه نوع تشويق للمدعوين لاستحضار ما يقال.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل النفقة على العيال:

يظهر هذا من الحديث في قول النبي ﷺ "أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله" قال الإمام النووي: (والمقصود الحث على الإنفاق على العيال، وبيان عظم الثواب فيه، لأن منهم من تجب نفقته بالقرابة، ومنهم من تكون مندوبة، وتكون صدقة وصلة، ومنهم من تكون واجبة بملك النكاح أو ملك اليمين، وهذا كله فاضل محثوث عليه وهو أفضل من صدقة التطوع)[١].

هذا وقد دلت نصوص الشرع على فضل الإنفاق قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[٢] وقال أيضًا: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[٣].

وحذر الرسول الكريم ﷺ من تضييع الأولاد وعدم الإنفاق عليهم ففي الحديث ((كَفَىٰ بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْبِسَ، عَمَّنْ يَمْلِكُ، قُوتَهُ))[٤]، إن من أرذل الأخلاق أن يملك الإنسان المال ويمنع منه أهله وأولاده فلا ينفق عليهم منه، (ومن الناس من يجود على نفسه ويبخل على عائلته، فهو يلبس أحسن الثياب، ويأكل ألذ الطعام، حتى إذا كانت نفقة زوجته أو أولاده ضاقت في وجهه السبل، وركبته الهموم والعلل، وتبرم بزوجته وأولاده، وشكى لك ما يلقى في نفقة البيت من عنت وإرهاق، وإنها لصورة بشعة في نظر المروءة والخلق أن يشبع الرجل ويجوع أولاده، وأن يتنعم وتبتئس زوجته، إنه لأمر قبيح في منطق الإنسان، وإن في الحيوان من يؤثر أولاده على نفسه)[٥].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٣٧.

(٢) سورة سبأ، آية: ٣٩.

(٣) سورة الطلاق، آية: ٧.

(٤) أخرجه مسلم ٩٩٦.

(٥) أخلاقنا الاجتماعية، د. مصطفى السباعي ص ١٧.

ثالثًا- من مهام الداعية: إرشاد الناس إلى الخير ودلالتهم عليه:

حيث أرشد النبي ﷺ إلى الأفضل في النفقة، وهذا من مهام الداعية ففي الحديث أرشد النبي ﷺ إلى أفضل أنواع النفقة لتحصيل الخير والدلالة عليه، وقد بينها الرسول ﷺ في النفقة على العيال والأهل وفي سبيل الله، وقد قال النبي ﷺ في الحديث ((مَنْ دَلَّ علىٰ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))(١)، وقد جعل الله في رسالة الإسلام الهداية والرشاد ﴿يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٢).

قال محمد الغزالي: (وأول ما يجب على أصحاب الحق -وقد عرفوه- أن يفتحوا عيون الآخرين على ضوئه، وأن يعرفوا الجاهلين به، وأن يجعلوه في الحياة واضحًا كشعاع الشمس، شائعًا كأمواج الهواء، ذاك ما يفرضه الحق على أصحابه ألا يجعلوه عليهم حكرًا، وألا يحرموا من نفعه أحدًا، وألا يدعوا نفسًا تعيش بعيدة عن هداه، وليس ذلك - بداهة- عن طريق القسر، بل عن طريق لفت الأنظار، وإيضاح الخفى وشرح المبهم، فإن فتك الجهل بالناس ذريع، وغلبة الأوهام على أفكارهم تذهب بهم بددًا في كل فج، وتخيل إليهم أنهم على صواب، والواقع أنهم موغلون في الضلال، فالعالم بحاجة ملحة إلى أن ينشط أهل الإيمان الصحيح لشرح أصوله، وإبداء صفحته)(٣).

رابعًا- من فقه الداعية: مراعاة ترتيب الأولويات:

حيث رتب النبي ﷺ أولوية الإنفاق، فبدأ ببيان الإنفاق على العيال، ثم على الدابة في سبيل الله، ثم على الصحبة، وهذا تعليم لمراعاة ترتيب أولويات الأعمال، ومثله حديث النبي ﷺ ((اليدُ العُليا خيرٌ منَ اليدِ السُّفلى، وابدأْ بمَنْ تَعولُ))(٤) قال

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٢) سورة المائدة، آية: ١٦.

(٣) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة ٣٠٢.

(٤) أخرجه البخاري ١٤٢٧.

ابن عثيمين رحمه الله: (والواجب على المسلم أن يبدأ بالواجب الذي هو محتم عليه، ثم بعد ذلك ما أراد من التطوع، فإن الشيطان يرغب الإنسان في التطوع ويزهده في الواجب، فربما يكون عليه دين ويذهب يتصدق على مساكين، أو يذهب للعمرة أو الحج التطوع، وهذا خلاف الشرع وخلاف الحكمة)(١).

والواجب على الداعية أن يراعى ترتيب الأولويات في دعوته، وفي جميع تصرفاته وأعماله، قال العز بن عبدالسلام: (إن الله سبحانه لم يشرع حكمًا من أحكامه إلا لمصلحة عاجلة أو آجلة، أو عاجلة وآجلة تفضلاً منه على عباده. ومن رفقه بنا أنه امرنا إذا اجتمع مصلحتان: قاصرتان أو متعديتان؛ أن نحصلهما، فإن عجزنا عن تحصيلهما حصَّلنا أعلاهما، وإن اجتمعت مفسدتان: قاصرتان أو متعديتان أن ندفعهما، فإن تعذر دفعهما دفعنا أقبحهما وأكثرهما، فنقدم الفرض على النفل، والمضيق على الموسع، والأوجب على الواجب، والأفضل على الفاضل، ونقدم الأرواح على الأعضاء والأبضاع، ونقدم النفقات على الديون، والديون على الهبات والصدقات وسائر التبرعات، وفي الديون والزكوات التي بلغت نصابها خلاف. وإن بذلنا الأموال أو شيئًا من أنواع البر قدمنا الرحم والجوار، والضعف والعجز، وشدة الضرورة، ومسيس الحاجة، ونقدم المستور الخامل على المستور السائل، فإن اجتمع مضطرون لا تجب نفقتهم، ومعنا كفاية أحدهم قدمنا الأفضل فالأفضل)(٢).

---

(١) شرح رياض الصالحين ٦٧٨/١.

(٢) شجرة المعارف والأحوال ٣٥١-٣٥٢.

الحديث رقم (٢٩١)

٢٩١- وعن أمِّ سَلَمَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُول الله، هَلْ لِي[١] أجرٌ فِي بَنِي أَبي سَلَمَة أنْ[٢] أُنْفِق عَلَيْهِمْ، وَلَسْتُ بِتَارِكتهمْ هكَذَا وَهكَذَا إنَّمَا هُمْ بَنِيّ؟ فَقَالَ: ((نَعَمْ، لَكِ أجْرُ مَا أنْفَقْتِ عَلَيْهِمْ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[٣].

ترجمة الراوي:

أم سلمة: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٨٢).

غريب الألفاظ:

ولست بتاركتهم هكذا ولا هكذا: أي يتفرقون لطلب القوت يمينًا وشمالاً، بل أنا كافيتهم بحسب الطبع[٤].

الشرح الأدبي

إن الحوار المقنع الممتع من أساليب الدعوة الإسلامية، وهو من أوجه الجدال بالتي هي أحسن، وهو كذلك من طرق الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وهذا الحديث يعد مشهدًا حواريًا واقعيًا بين رسول الله ﷺ وزوجته أم سلمة التي مات عنها زوجها، وترك لها خمسة أبناء بعد استشهاد أبيهم، وتزوجها رسول الله ﷺ لكي تشعر بمزيد من الاطمئنان بعد رحيل زوجها الذي كان يعول أبناءه.

وقد حرصت أم سلمة على رعاية أبنائها والإنفاق عليهم: لأنهم أبناؤها، وهم يكونون أسرتها الأولى، والأسرة هي اللبنة الأولى في بناء مجتمع الأمة الذي يتكون من مجموعة أسر وهي أساس صلاحه، فإذا صلح الأساس صلح البناء، وإذا تم التكافل بين أفراد الأسرة فقد قام البناء الاجتماعي على أساس متين[٥].

---

(١) عند البخاري زيادة: (من).

(٢) (أن) لا وجد عند مسلم.

(٣) أخرجه البخاري (٥٣٦٩)، ومسلم (١٠٠١/٤٧) والسياق للحميدي في جمعه (٢٢٨/٤ رقم ٣٤٤٣).

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٩٢.

(٥) انظر: التكافل الاجتماعي في الإسلام، د. عبدالعال أحمد عبدالعال ص ١٥٥.

وهذا الحوار بين رسول الله ﷺ وأم سلمة يبدأ بقول أم سلمة راوية الحديث، وهي تقص خبرًا وتكشف عن أمر كان يقلقها، وتريد أن تجد إجابة شافية تطمئن إليها: تقول قلت يا رسول الله، وتأمل هذا التلطف في مخاطبة الرسول ﷺ، والحرص على ندائه بأشرف وصف به، وهو رسول الله المبلغ عن ربه، فهي لم تخاطبه بوصفه زوجها، ولكن بوصفه الرسول الذي يبلغ عن ربه، والذي لا ينطق عن الهوى.

ثم تأمل فحوى هذا السؤال: "هل لي أجر في بني أبي سلمة أن أنفق عليهم"، فالسؤال عن الأجر والثواب، وليس عن الإنفاق أهو واجب أم لا: لأن هذا أمر مقرر، وهي لن تمتنع عن ذلك: لأنهم أبناء أبي سلمة وأبناؤها كذلك، ومنشأ هذا السؤال، أنها ربما ظنت أن الإنفاق على الأبناء واجب شرعي، فلا يكون له أجر في ظل ذلك الواجب، وحتى تدفع أي توهم بأنها تسأل عن الإنفاق أهو واجب أم لا؟ قالت: "ولست بتاركتهم هكذا وهكذا..." وهذا التعبير كناية عن أنها لن تتركهم يتفرقون لطلب القوت يمينًا وشمالاً لأن شفقة الأمومة -كما قال العلماء- تحمل على تكلف القيام بما يحتاج إليه الأولاد، ويزداد الأمر جلاءً، وتتأكد قيمة النفقة على العيال، حينما تقول مؤكدة في أسلوب القصر "إنما هم بنيّ" وكأنها تقول: فكيف أتركهم؟؟!!!! ولم تقل فهم بني، وإنما أكدت وحصرت الدلالة وقصرت أولادها على نفسها فقالت: "إنما هم بنيّ"، وتأتي إجابة المصطفى ﷺ مقنعة كافية شافية، في إيجاز مشع بالهداية والرحمة، لتبعث في نفس أم سلمة الطمأنينة والهدوء والسكينة: لأنها تستجيب للفطرة الصافية التي فطر الله الناس عليها، وهي فطرة الأمومة، مع الاهتداء والاقتداء بكلام رسول الله ﷺ: حيث قال: "نعم لك أجر ما أنفقت عليهم". وفي ظل دلالة "ما" يوجه المعنى، فإذا كانت ما موصولة يكون المعنى: لك أجر قدر الذي أنفقته عليهم، فإذا كانت "ما" وقتية تفيد الزمن كان المعنى لك أجر دائم بدوام الإنفاق عليهم، وكلام رسول الله ﷺ يتموج بالمعاني الشمولية، ويتوهج بالدلالات العديدة، ولا غرو فقد أوتي جوامع الكلام، فكان ﷺ أفصح العرب بشهادة القريب والنائي، عليه الصلاة والسلام.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم نفقة المرأة على أولادها، وهل ذلك واجب عليها أم لا؟، وقد سبق الكلام عمن تجب عليه النفقة للأولاد في الحديث رقم ٢٦٨، أما إنفاق المرأة على أولادها فقد ذكر الفقهاء[(١)] أن المرأة لا يجب عليها الإنفاق على أولادها، ويجوز لها أن تخرج زكاة مالها عليهم ولها بذلك ثوابها، لأن نفقتهم ليست واجبة عليها ومتى أنفقت على أولادها من مالها كان لها بذلك أجر الصدقة، لكن هذه النفقة إن كانت في وجود الزوج وهو معسر، فإنما تكون دينًا عليه، ترجع به الزوجة عليه عند يسره.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من واجبات المدعو: السؤال عما يجهل.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل النفقة على الأولاد.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: حرص أم سلمة رضي الله عنها على تحصيل الأجر.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث "هل لي أجر في بني أبي سلمة" ويعتبر أسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة إذ أنه يُوجِد نوعًا من الحوار بين الداعية والمدعو. وأم سلمة رضي الله عنها

---

(١) انظر في ذلك: الجوهرة النيرة ٨٩/٢، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٥٠/٢، وشرح فتح القدير، ابن همام الحنفي ٢٧٠/٢، والمدونة ٣٤٧/١، وأحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٣٤٨/٤، والأم، الإمام الشافعي ٩٧/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٣٤/٦، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٤٠٧/١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٦٩/٢، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٤٦٢/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٨٩/٢، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٧٠/٧.

تسأل في الحديث عن أجر النفقة على أبناء أبي سلمة، وبيّن لها الرسول الكريم ﷺ أن لها أجر ما أنفقت عليهم.

قال عبدالرحمن الميداني: (إن مجالس السؤال والجواب لها قيمة تأثيرية عظيمة لدى طارحي الأسئلة، الذين يتلقون الإجابات على تساؤلاتهم ممن وجهوها لهم، ولدى المستمعين الآخرين، فإن من طبيعة السائلين أن يطرحوا أسئلتهم عادة على من يحترمونه ويقدرونه ويثقون بعلمه وأمانته العلمية، وبقدرته على فهم أسئلتهم فهمًا دقيقًا، فإذا كان لديه علم بالأجوبة عليها أجاب، وإلا طلب تأجيل الإجابة حتى يستوثق من الجواب الصحيح)(١).

ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب السؤال والجواب، قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ...﴾(٢)، وقوله جل شأنه: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾(٣).

ثانيًا- من واجبات المدعو: السؤال عما يجهل:

يظهر هذا في قول أم سلمة رضي الله عنها "هل لي أجر في بني أبي سلمة أن أنفق عليهم" وقد أمر الله بالسؤال فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٤) وجاء في القرآن الكريم أيضًا التوجيه إلى السؤال عند الجهل، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾(٥).

---

(١) فقه الدعوة إلى الله تعالى، عبدالرحمن حسن حبنكة ٥٨/٢.

(٢) سورة المائدة، آية: ٤.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٦٣.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٥) سورة الفرقان، آية: ٥٩.

وهذا هو منهج الإسلام يعمل على تحريك العقول، وإيقاظ الهمم لتسأل وتعرف أمور دينها، وقد قال رسول الله ﷺ في الحديث ((قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ ألاَّ سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))(١). قال شرف الحق العظيم آبادي: "أسند القتل إليهم؛ لأنهم تسببوا له بتكلفتهم له باستعمال الماء مع وجود الجرح في رأسه، ليكون أدل على الإنكار عليهم وقوله: "قتلهم الله" إنما قاله زجرًا وتهديدًا، وقوله: "فإنما شفاء العي السؤال" هو التحير في الكلام وعدم الضبط، والمعنى: "أن الجهل داء شفاءها السؤال والتعلم"(٢).

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل النفقة على الأولاد:

يستنبط هذا من قول النبي ﷺ "نعم لك أجر ما أنفقت عليهم" وهذا يدل على فضل النفقة على العيال، وقد وعد الله بأن يخلف على من ينفق قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾(٣) وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: مر على النبي ﷺ رجل، فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه فقالوا: يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله فقال رسول الله ﷺ: ((إن كان خرج على ولده صغارًا فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان))(٤).

وهذا الإنفاق هو من مسؤولية الإنسان أمام الله، ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: ((كلُّكم راعٍ ومَسؤولٌ عن رَعيَّتِه: فالأميرُ الذي على الناسِ فهو راعٍ عليهم وهو مسؤولٌ عنهم، والرَّجُلُ راعٍ على أهلِ بَيتِه وهو مسؤولٌ عنهم، والمرأةُ راعيةٌ على بَيتِ

---

(١) أخرجه أبوداود ٣٣٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٨٥.

(٣) سورة سبأ، آية: ٣٩.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير ١٢٩/١٩ (٢٨٢)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب ص ٢٨٧ رجاله رجال الصحيح.

بَعْلِهـا ووَلَـدِه وهـي مـسؤولةٌ عـنهم، والعَبـدُ راعٍ علـى مـالِ سـيِّدِهِ وهـو مَـسؤول عنـه. ألا فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّتِهِ))(١).

قـال الـسعدي: (الأولاد أمانـات عنـد الوالـدين، علـيهم القيـام بحفـظ هـذه الأمانـات وكفهم عن جميع المضار والمفاسد، فلو كان لك بستان فيه غراس وأشجار، فلاحظته ونميته، لجـاء منـه مـا تؤملـه وترجـوه، ولـو أهملتـه وضيعته فـلا تلـومن إلا نفـسك، يوم يحصد الزارعون ما زرعوه، كذلك الأولاد وهم غراسـك الـذي تؤمـل نفعـه، فقم عليهم بمـا تـستطيعه مـن التربيـة الـصالحة والملاحظـة، وإيـاك أن تهملـهم وتـضيعهم فتبـوء بـسوء العـاقبة)(٢).

رابعًا- من موضوعات الدعوة: حرص أم سلمة على تحصيل الأجر:

حيث جاء في الحديث أنها سألت "هل لي أجر في بني أبي سلمة أن أنفق عليهم" ويظهر من هذا حرص أم سلمة رضي الله عنها على تحصيل الأجر والثواب، ولقد كانت دعوة القرآن للمسلمين دائمًا أن يسارعوا إلى الخيرات، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ﴾(٣) وأمر الله عزوجل بالاستباق إلى الخيرات قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ﴾(٤) وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾(٥).

قال ابن كثير: (إن الله تعالى شرع الشرائع مختلفة، ليختبر عباده فيما شرع لهم، ويثيبهم أو يعاقبهم على طاعته ومعصيته بما فعلوه أو عزموا عليه من ذلك كله، ثم إنه

---

(١) أخرجه البخاري ٥١٨٨، ومسلم ١٨٢٩.

(٢) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، عبدالرحمن السعدي ص ٦٧.

(٣) سورة المؤمنون، آية: ٦٠، ٦١.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٤٨.

(٥) سورة المائدة، آية: ٤٨.

تعلى ندبهم إلى المسارعة إلى الخيرات والمبادرة إليها فقال: "فاستبقوا الخيرات"، وهي طاعة الله واتباع شرعه فإن المعاد والمصير إليه يوم القيامة)[(١)].

وقال ابن القيم في بيان قول الله عز وجل: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾[(٢)]، (أي شغلكم على وجه لاتعذرون فيه والتكاثر تفاعل من الكثرة، أى مكاثرة بعضكم لبعض، وأعرض عن ذكر المتكاثر به إرادةً لإطلاقه وعمومه، وأن كل ما يكاثر به العبد غيره، سوى طاعة الله ورسوله، وما يعود عليه بنفع معاده، فهو داخل في هذا التكاثر، فالتكاثر في كل شيء، من مال أو جاه أو رياسة، أو نسوة أو حديث أو علم، ولاسيما إذا لم يحتج إليه. والتكاثر في الكتب والتصانيف وكثرة المسائل وتفريعها وتوليدها. والتكاثر أن يطلب الرجل أن يكون أكثر من غيره. وهذا مذموم إلا فيما يقرب إلى الله، فالتكاثر فيه منافسة في الخيرات ومسابقة إليها)[(٣)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١/ ١٣٠

(٢) سورة التكاثر، آية: ١.

(٣) الفوائد، ابن القيم، تحقيق: محمد عثمان الخشت ص ٥٥.

الحديث رقم (٢٩٢)

٢٩٢- وعن سعد بن أَبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حديثه الطويل الذي قدمناه في أول الكتاب في باب النِّيَةِ[1] : أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ لَهُ: ((وإنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إلاَّ أُجِرْتَ بِهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امرأتِكَ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

الشرح الأدبي

هذا الحديث وصية من وصايا الرسول البليغة ذات المغزى الإيماني الاجتماعي، حيث يوصي سعد بن أبي وقاص باستحضار النية الخالصة لوجه الله في كل عمل، وخاصة في وجوه الإنفاق مهما تباينت أشكالها، ومهما تعددت سبلها، حتى ما يتصوره المسلم غير ذي قيمة، أو أنه من الواجبات التي لا يثاب عليها الإنسان، وهو إطعام الزوجة، يؤجر عليه الإنسان.

وفي هذه الوصية إعلاء من قيمة العاطفة المتبادلة بين الزوجين، ودعوة لترسيخ أواصر المودة والرحمة. والمحبة بينهما، وإشارة الرسول ﷺ إلى ذلك يجسدها هذا التعبير التصويري البليغ المحسوس المشاهد " حتَّى ما تَجعَلُ في فِي امرأتِكَ ".

وقد عرف الإسلام للمرأة مكانتها، وحث على حسن معاملتها، والتلطف معها في إطار العلاقة الحميمة الشرعية بين الزوجين، أو بين الأب وابنته، أو بين الأخ وأخته، أو بين الأم وأبنائها، وكلها مستويات من الصلات الحميمة لها متعلقاتها وواجباتها، وكانت المرأة -كما يقول العقاد- متاعًا يورث ويقسم تقسيم السوائم بين الوارثين، فأصبحت بفضل الإسلام ونبيه صاحبة حق مشروع، ترث وتورث، ولا يمنعها الزوج أن تتصرف بمالها وهي في عصمته كما تشاء.

---

(١) تقدم برقم (٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٩٥)، ومسلم (١٦٢٨/٥). أورده المنذري في ترغيبه (٢٩١٧).

ولم يفضل الإسلام الرجل عليها إلا بما كلفه من واجب كفالتها، وإقامة أودها، والسهر عليها.

أما محمد ﷺ فقد جعل خيار المسلمين خيارهم لنسائهم فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ((أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وخياركم خياركم لنسائهم))[(١)] [(٢)].

وفي ضوء هذه القيمة التي منحها الإسلام للمرأة نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث النبوي الشريف، حيث يتوجه الرسول ﷺ بالخطاب المباشر إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، والخطاب يأتي في صيغة التوكيد: في قوله: "إنك"، للدلالة على أهمية الأمر، وهو كذلك مهم، لأنه يكشف عن قيمة الإنفاق المصحوب بالنية الخالصة في سبيل الله، ولذلك جاء هذا المضمون الإسلامي في أسلوب القصر، عن طريق النفي والاستثناء، للتأكيد على أن الأجر الكامل، والثواب المضاعف، مقصور على استحضار النية الخالصة في كل عمل، وقد صرح بالعمل المراد في الحديث وهو قوله: " نفقةً تبتغي بها وَجَه الله ".

وحتى لا يتوهم البعض أن الخطاب ينحصر في شخصية سعد، جاءت صيغة الإنفاق في إطار الزمن الحالي والمستقبلي، وهو الفعل المضارع الذي يفيد الحال والاستقبال، فقال: "لن تنفق نفقة... إلا أجرت بها"، فهذه القاعدة لها صفة الثبات والدوام والاستمرار، لأنها منهج إسلامي مستمر مع حركة الإسلام في كل زمان ومكان.

وتنكير كلمة "نفقه" يُلْغي هذا التوهم الذي يحصر النفقة في ظرف محدد، وزمن معروف، وشخص بعينه، وإنما تنكيرها يفيد العموم والشمول، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وقال العلماء فيه تعميم للنفقة، باعتبار قلتها وكثرتها، وجللها وحقارتها، وباعتبار مصرفها، وصيغة البناء للمجهول في قوله: "إلا أجرت بها" فيها إيجاز، وفيها كذلك إشعار بأنه لا يعطي الأجر إلا الله، ولكون ذلك معلومًا فلا يحتاج

(١) أخرجه الترمذي ١١٦٢، وقال الألباني: حديث حسن صحيح (صحيح سنن الترمذي ٩٢٨).

(٢) عبقرية محمد، ط/١، العدد الأول، من دار الهلال، كتاب الهلال (رمضان ١٣٧).

إلى إعلام ولا إلى تحديد الفاعل، فقد حذف كما يقول النحويون، للعلم به، ولا يجوز لمسلم أن يتشكك في ذلك، "وحتى" غائية، وهي غاية للعموم المستفاد مما قبله، وكأن المنفق يتدرج في الإنفاق حسب المستوى والسياق: حتى أقل الأمور التي يتصورها الإنسان وهي وضع الطعام في فم الزوجة يثاب عليه الإنسان، وهذه من أدق الصور الاجتماعية رقة وعطفًا، وتفصح عن تقدير الإسلام لقيمة العلاقة الزوجية في ظل تعاليم الإسلام التي تحدد لكل طرف حقوقه وواجباته، مع المشاعر الجميلة، والعواطف النبيلة، التي تعطي للحياة وجهها الجميل النبيل.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد، والترغيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل النية.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل النفقة على الزوجة.

رابعًا: من واجبات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد، والترغيب:

١- **التوكيد:** حيث جاء في الحديث: "إنك لن تنفق نفقة" حيث أكد النبي ﷺ قوله "بإن" التي تفيد التوكيد، ليدلل للمدعو أن أي نفقة يراد بها وجه الله يثاب عليها المسلم، والتوكيد أسلوب يبيّن ثقة الداعية فيما يقول، ويؤكد لدى المدعو أهمية ما يقال له أو يخاطب به.

٢- **الترغيب:** ويظهر هذا في قول النبي ﷺ: "إلا أجرت عليها"، وفي هذا ترغيب للمدعو للإقبال على الخير والطاعة، ومما جاء في الترغيب في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ۝ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[1]، وبناء على هذا، "فإن الدعوة تحتاج في تبليغها إلى بشارة أصحاب القلوب الطيبة، والنفوس الصافية ليضحوا في سبيلها، ويتحملوا ما قد

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٢١ - ٢٢.

يتعرضون له من أذى وبلاء؛ فالدعوة إلى الله بأسلوب الترغيب لازم للداعية كي يبلغ رسالة الإسلام؛ لأن الله عز وجل أرسل محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل النية:

يستنبط هذا من قول النبي ﷺ: "تبتغي بها وجه الله" وهذا يدل على فضل النية الصالحة، قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾[٣].

وقوله جلّ شأنه: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٥].

وهذه الآيات تشير إلى استحضار النية الصالحة وابتغاء وجه الله عند النفقة.

وقد دلت الأحاديث النبوية على فضل النية، قال ﷺ: ((إِنَّما الأعْمَالُ بالنِّيات، وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى))[٦]، قال الإمام ابن رجب الحنبلي: (وفي الحديث إخبار بأن الإنسان لا يحصل له من عمله إلا ما نواه به، فإن نوى خيرًا حصل له الخير، وإن نوى شرًا حصل له شر، والمراد أن صالح العمل وفساده بحسب النية المقتضية لإيجاده، وأن ثواب العامل على عمله بحسب نيته الصالحة، وأن عقابه عليه بحسب نيته الفاسدة)[٧].

---

(١) الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان، د. محمد سعيد البارودي ص ٢٠٤.

(٢) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٦٥.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٧٢.

(٥) سورة النساء، آية: ١١٤.

(٦) أخرجه البخاري ١، ومسلم ١٩٠٧.

(٧) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٦٥/١.

والواجب على المسلم استحضار النية الصالحة في جميع أعماله وتصرفاته وأحواله لينال بذلك الأجر الكبير، والثواب الجزيل من الله تعالى.

(إن النية هي انبعاث في القلب تجري مجرى الفتوح من الله، فقد تتيسر في بعض الأوقات وقد تتعذر في بعضها، ومن كان الغالب على قلبه أمر الدين، تيسر عليه في أكثر الأحوال إحضار النية للخيرات، فإن قلبه مائل بالجملة إلى أصل الخير، فينبعث قلبه إلى التفاصيل غالبًا، ومن مال قلبه إلى الدنيا وغلبت عليه، لم يتيسر له ذلك بل لا يتيسر له في الفرائض إلا بجهد جهيد، وصلاح الأعمال الموافقة للسنة بصلاح النية، والطاعات مرتبطة بالنيات في أصل صحتها، وفي تضاعف فضلها، فأما الأصل فهو أن ينوي بها عبادة الله وحده، فإن نوى الرياء صارت معصية، وأما تضاعف الفضل فبكثرة النيات الحسنة، أما المباحات فما من شيء إلا ويحتمل نية، أو نيات، يصير بها من محاسن القربات، وينال بها معالي الدرجات)[(١)].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل النفقة على الزوجة:

يستنبط هذا من قوله ﷺ: "حتى ما تجعل في في امرأتك" وقد دلت نصوص القرآن على فضل النفقة على الزوجة، قال الله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[(٢)]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[(٣)].

قال ابن كثير: (أي طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم، وهيئاتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بها مثله، وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة دائم البشر يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته ويضاحك

---

(١) تزكية النفوس وتربيتها كما يقرره علماء السلف، جمع وترتيب: أحمد فريد، تحقيق: ماجد بن أبي الليل ص ١٨ - ١٩.

(٢) سورة الطلاق، آية: ٧.

(٣) سورة النساء، آية: ١٩.

نساءه)[١]، وقال النووي: (إن زوجة الإنسان هي من أخص حظوظه الدنيوية وشهواته وملاذه المباحة، وإذا وضع اللقمة في فيها فإنما يكون ذلك في العادة عند الملاعبة والملاطفة والتلذذ بالمباح، فهذه الحالة أبعد الأشياء عن الطاعة وأمور الآخرة، ومع هذا فأخبر ﷺ أنه إذا قصد بهذه اللقمة وجه الله تعالى حصل له الأجر بذلك)[٢].

رابعًا- من واجبات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

إن مما يؤكد هذا الواجب ما ورد في الحديث من تأكيده ﷺ وتوجيهه حيث وجّه النبي ﷺ في الحديث إلى فضل النفقة على الزوجة والعيال، ولذا كان من أهم واجبات الداعية إرشاد المدعوين وتوجيههم إلى ما فيه صلاحهم ومنفعتهم، ولقد كان من صفات النبي ﷺ في القرآن ما جاء في قوله تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾[٣]، والحرص على المدعو يكسب الداعية ثقة لدى مدعويه. وقد جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ، أَوْ قَالَ عَامِلِهِ))[٤].

قال النووي: (وفي الحديث فضيلة الدلالة على الخير، والتنبيه عليه، والمساعدة لفاعله، وفيه فضيلة تعليم العلم، ووظائف العبادات، لا سيما لمن يعمل بها من المتعبدين وغيرهم، والمراد بمثل أجر فاعله، أن له ثوابًا بذلك الفعل، كما أن لفاعله ثوابًا، ولا يلزم أن يكون قدر ثوابهما سواء)[٥].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/٢٤٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٣٥.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٤) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٥.

الحديث رقم (٢٩٣)

٢٩٣- وعن أَبي مسعود البدري رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: ((**إِذَا أنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً يَحْتَسِبُهَا، فَهِيَ لَهُ صَدَقَةٌ**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو مسعود البدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

يحتسبها: يطلب بها الأجر من الله تعالى[2].

الشرح الأدبي

إن معاني هذا الحديث الشريف تسبح في آفاق المودة والرحمة، وترغب في إشاعة الطمأنينة والسكينة بين أفراد الأسرة الواحدة، وتحث على ضرورة النية الخالصة في الإنفاق حتى على الأهل والأولاد، فالمودة والرحمة -كما يقول د. عبدالعال أحمد عبدالعال- مبدأ إنساني، وخلق إسلامي، يوقظ القلوب ويحركها نحو العطف والشفقة عل بني الإنسان مع بعضهم، ويوفق بين مصالحهم، ويكمل تقديرهم وتعاونهم، على مرافق الحياة، ويساعد على الصدق في تبادل المنافع، ويشعر كلا المتوادين بان مصلحته مرتبطة بمصلحة أخيه، فيسعى ويحرص عليها كما لو كانت مصلحة نفسه الخاصة.

والتواد والتراحم هما الطريق إلى السكن والاطمئنان في مجال الأسرة، ومجال المجتمع، ومن الوسائل التي تترجم هذا الود والتراحم، وتعمق الشعور بالسكن والألفة هو: الإخلاص في العطاء، والإنفاق في ظل هذا الحب الودود، وذلك العطف الرحيم، احتسابًا وابتغاء المثوبة، ورضا الحق سبحانه.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥) واللفظ له، ومسلم (٤٨/١٠٠٢). أورده المنذري في ترغيبه (٢٩١٨).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (٤٠٨/٩).

وفي ظل هذا الأفق المشع بهالات الهدي النبوي، والنهج القرآني نقتبس من الحديث الشريف كثيرًا من الإشعاعات التي تفيض بها الصياغة، ويوحي بها الأسلوب في ضوء نظرية النظم التي أرسى دعائمها عبدالقاهر الجرجاني شيخ البلاغة العربية، حين قال: "إن البلاغة هي توخي معاني النحو بين الكلم"، والحديث في بنائه اللغوي، وتركيبه النحوي يتكون من جملة واحدة، ولكنها كالشمس لها إشعاعاتها الباهرة، ودلالاتها الباصرة، ومعانيها الآسرة، وهذه الجملة الحديثية اتخذت من أسلوب الشرط والجواب إطارًا لها، وفي ذلك إرشاد إلى تحقق الجزاء، ومضاعفة الثواب: لأن الشرط هنا وهو الإنفاق على الأهل: احتسابًا وابتغاء مرضاة الله: يحتاج إلى جواب: وهو الجزاء الذي أعده الله لكل منفق محتسب، حيث جاء الجواب في هذه العبارة النبوية المبشرة في حسم وصدق "فهو له صدقة" ومجيء الجواب في صيغة الجملة الاسمية، يفصح عن ثبات هذا الجزاء، واستقراره، وعدم نقصه، وعدم تحوله، ولذلك قال: "فهو له صدقة" ولم يقل فهو صدقة، واللام هنا مع الضمير تفيد الملكية والأحقية، والله يضاعف لمن يشاء.

ولتأكيد هذا النهج الإسلامي، والسلوك الإيماني، جاءت أداة الشرط "إذا" وهي للتحقق، وهي اسم لما يستقبل من الزمان: خافض لشرطه منصوب بجوابه، وهي تستخدم في الأمور اليقينية، وكأن ذلك إشارة إلى أن الإنفاق على الأهل واجب، وأمر يقيني لا يحتمل الشك، أو الانقطاع، وجملة "يحتسبها" في موقع الحال، حيث يكون المسلم حالة إنفاقه محتسبًا ذلك عند الله، ولا يشوب ذلك الاحتساب طائف من رياء أو منفعة، أو تأفف، أو نذير، أو إحساس بتبادل المنافع أو انطلاق من مذهب اجتماعي، أو تصور فلسفي بشري، وإنما الاحتساب لا يكون إلا ابتغاء مرضاة الله عز وجل، ولذلك جاء رصد حالة الاحتساب في صيغة الفعل المضارع، إرشادًا إلى ضرورة استمرار هذه الحالة التي تحيط بالمؤمن، وتسكن مشاعره، وتوشي انفعالاته، ولذلك قال العلماء في التعقيب على قوله ﷺ "فهو له صدقه"، أي عظيمة الثواب: لما فيها من أداء الواجب، وصلة الرحم، الوارد فيه من الثواب ما لا يحصيه إلا المتفضل؛ سبحانه وتعالى.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم النفقة على الأولاد، وما فيه من أجر عظيم رغم أنه واجب عليه، وقد سبق الكلام عنها في الحديث رقم ٢٦٨.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل النية في الأعمال.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل النفقة على الأهل.

رابعًا: من واجبات الداعية: الحرص على مصلحة المدعوين.

أولاً- من أساليب الدعوة: الشرط:

حيث جاء في الحديث في قوله ﷺ: "إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها" فقد اشترط النبي ﷺ أن يحتسب الإنسان ما ينفق لوجه الله، حتى ينال الأجر والثواب على فعله، وأسلوب الشرط من الأساليب الدعوية التي تلفت انتباه المدعوين، وتشوقهم إلى معرفة الجواب، ويدل من وجه آخر على مدى ارتباط الجزاء بالعمل، فعلى الداعية استخدام هذا الأسلوب لشد انتباه المدعوين، وبيان الجزاء على الأعمال إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل النية في الأعمال:

يتضح هذا مما جاء في الحديث "إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها" قال ابن علان: (إذا أنفق الرجل على أهله الذين تلزمه مؤونتهم وغيرهم يقصد بذلك وجه الله والتقرب إليه، كان له عظيم الثواب، لما في ذلك من أداء الواجب، وصلة الرحم، الوارد فيه من الثواب ما لا يحصيه إلا المتفضل به)[1]. ولاشك أن النية الصالحة لها فضل عظيم

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان، ٤٩٤.

قال الله عز وجل: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾[١] وهذه الآية محل دليل لتحقيق معنى الإخلاص وأن الله عز وجل جعل المجازاة لا تقع بمجرد الفعل حتى يبتغي بها وجه ربه الأعلى[٢]. وأمر الله بإخلاص النية في العبادة ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[٣].

وقال شرف الدين الدمياطي: (والشرط العام في قبول جميع أنواع الطاعات والفوز بأجرها وثوابها، هو الإخلاص، وكل عمل لا يصدر عن إخلاص فهو إلى الهلاك أقرب وقال سهل بن عبدالله التستري: العلم كله دنيا والآخرة منه العمل، والعمل كله هباء إلا بالإخلاص، فإن أردت إحراز الثواب، وحسن المآب، فاجتهد في الإخلاص)[٤].

وقال ابن رجب الحنبلي: (قال داود الطائي: رأيت الخير كله إنما يجمعه حسن النية وكفاك به خيرًا وإن لم تنصب، وعن بعض السلف قال: من سره أن يكمل له عمله، فليحسن نيته، فإن الله عز وجل يأجر العبد إذا حسنت نيته حتى باللقمة. وعن ابن المبارك قال: رب عمل صغير تعظمه النية، ورب عمل كبير تصغره النية، وقال الفضيل بن عياض: إنما يريد الله عز وجل منك نيتك وإرادتك)[٥].

جاء في الموسوعة الفقهية: "أعمال المكلفين إما مطلوبة أو مباحة، ولما كان المباح لا يتقرب به إلى الله تعالى، فلا يفتقر إلى النية، إلا إذا قصد المكلف الثواب عليه، فإنه يفتقر إلى النية، والمطلوب من الأعمال إما مطلوبة الترك أو مطلوبة الفعل. فالمطلوب الترك لا يفتقر إلى النية إلا إذا شعر المكلف بالمنهي عنه، ونوى تركه لله تعالى، فإنه يحصل له مع الخروج عن العهدة الثواب لأجل النية، والمطلوب الفعل هي الأوامر، فمنها

---

(١) سورة الليل، آية: ١٩-٢١.

(٢) حاشيتا قليوبي وعميرة ١/١٦٠، وإعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ١/١٥١.

(٣) سورة البينة، آية: ٥.

(٤) المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح، شرف الدين بن خلف الدمياطي ص ٤٨٨.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٧١.

ما يكون صورة فعله كافية في تحصيل مصلحته، كأداء الدين والودائع ونفقات الزوجات والأقارب، فإن المحصلة المقصودة من هذه الأمور انتفاع أربابها، وهي تتحقق بمجرد امتثال الأمر، ولا تتوقف على قصد الفاعل لها، فيخرج الإنسان عن عهدتها وإن لم ينوها، ومنها ما تكون صورة فعله ليست كافية في تحصيل مصلحته المقصودة منه، كالصلوات والطهارات والصيام والنسك، فإن المقصود منها تعظيمه تعالى بفعلها، والخضوع له في إتيانها، وذلك إنما يحصل إذا قصدت من أجله سبحانه وتعالى، فهذا القسم هو الذي أمر فيه الشرع بالنيات، وهذا في الجملة[(١)].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل النفقة على الأهل:

يظهر هذا مما ورد في الحديث في قوله ﷺ: "إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها فهي له صدقة" ويظهر من هذا فضل النفقة على الأهل والعيال. قال الإمام النووي: (ويؤجر على نفقته إذا احتسبها وأراد بها وجه الله وطريقه في الاحتساب بأن يتذكر أنه يجب عليه الإنفاق على الزوجة والأطفال وغيرهم ممن تجب نفقته على حسب أحوالهم، وأن غيرهم ممن ينفق عليه مندوب إلى الإنفاق عليهم، فينفق بنية أداء ما أمر به، وقد أمر بالإحسان إليهم)[(٢)].

وقد جعل النبي ﷺ النفقة على الأهل والأولاد من أولى النفقات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((أمر النبي ﷺ بالصدقة، فقال رجل: يا رسول الله عندي دينار قال: تصدق به على زوجتك أو زوجك قال عندي آخر قال تصدق على خادمك قال عندي آخر قال: أنت أبصر))[(٣)] قال شرف الحق العظيم آبادي: (قال الخطابي هذا الترتيب إذا تأملته علمت أنه ﷺ قدم الأولى فالأولى والأقرب فالأقرب، وهو أنه ﷺ أمره أن يبدأ بنفسه ثم بولده؛ لأن ولده كبعضه فإذا ضيعه هلك، ولم يجد من ينوب عنه في الإنفاق عليه، ثم ثلث بالزوجة وأخرها عن الولد، لأنه إذا لم يجد ما ينفق عليها فرق

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٢/٦١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٣٩.

(٣) أخرجه أبو داود ١٦٩١، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٤٨٣).

بينهما، وكان لها من يمونها من زوج أو ذي رحم تجب نفقتها عليه، ثم ذكر الخادم؛ لأنه يباع عليه إذا عجز عن نفقته)[١].

رابعًا- من واجبات الداعية: الحرص على مصلحة المدعوين:

حيث وجه النبي ﷺ في عموم الحديث إلى ما فيه الأجر والثواب من الله عز وجل، وهكذا يجب أن يكون الداعية، وأن يشعر المدعوين بالحرص عليهم وعلى مصلحتهم (فعلى الداعية أن يكون كالغيث أينما وقع نفع، من أجل أن تظهر ثمرات جهده على جميع طوائف المجتمع، فإن قصر في القيام بواجبه نحو دينه ودعوته، عاش لا يسمع به ولا يراه أحد، ويكون قد أساء إلى نفسه ودعوته)[٢].

ونماذج دعوة الأنبياء عليهم السلام تبين مدى حرصهم على مصلحة أقوامهم ودعوتهم إلى الدين الحق، ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما كان من نبي الله نوح عليه السلام وصبره على دعوة قومه، قال ابن كثير: (اشتكى نوح عليه السلام إلى ربه عزوجل ما لقى من قومه، وما صبر عليهم في تلك المدة الطويلة التي هي ألف سنة إلا خمسين سنة، وما بين لقومه ووضح لهم ودعاهم إلى الرشد والسبيل الأقوم، فلم يترك دعاءهم في ليل ولا نهار، وكلما دعاهم إلى الحق ليقتربوا فروا منه وحادوا عنه، وسدوا آذانهم لئلا يسمعوا، واستنكفوا عن اتباع الحق والانقياد له، ولقد نوع نوح عليه السلام عليهم الدعوة لتكون أنجع فيهم)[٣].

إن الداعية الناجح هو الذي يحرص على مصلحة المدعوين، بأن يبين لهم الأجر والثواب على الأعمال، ويدلهم على كل ما فيه خير ونفع، ومؤمن آل فرعون - كما حكى القرآن خبره وشأنه - أبان عن كثير من الأجر نظير الإيمان، ولاشك ان هذا فيه مصلحة للمدعو، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنۡ عَمِلَ

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٧٦٩.

(٢) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، النظرية والتطبيق، د. طلعت محمد عفيفيص ١٣٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٣٢/٨.

سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾[1].

(١) سورة غافر، الآيات: ٣٨-٤١.

الحديث رقم (٢٩٤)

٢٩٤- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**كَفَى بِالمَرْءِ إثْمًا أنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ**)) حديث صحيحٌ، رواه أَبُو داود وغيره[1].

ورواه مسلم في صحيحه[2] بمعناه، قَالَ: ((**كَفَى بِالمَرْءِ إثْمًا أنْ يَحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ**)).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

من يقوت: من تلزمه نفقته من أهله وعياله وعبيده[3].

الشرح الأدبي

لقد حرص الإسلام على إقامة العلاقات القوية بين أفراد الأسرة الواحدة وأفراد الأمة كلها، وأوجب على الأب والأم رعاية الأبناء والقيام بتيسير كل سبل الرعاية والحماية والإنفاق لأبنائهم، لأن الأسرة هي الطاقة التي ينفذ منها الناشئ إلى المجتمع، ويرى فيها الأشخاص الذين يقتدي بهم، وينهج نهجهم، وفي الأسرة تتحدد طباع الصغار وأفكارهم وعواطفهم، على قدر ما يسود الأسرة من نظام واستقرار، يجعل منها منبتًا للنشء الصالح، والعمل الطيب، ومن هنا تأتي أهمية الأسرة في بناء المجتمعات، فكلما كانت الأسرة قوية ذات تماسك ومناعة، كانت الأمة المكونة منها كذلك، ذات ضعف وانحلال.

وفي ضوء هذه المكانة للأسرة التي يحرص عليها الإسلام لتظل الأمة ناهضة قوية

---

(١) أخرجه أبوداود (١٦٩٢)، والنسائي في الكبرى (٩١٣٢). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٢٤٠)، وقال الحاكم (٤١٥/١): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٢٩٣١).

(٢) برقم (٩٩٦/٤٠).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق و ت).

متماسكة، نتأمل كلمات هذا الحديث الشريف، ونستجلي أسراره، وهو من أحاديث الترهيب، لأنه يتوجه بالإنذار والوعيد إلى هؤلاء الذين يفرطون في الأمانة، ولا يقومون بواجباتهم تجاه من يعولون من الزوجة والولد والوالد، وممن تجب عليهم نفقتهم، والأحاديث السابقة كلها في باب "النفقة على العيال"، تدور في دائرة الترغيب، والوعد الحسن بالثواب الجزيل.

وحتى لا يغفل الناس عن الوجه الآخر، وهو حبس القوت عن الذين يجب لهم العطاء، ينبه رسول الله ﷺ ويحذر هؤلاء الذين يضيعون قوت من هم في ظل رعايتهم وكفالتهم، وهناك طوائف كثيرة تتردى في هذا المزلق، ولا ترعى ذويها حق الرعاية، ومن هنا ينشأ التفكك الأسري.

ولذلك نرى رسول الله ﷺ في صياغة الحديث يحاكي هذا الجو المحبط الذي يُوتِّر العلاقة بين الراعي ورعيته في الأسرة أو في المجتمع، فربما يُضيع الحاكم قوت شعبه، وربما بتهوره يؤدي بهم إلى الجوع والكوارث، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات.

ولذلك قال رسول الله ﷺ "المرء" ولم يقل: الأب، أو غير ذلك من الصفات المحددة، وكلمة "المرء" تطلق على أي مسئول: يتولى رعاية أسرة أو طائفة أو قبيلة أو دولة، في أي عصر، وفي أي مكان: ومن ظواهر الالتواء الأسلوبي الذي يحاكي الالتواء السلوكي مجيء المفعول به في صورة غير مألوفة، حيث اقترن بالباء الزائدة: وهي لها دور في ترسيخ الإثم وتعظيم الجرم، فلم يجيء منصوبًا مباشرة، وإنما حجبت الباء الزائدة علامة النصب، وأصبحت مقدرة.

وكذلك قوله "إثمًا" فهو تمييز محول عن الفاعل، والتقدير كفى المرء في عظم الإثم إثم وتضييع من يقوت.

فكأن الفاعل حُوِّل عن صورته إلى صورة أجلى وأكثر بيانًا، وهي صيغة التمييز، لمزيد من التنبيه على فداحة هذا الجرم.

وقال ابن رسلان: أي لو لم يكن له من الإثم إلا هذا لكفاه لعظمه عند الله تعالى.

وفاعل كفى في الحديث لم يأت في صياغة مألوفة، وإنما جاء في صيغة المصدر المؤول، وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، وهذه الجملة الفعلية التي وقعت فاعلاً تتضمن فعلين مضارعين، "يضيع"، و"يقوت" وهما يفصحان عن غفلة ذلك الآثم المضيع: لأنه سادر في غيه، لاه في غفلته، مستمر في جرمه، وقد حذف المفعول المباشر للفعل "يُضيع" والتقدير أن يضيع قوت من يقوت، والتعبير في الحديث أوفى وأبلغ، لأن هذا الآثم لم يضيع القوت فقط، ولكنه كان سببًا في ضياع من يعولهم، وضياع مستقبلهم، فما أعظم هذا البيان النبوي البليغ، في كلمات قليلة يعطي دروسًا جليلة، ويكشف مثالب خطيرة، وينبه إلى مسببات النذر والكوارث التي تبيد الأمم، فهل من مُدّكر؟!

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم نفقة الرجل على أهل بيته، وأن من أكبر الذنوب أن يضيع من يعولهم بإهماله وتراخيه ورفضه الإنفاق عليهم، وقد اهتم الفقهاء بهذا اهتمامًا خاصًا، فاتفقوا[1] على أن النفقة على الزوجة والأولاد واجبة على الزوج، وأنه متى قصّر في ذلك أو امتنع، كان للزوجة أن تطلب نفقتها من القاضي ويجبره عليها، وكذا نفقة الأولاد، وما ذلك إلا لعظم حقهم عليه.

---

(١) البناية للعيني ٦٥٩/٥، وتحفة الفقهاء للسمرقندي ١٥٧/٢، والكفاية للكرلاني ١٩٢/٤، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ١٨١/٤، وشرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي بن يوسف الزرقاني ٢٤٤/٤، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٤٧٨/٣، والمعونة على مذهب عالم المدينة ٥٢٢/١، والمهذب للشيرازي ١٤٨/٣، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٤٢٦/٣، والتهذيب للبغوي ٣١٧/٦، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٤٧/١١، والمبدع في شرح المقنع، ابن مفلح ١٨٥/٨.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الزجر والتهديد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من الإهمال في النفقة على العيال.

ثالثًا: من واجبات الداعية: تحذير المدعوين من المخالفات الشرعية.

أولاً- من أساليب الدعوة: الزجر والتهديد:

جاء الزجر والتهديد في هذا الحديث في قوله ﷺ: "كفى بالمرء إثمًا" وهذا أسلوب من الأساليب الدعوية التي تفيد في بيان خطورة الفعل، وتعمل على منع النفس من اقتراف المعصية، وعلى الداعية استخدام أسلوب الزجر والتهديد؛ لحث المدعوين وتوجيههم إلى ما ينفعهم وتحذيرهم مما يضرهم.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: التحذير من الإهمال في النفقة على العيال:

يظهر هذا من تحذير النبي ﷺ بقوله: "كفى بالمرء إثمًا" ذلك لأن الإنسان مسؤول عن نفقة زوجته وعياله، وقد قال النبي ﷺ: ((اليدُ العُليا خيرٌ منَ اليدِ السُّفلى، وابدأْ بمَنْ تَعولُ))[1]، قال النووي: (وفي الحديث تقديم نفقة نفسه وعياله؛ لأنها منحصرة فيه بخلاف نفقة غيرهم، وفيه الابتداء بالأهم فالأهم في الأمور الشرعية)[2]، وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: كان النبيُّ ﷺ يَعودني وأنا مريضٌ بمكة، فقلتُ: لي مالٌ، أوصي بمالي كلِّه؟ قال: لا. قلتُ: فالشطر؟ قال: لا. قلت: فالثلث؟ قال: ((الثلث، والثلث كثير أن تَدَعَ وَرَثتكَ أغنياءَ خير من أن تَدَعهم عالةً يتكففونَ الناس في أيديهم. ومهما أَنفقتَ فهو لك صدَقة، حتى اللقمةَ ترفعها في فيِّ امرأتِكَ، ولعلَّ اللهَ يرفعُك، ينتفع بكَ ناسٌ ويُضرُّ بك آخرون))[3].

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٢٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٥٥.

(٣) أخرجه البخاري ٥٣٥٤.

وفي الترهيب والتحذير من الإهمال في النفقة على العيال جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه: ((... تَقُولُ الْمَرْأَةُ إِمَّا أَنْ تُطْعِمَنِي وَإِمَّا أَنْ تُطَلِّقَنِي، وَيَقُولُ الْعَبْدُ أَطْعِمْنِي وَاسْتَعْمِلْنِي، وَيَقُولُ الابْنُ أَطْعِمْنِي إِلَى مَنْ تَدَعُنِي؟ فقالوا: يا أبا هريرةَ، سمعتَ هذا من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: لا. هذا من كِيسِ[1] أَبي هريرة))[2].

فالإنسان مسؤول عمن يقوتهم، وتلزمه نفقتهم، وقد بيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المسؤولية في الحديث فقال: ((كلُّكم راعٍ، وَكلكم مَسؤولٌ عن رَعيَّتِهِ، الرَّجُلُ راعٍ في أهلِهِ وَهوَ مَسؤولٌ عن رعيَّتهِ))[3].

وبيّن الله عز وجل في القرآن وجوب النفقة على الزوجة، قال: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[4]، قال القرطبي: (أي لهن من حقوق الزوجية على الرجال مثل ما للرجال عليهن، وقيل: تتقون الله فيهن كما عليهن أن يتقين الله عز وجل فيكم، والآية تعم جميع ذلك من الحقوق الزوجية...)[5]، ولمسؤولية الإنسان عن النفقة على الأهل والعيال أجاز الشرع الحنيف أن يدخر لهم قوت سنة من أجل الوفاء بنفقاتهم، ففي صحيح البخاري عن عمرَ رضي الله عنه: ((أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان يَبيعُ نخلَ بني النَّضير، ويحبس لأهلِهِ قوتَ سَنتِهم))[6]، قال ابن حجر: (ومع كونه صلى الله عليه وسلم كان يحتبس قوت سنة لعياله فكان في طول السنة ربما استجره منهم لمن يرد عليه ويعوضهم عنه، ولذلك مات صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة على شعير اقترضه قوتا لأهله)[7].

---

(١) كيس: أي من استنباطه أو فطنته، انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١١/٩.

(٢) أخرجه البخاري ٥٣٥٥.

(٣) أخرجه البخاري ٥١٨٨، ومسلم ١٨٢٩.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٢٨.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٢٣/٢.

(٦) أخرجه البخاري ٥٣٠٧ واللفظ له، ومسلم ١٦٢٨.

(٧) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١٤/٩.

ثالثًا- من واجبات الداعية: تحذير المدعوين من المخالفات الشرعية:

من أهم واجبات الداعية أن يحذر المدعوين من المخالفات الشرعية حتى لا يقعوا فيها، وفي الحديث حذر النبي ﷺ من تضييع الإنسان من يتحمل نفقتهم، وإذا كان المدعوون بالنسبة للداعية هم بمثابة أهله وإخوانه، فإن الله تعالى قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[1]، وقد جاء في الحديث: ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ)) قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: ((للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ))[2].

ولقد جعل الله سبحانه من خصائص الأمة الإسلامية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالتناصح والتواصي حازت الأمة الإسلامية الخيرية والأفضلية على جميع الأمم، قال الله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[3].

"وفي هذه الآية ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قبل الإيمان، وإن كان الإيمان أصل كل شيء، ولا قيمة في خير إذا لم يكن معه الإيمان، والسبب في ذلك هو أن الإيمان صفة اشتركت مع الأمة الإسلامية فيها أمم سابقة، ولكن الذي يرفع الأمة الإسلامية من بين أتباع الأنبياء السابقين جميعًا عليهم السلام بصورة خاصة، هو هذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو درة مميزة على جبين هذه الأمة، ويظهر من هذا وجوب الاهتمام به وبذل العناية الخاصة به"[4].

وقد لعن الله بني إسرائيل لأنهم لم يحذر بعضهم بعضًا من المخالفات الشرعية، والمعاصي الدينية، وقد سجل الله عليهم ذلك في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾[5].

---

(١) سورة التحريم، آية: ٦.

(٢) أخرجه مسلم ٥٥.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٤) فضائل الدعوة إلى الخير والتبليغ لدين الله، محمد يحيى الكاندهلوي ص ٢٥-٢٦.

(٥) سورة المائدة، الآيتان: ٧٨ - ٧٩.

الحديث رقم (٢٩٥)

٢٩٥- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه : أن النَّبيّ ﷺ ، قَالَ: ((مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إلاَّ مَلَكانِ يَنْزِلاَنِ، فَيقُولُ أحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أعْطِ مُنْفقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أعْطِ مُمْسِكًا تلَفًا)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

خلفًا : عوضًا[٢].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث الشريف يجمع بين الترغيب والترهيب، فهو يبشر ويعد المنفقين الذين لم يقعوا في براثن شح النفس، بالثواب والبركة، حيث تدعو لهم الملائكة ببقاء الثواب، ومضاعفة المال في حياتهم أو بعد مماتهم، وقال العلماء في بيان قيمة الإجمال والإبهام في قوله "خلفًا"، حيث أبهم الخلف: ليتناول المال والثواب وغيرهما، وقال الحافظ: وإبهامه أولى: فكم من منفق مات قبل وقوع الخلف المالي له، فيكون خلفه الثواب المعد له في الآخرة، أو يدفع عنه من السوء ما يقابل ذلك[٣].

ويتوعد هذا الحديث البخلاء الذين يضيعون من يقوتون، والذين يحبسون عمن يملكون ويرعون قوتهم، بأن الملائكة تدعو عليهم بتلف المال، أو تلف نفس صاحب المال، أو تلف الأبناء، ومحو البركة، وضيق الرزق.

ويموج الحديث بكثير من الظواهر الأسلوبية التي شاركت في تقوية المعنى، والإفصاح عن دلالات الحديث ومقاصده، ومنها:

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (٥٧/١٠١٠) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٢٩٣٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢٧٩.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٩٥.

١- أسلوب القصر الذي صيغت في إطاره الجملة الأولى من الحديث عن طريق النفي والاستثناء، وذلك يدل على الحصر، وعلى أنه لن يمر يوم إلا وينزل الملكان ويدعوان لكل بما يستحق، وفي ذلك إيقاظ لكل غافل هزمته نفسه فوقع أسير الشح والإمساك، وفيه كذلك بشارة لكل من انتصر على شح نفسه وتجمل بالعطاء، وتوَّج كل أيامه بالإنفاق، فثوابه مضاعف، وعمله مبارك، وميراثه من الصالحات جزيل.

٢- زيادة "مِنْ" قبل يوم، والزيادة هنا ليست إسهابًا لفظيًا، أو ترفًا لغويًا، وإنما هي مزيدة لتأكيد النفي، ولتدل على الاستقصاء وتأكيد الحصر، فلن يمر يوم من أيام الإنسان إلا والملكان ينزلان: فتأمل بلاغة الأسلوب وروعة البيان: النفي والزيادة طريقان للإثبات والحصر والتأكيد..!!.

٣- تنكير لفظ "يوم" ولم يأت معرفًا حتى لا ينصرف الذهن إلى يوم محدد، وإنما التنكير للعموم حيث يشمل جميع الأيام، فالتنكير، مع زيادة من، مع النفي، يضفي صفة العموم على الزمن كله.

٤- ولنتأمل الأفعال التي تضمنها الحديث الشريف، فهي ترتبط بالزمن الآتي والمستقبلي (الحال والاستقبال) حيث وردت في صيغة الفعل المضارع أربعة أفعال هي: "يُصبح العبد"، "ملكان ينزلان فيقول أحدهما"، "ويقول الآخر"، وهذه الصيغة الزمنية تُعلن عن استمرار هذا الصنيع ووقوعه الآن وفي المستقبل: وحتى في الماضي الذي فاتنا كان حاضرًا لمن هم فيه، والفعلان الآخران جاءا في صيغة الدعاء وهما: "أعط ممسكًا تلفا، وأعط منفقًا خلفا"، وهما دعاء لما يُستقبل من الزمان ليُجزي كل بما قدمت يداه.

٥- وعبر بلفظ "أعط" في مقام الدعاء على الممسك للمشاكلة اللفظية بين الفعلين في السياقين، وكذلك للسخرية من هذا الممسك كما قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1]. لأن التلف لا يعد عطاءً إلا في إطار السخرية والشماتة.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٢١.

٦- صيغة الدعاء في الحديث الشريف جاءت لمزيد من الترغيب في العطاء، للتبشير الإلهي لهؤلاء المنفقين بأن الله سيبارك لهم في الخلف، ولمزيد من ترهيب الممسكين حتى يكفوا عن شحهم، ويفيئوا إلى ظلال العطاء والجود.

٧- الطباق والجناس في دعاء الملكين، حيث يصور الأسلوب التناقض بين الصنيعين، وكذلك تناقض المصيرين، فتأمل وتبصر التلف، وهو مصير محتوم في ظل دعاء الملك وهو مستجاب الدعاء.

٨- الإيقاع في صياغة العبارات والكلمات: حيث اتفقت أواخر بعض الكلمات والعبارات، وذلك لمزيد من التأثير وخاصة في سياق الدعاء.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: القصر، والترغيب، والترهيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإنفاق.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: دعاء الملائكة للمنفقين بالخلف، وعلى الممسكين بالتلف.

رابعًا: من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

أولاً- من أساليب الدعوة: القصر، والترغيب، والترهيب:

ورد أسلوب القصر في هذا الحديث من قوله ﷺ: (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان) والقصر كأسلوب دعوي يفيد التخصيص بنزول الملكين كل يوم، وهو من الأساليب الدعوية التي يلفت الداعية بها انتباه المدعوين، أما أسلوب الترغيب فقد ورد في الحديث في قوله ﷺ: (اللهم أعط منفقًا خلفًا) وهو من الأساليب الدعوية المهمة التي ينبغي للداعية استخدامها في دعوته، مما يشوق النفس إلى ما رغبت فيه فيحملها على الإنقياد وقبول الأمر المدعو إليه"[1]، وقد ورد أسلوب الترهيب في الحديث من قوله ﷺ: (اللهم أعط ممسكًا تلفًا) وهو من الأساليب الدعوية التي يحصل بها وعيد وتهديد بعقوبة إزاء ارتكاب المرء معصية، أو اقترافه سيئة منهيًا عنها، أو التهاون

---

(١) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٢١.

في أمر من أمور الدين التي أمر الله تعالى بها، أو أداء فريضة مكتوبة على كل مسلم ومسلمة[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإنفاق:

يستنبط ذلك من هذا الحديث في قوله ﷺ "اللهم أعط منفقًا خلفًا" وقدبين الحق تبارك وتعالى فضل الإنفاق فقال: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٣].

قال ابن كثير: (إن هذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وهذا المثل أبلغ في النفوس، من ذكر عدد السبعمائة، فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل لأصحابها، كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة)[٤]، وقد أفادت السنة بتضعيف الحسنة إلى سبعمائة ضعف، وذلك في قوله ﷺ: ((إنَّ رجلا تَصدَّقَ بنَاقةٍ مَخْطُومَةٍ في سَبيلِ اللَّهِ، فَقَالَ رسولُ اللَّهِ: «لَتَأْتِيَنَّ يَوْمَ القِيَامَةِ بسَبْعِ مِئَةِ نَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ))[٥].

قال النووي: (معنى مخطومة: أي: فيها خطام وهو قريب من الزمام، قيل: يحتمل أن المراد له أجر سبعمائة ناقة، ويحتمل أن يكون على ظاهره، ويكون له في الجنة بها سبعمائة، كل واحدة منهن مخطومة، يركبهن حيث شاء للتنزه كما جاء في خيل الجنة ونجبها وهذا

(١) دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام، فتحية عمر رفاعي الحلواني ص ١٣٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦٥.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١/ ٦٩٠.

(٥) أخرجه مسلم ١٨٩٢.

الاحتمال أظهر والله أعلم)[١]. وفي ذلك دليل على عظم فضل الإنفاق في الطاعات.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: دعاء الملائكة للمنفقين بالخلف، وعلى الممسكين بالتلف:

قد ورد ذلك في الحديث من قوله ﷺ "ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكًا تلفًا"، وبهذا الدعاء والمدح تعرف غوائل البخل، وما فيه من الانحطاط عن تلك الدرجات العلية، إذ الشيء إنما يتم انكشافه بمعرفة ضده. وقد بين النووي: (أن الدعاء بالخلف يكون فيمن أنفق في الطاعات، ومكارم الأخلاق، وعلى العيال، وغير ذلك، مما لا يسمى سرفًا، والإمساك المذموم هو الإمساك عن هذا)[٢].

وقال القرطبي: (قوله: "اللهم أعط منفقًا خلفًا"، هو موافق في المعنى لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾[٣]، وهذا يعم الواجبات والمندوبات.

وقوله: "اللهم أعط ممسكًا تلفًا" يعني: الممسك عن النفقات الواجبات، وأما الممسكُ عن المندوبات؛ فقد لا يستحق هذا الدعاء باللهم، إلا أن يغلب عليه البخل بها. وإن قلت في أنفسها، كالحبة، واللقمة، وما شاكل هذا. فهذا قد يتناوله هذا الدعاء؛ لأنه إنما يكون كذلك لغلبة صفة البخل المذمومة عليه. وقلَّ ما يكون كذلك؛ إلا ويبخل بكثير من الواجبات، أو لا يطيب نفسًا بها، والله تعالى أعلم)[٤].

وقال ابن حجر: (إن الدعاء بالتلف يحتمل فيه تلف ذلك المال بعينه أو تلف نفس صاحب المال)[٥].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٤٢، والزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي١/٢٩٢.

(٣) سورة سبأ، آية: ٣٩.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٥٥.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٢٥٨.

رابعًا- من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى فعل ما ينفعهم:

إن من صفات الداعية المستنبطة من عموم الحديث: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم، وهذا ما فعله النبي ﷺ من خلال ما ورد في الحديث، فالإنفاق في الطاعات والواجبات ومكارم الأخلاق، من آكد ما ينفع المسلم في دنياه وأخراه، والممسك عن ذلك إنما أراد إهلاك نفسه بدعاء الملائكة عليه بالتلف، كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ في نص الحديث، وقيام الداعية بإرشاد المدعوين إلى ذلك يكون استجابة لأمر الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾[١]، (أي: منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير)[٢]، وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[٣].

قال ابن كثير: (يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات، وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل، والتعاون على المآثم والمحارم)[٤]، وقد حثّ النبي ﷺ على إرشاد المدعوين إلى الخير فقال: ((وَمَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[٥]. فعلى الداعية أن يرشد المدعوين إلى فعل ما ينفعهم، لما في ذلك من عظيم الفلاح.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٩١/٢.

(٣) سورة المائدة، آية: ٢.

(٤) المرجع السابق ١٢/٣ - ١٣.

(٥) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

الحديث رقم (٢٩٦)

٢٩٦- وعنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: ((اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ[1] عَنْ ظَهْرِ غِنىً، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ)) رواه البخاري[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ما كان عن ظهر غنى: ما كان عفوًا قد فضل عن غنىً. وقيل: أراد ما فضل عن العيال[3].

الشرح الأدبي

يختم النووي بهذا الحديث المبارك باب "النفقة على العيال" وهو ختام موفق، وانتقاء، جيد وذلك لأن هذا الحديث يعد قواعد منهجية تمثل دعائم التصور الإسلامي للإنفاق، وعلاقة المعطي بالسائل، وهو كذلك يكشف عن طبيعة النفس المسلمة التي أراد لها الله أن تظل عزيزة، منيعة، لا تقع في مذلة السؤال، أو براثن التحايل والتسول، لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

---

(١) (ما كان) لا توجد عند البخاري، وهي من الجمع للحميدي.

(٢) برقم (١٤٢٨) ولم يسق لفظه وإنما قال: وعن وهيب، أخبرنا هشام، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ بهذا. والمؤلف نقله عن الحميدي في جمعه (٢٨٦/٣، رقم ٢٨٦٨) حيث أورد الحديث بتمامه، ولو نقل النووي رحمه الله من صحيح البخاري مباشرة لنقل لفظ حديث حكيم بن حزام الذي ساقه البخاري بتمامه، ولما أخرج طريق أبي هريرة أحال بلفظه إلى حديث حكيم بن حزام، وهذا وغيره مما لا يترك مجالًا للشكّ أن النووي اعتمد كثيرًا على الجمع بين الصحيحين للحميدي، بل كان يحفظه. أورده المنذري في ترغيبه (١٢٠٨) من حديث عبد الله بن عُمر، وبرقم (١٢١١) من حديث حكيم بن حزام، وهما من المتفق عليه.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ظ هـ ر).

والحديث يتكون من خمس جمل لغوية تمثل في مجموعها خمس قواعد للسلوك الإسلامي في ميدان العطاء، وكل جملة لها نمط أسلوبي يغاير أساليب الجمل الأخريات، وهذا التنوع الأسلوبي يفصح عن تنوع العطاء، وتنوع أساليب التصدق، فالجملة الأولى اسمية، ليست مؤطرة بزمن محدد، ولا حدث معين، لأن دلالتها من أسس الشخصية الإسلامية، وهي تمثل قاعدة ثابتة من قواعد السلوك الإسلامي، "فاليد العليا خير من اليد السفلى"، والعلو هنا علو شرف ومكانة، فهو علو معنوي يرمز إلى عزة المؤمن واستعفافه واستغنائه، وهي يد المعطي، والعليا أفعل تفضيل، فهي ليست عالية فقط، ولكنها عليا، لأنها منفقة معطية، وفي هذا الثناء، وذلك الوصف إيحاء وإرشاد إلى كل مسلم بأن يحرص على أن يكون صاحب اليد العليا، وبذلك يشتد التنافس في العطاء وبذل الخير، وأما "اليد السفلى" فهي يد السائل الذي استمرأ السؤال، ولم يتحصن بعزة الاستعفاف، ولكن ربما ألجأه إلى ذلك ضيق ذات اليد، ولكن عليه أن يتجاوز دائرة الحاجة، وذل السؤال حتى لا تبقى يده هي السفلى، "والسفلى" كذلك من صيغ التفضيل، وذلك من المبالغة في الإيحاء بضرورة التسامي والتعالي والاكتفاء والاستعفاف والاستغناء، وقال العلماء بأن يد الآدمي أربعة: يد المعطي، وهي العليا، ويد السائل، وهي السفلى، ويد المتعفف عن الأخذ ولو بعد أن تمد إليه يد المعطي، وهذه توصف بالعلو المعنوي، ويد الآخذ بغير سؤال، وقال البعض بأنها سفلى، وقالوا: وأسفل ما في الأيدي، السائلة والمانعة للعطاء.

وأما القاعدة الثانية فهي في قوله: "ابدأ بمن تعول": وهذه القاعدة جاءت في صيغة الأمر: والأمر للوجوب: لأن الإنفاق لابد أن يكون أولاً في سبيل الله ورعاية من تجب على المنفق نفقته، وإلا كفاه إثما أن يضيع من يقوت كما ورد في الحديث سابقًا.

والقاعدة الثالثة تجيء في صيغة الجملة الاسمية: وهي قاعدة ثابتة تعلن عن أن المسلم لابد أن يكد ويسعى في طلب الرزق من مصادره المشروعة، حتى يكون ذا غنى فيستعفف ويعف، وينفق عن ميسرة، ولا يحرم نفسه ولا أهله، ولذلك قال: "وخير الصدقة" وهو إيحاء بأن الصدقة لا تكون إلا ممن لا يحتاج إلى المال المتصدق به، وقيل

المراد غنى: يستظهر به على النوائب التي تنوبه، والتنكير في "غنى" للتعظيم[1].

والجملتان الرابعة والخامسة: تمثلان قاعدتين من قواعد السلوك الإسلامي، ومعلمين من معالم الشخصية الإسلامية، وقد صيغتا في قالب الشرط والجواب، وهذه الصياغة تفصح عن تحقق وعد الله لهم، فالجملة الأولى تذكر ببداية الحديث، وتحث على أن يكون المؤمن صاحب اليد العليا، حيث يقول رسول الله ﷺ ويعدُ، "ومن يستعفف يعفه الله"، وصيغة الاستفعال توحي بضرورة المعاناة ومقاومة النفس، والتصدي لذل الحاجة، والحرص على أن يكون المسلم من هؤلاء الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، فالاستعفاف: غير العفاف، لأنه يحتاج إلى مشقة وصبر وعمل، وسعي على الرزق وجواب الشرط: بشارة ووعد إلهي فقوله: "يعفه الله"، وعد يقيني بذلك، ولن يخلف الله وعده، والجملة الأخيرة وردت في أسلوب الشرط والجواب، وهي ترشد المسلم إلى الاستغناء وعدم الوقوع في ذل السؤال، أو براثن الطمع والشره، فإن الرضا بما قسم الله هو الطريق إلى الغنى والعفاف.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين فقهيين:

الأول: حكم صدقة التطوع، وقد اتفق الفقهاء[2] على انه يسن للمرء أن يتصدق على الفقراء والمساكين وأن ذلك من خير الأعمال عند الله تعالى، خاصة إذا كان من يتصدق عليه محتاجًا ولا قدرة له على الكسب، كاليتيم والعاجز والأرملة، ويبدأ في الإنفاق بالأقرب فالأقرب.

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٩٥.

(٢) أحكام القرآن، الجصاص ٤٣٧/١، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٣٠٦/١، وبلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، أحمد بن محمد الصاوي ٤٨٩/٣، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٧٤/٤، والزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي ٤٢٠/١، وأدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي ص١٨٨ وما بعدها، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٤٤/٦، والفروع، ابن مفلح ٥٢٢/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤١٤/١، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥٤٣/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٦٢/٨.

الثاني: حكم النفقة على الزوجة والأولاد، وقد سبق الكلام عنها في الحديثين رقمي: ٢٦٨، ٢٨٩.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل اليد العليا.

ثالثا: من موضوعات الدعوة: فضل الإنفاق.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: أهمية التعفف والقناعة والاستغناء.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار، والأمر:

لقد ورد الإخبار كأسلوب دعوي في الحديث في قوله ﷺ "اليد العليا خير من اليد السفلى" والإخبار من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ دعوته للمدعوين وبيان ما خفي عنهم، وقد أمر الحق تبارك وتعالى نبيه ﷺ بذلك فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾[1]، أما أسلوب الأمر فقد ورد في الحديث في قوله ﷺ "وابدأ بمن تعول" وفيه حمل المدعو على فعل الأمر المدعو إليه.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل اليد العليا:

يظهر ذلك في الحديث في قوله ﷺ "اليد العليا خير من اليد السفلى" وقد بين ابن حجر: (أن اليد العليا هي المنفقة المعطية وأن السفلى هي السائلة)[2]. وقد دعا النبي ﷺ المؤمن إلى أن يكون صاحب اليد العليا فقال: ((مَنْ تَكَفَّلَ لِيَ أَنْ لاَ يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا، فَأَتَكَفَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟ فَقَالَ ثَوْبَانُ: أَنَا، فَكَانَ لاَ يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا))[3]. وقال ﷺ ((لأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ فَيَحْطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَتَصَدَّقَ بِهِ وَيَسْتَغْنِيَ بِهِ مِنَ النَّاسِ، خَيْرٌ لَهُ

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٣٤٩، شرح رياض الصالحين ١/٦٧٧.

(٣) سنن أبي داود ١٦٤٣، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٤٤).

مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلاً، أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ذلِكَ. فَإِنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا أَفْضَلُ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى. وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ))[١].

وهذا ما أمر به النبي ﷺ حكيم بن حزام رضي الله عنه، فعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه أن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: "سألتُ رسولَ اللّهِ ﷺ فأعطاني، ثمَّ سألتهُ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني ثمَّ قال: ((يا حكيمُ، إنَّ هذا المالَ خَضِرةٌ حُلْوةٌ، فمن أخذَهُ بسخاوةِ نفسٍ بورِكَ له فيه، ومن أخذَهُ بإشرافِ نفسٍ لم يُبارَك له فيه، وكان كالذي يأكلُ ولا يشبَعُ. اليدُ العُليا خيرٌ منَ اليدِ السُّفلى)).

قال حكيمٌ: فقلتُ: يا رسولَ اللّهِ، والذي بَعثكَ بالحقِّ لا أرزأُ أحدًا بعدَكَ شيئًا حتى أُفارِقَ الدنيا. فكان أبو بكرٍ رضي الله عنه يَدعو حكيمًا إلى العطاءِ فيأبى أن يَقبلَه منه. ثمَّ إن عمرَ رضي الله عنه دعاهُ ليعطيَهُ فأبى أن يَقبلَ منهُ شيئا، فقال عمرُ: إني أُشهِدُكم يا معشرَ المسلمينَ على حكيمٍ أني أعرِضُ عليهِ حقَّهُ من هذا الفَيْءِ فيأبى أن يأخُذَه، فلم يَرْزَأْ حكيمٌ أحدًا منَ الناسِ بعدَ رَسولِ اللّهِ ﷺ"[٢].

قال ابن حجر: (قوله: "لا أرزأ" بفتح الهمزة وإسكان الراء وفتح الزاي بعدها همزة أي لا أنقص ماله بالطلب منه...، وإنما امتنع حكيم من أخذ العطاء مع أنه حقه، لأنه خشي أن يقبل من أحد شيئا فيعتاد الأخذ، فتتجاوز به نفسه إلى ما لا يريده، ففطمها عن ذلك، وترك ما يريبه إلى ما لا يريبه، وإنما أشهد عليه عمر؛ لأنه أراد أن لا ينسبه أحد لم يعرف باطن الأمر إلى منع حكيم من حقه)[٣]، فعلى المؤمن أن يستجيب لأمر نبيه ﷺ ويقتدي بسلفه الصالح في أن يكون صاحب اليد العليا.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإنفاق:

إن مما يستنبط من هذا الحديث من موضوعات دعوية: فضل الإنفاق، حيث يجعل المؤمن مستعليًا بالله تعالى، ثم بجهوده في كسب الرزق عفيفًا معينًا لإخوانه، وقد أشار

---

(١) أخرجه مسلم ١٠٤٢.

(٢) أخرجه البخاري ١٤٧٢، ومسلم ١٠٣٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٣٩٤.

الحديث إلى ذلك في قوله ﷺ "اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول... إلخ" وقد بيّن الحق تبارك وتعالى عِظم فضل الإنفاق فقال: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾[(١)].

قال ابن كثير: (أي: مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم، فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب)[(٢)]، وفي ذلك قال ﷺ: ((قال الله: أنفقْ ياابن آدمَ أُنْفِقْ عليكَ))[(٣)]، قال النووي: (وفيه الحث على الإنفاق في وجوه الخير والتبشير بالخلف من فضل الله تعالى)[(٤)]، فعلى المنفق أن يثق بموعود الله تعالى في إخلافه خيرًا مما أنفق، وأفضل مما أعطى.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: أهمية التعفف والقناعة والاستغناء:

لقد أشار الحديث إلى ذلك في قوله ﷺ "ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله" وفي ذلك قال تعالى (واصفًا المهاجرين الذين قد انقطعوا إلى الله وإلى رسوله ﷺ وسكنوا المدينة، وليس لهم سبب يردون به على أنفسهم ما يغنيهم)[(٥)] ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾[(٦)] أي: (أن الجاهل بأمرهم وحالهم يحسبهم أغنياء، من تعففهم في لباسهم وحالهم ومقالهم)[(٧)].

وقد أمر النبي ﷺ بذلك، فعن عوف بن مالك الأشجعي قال: ((كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ . تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً . فَقَالَ: «أَلا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللّهِ ؟» وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ.

---

(١) سورة سبأ، آية: ٣٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٢٣/٦.

(٣) أخرجه البخاري ٤٦٨٤، ومسلم ٩٩٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٣٦.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧٠٤/١.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٧٣.

(٧) المرجع السابق ٧٠٤/١.

فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ قَالَ: «أَلاَ تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟» فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ قَالَ: ((أَلاَ تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟)) قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَعَلاَمَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: ((عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ. وَتُطِيعُوا وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً وَلاَ تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا)) فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ. فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ))[1]، والفقر الحقيقي لها علامات تظهر على الإنسان الفقير المتعفف كما تظهر على أسرته، في الطعام، والملبس، و المسكن، وفي حالة الجسم بشكل عام، وفي مراقبة موارد رزقه، إلى غير ذلك من علامات. وعلى المسلمين أن يبحثوا عن أحوال الفقراء المتعففين، ولا يعرفهم إلا دقيق الملاحظة أما الجاهل لا يعرفه بل يحسبه غنيًا[2]. وقد رهب النبي ﷺ من عدم التعفف والقناعة والاستغناء فقال: ((ما يَزالُ الرجلُ يسألُ الناسَ حتى يأتيَ يومَ القيامةِ ليسَ في وَجههِ مُزْعةَ لحمٍ))[3].

قال النووي: (قال القاضي: قيل: معناه يأتي يوم القيامة ذليلاً ساقطًا لا وجه له عند الله. وقيل: هو على ظاهره فيحشر ووجهه عظم لا لحم عليه، عقوبة له وعلامة له بذنبه حين طلب وسأل بوجهه..، هذا فيمن سأل لغير ضرورة سؤالاً منهيًا عنه"[4]، وفي ذلك بيان على أهمية التعفف عن المسألة والقناعة والاستغناء.

خامسًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

يقصد بالترغيب كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة، وقبول الحق والثبات عليه...، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته، وجزيل ثوابه في الدنيا والآخرة[5]، وقد ورد الترغيب كأسلوب دعوي في الحديث في قوله ﷺ: "ومن

---

(١) أخرجه مسلم ١٠٤٣.

(٢) الوجيز في الأخلاق الإسلامية، عبدالرحمن حسن حبنكة ص ٤٩١.

(٣) أخرجه البخاري ١٤٧٤، ومسلم ١٠٤٠.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٥٧.

(٥) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٢١.

يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله". حيث أفاد أن من ترك شيئًا لله أبدله الله خيرًا منه، وأعطاه أفضل منه، فإن من عفّ واستغنى عن الناس، أغناه الله عنهم، وعفّه ونقله من منزلة الاحتياج إلى منزلة الاستغناء، ومن منزلة الذل إلى منزلة العز والكرامة، وفي ذلك عظيم الترغيب في الاستعفاف عن السؤال، والاستغناء عن طلب الناس.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

الإنسان مسؤول عن أهله مسؤولية مادية وأدبية، وذلك من قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [سورة التحريم:٦].

وإذا كانت نفس الإنسان مفطورة على حب الخير، فحري بالمؤمن أن يبدأ بالصدقة على أهله.

والفرق بين المسلم الذي يفقه دينه والمسلم الذي لا يفقه دينه كبير، فكل منهما يقوم بكفالة أسرته مادياً، ولكن المسلم الفقيه بأمور دينه يقصد حال الإنفاق وجه الله تعالى، أما من لا يفقه دينه فإنه يجاري التقاليد والعادات المتبعة، ومن المضامين التربوية في هذا الباب ما يلي:

أولاً- التربية على البذل والسخاء:

من أهداف التربية الإسلامية الحث على البذل والسخاء، ومن الشواهد على ذلك في باب النفقة على العيال قوله ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى»، وقوله ﷺ: «... دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، ...».

فهذه شواهد تربوية تدل على أهمية البذل والسخاء في وجوه الخير الكثير والتي منها الإنفاق والسخاء في سبيل الله، وتجهيز الغزاة، وتحرير الأرقاء لينالوا حريتهم، وأن اليد المنفقة في سبيل الله هي العليا.

لأن السخاء محبة ومحمدة ويجلب المودة وينفي العداوة ويكسب الذكر الجميل، ويستر العيوب والمساوئ، وإذا ما تربى الإنسان على السخاء ضعفت نفسه ولانت عريكته وقاده ذلك إلى أن يرتقي في مكارم الأخلاق ومدارج الفضيلة لأن السخي قريب من كل خير وبر، قال الرافعي: "من ألزم نفسه الجود والإنفاق راضها رياضة عملية كرياضة العضل بأثقال الحديد ومعاناة القوة في الصراع ونحوه، أما الشح فلا يناقض تلك الطبيعة فحسب ولكنه يدعها جامدة مستعصية لا تلين ولا تستجيب

ولا تتيسر، لأن السخاء يعني سخاوة نفس الرجل بما في يديه وسخاوته عما في أيدي الناس، وتركه ما في أيدي الناس أمحض في التكرم وأبرأ من الدنس وأنزه من العيب فإن هو جمعهما فبذل وعف فقد استكمل الجود والكرم[١].

ثانياً- من أهداف التربية الإسلامية: بيان مسؤولية الرجل عن النفقة على أهله:

من الأهداف التي اهتمت بها التربية الإسلامية بيان مسؤولية الرجل عن النفقة على الأهل، وأنها واجبة عليه، وفي الشواهد على ذلك قوله ﷺ: « «كَفَى بِالمَرْءِ إِثْماً أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ». وقوله ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْماً أَنْ يَحْبِسَ، عَمَّنْ يَمْلِكُ، قُوتَهُ».

فهذا توجيه نبوي بين النبي ﷺ فيه أن جميع أفراد المجتمع مسؤولون ومكلفون بواجبات تجاه الأقارب من النفقات وأن أولوية الإنفاق تكون للعيال ومن يعول، وهذا يعتبر في التربية الإسلامية من تقاسم الأدوار.

فالراعي مسؤول عن رعيته بغض النظر عن موقعه في القمة أو في القاع، ومهما اختلفت الظروف والأحوال فإنه مسؤول عن رعيته والإنفاق على هذه الأسرة، ومما يزيد هذه المسؤولية خطورة وأهمية قوله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلاَّ حَرَّمَ الله عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»[٢]، فهذا شاهد على عظم هذه المسؤولية، ولا داعي لجلب الأعذار وتبرير الأخطار لذلك شدد النبي ﷺ على هذه المسؤولية المتمثلة في الإنفاق على العيال، وهذا شيء يشعره بالتبعية الشاقة فيتعاهدها بالرعاية والعناية ويراقب الله في هذه الأمانة[٣].

ثالثاً- التربية بالترغيب والترهيب:

من أساليب التربية الإسلامية الترغيب والترهيب، ولقد استخدمه رسول الله ﷺ في تربية الصحابة لما له من أثر كبير في عملية التربية، ومن الشواهد التي تدل على

---

(١) انظر: رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، د. محمد بن إبراهيم الحمد ص ٥٢٤.

(٢) أخرجه مسلم، ١/١٢٥، ١٤٢

(٣) انظر: التربية الذاتية من الكتاب والسنة، هشام علي أحمد ص ٥٨، أصول التربية الإسلامية، د. محمد ص ٦٣.

الترغيب في باب النفقة على العيال، قوله ﷺ: «دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْراً الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ». وقوله ﷺ: «وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ...»، وقوله ﷺ: «اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً»، فهذه شواهد تدل على الترغيب في الإنفاق عامة والنفقة على العيال خاصة، والرسول استخدم أسلوب الترغيب في عملية تنشئة الصحابة، لأنه أسلوب فيه تحريك للدوافع على الخير - الإنفاق- وتنشيطها فيما، أعده الله تعالى لمن خاف مقام ربه ومقام النبي ﷺ، وكل هذا يكفل للمجتمع الاستقامة على طريق أداء الحقوق، وهذا ليس بغريب على التربية الترغيبية لأنها من الأسس التي يقوم عليها الإصلاح في المجتمع(١).

كما رهّب الرسول ﷺ من الإمساك في النفقة وعدم إعطاء العيال حقهم منها، في قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً»، فهذا ترهيب من عدم الإنفاق، وجواز الدعاء على البخيل بتلف ماله الذي منعه وكنزه وتحريم البخل والشح لأنه سبب في الهلاك والإهلاك والرسول ﷺ ذكر الترهيب بعد الترغيب لعلمه أن الإنسان لديه القدرة على التمييز بين ما يضره وما ينفعه، كما أنه يستطيع أن يستجيب لأوامر الله فيمتنع عن ما نهى عنه ويعمل بما أمره به. مما يجعل الترهيب يؤثر في السلوك ولولا هذه الخاصية الفطرية لما كان للترهيب أثر تربوي، ولقد بين الرسول ﷺ الكيفية التربوية التي ينبغي للمربين اتباعها في عملية التربية وهي الموازنة والاعتدال والموضوعية في الإفادة من الترغيب والترهيب، فلا يغلب أحدهما على الآخر، وأن يستخدم كل واحد منهما بحسب الحاجة(٢).

رابعاً- التربية بالتوجيه المباشر:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالتوجيه المباشر، ومن الشواهد على ذلك في

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٤٩٤ بتصرف.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٣٩٦، أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات ص ٨٤.

باب النفقة على العيال: قوله ﷺ: «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة...»، وقوله: «أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ: دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَىٰ عِيَالِهِ...»، وقوله: « وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلاَّ أُجِرْتَ بِهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ...»، وقوله: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت...»، وقوله ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى...».

فهذه شواهد تربوية تدل على أن الرسول ﷺ استخدم أسلوب التوجيه المباشر في تربيته للصحابة ﵃ لأنه عندما كان يرى حالة تحتاج إلى توجيه لدى أحد أصحابه فإنه يتدخل بالتوجيه والإرشاد والنصح، وذلك حتى تكون درساً عملياً يستقي منه الأصحاب الحكم والفوائد التربوية العلاجية لكثير من الحالات المشابهة، والرسول ما استخدم هذا الأسلوب إلا لعلمه بأنه مؤثر في سلوك الفرد، ولعلمه أنه بنجاحه فإنه يغير مجرى حياة الإنسان لأنه يعقبه أثار تربوية منها تزكية النفس وتطهيرها عن الرذائل كالبخل، وبهذا يسمو المجتمع ويبتعد عن المنكرات، وهذا الأسلوب له عدة عوامل لنجاحه ينبغي مراعاتها وهي: إشعار الأفراد محل التوجيه بالعطف والاهتمام، وتخير وقت التوجيه حيث تكون النفس هادئة للتقبيل[1].



---

(١) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني ص ٢٨٤، أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات ص ٨٤.

٣٧- باب الإنفاق مما يحب ومن الجيد

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: ٩٢] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾[البقرة: ٢٦٧].

الحديث رقم (٢٩٧)

٢٩٧- عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَكْثَرَ الأَنْصَار بالمَدِينَةِ مَالاً مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أمْوالِهِ إلَيْه بَيْرَحَاء، وَكَانتْ مُسْتَقْبلَةَ المَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّب. قَالَ أنسٌ: فَلَمَّا نَزَلَتْ هذِهِ الآيةُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قام أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُول الله، إنَّ الله تَعَالَى أنْزَلَ عَلَيْكَ[١]: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وَإنَّ أَحَبَّ مَالِي[٢] إلَيَّ بَيْرَحَاءُ، وَإنَّهَا صَدَقَةٌ للهِ تَعَالَى، أرْجُو بِرَّهَا، وَذُخْرَهَا عِنْدَ الله تَعَالَى، فَضَعْهَا يَا رَسُول الله حَيْثُ أرَاكَ اللهُ، فقَالَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((بَخٍ! ذلِكَ مَالٌ رَابحٌ، ذلِكَ مَالٌ رَابحٌ، وقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإنِّي أرَى أنْ تَجْعَلَهَا فِي الأقْرَبينَ))**، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أفْعَلُ يَا رَسُول الله، فَقَسَّمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أقَارِبِهِ، وبَنِي عَمِّهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[٣].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

بيرحاء: حديقة نخل وروي بكسر الباء وفتحها[٤].

---

(١) لفظهما: (إن الله تعالى يقول)، وكذا عند الحميدي في جمعه.

(٢) لفظ البخاري في هذه الرواية: (أموالي) وبهذا اللفظ عنده برقم (٥٦١١)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه (٥١٦/٢، رقم ١٨٨٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٦١) واللفظ له، ومسلم (٩٩٨/٤٢). أورده المنذري في ترغيبه (١٢٨٣).

(٤) رياض الصالحين ١٦٥.

مستقبلة المسجد: أمام المسجد النبوي[١].

ذخرها: هو ما يعد لوقت الحاجة. والمراد: أجرها عند الله[٢].

بخ: كلمة تقول عند الرضا والإعجاب بالشيء أو المدح أو الفخر تقول: بَخْ وبخٍ وتقول مكرراً: بَخْ بَخْ وبخٍ بخٍ[٣].

مال رابح: قوله: (مال رابح) روى في الصحيح (رابح) و(رايح) بالباء الموحدة وبالياء المثناة: أي رايح عليك نفعه[٤].

الشرح الأدبي

إن الإنفاق في سبيل الله من سمات اكتمال معالم شخصية المسلم، وهو تاج سلوكها، ومضمار أصالتها، فللمال سطوة لا تقدر على مقاومتها النفوس الضعيفة، وله إغراءاته التي لا يقف في وجهها إلا ذوو الهمم العالية، والبصائر المؤمنة، وحينما تألف النفس الإنفاق، وتستمرئ العطاء، تجد له طعماً لا تعدله طعوم الدنيا وما فيها، وتبصر آفاقاً من العز تسمو إليها وهي متشحة بأردية الإيمان... ولباس التقوى.

وهذا الحديث الشريف مشهد واقعي من مشاهد العطاء الإيماني، وهو حوار بين رسول الله ﷺ وأبي طلحة يُرْسي معْلما من معالم الإسلام، وهو الإنفاق مما يحبه المنفق، استجابة لقول الله عز وجل: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[٥].

ويأتي هذا الحديث في باب مستقل، إشارة إلى أن ثمرته تعود بالنفع على كل مسلم، المنفق، والمنفق عليه، وتعود كذلك على الأمة كلها بالنفع العام، وإشاعة عاطفة المودة والرحمة ونشر سلوك التعاون على البر والتقوى؛ ويأتي هذا الحديث كذلك عقب باب النفقة على العيال، وغيرهم من الذين يستحب الإنفاق عليهم أو يجب،

---

(١) انظر: الوسيط في (ق ب ل).

(٢) انظر المصباح المنير في (ذ خ ر)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٩٨.

(٣) الوسيط في (ب خ).

(٤) رياض الصالحين ١٦٥.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٩٢ .

وهو بذلك يرشد إلى أن الإنفاق لن يقبل إلا إذا كان طيباً، وأن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً.

ولنتأمل بعض جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الحواري، المشرق بكثير من القيم والمبادئ، والتعاليم النبوية والإلهية، وأول ظاهرة أسلوبية تلفت القارئ، هي أن الحديث صيغ في قالب الحكاية على لسان الراوي الأعلى: أنس بن مالك ﵁، حيث يستعيد الراوي هذه الواقعة، ويقدمها لكل مسلم أنموذجاً للعطاء الإسلامي، المنبثق من الهدي القرآني، والتوجيه النبوي، وسمة الحكاية القصصية أن الراوي كرر الفعل "كان" أربع مرات في سياق عرض مظاهر ثراء أبي طلحة، وبيان أحب أمواله إليه، والجمل الأربع: كل في بداية الحديث: كل جملة تعرض ملمحاً من ملامح ثراء أبي طلحة، وقد ازدادت حديقته شرفاً بأنها كانت مستقبلة مسجد رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب.

وفي الحديث إشارة إلى سرعة استجابة الصحابة لتوجيهات القرآن الكريم، وذلك يتضح في ذلك الحوار بين رسول الله ﷺ وأبي طلحة حينما نزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1]، والعطف بالفاء في قوله: "قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله" وذلك يوحي بأن الرجل لم يتمهل ولم يفكر إلا في الاستجابة للأمر الإلهي، ولذلك نرى استجابته يؤيدها هذا التأكيد بـ"إن" مرتين في إقراره أمام رسول الله ﷺ بأن حديقة بيرحاء أحب ماله إليه، ثم أكد وقال: إنها صدقة لله تعالى: إن هذا التأكيد مرتين يرشد إلى النية الخالصة في التصدق والاحتساب.

والأمر في قوله: "فضعها يا رسول الله: حيث أراك الله"، ليس على سبيل الحقيقة: ولكنه التماس ورجاء، لأنه صادر من الأدنى إلى الأعلى، والنداء في قوله "يا رسول الله" بعد صيغة الأمر: للإشعار بأن هذا أمر إلهي وهو أمر الإنفاق مما يحب، "وضعها" تعبير يحمل الاختيار في جوهره وفي سياق خطاب النبي ﷺ، والاختيار هنا مرتبط بقوله:

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٩٢.

"حيث أراك الله"، وأراك بمعنى أعلمك، فالرسول لا ينطق عن الهوى، ويزداد الحوار إشراقاً ووضاءة حيث يعبر الرسول ﷺ عن غبطته بموقف أبي طلحة فيقول "بخ"، وهى كلمة تقال لتفخيم الأمر والإعجاب به، والأمر يزداد فخامة، ويشرف ويسمو إذا كان القائل هو رسول الله ﷺ، ويبشر الرسول: أبا طلحة بشارة صادقة ويؤكد البشارة بتكرار عبارته مرتين، ويأتي باسم الإشارة "ذلك" لمزيد من التعظيم: فيقول: "ذلك مال رابح: ذلك مال رابح"، ثم يؤكد الرسول ما سمع بقوله: "وقد سمعت ما قلت"، ثم يؤكد توجيهه ورأيه بـ"إن" قائلاً: "وإني أرى..."، ولم يقل: اجعلها: وهذا من أدب النبوة في التوجيه وخطاب أصحابه، والعطف بالفاء في قوله: "فقال أبو طلحة" وقوله: "فقسمها في أقاربه..." يرشد إلى تنفيذ مشورة رسول الله ﷺ في سرعة وصدق ومحبة وإخلاص.

فقه الحديث

يربي الإسلام في نفس المسلم حب الخير وفعله، والتضحية بالنفيس والغالي في سبيل رضا الله عز وجل، ولذا فإن الإنسان إذا تصدق بشيء فليتصدق بما هو جيد، لا بما هو رديء، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، ولينظر من يتصدق إلى أن الصدقة تقع أولاً في يد الله قبل يد الفقير، وأفضل الصدقات ما كانت للقريب الفقير.

وقد سبق القول في الحديث رقم ٢٩٦ أن الفقهاء اتفقوا[(١)] على انه يسن للمرء أن يتصدق على الفقراء والمساكين، وأن ذلك من خير الأعمال عند الله تعالى، خاصة إذا كان من يتصدق عليه محتاجاً ولا قدرة له على الكسب، كاليتيم والعاجز والأرملة، ويبدأ في الإنفاق بالأقرب فالأقرب، فهو الأحق بالصدقة ثم غيره من المسلمين.

---

(١) أحكام القرآن، الجصاص ٤٢٧/١، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٣٠٦/١، وبلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، أحمد بن محمد الصاوي ٤٨٩/٣، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٧٤/٤، والزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي ٤٢٠/١، وأدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي ص ١٨٨ وما بعدها، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٤٤/٦، والفروع، ابن مفلح ٥٢٣/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤١٤/١، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥٤٣/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٦٢/٨.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل الإنفاق مما يحب المرء.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: سرعة استجابة الصحابة رضي الله عنهم لأمر الله ورسوله.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الحث على الإنفاق.

خامساً: من موضوعات الدعوة: فضل الإحسان بالإنفاق على ذوي الأرحام.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد ورد أسلوب الإخبار في الحديث في قول أنس رضي الله عنه مخبراً عن أبي طلحة رضي الله عنه أنه كان... إلخ" والإخبار من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ دعوته، وبيان أمور دينه وسنة نبيه.

قد ورد ذلك في الحديث من قول أنس رضي الله عنه: (فلما نزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1]... إلخ).

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه أن الأضداد يبين ببعضها بعض، فإذا أراد الإنسان من البر الثواب، كان معيار ذلك إخراجه ما يحب، لقوله تعالى: "لن تنالوا البر"، فذكر البر "بالألف واللام" المستغرق للجنس أو المعهود، وهذا من جوده، فلو أنه عز وجل قال: "لن تنالوا براً حتى تنفقوا مما تحبون" لكان يصعب عليهم في كل الحالين، لأنهم لم يكونوا ينالون براً حتى ينفقوا كل ما يحبون، ولكن لما قال سبحانه: (لن تنالوا البر) بان أنه أراد البر المعهود، والمستغرق للجنس حتى ينفقوا مما يحبون، أي شيئاً مما يحبون يعني شيئاً ما، تخفيفاً وتيسيراً من الجهتين)[2].

وقد بيّن القرطبي: (أن البر في هذه الآية الكريمة قد يعني الجنة، أي لن تصلوا إلى الجنة وتعطوها حتى تنفقوا مما تحبون، وقيل إن البر قد يعني العمل الصالح، أي: لن

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٩٢.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٨١/٥.

تنالوا شرف الدين والتقوى، حتى تنفقوا مما تحبون في سبل الخير، من صدقة أو غيرها من الطاعات)[١]، ومن أجل عظم فضل الإنفاق مما يحب المرء قال ابن عمر رضي الله عنهما: (حضرتني هذه الآية ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ فذكرت ما أعطاني الله عز وجل، فلم أجد شيئاً أحب إلي من مرجانة - جارية لي رومية - فقلتُ: هي حرة لوجه الله)[٢]، فعلى المرء أن ينفق مما يحب، حتى ينال عظيم الثواب، وجزيل العطاء من الله تعالى. وفي ذلك بيان عظيم على فضل الإنفاق مما يحب المرء.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: سرعة استجابة الصحابة رضي الله عنهم لأمر الله:

هذا ما ظهر في الحديث في قول أبي طلحة رضي الله عنه: "يا رسول الله إن الله تعالى أنزل عليك ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب مالي إليَّ بيرحاء، وإنها صدقة لله تعالى، أرجو برها وذخرها عند الله تعالى.." وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتميزون بسرعة الاستجابة لأمر الله، فعن أنس رضي الله عنه أنه قال: ((كنتُ ساقِيَ القومِ في منزلِ أبي طلحةَ، فنزل تحريم الخمر، فأمرَ مُنادياً فنادَى، فقال أبو طلحةَ: اخرُج فانظرْ ما هذا الصوتُ، قال: فخرجتُ فقلتُ: هذا مُنادٍ ينادي: ألا إن الخمرَ قد حُرِّمَت. فقال: لي: اذهَبْ فأهرِقْها. قال: فجَرَتْ في سِكَكِ المدينة))[٣].

قال ابن هبيرة رحمه الله: (في هذاالحديث ما يدل على إيمان القوم بحسن مسارعتهم إلى امتثال أمر الشرع)[٤]، وفي ذلك حسن الجزاء من الله، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[٥].

قال السعدي رحمه الله: (أي: انقادت قلوبهم للعلم والإيمان، وجوارحهم للأمر والنهي،

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٣٣/٤/٢.

(٢) حياة الصحابة، الكندهلوي ص ٣٧٧.

(٣) أخرجه البخاري ٤٦٢٠، ومسلم ١٩٨٠.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٧١/٥.

(٥) سورة الرعد، آية: ١٨.

وصاروا موافقين لربهم فيما يريده منهم، فلهم "الحسنى" أي: الحالة الحسنة، والثواب الحسن. فلهم من الصفات أجلُّها، ومن المناقب أفضلها. ومن الثواب العاجل والآجل ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)[1].

فعلى الأمة جمعاء أفراداً وشعوباً وحكاماً أن تسارع في الاستجابة لأمر الله ورسوله ﷺ مقتدية في ذلك بسلفها الصالح، حتى تنال العزة في الدنيا، كما نالها سلفها من قبل.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الحث على الإنفاق:

يظهر ذلك في الحديث عندما بارك النبي ﷺ فعل أبي طلحة وقال له بخ، فهذا لفظ دل على تفخيم الأمر والإعجاب به في قوله ﷺ "بخ! ذلك مال رابح، ذلك مال رابح" أي: مربوح فيه، كما يقال: ليل قائم ونهار صائم، أي: ليل يقام فيها ونهار يصام فيه[2]، (وصدق النبي ﷺ فهذا مال رابح، فكم من حسنة يربح هذا المال، إذا كانت الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة؟)[3]، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ﴾[4].

خامساً- من موضوعات الدعوة: فضل الإحسان بالإنفاق على ذوي الأرحام:

قد أشار الحديث إلى ذلك في قوله ﷺ "وإني أرى أن تجعلها في الأقربين"، قال ابن هبيرة: (وإنما كان لهذا الإنفاق مزية، لأن المنفق آثر الله تعالى فيه على هواه، وأبو طلحة وإخراجه "بيرحاء" في سبيل الله، فإنه أنفقه نفقة دارة، ورد تعيين مصرفها إلى رسول الله ﷺ، فاختار له ﷺ أحسن المصارف لأنه ﷺ أراد أن يجمع له بين الصلة والصدقة، فقال: "اجعلها في الأقارب"، ليكون متصدقاً وواصلاً لرحمه)[5].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٣٧٠.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٨٢/٥.

(٣) شرح رياض الصالحين ٦٨٠/١، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ٢٤/٦.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٥) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٨١/٥.

وقد بين النووي: (أن الصدقة على الأقارب أفضل من الأجانب إذا كانوا محتاجين وفيه أن القرابة يرعى حقها في صلة الأرحام وإن لم يجتمعوا إلا في أب بعيد، لأن النبي ﷺ أمر أبا طلحة أن يجعل صدقته في الأقربين، فجعلها في أبي بن كعب وحسان بن ثابت رضي الله عنهما وإنما يجتمعان معه في الجد السابع)[١].

وفي الإنفاق والإحسان إلى ذوي الأرحام لأجران، أجر القرابة وأجر الصدقة، وهذا ما بينه النبي ﷺ لزينب امرأة عبدالله رضي الله عنهما عندما سألته ﷺ ((أيَجزي عني أن أُنفِقَ على زوجي وأيتامٍ لي في حجري. قال: نعم، ولك أجْرانِ: أجرُ القَرابةِ وأجرُ الصدقةِ))[٢]. قال ابن حجر: (أي أجر صلة الرحم وأجر منفعة الصدقة)[٣]، وفي ذلك بيان عظيم على فضل الإحسان إلى ذوي الأرحام.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٣٨.

(٢) أخرجه البخاري ١٤٦٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٣٦٨، والمدخل في الآداب الشرعية للعبدري "ابن الحاج" ص ٥٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

يراعي الإسلام في النفقة حال المنفق وحال المنفق عليه، فالمنفق في كثير من الأحيان يحرص على إخراج الحد الأدنى ويختار من بين ماله ما لا يراه في موقع الصدارة مما يتمول.

والمنفق عليه يحرص على ن يأخذ خير ما يملك الغني ويتمنى ذلك، وقد لا يحمد العطية لأنها من وجهة نظره دون ما يتوقع، والإسلام وازن بين الطرفين فأمر المنفق أن يخرج من خير ماله ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ لسورة آل عمران:٩٢]، ونهى عن التصدق بالردئ من الأشياء: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ [سورة البقرة:٢٦٧]، ونهى الرسول ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه عند جمع الصدقة أن يركز على كرائم الأموال لأنها محببة إلى النفس.

كما أمر المنفق عليه بشكر المنفق وعدم تقييد ذلك بالخيرية مما أنفقه، ومن وسائل التربية في هذا الباب:

أولاً - التربية على الامتثال والرغبة في رضوان الله:

من أهداف التربية الإسلامية الحث على الامتثال لأوامر الله تعالى، يبدو ذلك واضحاً من خلال حديث الباب حيث استجاب أبو طلحة رضي الله عنه لأوامر الله، فكانت استجابته سريعة للفوز بالثواب الذي أعده الله تعالى للمنفقين، وقد كان أبو طلحة من أكثر الأنصار مالاً، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء ... فقام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ إنَّ اللَّهَ تَعَالَى أنْزَلَ عَلَيكَ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1]، وَإنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إلَيَّ بَيْرُحَاءُ، وَإنَّهَا صَدَقَةٌ أَرْجُو بِرَّهَا ...».

فهذه تربية على الامتثال لأمر الله والحرص على بلوغ الدرجات العلى التي حث الله

(١) سورة آل عمران، آية: ٩٢.

تعالى ورسوله الكريم ﷺ على تحصيلها بالبذل والإنفاق من المال المحبب للنفوس، ولاشك أن هذا الامتثال من أبي طلحة يعد من أرقى ألوان التربية على التحرر من الشح والأنانية والرغبة في رضوان الله تعالى، لأن إقدام المؤمن على الاستجابة لأوامر الله والمسارعة في ذلك دليل وبرهان على الإيمان الراسخ لتحقيق رضوان الله. ومن هنا نقول إن الإنفاق من الممتلكات المحببة إلى النفس، يعد تحريراً للنفس من الأنانية والشح، وتربية لها على العطاء والبذل وهذا يعتمد على التطبيق والممارسة العملية التي تؤثر تأثيراً إيجابياً في النفوس، فتحملها على التأسي والاقتداء.

ومن الأمور التي تعين على الامتثال والرغبة في طاعة الله: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ، مَنْ كَانَ الله وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، ...»[1].

ثانياً- التربية بالترغيب:

من أساليب التربية الإسلامية الترغيب، ولقد استخدمه الرسول ﷺ لما له من أثر كبير في عملية التربية الإسلامية، ومن الشواهد التي تدل على ذلك في باب الإنفاق مما يحب ومن الجيد، «... قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَيكَ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[2]، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءُ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ...». فهذا ترغيب في الإنفاق من أحسن أموال العبد وأحبها إلى نفسه، والحض على فعل الخير والبر.

والنبي ﷺ يرغب ويربي الصحابة على الإنفاق والتصدق في سبيل الله، فقال ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى»[3]، وقال ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ

---

(١) أخرجه البخاري ٦٩٤١، ومسلم ٤٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

(٣) أخرجه البخاري ١٤٢٩، مسلم ١٠٣٣.

أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً»[١]، وقوله ﷺ: «مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً في سبيلِ الله كُتِبَتْ لَهُ بِسَبْعَمَائَةِ ضِعْفٍ»[٢].

وفي حديث الباب ترغيب وتربية لكل مسلم على البذل والإنفاق في أوجه الخير، ومواساة المسلمين بالمال وإعانتهم على مشكلات الحياة، وفي الحديث تربية على محاربة البخل والشح الذي كان سبباً في هلاك الأمم السابقة.

لذلك قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾[٣]، فالله عز وجل يربي الأمة على إنفاق الطيب لا يقبل إلا طيباً.

الإنفاق في سبيل الله ينبغي أن يكون من المال الطيب الذي يحبه الإنسان بالفطرة لأن الصدقة في المال الطيب هي التي يتقبلها الله تعالى من عباده ويثيبهم عليها الجنة بمنه وكرمه، وذلك أن المنفق آثر الله تعالى بالمال طلباً لمرضاته على نفسه وأهله كما فعل الأنصار مع المهاجرين فخلد القرآن ذكرهم، فقال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[٤][٥].

ثالثاً- من خصائص التربية الإسلامية: الموازنة بين الأمور:

من خصائص التربية الإسلامية التوازن حتى لا يطغى جانب على جانب، وفي حديث الباب أراد أبو طلحة رضي الله عنه أن يتصدق بأحب أمواله إليه -بيرحاء- إلا أن النبي ﷺ وجهه توجيهاً تربوياً سليماً حيث بيَّن له أن أولى الناس بالإحسان إليهم ذووا الأرحام وأولو القربى، فهذه تربية على الأولويات، وهذا ما ظهر من موقف أبي طلحة رضي الله عنه

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٤٢، مسلم ١٠١٠.

(٢) النسائي ٤٩/٦، وقال الألباني: صحيح، صحيح الجامع برقم ٦١١٠، صحيح جامع الأصول ٤٩٤/٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٧.

(٤) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٥) التربية الروحية والاجتماعية، د. أكرم العمري ص ٣٠٧.

وتوجيه النبي ﷺ له حيث قال له: «وَإِنِّي أَرَىٰ أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ».

ونلاحظ من هذا التوجيه النبوي التوازن بين الجهات التي يخرج لها المال الذي ينفق.

إن التربية النبوية اهتمت اهتماماً كبيراً بتحقيق التوازن بين الرغبة في الإنفاق بأحسن ما يملك الإنسان، وبين توجيه هذا الإنفاق التوجيه السليم، لذلك كان من أبرز مظاهر التوازن في المنهج الإسلامي التوازن بين الأقارب في العطايا والإنفاق، وأخيراً إذا لم يحدث توازن وموازنة في الإنفاق يحدث خلل في السلوك والتصرفات[1].

والتوازن من خصائص التربية الإسلامية وميزاتها التي لا توجد في تربية سواها حيث تركز مفاهيمها وممارساتها على المساس من الاعتدال والاستقامة وتقيم مجالاً واسعاً متوازياً للاختيار والبدائل المباحة تجاه السلوك الواحد، وبفضل المعايير الشرعية الدقيقة فيما يتعلق بأنماط السلوك فإنها تكون بعيدة عن التطرف والإغراب[2].

رابعًا- من الأساليب التربوية: المناقشة والحوار:

هذا واضح من حوار النبي ﷺ مع أبي طلحة رضي الله عنه، والمناقشة والحوار من الأساليب التي يمكن للمعلم استخدامها في العملية التربوية، وفي هذا الأسلوب يتم تبادل الأفكار والآراء بين المتعلمين والمعلم بحرية، وذلك بغية توضيح بعض المفاهيم والموضوعات التي تحتاج إلى توضيح، وتمتاز بأنها توفر الفرصة للمتعلمين للتعبير عن أنفسهم.



---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. الحازمي ص ٤٢٠، الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها ص ١٣٥.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي ص ٣٨، ٣٩.

٣٨- باب وجوب أمره أهله وأولاده المميزين
وسائر من في رعيته بطاعة الله تعالى، ونهيهم عن المخالفة وتاديبهم ومنعهم عن ارتكاب منهي عنه

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[طه: ١٣٢]، وَقالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[التحريم: ٦].

الحديث رقم (٢٩٨)

٢٩٨- عن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ فَجَعَلَهَا في فِيهِ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: **((كَخْ كَخْ إرْمِ بِهَا، أمَا عَلِمْتَ أنَّا لا نَأكُلُ الصَّدَقَةَ!؟))** مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

وفي رواية[2]: **((أنَّا لا تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ))**. وقوله: "كِخْ كِخْ" يُقَالُ بإسْكان الخَاء، ويُقَالُ بكَسْرِهَا مع التَّنْوين، وهي كلمة زَجْرٍ للصبي عن المُسْتَقْذَرَات، وكان الحَسَنُ رضي الله عنه صبيًا.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

لقد عُني الإسلام بتربية الأبناء عناية فائقة، حيث أمر كل مسلم بضرورة الاهتمام بتنشئة ابنه تنشئة صحيحة في ظل الأصول والمفاهيم الأخلاقية التي أصَّلتها الشريعة، وفاضت بتعاليمها نصوص الكتاب والسنة النبوية، حتى ينشأ الطفل المسلم ووجدانه مشبع بأنفاس الحضارة الإسلامية وعبقها، وكيانه مهيأ لمعايشة واقع الحياة الإسلامية سلوكًا وتعليمًا، وتربية ومشاركة مسؤولة في ميادين الحياة.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٩١)، ومسلم (١٠٦٩/١٦١) واللفظ له.

(٢) أخرجها مسلم عقب الحديث (١٠٦٩/١٦١، بدون رقم) من حديث وكيع عن شعبة.

وهذا الحديث دَرْس عملي في التربية الإسلامية، وما أعظمه من درْس !!!، وما أجمله من توجيه !!!، ولا عجب، فالمعلم هو نبي الرحمة، ورسول الهداية محمد بن عبدالله ﷺ، والذي يتلقى الدرس، وينهل هذا العلم وهو علم السلوك، هو حفيد رسول الله الحسن بن علي ابن بنت رسول الله، فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وهو كما تقول الروايات أشبه الناس برسول الله ﷺ ووردت في فضله وهو وأخوه الحسين: أحاديث كثيرة صحيحة.

وعلى الرغم من حب رسول الله للحسن، فإنه حرص على تعليمه وتلقينه هذا الدرس السلوكي الذي يغرس في نفسه -وهو ما زال في سن الطفولة- مبادئ العزة والعفة والكرامة، لأن اليد العليا خير من اليد السفلى -كما قال رسول الله ﷺ-.

وهذا المشهد المضيء من مشاهد السيرة النبوية، ومشاهد التربية الإسلامية. يقدم النموذج الأمثل في التربية الصحيحة، فالحسن بن علي رضي الله عنهما وهو لا يدري لأنه طفل- أخذ تمرة واحدة من تمر الصدقة، فجعلها في فيه، فلم يكتف الرسول ﷺ بنهيه عن تناول شيء بعد ذلك، ولكنه حرص على أن لا يأكل الحسن التمرة، وقال "كخ كخ" وهي عبارة تقال للاعتراض واستقذار الشيء، ولم يبلع الحسن التمرة وألقاها كما أمره رسول الله ﷺ، وهذا المشهد الجليل في أدائه الأسلوبي يتضمن عدة ظواهر أسلوبية وفنية، ومنها العطف بالفاء في قول الراوي: "فجعلها في فيه"، فقال رسول الله ﷺ "كخ كخ" وهذا العطف بالفاء يرشد إلى إسراع رسول الله ﷺ، وحرصه على عدم الوقوع في مثل هذا الصنيع، لأن التمر من الصدقات، وأهل البيت ليسوا من أهل الصدقة، لأنها للمحتاجين، ومصارف الصدقات معروفة.

وتكرار هذه العبارة "كخ كخ" مع إيقاعها الصوتي الذي يشبه الإنذار بالعقاب، والتأفف من هذا العمل: يدل على شدة حرص النبي ﷺ على التزام حفيده بتعاليم الإسلام، وسنة رسول الله ﷺ وأسلوب الأمر في قوله "ارم بها"، يعلن عن وجوب الالتزام بما يأمر به رسول الله ﷺ، واختيار مادة "رمى" يوحي باستهجان هذا الفعل، وللفعل "ارم"، دلالات وإيحاءات كثيرة: وهو أدق في التعبير من ألق، أو لا تأكل،

والاستفهام في قوله "أما علمت" يفصح عن إنكار الرسول عليه الصلاة والسلام للفعل الذي أقدم عليه حفيده الحسن بن علي رضي الله عنهما، وهو يحرص على تعليم الحسن ما يجب فعله، والتأكيد في قوله: "أنَّا لا نأكل الصدقة"، لإقناع الصبي، وإفهامه بأن الأمر جد، وأنه لا يحل له ولا لغيره من آل بيت رسول الله ﷺ الأكل من مال الصدقة، وصيغة المضارع المقترنة بالنفي في قوله "لا نأكل الصدقة"، يعلن عن استمرار هذا الحكم، وعدم انقطاعه، فهو حكم شرعي ثابت ومستمر، واللغة أفصحت عن طبيعة الحكم وعن المعنى المراد، والدرس المبتغى من هذا الحديث الشريف.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم فقهي خاص بآل النبي ﷺ وهو أنه لا يحل لهم الأخذ من أموال الزكاة والصدقات، لأنها غسول الناس، وذلك لا يليق ببيته ﷺ لمكانتهم العالية.

وقد اتفق الفقهاء[1] على أنه لا يجوز صرف الزكاة إلى أحد من آل النبي ﷺ ولا لأحد من آله من بني هاشم وهم آل العباس بن عبدالمطلب، وآل أبي طالب بن عبدالمطلب، وآل الحارث بن عبدالمطلب، وآل أبي لهب بن عبدالمطلب، ولا يجوز لهاشمي أن يطلب الزكاة ولا أن يقبلها؛ لأنها أوساخ الناس، ويجوز لهم الأخذ من صدقة التطوع لما روي في ذلك من آثار تؤيده، وقد أبدلهم الله عن أموال الزكاة بخُمْس الغنيمة نفقة لهم.

---

(١) انظر في ذلك تفصيلاً: المبسوط ١٢/٣، وأحكام القرآن، الجصاص ١٩٢/٣ وما بعدها، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٣٢٥/٧، وأحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٥٣٩/٢، والأم ٨٨/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢١٩/٦، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن، ٣٤/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٩١/٢، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٧٤/٢، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ١٥٦/٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الزجر والإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تحريم الصدقة عليه ﷺ وعلى آل بيته.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تعاهد الأولاد بالتربية على أخلاق الإسلام.

أولاً- من أساليب الدعوة: الزجر والإخبار:

قد ورد أسلوب الزجر في الحديث في قوله ﷺ: "كخ كخ"، والزجر من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على توجيه المدعو وإرشاده إلى اجتناب ما نهي عنه، وهذا ما بيّنه النووي في قوله ﷺ: "كخ كخ"، فقال: (هي كلمة زجر للصبي عن المستقذرات وكان الحسن رضي الله عنه صبيًا)[1]، وقد ورد الإخبار في الحديث في قوله ﷺ: "أما علمت أنا لا نأكل الصدقة"، حيث أعلم النبي ﷺ أنه هو وآل بيته رضوان الله عليهم لا يأكلون الصدقة.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تحريم الصدقة عليه ﷺ وعلى آل بيته:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ "أما علمت أنا لا نأكل الصدقة" (وقد اختص النبي ﷺ بكثير من الخصائص والأحكام دون أمته تكريمًا له وتبجيلاً)[2]، ومن هذه الخصائص تحريم الصدقة عليه ﷺ وعلى آل بيته، وفي ذلك قال ﷺ ((إِنَّ الصَّدَقَةَ لاَ تَنْبَغِي لآلِ مُحَمَّدٍ. إِنَّما هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ))[3].

قال النووي: (وفي الحديث دليل على أنها محرمة، سواء كانت بسبب العمل أو بسبب الفقر والمسكنة وغيرهما...، وفي قوله ﷺ: "إنما هي أوساخ الناس"، تنبيه على العلة في تحريمها على بني هاشم وبني المطلب، وأنها لكرامتهم وتنزيههم عن الأوساخ، ومعنى أوساخ الناس، أنها تطهير لأموالهم ونفوسهم قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً

---

(١) رياض الصالحين النووي ص ١٦٥..

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٥٠٣/١.

(٣) أخرجه مسلم ١٠٧٢/١٦٨.

﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾(١)، وفي تأكيد ذلك، أخبر أبو هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ كان يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ وَلاَ يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، وذلك في قوله ﵁: ((كان رسولُ الله ﷺ إذا أتي بطعامٍ سأل عنه: أهديةٌ أم صدَقةٌ؟ فإن قيل صدقةٌ قال لأصحابه: كلوا، ولم يأكل. وإن قيلَ: هديةٌ، ضَرَبَ بيدهِ ﷺ فأكلَ معَهم))(٢).

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه: أن الله عز وجل صان رسوله ﷺ عن أكل الصدقة، وأذن له في الهدية من أجل أن الهدية مع نية المكافأة، وكان رسول الله ﷺ يثيب على الهدية إذا قبلها. فأما الصدقة: فإنما يطلب منها ثواب الآخرة؛ لعجز الفقير أن يجازي عليها فيكون ذليلاً للمتصدق، والرسول ﷺ منزه عن ذلك)(٣).

(وفي دخول الآل في ذلك التحريم، فإنهم دخلوا تبعًا لانتسابهم إليه ﷺ وتشريفهم بذلك)(٤).

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تعاهد الأولاد بالتربية على أخلاق الإسلام:

إن تربية الأبناء على المبادئ الإسلامية أمر مهم وضروري، والإسلام لا يقوم إلا بالرجال الذين تربوا على أخلاقه وفضائله، لذا كان جيل الصحابة ﵃ الذين رباهم محمد ﷺ أفضل الخلق بعد الأنبياء ﵈، لذا حثّ الإسلام وحضّ على تنشئة الطفل تنشئة إسلامية تقوم على فعل الواجبات، وترك المنهيات والابتعاد عنها.

وفي هذا الحديث صورة من صور التربية الإسلامية المشرقة، فقد نهى النبي ﷺ الحسن ﵁ عن أكل هذه التمرة لأنها من الصدقة التي لا تحل لمحمد ﷺ وآله، وفي هذا درس بليغ للمربين والآباء، أن يتعاهدوا الصبي بالتربية، ولا يتركونه يفعل ما فيه مخالفة لآداب الإسلام وأخلاقه، بحجة أنه ما زال صغيرًا، وأن التوجيه سيأتي في وقته بعد أن يتجاوز مرحلة الصبا، فهذا خطأ كبير لم يقع فيه المسلمون الأوائل، فلم يترك

(١) سورة التوبة، آية: ١٠٣.

(٢) أخرجه البخاري ٢٤٣٧، ومسلم ١٠٧٧.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٧/ ٢٣٠.

(٤) موسوعة نضرة النعيم ١/ ٥٠٤.

النبي ﷺ الحسن رضي الله عنه دون توجيه وإرشاد مع كونه صغيرًا، بل تعاهده ﷺ وزجره عما أكل ما لا يحل له.

ومن هذا المنطلق أمر الإسلام بتعليم الصبيان الصلاة من سن سبع وضربهم عليها من سن عشر، وذلك حتى ينشأ على حب الصلاة، والعناية والاهتمام بها، والمحافظة عليها، قال ﷺ: ((مُـرُوا الصَّبِيَّ بالصَّلاَةِ إِذَا بَلَـغَ سَبْعَ سِنِينَ، وَإِذَا بَلَـغَ عَشْرَ سِنِينَ فَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا))[1].

قال الفقهاء: "وهكذا في الصوم؛ ليكون ذلك تمرينًا له على العبادة، لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر"[2].

ولا يتعلق الأمر بأركان الإسلام وقواعده فحسب، بل يشمل أيضًا كل ما من شأنه أن يُخرج الصبي وقد اكتمل بناؤه الأخلاقي، بحيث يكون فاعلاً للخير تاركا للشر مما يبعده عما يؤدي به إلى الدخول في النار، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[3].

قال ابن كثير: (إنه حق على المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإمائه وعبيده، ما فرض الله عليهم، وما نهاهم عنه)[4].

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٩٤، وقال الألباني: حديث حسن صحيح، (صحيح سنن أبي داود ٤٦٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٨/١٦٧.

(٣) سورة التحريم، آية: ٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/١٦٧.

الحديث رقم (٢٩٩)

٢٩٩- وعن أَبي حفص عمر بن أَبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد ربيب رَسُول الله ﷺ، قَالَ: كُنْتُ غلامًا في حجر رَسُول الله ﷺ وَكَانَتْ يَدي تَطِيشُ في الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لي رَسُول الله ﷺ: ((**يَا غُلامُ، سَمِّ الله تَعَالَى، وَكُلْ بيَمِينكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**)) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي -بَعْدُ-. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[١]. "وَتَطِيشُ" تدُورُ في نَواحِي الصَّحْفَة.

ترجمة الراوي:

عمر بن أبي سلمة: هو عمر بن أبي سلمة عبدالله بن عبد الأسد القرشي المخزومي، كنيته: أبو حفص، وهو ربيب رسول الله ﷺ، فأمه أم سلمة تزوجها النبي ﷺ بعد موت أبيه، وكان النبي ﷺ عمه من الرضاع، أسلم أبوه وكان من السباقين إلى الإسلام، وهاجر أبوه وأمه إلى الحبشة فارِّيْن بدينهما من أذى قريش، حيث ولد هناك قبل السنة الثانية من الهجرة، ثم هاجر أبواه إلى المدينة حيث شهد أبوه بدرًا وأُحُدًا وجرح فمات من جرحه. فتزوج النبي ﷺ أم سلمة وهو الذي زوجها به ﷺ وهو صبي[٢] وعلّمه النبي ﷺ أدب الأكل لما كان يأكل معه، فحفظه عنه ﷺ كما في الحديث المذكور.

ولما كانت غزوة الخندق جعل -وكان صغيرًا- هو وعبدالله من الزبير مع النسوة في أُطَم حسان بن ثابت[٣]، فكان يطأطئ لابن الزبير فينظر، وابن الزبير يطأطئ له فينظر.

ولما وقعت الفتنة قاتل مع علي بن أبي طالب، فشهد موقعة الجمل، واستعمله عليٌّ على فارس والبحرين، وتوفي بالمدينة ٨٣ هـ في خلافة عبدالملك بن مروان[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٧٦) واللفظ له، ومسلم (٢٠٢٢/١٠٨). وسيكرره المؤلف برقم (٧٤٠).

(٢) أخرجه النسائي (٨١/٦) وقال محققو السير: إسناده صحيح.

(٣) الأُطم: بناء مرتفع كالحصن. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (أ ط م).

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٤٨٠، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١٦٩/٤) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٩٥١، والسير (٤٠٦/٣)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣٥٤/٥)، والتهذيب (٢٣٠/٣).

غريب الألفاظ:

ربيب: الربيب: ولد امرأة الرجل من غيره[١].

في حجر رسول الله ﷺ: أي كنفه وحمايته ﷺ[٢].

تطيش: تتحرك وتمتد إلى نواحي الصحفة[٣].

الصحفة: وعاء كبير مبسوط للطعام[٤].

الشرح الأدبي

يقدم الراوي الصحابي الجليل، عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما هذا الحديث في قالب الحكاية الواقعية، حتى يشوق القارئ والسامع، وهو يحكي مشهدًا من مشاهد حياته الكريمة في كنف رسول الله ﷺ وما أجمل هذا الوصف الذي وصف به: إنه ربيب رسول الله ﷺ، أي ولد زوجته أم سلمة، وعندما مات أبو سلمة تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة، وضم أبناءها إليه ليرعاهم، وما أجلها من رعاية، وقد كنى عن جمال هذه الرعاية النبوية عمر بن سلمة حين قال: "كنت غلامًا في حجر رسول الله"، أي في تربيته وتحت نظره، وأنه يربيه في حضنه تربية ولده، وقال عياض: الحجر يطلق على الحضن وعلى الثوب فيجوز فيه الفتح والكسر، وإذا أريد به الحضانة فبالفتح لا غير، وحضن الإنسان ما دون إبطه إلى الكشح، ثم قالوا: في حجر فلان أي في كنفه وحمايته، ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾[٥].

ويحكي عمر بن أبي سلمة هذه الواقعة التي حدثت وهو دون التاسعة، ومما يفصح عن صيغة الحكاية، تكرار الفعل كان في قوله: "كنت غلامًا وكانت يدي تطيش

---

(١) الوسيط في (ر ب ب).

(٢) المصباح المنير في (ك ن ف).

(٣) رياض الصالحين ١٦٦، ٣١٧.

(٤) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٢٤٢.

(٥) سورة النساء، آية: ٢٣ .

في الصحفة فقال لي رسول الله ﷺ..." وتحديد صغر السن يفصح عنه قوله: "كنت غلامًا" لأن كل مرحلة من عمر الإنسان لها عند العرب مسمى: ومنها الصديغ: وهو المولود الذي لم يتم سبعة أيام، والدارج: وهو الذي أخذ يدب ويحاول المشي، والمثغور: وهو الذي سقطت رواضعه، والغلام: وهو يطلق على الطفل منذ فطامه إلى أن يبلغ السابعة.

فتأمل هذه التوجيهات السلوكية الحضارية، التي يأمر بها رسول الله ﷺ هذا الغلام وهو في السابعة أو دون التاسعة، وهي أوامر تربوية تصلح من سلوك الطفل: حيث كانت يده تطيش في قصعة الطعام، أي تتحرك وتمتد في جوانب الإناء، ولا تقتصر على موضع واحد، واختيار مادة الطيش في قوله "تطيش" له إيحاءاته المتعددة التي تدل على عدم الروية، وعدم التعقب، وفقدان النظام، وعدم الالتزام بآداب الطعام، وقال: الطيبي: الأصل: أطيش بيدي، فأسند الطيش إلى يده مبالغة في أنه لم يراع أدب الأكل، وتأتي توجيهات رسول الله ﷺ في بيان بليغ فيه مراعاة لمقتضى الحال، وفيه استمالة لقلب الصبي وترغيب له، حيث لم يقل له: لا تفعل كذا، ولم يزجره في عنف، بل ناداه في حنو ورفق بقوله: "ياغلام" حتى ينتبه إثر ذلك النداء، وعدم تحديد اسمه والعدول عن الاسم إلى هذه الصفة، يوحي بأن هذه التوجيهات لكل من هم في سنه من أبناء المسلمين: حيث ينشأون في ظل آداب السلوك الإسلامي، والتوجيه النبوي، وقوله: "سم الله تعالى" أي قل قبل بدء الأكل: بسم الله الرحمن الرحيم، وقيل إن الحكمة من التسمية: لطرد الشيطان ومنعه من المشاركة في الطعام، وأيضًا لأن التسمية تجلب البركة وتدعو إلى القناعة وعدم الشره، وتعين على البعد عن الحرام والمكروه فيما يؤكل؛ والأمر الثاني وهو "كل بيمينك"، والحكمة في الأكل والشرب باليمين: أنها في الغالب أقوى من الشمال وأمكن منها، وأنها مشتقة من اليمن بمعنى البركة، فهي وما نسب إليها وما اشتق منها محمود لغة وشرعًا ودينا، والأمر الثالث، "كل مما يليك"، وهو سبب ورود الحديث: ولكن التوجيهين السابقين لازمان للكبار والصغار، وهما من سمات شخصية المسلم في طعامه، ويستجيب الغلام استجابة عملية، ويعطي

القدوة الحسنة لكل طفل مسلم يتلقى التوجيهات التربوية المفيدة السديدة، فيقول: "فما زالت تلك طعمتي بعد" عملاً بقول رسول الله ﷺ.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى آداب الطعام والشراب، وحكم التسمية قبل الطعام والأكل باليد اليمنى، وقد سبق الكلام عن ذلك في الحديثين ١٥٩، ١٦٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء، والأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: آداب الطعام.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تربية الأولاد على آداب الإسلام.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ.

أولاً- من أساليب الدعوة: النداء، والأمر:

ورد النداء كأسلوب دعوي في الحديث من قوله ﷺ: "يا غلام"، والنداء من الأساليب الدعوية المهمة التي تعين الداعية على لفت انتباه المدعوين واستحضار أذهانهم، أما أسلوب الأمر فقد ورد في الحديث من قوله ﷺ: (سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك)، والأمر من الأساليب الدعوية التي يستعين بها الداعية على حمل المدعو وتوجيهه إلى فعل الأمر المدعو إليه.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: آداب الطعام:

هذا ما ظهر في نص الحديث في قوله ﷺ: "سمِّ الله تعالى، وكل بيمينك، وكل مما يليك" قال ابن عثيمين: (إن هناك ثلاثة آداب علمها النبي ﷺ للغلام وهي: أولاً: قال: "سم الله" وهذا عند الأكل، ولا يحل له أن يتركها؛ لأنه إذا تركها شاركه الشيطان في أكله، والأدب الثاني: قوله ﷺ: "وكل بيمينك": فيجب على الإنسان أن يأكل بيمينه، وأن يشرب بيمينه، وفي ذلك قال ﷺ: ((إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ. وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ. فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ))[1]،

(١) أخرجه مسلم ٢٠٢٠.

والأدب الثالث قوله ﷺ: "وكل مما يليك" يعني لا تأكل من حافة غيرك، بل كل من الذي يليك؛ لأنك إذا اعتديت على حافة غيرك فهذا سوء أدب)[١]، وفي ذلك بيان على آداب الطعام في الإسلام.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تربية الأولاد على آداب الإسلام:

لقد حرص النبي ﷺ على بيان أهمية تربية الأولاد على آداب الإسلام، من خلال توجيهه ﷺ لهذا الغلام الذي كانت يده تطيش في الصحفة، وهذا ما ظهر من سياق الحديث، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بأهمية تربية الأهل وتأديبهم بأدب الإسلام فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾[٢].

قال القرطبي: (على الرجل أن يصلح نفسه بالطاعة، ويصلح أهله إصلاح الراعي والرعية. ففيه صحيح الحديث أن النبي ﷺ قال: ((كلُّكم راعٍ، وَكلكم مَسؤولٌ عن رَعيَّتِهِ: الإمامُ راعٍ وَمَسؤولٌ عن رَعيَّتِهِ، والرَّجُلُ راعٍ في أهلِهِ وَهوَ مَسؤولٌ عن رعيَّتِهِ))[٣]. وقال بعض العلماء لما قال تعالى: "و أنفسكم"دخل فيه الأولاد؛ لأن الولد بعض منه، فيعلّمه الحلال والحرام، ويجنّبه المعاصي والآثام، إلى غير ذلك من الأحكام)[٤]، وفي ذلك بيان على أهمية تربية الأولاد على آداب الإسلام.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ:

يظهر ذلك في الحديث من قول الراوي "فما زالت تلك طعمتي بعد" أي: (صفة أكلي بعد ذلك الأمر)[٥]، وفي ذلك طاعة لله ولرسوله كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾[٦]، قال ابن كثير: (يأمر تعالى عباده

---

(١) شرح رياض الصالحين ١/٦٨٤-٦٨٥.

(٢) سورة التحريم، آية: ٦.

(٣) أخرجه البخاري ٢٧٥١، ومسلم ١٨٢٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٩٥/١٩/١٨.

(٥) شرح رياض الصالحين ٦٨٣/١.

(٦) سورة الأنفال، آية: ٢٠.

المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله، ويزجرهم عن مخالفته، والتشبه بالكافرين والمعاندين له؛ ولهذا قال: "ولا تولوا عنه"، أي: تتركوا طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره، "وأنتم تسمعون"، أي: بعد ما علمتهم ما دعاكم إليه)[١].

وفي الاستجابة لتوجيهاته ﷺ عظيم الأجر كما قال تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ﴾[٢].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤/٣٣.

(٢) سورة الشورى، آية: ٢٦.

الحديث رقم (٣٠٠)

٣٠٠- وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سمعت رَسُول الله ﷺ، يقول: ((كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مسؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: الإمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ رَاعٍ فِي أهْلِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأةُ رَاعِيَةٌ في بيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ في مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي والمضامين الدعوية[2]

(١) أخرجه البخاري واللفظ له (٨٩٣)، ومسلم (٢٠/١٨٢٩)، وقد تقدم مختصرا برقم (٢٨٣). وسيكرره المؤلف برقم (٦٥٣). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٧٥).

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٨٣) مع اختلاف يسير واختصار في بعض ألفاظ الحديث المشار إليه.

الحديث رقم (٣٠١)

٣٠١- وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رضي الله عنه، قال: قال رَسُول الله ﷺ: ((**مُرُوا أوْلادَكُمْ بِالصَّلاةِ وَهُمْ أبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي المَضَاجِعِ**)) حديث حسن رواه أَبُو داود[1]، بإسناد حسن.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

المضاجع: المفرد: المضجع، أماكن النوم[2].

الشرح الأدبي

الصلاة أهم الأعمال اليومية التي يؤديها المسلم فهي التي تنظم وقته، وسلوكه، وعلاقته بربه، والناس جميعاً، وتضبط إيقاع حياته، لذلك حرص الرسول ﷺ على أن يربِّى عليها الطفل بطريقة تجعلها جزءًا من حياته اليومية حتى إذا شبَّ عليها لم يتركها بعد، وغَرسُ قيمةٍ معينة من القيم في نفس الطفل يحتاج إلى حكمة، وفطنة لذلك جاء التوجيه النبوي في صورة إنشائية بالأمر المباشر للآباء مسنداً إلى ضمير الجماعة الذي يجعل الجميع معنيين بتنفيذ أمر الرسول ﷺ (مروا... واضربوهم.... وفرقوا بينهم) وأسلوب الأمر الأول طلب توجيه الصغار إلى أداء الصلاة ومتابعتهم ترغيباً دون ترهيب حتى يأتونها بمحبة تحقق غرضها، وهذا أمر يحتاج لصبر، ومتابعة، لذلك قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾[طه: ١٣٢] فأمر بالصبر عليها بل بالاصطبار، وهو تكلف الصبر، والمجاهدة في ذلك فخير للإنسان أن يتحمل العناء في ذلك حتى يستقيم له الأمر بدلا من أن يرى

---

(١) برقم (٤٩٥).

(٢) الوسيط في (ض ج ع).

ابنه تحرقه النار، وهو أمر لا قوة لوالد عليه، لذلك جاء الأمر بالضرب من الرسول ﷺ وهو أرحم الناس حتى على الحيوانات، لكن الضرب ضرب تخويف في فترة محددة يمنع عذاباً النار الطويل، لأنه إن لم يعتدها في هذه الفترة شق عليه التزامها بعد ذلك ثم جاء الأمر بالتفريق بينهم في المضاجع، رعاية لحال الصغار في هذه المرحلة، وحماية من عبث الشيطان، ولأنه مقبل على مرحلة يحتاج فيها إلى شيء من الخصوصية.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين فقهيين:

الأول: حكم صلاة الصبي وأمر الولي له بها، وقد ذكر الفقهاء[1] أنه يجب على الولي أن يأمر الصبي بالصلاة وهو ابن سبع سنين، وأن يضربه عليها متى بلغ عشر سنين، وإن كانت الصلاة غير واجبة على الصبي، فهو مأمور بها على وجه التأديب والتعليم.

الثاني: حكم التفريق بين الأولاد في المضاجع، وقد ذهب جمهور الفقهاء[2] إلى أنه

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٥٧/١، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ١٤٣/١، وأحكام القرآن، الجصاص ٥٥٢/١، والمدونة ١٩١/١، وشرح الخرشي على مختصر العدوي ٢٢١/١، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، الشيخ علي بن أحمد العدوي ٤٠/١ وما بعدها، وقواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبدالسلام ١٢١/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٧/٣ وما بعدها، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٥٧/١، والفروع، ابن مفلح ١٨/٢، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٩/٢.

(٢) رد المحتار على الدر المختار المسمى بـ "حاشية ابن عابدين"، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٣٨٢/٦، وأحكام القرآن، الجصاص ٤٦٤/٣، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٢١٨/١، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ١١٣/٣، والغرر البهية في شرح البهجة الوردية، القاضي أبو يحيى الأنصاري ١٠٠/٤، والفروع، ابن مفلح ٢٠٠/٢، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٠٢/٣، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٥٣٩/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٧/٥، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٢١/٥، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ٣٦٩/١.

إذا بلغ الأولاد عشر سنين سواء أكانوا ذكورًا أم إناثًا، أو ذكورًا وإناثًا، فرق وليهم بينهم في المضاجع، متى أمكن ذلك، بأن يجعل لكل واحد فراشًا مستقلاً، وقيل إن هذا التفريق مستحب، ويكره عدم التفريق، وكذا يجب عليهم تعليم أولادهم ألا يتجرد أحدهما أمام الآخر، ولا يتجردا أمام والديهما بعد هذه السن.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من أصناف المدعوين: الآباء والأبناء.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تعليم الأولاد الصلاة والتفريق بينهم في المضاجع.

رابعًا: من واجبات الداعية: تذكير المدعوين بما يجب عليهم نحو أولادهم.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

من أساليب الدعوة التي تظهر في هذا الحديث أسلوب الأمر، وقد استخدمه رسول الله ﷺ في أكثر من موضع هي: "مُروا أولادكم... واضربوهم... وفرقوا..."، "وعلموا الصبي... واضربوه..."، وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة المهمة التي يستطيع الداعية من خلالها حث المدعوين على الامتثال لهذه الأوامر التي يخبرهم بها، ويشعر المدعوين بأهمية الأمر بالصلاة، ومتابعة الأولاد في تلك المراحل العمرية.

وفي هذا الحديث يأمر النبي ﷺ الآباء بأمر أولادهم بالصلاة لسبع، وبضربهم عليها لعشر، وأن يفرقوا بينهم في المضاجع، ولا شك أن هذه الأوامر النبوية تفيد أهمية اهتمام الآباء برعاية أبنائهم، وتفقد أحوالهم.

ثانيًا- من أصناف المدعوين الآباء والأبناء:

من أصناف المدعوين في هذا الحديث الآباء والأبناء، وهذا يدل عليه قوله ﷺ: "مروا أولادكم..."، فالأمر موجه للآباء، والمراد من الأمر الأبناء، وهما صنفان مهمان من أصناف المدعوين.

أما الآباء: فإن من المعالم المهمة في التربية، أن يكون الأبوان قدوة حسنة لأبنائهما وبناتهما، قدوة في العبادة والسلوك والتعامل داخل المنزل وخارجه، فالصغير يرى في

أبويه المثال الذي يجب أن يحتذى به[١]، فمن أجل ذلك فالآباء في حاجة إلى من يبصرهم بأمور دينهم، ويرشدهم إلى واجبهم نحو أولادهم؛ لأن الدعوة تكون لهم ولأولادهم وبصلاح الآباء ينصلح إن شاء الله الأولاد.

أما الأبناء: وهم الذكور والإناث دون سن البلوغ، وفوق سن التمييز، وهم صنف في غاية الأهمية، لأنهم جيل المستقبل، والعناية بهم عناية بمستقبل المجتمع[٢].

وقد اهتمت الشريعة الغراء بهم، حيث ذكرهم القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا...﴾[٣].

وإذا تدبرنا الهدي النبوي فإننا نجد أن الرسول ﷺ كان شديد الاهتمام بالأطفال، فها هو يرى طفلاً يبكي لطيران عصفور من يده فخاطبه قائلاً: ((يا أبا عمير، ما فعلَ النُّغَير؟))[٤]، وإذ بالطفل يفرح لحديث الرسول ﷺ معه وينسى العصفور، لينتبه للتسمية التي سمعها من الرسول ﷺ حين كناه بأبي عمير.

وفي محطة أخرى نجد المسلمين قد علقوا التمور في المسجد، ليأتي الأطفال إليها بهدف الأكل، وبهذا تتعود أقدامهم السير نحو المسجد والصلاة فيه[٥] فينبغي تنشئة الأبناء على طاعة الله، وعلى حب الخير، والبعد عن المعاصي، والخوف من غضب الله عز وجل.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تعليم الأولاد الصلاة والتفريق بينهم في المضاجع:

من موضوعات الدعوة التي تظهر من هذين الحديثين تعليم الأولاد الصلاة والتفريق بينهم في المضاجع، أما تعليم الصلاة فيدل عليه قوله ﷺ: (مروا أولادكم بالصلاة

---

(١) انظر: دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح بن محمد الصغير ص ١٥٩ - ١٦٢.

(٢) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٧٠.

(٣) سورة طه، آية: ١٣٢.

(٤) أخرجه البخاري ٦١٢٩، ٦٢٠٣.

(٥) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٧٢.

وهـم أبنـاء سـبع سـنين)، وأمـا التفريـق في المضاجع فيـدل عليـه قولـه: (وفرقـوا بينـهم في المضاجع).

ومن ذلك يتضح أهمية تعليم الأولاد الصلاة وهم صغار عند بلوغ الصبي سن السابعة وهـذه مرحلـة مـن أهـم المراحل الـتي اهـتم الإسـلام بهـا اهتمامًـا خاصًـا، إذ جعلـها بدايـة تمرين الصغار على الطاعات العملية، فأمر رسول الله ﷺ بأمر الأولاد بالصلاة لعظم شـأن الـصلاة، وضـرورة توجيـه الـصغير إليهـا مبكـرًا، إذ إنهـا مـن الأعمـال اليوميـة المستمرة الـتي لا تنقطـع، وإذا تـدرب عليهـا الـصبي صـارت مألوفـة لديـه، ثـم إن الـصلاة علامة قوية على حسن الصلة بالله سبحانه، فلهذه الأمور وغيرهـا أمـر رسـول الله ﷺ بهـا الـصبي صـغيرًا وقبـل سـن التكليـف، فـإذا أنعـم الله سـبحانه وتعـالى عليـه وحـافظ عليها؛ كانت عونًا له ودافعًا للمحافظة على سائر العبادات.

أما التفريق بينهم في المضاجع، التفريق بين الأبناء والبنات عند بلوغهم سن العاشرة، لأن هذه السن قد يصل الابن أو البنت إلى سن البلوغ، وأخذ الحيطة فيما بين الأبناء والبنات أمر في غاية الأهمية، إذ أن الإسلام يحث المنتسبين إليه على الطهر والعفاف[١].

وقال الطيبي: "فإذا بلغوا عشرًا ضربوا على تركها، وفرقوا بين الأخ والأخت مثلاً في المضاجع، لئلا يقعوا فيما لا ينبغي، لأن بلوغ العشر مظنه الشهوة وإن كن أخوات"[٢].

يتضح مما سبق أهمية تعليم الأولاد الصلاة والتفريق بينهم في المضاجع، وإنما جمع رسـول الله ﷺ بـين الأمـر بالـصلاة، والتفريـق بينـهم في المـضاجع في الطفولـة، تأديبًـا ومحافظة لأمر الله كله، لأن الصلاة أصلها وأسبقها، وتعليمًا لهم المعاشرة بين الخلق وأن لا يقفوا مواقف التهم، فيجتنبوا محارم الله كلها[٣].

رابعًا- من واجبات الداعية: تذكير المدعوين بما يجب عليهم نحو أولادهم:

إن من واجبات الداعية التي تستنبط من عموم الحديثين تذكير المدعوين بالواجب

---

(١) انظر: دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح بن محمد الصغير ص ١٥٧ - ١٥٩.

(٢) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٥٥/٢.

(٣) المرجع السابق ١٥٥/٢.

عليهم نحو أولادهم، فقد ذكّر رسول الله ﷺ القائمين بتربية الأبناء بواجبهم نحوهم من أمرهم بالصلاة وتعليمهم لها.

فيجب على الداعية تذكير الآباء بواجبهم نحو أبناءهم، وهذا انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[1]، فيجب على الآباء تحري الوسائل المفيدة في التنشئة على الإيمان والتقوى.

كذلك من واجب المربي إحساسه بمسؤوليته، قال رسول الله ﷺ: ((كلُّكم راعٍ وكلُّكم مَسؤول عن رعيَّتِه))[2]، فيجب على الداعية التذكير بواجب ومسؤولية تربية الأولاد، لأن الآباء راعون ومسؤولون عن أبناءهم أمام الله عز وجل.

ولأن الأبناء هم امتداد الآباء في هذه الحياة، فإذا كان الأولاد صالحين، كانوا نافعين لآبائهم، مطيعين لهم، عاملين على رضاهم في الدنيا، ونافعين لهم بعد موتهم، قال رسول الله ﷺ: ((إذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ))[3].

فإرشاد الآباء إلى تعليم أولادهم أمور دينهم، والتزامهم بها، فيه صلاح وخير لهم. فينبغي على الداعية إرشاد المدعوين إلى ما يصلحهم ويصلح ذريتهم.

---

(١) سورة التحريم، آية: ٦.

(٢) أخرجه البخاري ٨٩٣، ومسلم ١٨٢٩.

(٣) أخرجه مسلم ١٦٣١.

الحديث رقم (٣٠٢)

٣٠٢- وعن أَبي ثُرَيَّةَ سَبْرَةَ بن معبدٍ الجُهَنِيِّ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((عَلِّمُوا الصَّبيَّ الصَّلاةَ لِسَبْعِ[1] سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا ابْنَ عَشْرِ سِنِينَ[2])) حديث حسنٌ، رواه أَبُو داود والترمذيُّ[3]، وَقالَ: (حديث حسن).

ولفظ أَبي داود[4]: ((مُرُوا الصَّبيَّ بالصَّلاةِ إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ)).

ترجمة الراوي:

سبرة بن معبد الجهني: صحابي جليل نال شرف صحبة رسول الله ﷺ واسمه سَبْرة بن مَعْبد بن عوسجة الجهني أو ثُرَيَّة بفتح المثلثة وضمها، ويقال أبو ثلجة، ويقال أبو الربيع المدني. كان حريصًا على ملازمة رسول الله ﷺ على الجهاد منذ أن أسلم فشهد غزوة الخندق وما بعدها.

نزل بالمدينة المنورة، واتخذ له دارًا في جهينة، ونزل ذا المروة في آخر عمره. وكان له باع في سياسة الأمور وإداراتها، فاعتمد عليه علي بن أبي طالب لما ولي الخلافة بالمدينة وبعثه رسولاً إلى معاوية يطلب منه بيعة أهل الشام.

توفي في خلافة معاوية، رضي الله عنه وأرضاه[5].

---

(١) في المطبوع من الجامع: (ابن سبع سنين).

(٢) (سنين) لا توجد عند الترمذي.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٤)، والترمذي (٤٠٧) وقال: حديث حسن صحيح. وصحّحه ابن خزيمة (١٠٠٢)، وقال الحاكم (٢٠١/١): حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرج واحد منهما هذا الحديث. وقال البيهقي في الخلافيات (مختصر الإشبيلي ٢٧/٢): إسناده صحيح.

(٤) برقم (٤٩٤).

(٥) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٣٤٨/٤)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٢٩٩)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٤٠٦/٢)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٤٧١)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٠٨/٣)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٦٨٤/١)، السندي (٥٣/٢٤).

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابقه نفسه يشير إلى ضرورة تعهد الصغير بالصلاة حتى يعتادها في طفولته، ويشب عليها؛ فإن من شبَّ على شيء شاب عليه، وقد مضى في الحديث السابق تتابع الأوامر لجميع الكبار بتعهد الصغار عن طريق تعميم الأوامر على الفاعل وهم أولياء الأمر، وتعميمه على المفعول، وهم الصغار بعد سن السابعة، وقد جاء هذا الحديث بلفظ الأمر المتصل بواو الجماعة (علموا) حتى يتعاون على ذلك كل أفراد الأسرة الأب، والأم، والأخوة الكبار، وحتى الجيران، والأصدقاء، ولفظ: (الصبي) يحدد بمعناه الفترة العمرية المستهدفة بالأمر، واللام للجنس أي: كل طفل ذكراً كان، أو أنثى، و(ال) في الصلاة للعهد أي: المعهودة المعروفة، وهي الصلوات الخمس المفروضة، وقوله (لسبع سنين) فيه إيجاز بالحذف أي لبلوغه سبع سنين، وقوله: (واضربوه عليها) اتصال الفعل بواو الجماعة ينادي بضرورة تكاتف المجتمع كله على إقامة هذه الشعيرة، ثم إن الأمر بالضرب فيه دلالة على عدم التهاون فيها؛ لأن من أضاع حق الله، فهو لحقوق غيره أكثر تضييعاً، وتحديد العاشرة للضرب لأنه صار أكثر تمييزاً لما يجب عليه من حقوق، كما أنه يستطيع تحمله، كما أن هذه الفرصة الأخيرة لتعويده الصلاة قبل انتهاء هذه المرحلة التي يكون التعليم فيها أثبت.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث (٣٠٢) مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٣٠١).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

المعارف تكتسب من طريق: المشاهدة، التقليد، التعليم، الحمل عليها بالجوائز، الحمل عليها بالإكراه. والمسلم مطالب أن يطبق هذه الوسائل في حياته، ليصل بأهله إلى ما يريده الإسلام. وقد بدأ التطبيق العمل في هدي الرسول ﷺ على النحول التالي:

أولاً- التربية بالتوجيه:

التربية بتوجيه الطفل من الأساليب التربوية المهمة التي تميزت بها التربية الإسلامية، لأن الاهتمام بتربية الطفل والعناية به هي حجر الأساس الذي يرتكز عليه بناء شخصية المستقبل وإعداده الإعداد المناسب لتحمل المسؤوليات.

وقد اهتم النبي ﷺ بتربية الأطفال، وأمر بتوجيههم التوجيه التربوي المناسب، وتعاهدهم بالنصح والإرشاد. فالرسول ﷺ قام بتوجيه الحسن رضي الله عنه بأسلوب تربوي متميز عندما أخذ تمرة من تمر الصدقة ... فقال ﷺ: «كِخْ كِخْ، إِرْمِ بِهَا...»، ثم بيّن له سبب أمره بإلقائها بقوله ﷺ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لاَ نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ؟»، مما يؤكد على احترام النبي ﷺ لعقلية الحسن رضي الله عنه بذكره ﷺ العلة في أمره وتوجيهه له، وهذا ما يبرز تميز التربية الإسلامية، ويُعد زادًا تربويًا للقائمين على شؤون التربية، ينبههم على أهمية احترام عقلية الناشئة، ومراعاة جانب الإقناع في توجيههم من خلال بيان العلل المناسبة، وليس من خلال افعل ولا تفعل، أو اترك ولا تترك.

إن الطفل له عالمه الخاص به، ويفهم ويدرك ويميز، وربما أقدم على ترك شيء وبداخله الرغبة في فعله وسرعان ما يفعله ، لأنه لا يقتنع بالنهي المجرد، لكن حينما ينتبه المربي إلى أهمية بيان العلة في الفعل أو الترك بالأسلوب المناسب لإدراك الطفل وبطريقة تربوية سليمة، فإن ذلك يؤدي إلى نجاح عملية التربية والتهذيب للسلوك.

والتوجيه المباشر وسيلة من وسائل العادة التعليمية التطبيقية، وهو طلب المربي المباشر والصريح من طلابه القيام بعمل معين، وهو بمثابة ممارسة العمل للمتعلم أمام مربيه أو العكس قيام المربي بممارسة العمل أمام المتعلم ثم يتابعه المتعلم، ويتخلل ذلك

أحيانًا مناظرة من المعلم، يرافقها تصحيح لأخطائه، وذلك له وقع على النفس وتأثير في السلوك لأنه يرى النتائج أمامه ويعايشها في نفس اللحظة وهذا ما يذهب إليه المهتمون بالتربية[1].

ومن الأمور التربوية التي تجدر الإشارة إليها والتي ينبغي الإفادة منها في مجال التربية أن التوجيه النبوي للحسن ﵁ تزامن مع وقوع الحدث مما يثبت ذلك النصح في ذهن المنصوح، وبالتالي ينشأ على تلك الخصائص الحميدة التي توجه إليه، وخاصة وأنها تعلقت بموقف معين، وأخيرًا نقول إن اغتنام المواقف في التوجيه التربوي من أفضل طرقها وأساليبها وأظهرها لأنها تعالج خللاً في الحال[2].

ثانيًا- التربية على المحافظة على الصلاة:

من أهداف التربية الإسلامية: المحافظة على الصلاة والمواظبة عليها، ولقد دلت على ذلك أحاديث الباب وهي تحث على الصلاة، فقال ﷺ: «مُرُوا أَوْلَادَكُم بالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ ...»، وقال: «علِّموا الصَّبيَّ الصلاةَ ابنَ سبعٍ ...»، فهذه نماذج تربوية عبادية تحث المربي على تربية أطفاله على حب العبادة (الصلاة) مما له أهمية كبيرة في أداء المأمور به وعدم التهاون في أداء هذه العبادة لأن المحافظة على أداء الصلاة والمواظبة عليها تؤدي إلى استقامة السلوك، فالعلاقة بين العبادة وسلوك الإنسان علاقة وثيقة لأن أكثر الناس التزامًا بأداء العبادات على الوجه المشروع أقربهم للسمو الخلقي، وإن أقلهم عبادة أبعدهم عن الانضباط الخلقي، وهذا ما يؤكد العلاقة القوية بين العبادات وسلوك الإنسان مع نفسه ومع الآخرين.

ومن هنا جاءت التوجيهات التربوية النبوية بأمر الأطفال بالصلاة لسبع وتعويدهم على الالتزام وتنشئتهم على ذلك، حتى يتأتى الالتزام الخلقي والاستقامة في السلوك والرغبة في التعاون والترابط وذلك من خلال الاجتماع في الصلاة، كما أنها ترى في

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني ص ٣١٧، أصول التربية الإسلامية، الحازمي، ٢٧٨، تربية الطفل في الإسلام، ١٦١.

(٢) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني ص ٣١٧، أصول التربية الإسلامية، الحازمي، ٢٧٨.

الطفل الفضائل من خلال انشراح الصدر وطمأنينة النفس، كما أن الصلاة تكون سببًا في ترك الفواحش والمنكرات[١].

وفريضة الصلاة هي الأساس والأصل الذي يتقرب به إلى الله تبارك وتعالى وهي من الأمور التي ينبغي أن يعني بها المربي وأن يحرص على تعظيمها والاعتناء بها لدى من يربيهم، واهتمام المربي بغرس قيمة هذه الفريضة والاعتناء بها، لا ينبغي أن يقف عند مجرد تأكيد الإتيان بها وفعلها بل الاعتناء بأدائها وإقامتها على الوجه الأكمل وإتقانها وإحسانها، وهذا يتأتى بتعليم أدابها وسننها وهدي الرسول ﷺ[٢].

ثالثًا- التربية على تحمل المسؤولية:

من أهداف التربية الإسلامية: التربية على تحمل المسؤولية ناحية الأسرة، لأن الأسرة هي منبت الطفل والقائمة على رعايته في بدء حياته فيجب على المربي رعاية هذه الأسرة: ومن الشواهد على ذلك في أحاديث الباب قوله ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ في بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، ...». فهذه توجيهات تربوية نبوية تحمل الأبوين المسؤولية تجاه الأبناء والبنات، ومن يقومون على رعايتهم من أفراد الأسرة.

ويظهر من هذا النموذج التربوي أن كل فرد في المجتمع الإسلامي له رعية يرعاها بغض النظر عن موقعه سواء كان رجلاً أو امرأة مهما اختلفت الظروف والأحوال، فإنه مسؤول عن رعيته، والذي معنا هو الأب، فهو مسؤول عن تربية أولاده في شتى النواحي المادية والأخلاقية، والثقافية والعقلية والصحية، وغير ذلك، ومما يزيد هذه المسؤولية خطورة وأهمية تجاه الأب مع أولاده، قوله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إلاَّ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»[٣].

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، الحازمي ص ١١٩، تربية الطفل في الإسلام، د. الحمد ص ٢٦٢، التربية الذاتية من الكتاب والسنة، د. هشام علي أحمد ص ٨٢.

(٢) تربية الشباب، "الأهداف والوسائل"، الدويش ص ٦٠.

(٣) أخرجه مسلم، ١/١٢٥.

وعليه فليتذكر المربون هذه المسؤولية المأخوذة من هذا التحذير لأن التبعة كبيرة والحساب عسير فليندفعوا تجاه هذه المسؤولية بدون ملل وتكون المراقبة من الله عليهم هي الوازع الداخلي المحرك لذلك(١).

لأن تحمل المسؤولية وإشراك الجميع فيها من شأنه أن يفجر لدى الجميع الإبداع والعمل الدؤوب المتواصل والحرص على كل ما هو نافع، ذلك أن إشراك الجميع في تحمل المسؤولية من شأنه أن يشعر كل فرد فيهم بأن عليه دورًا مهمًا يجب أن يحرص عليه بكل أمانة وهو يجد ذاته يزرع الثقة في نفوسهم ويجعلهم يندفعون ذاتيًا نحو العمل والإصلاح وتلافي الخطأ والانحراف ما دامت الأمور لم يستأثر بها دونهم، وفي ظل تحمل المسؤولية سيكون المجتمع أعظم قابلية للنمو والتجديد(٢).

رابعًا- التربية بالعقوبة:

من الوسائل التي أقرتها التربية الإسلامية التربية بالعقوبة: فقد أقر الإسلام هذه الوسيلة على اعتبار أنها زجر للمخالف، فعندما أراد النبي ﷺ تربية الصحابة على كيفية تربية أطفالهم على الصلاة بين لهم أهمية التوجيه بالتعليم والوعظ ثم بعد ذلك أسلوب العقوبة: فقال ﷺ: «عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلَاةَ لِسَبْعِ سِنِينَ ، وَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا ابْنَ عَشْرٍ». ولذلك نتعلم من هذا النهج التربوي النبوي أن الشريعة أقرت مبدأ التربية بالعقوبة مع الأولاد، لكن ضمن ضوابط وحدود، لأن الناس يختلفون في طبائعهم ومذاهبهم الأخلاقية ومتفاوتون في استعدادهم للتأثر بالقدوة؛ لأن هذه الوسيلة قد لا تجدي لدى بعضهم، ومن هنا ينبغي أن يعامل كل طفل بالأسلوب والطريقة التي يستجيب لها. فمن أصر على عناده وفساده فلابد له من عقاب مادي يردعه، وهو في الوقت ذاته ينفعه، المهم أن يكون الغرض من العقاب هو إصلاح الناشئ، وتحسين سلوكه بطريقة واعية؛ لكن عقوبة الضرب لها شروط:

---

(١) انظر: التربية الذاتية من الكتاب والسنة، إعداد. هشام أحمد ص ٥٢، الأولاد وتربيتهم في ضوء الإسلام، د. محمد مقبل ص ٥١، تربية الطفل في الإسلام، د. محمد الحمد ٢١٠.

(٢) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني ص ٢٩٦.

١- ألا يلجأ المربي إلى الضرب إلا بعد استنفاذ جميع الوسائل التأديبية والزجرية.

٢- ألا يضرب وهو في حالة غضب.

٣- أن يتجنب الضرب في الأماكن المؤذية.

٤- أن نعطي الولد الفرصة للاعتذار.

٥- أن يقوم الأب بضرب الولد بنفسه، وبذلك يكون قد أعملنا وسيلة التربية بالعقوبة منزلتها[١].

وينبغي أن تكون العقوبة هي آخر وسيلة يلجأ إليها، إذ ينبغي أن يبدأ المربي بالتوجيه والإرشاد، فإذا لم ينفع ذلك يأتي التهديد والإنذار، وإذا لم يفد التهديد والتشنيع أيضًا عندئذ ينتقل إلى الضرب، ولا يضرب الأطفال بقسوة لأن الهدف من الضرب هو الإصلاح وليس التشفي والانتقام[٢].

خامسًا- التربية الوقائية:

لقد اهتمت التربية الإسلامية بقضية مهمة تتعلق بالغريزة الجنسية تلك القضية التي يغفل عنها الكثير من الآباء والأمهات بدعوة أن الأولاد صغار، ولا يعرفون هذا الأمر، أو بزعم أن أخلاقهم فاضلة، وغير ذلك من الأمور التي تنم عن جهل الآباء والأمهات بهذا الأمر الخطير، الذي لا يمكن إنكاره أو تجاهله تحت أي زعم لأن الرغبة الجنسية تبدأ في الظهور عند سن معين ولا يمكن إنكار ذلك في بداية المراهقة التي تكون مبكرة لدى فئات من الأبناء، ومن ثم عمد النبي ﷺ إلى التربية الوقائية التي تعمل على سد الذرائع المفضية إلى الفساد السلوكي الخطير التي قد تدمر البيوت والأسر، ومن هنا جاء الأمر النبوي بالتفريق بين الأطفال في المضاجع، لأن النبي ﷺ أراد تهذيب الأطفال خلقيًا وجنسيًا من خلال التفريق بينهم في المضاجع، إنها نظرة نبوية ثاقبة للوقاية من النتائج المتمخضة عن الغفلة أو التغافل عن هذا الأمر الخطير.

إن العلة في التفريق في المضاجع أنه في أيام المراهقة لا يستبعد أن تفضي المضاجعة إلى شهوة المجامعة، فلابد من سد سبيل الفساد قبل وقوعه، فهذه تربية على أن النوم في

---

(١) الأولاد وتربيتهم في ضوء الإسلام، محمد مقبل ص ١٥٥، تربية الطفل في الإسلام، د. الحمد ص ٢٢٥.

(٢) أساليب التربية الإسلامية في تربية الطفل، عبدالرحمن البابطين ص ٦٢، ٦٣.

فراش تحت لحاف واحد؛ يؤدي بالأطفال أن تنمو فيهم الغريزة الجنسية بسرعة متزايدة وأن تتأجج فلا تجد طريقًا لإنقاذها إلا ببعض مظاهر الانحراف، وكم تحدث تحت الفراش شذوذات لا يشعر بها الأبوان، فتكون سببًا في دمار هؤلاء الأطفال الأبرياء، الذين تساهل آباؤهم عن أحوالهم فوضعوهم في مخالفة أوامر النبي ﷺ في قوله: «وفرقوا» فالمؤمن يمتثل فيفرق، وأين التفريق، إنه في المضاجع، فيجب على الآباء تربية أبنائهم[١] تربية وقائية تعمل على حمايتهم من كافة صور الانحراف.

وهذه الوقاية نوع من أنواع التحصين للفرد من سلوكيات تحدث من بعض الأمور السلبية المستقبلية، أو الامتناع عن فعل ما من شأنه أن يفضي إلى مفسدة أكبر منه والإسلام استخدم هذا الأسلوب لمنع السلوكيات الخاطئة التي تؤدي بالفرد إلى الهلاك، وهذه التحذيرات قدمها الرسول ﷺ على هيئة نصائح وإرشادات تحمل في طياتها الخوف والإشفاق تجاه الفرد المسلم[٢].

سادسًا- التربية بالملاحظة:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالملاحظة، وتعني ملاحظة النشء وملازمته في التكوين العقدي والأخلاقي ومراقبته وملاحظته في الإعداد النفسي والاجتماعي.

ومن الشواهد على ذلك في باب وجوب أمر أهله المميزين، ما ورد عن أبي حفص عمر بن أبي سلمه عبدالله بن الأسد ربيب رسول الله ﷺ قال: «كنت غلامًا في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: ياغلام...».

فهذا توجيه نبوي حض الرسول ﷺ الآباء والأمهات والمربين جميعًا أن يهتموا بملازمة أولادهم ومراقبة أفلاذ أكبادهم في كل ناحية من نواحي الحياة، وفي كل جانب من جوانب التربية الشاملة، وخاصة التربية على آداب الإسلام في الأكل والشرب

---

(١) الأولاد وتربيتهم في ضوء الإسلام، محمد مقبل ص ١٢٩، تربية الأبناء والبنات في ضوء الكتاب والسنة، خالد العك ص ٣٤٧، الموسوعة الأم في تربية الأولاد ص ٢٩٣.

(٢) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني ص ٢٥٦.

والنوم، ولاشك أن التربية بالملاحظة تعد من أقوى الوسائل في نمو الإنسان المتوازن المتكامل الذي يؤدي حقه في الحياة ويعرف ماله وما عليه، والصبيان الصغار لا يعرفون الصواب من الخطأ في كثير من أمور الحياة، كما أن علاقاتهم بالآخرين لا يحكمها نظام معين أو قيمة محددة، وقد ينحرف في خضم الحياة إلى تصرفات غير سوية، وعلاقات سيئة، من هنا فإن الطفل محتاج إلى مراقبة وملاحظة مستمرة في مراحل عمره وبخاصة في سنوات الطفولة، وتلك هي مسؤولية الوالدين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[1].

سابعًا- من الأساليب التربوية: الزجر والممارسة العملية والتربية بالمواقف والأحداث:

جاءت في هذه الأحاديث بعض الأساليب التربوية التي يستفاد منها في العملية التربوية، منها:

أ-الزجر، كما في قول النبي ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنهما لما أخذ تمرة من تمر الصدقة-قال له: "كخ كخ إرم بها أما علمت أنا لا نأكل الصدقة" والزجر يستخدم في حال ارتكاب المتعلمين ما لا يجوز أو ما لا يليق، وهو من الأساليب التي تساعد على غرس القيم في نفوس المتعلمين وتتميز ببقاء وأثر التعليم.

ب-الممارسة العملية: كما في الحديث السابق، وهذا الأسلوب يمكن استخدامه في الجوانب التي تحتاج إلى الجانب العملي، وتحتاج إلى ربط المحسوس بالمجرد وتوضيح المعنى للمتعلمين.

ج-التربية بالمواقف والأحداث: كما في حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما عندما كان يأكل وتطيش يده في الصحفة، فعلمه النبي ﷺ آداب الأكل. ومما لا شك فيه أن التربية بالمواقف تهدف إلى غرس المفاهيم والعادات الإيجابية في نفوس المتعلمين.

وهذا التنوع في الأساليب يفيد في توصيل الرسالة التربوية فضلاً عن أنه يراعي الفروق الفردية بين المتعلمين.

---

(١) سورة التحريم، آية: ٦.

٣٩- باب حق الجار والوصية به

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[النساء: ٣٦].

الحديث رقم (٣٠٣)

٣٠٣- وعن ابن عمر[١]، وعائشة[٢] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قالا: قَالَ رَسُول اللّه ﷺ: ((مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري يتسم بالهدوء، والثقة، وقد تجرد من المؤكدات لأن المخاطب به خالي الذهن من الخبر، فهو موقف بين رسول الأرض ﷺ، وبين رسول السماء، والمعنى يتناول تعظيم حق الجار، وقد بدأه ﷺ بالفعل الماضي الذي يدل على الإلحاح الشديد (ما زال) وقد صعَّد معنى العناية بالجار نسبة الفعل إلى جبريل الذي هو الواسطة بين الله، وبين رسوله ﷺ، ثم الفعل المضارع الذي يستحضر صورة تعاهد جبريل للرسول ﷺ بالوصية بالجار، وقوله (الجار) يشمل المؤمن، والكافر، والقريب، والبعيد، وهو ما يجعل المجتمع المسلم ذا خصوصية في قوة اتصاله بما لا يعطي فرصة لتفتيته من الداخل، وقوله: (حتى) يدل على بلوغ الغاية التي وصلت إليها كثرة الوصايا في نفس رسول الله، والتي صورها الفعل (ظننت) ثم إن توكيد الجملة

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٥)، ومسلم واللفظ له (٢٦٢٥/١٤١). أورده المنذري في ترغيبه (٣٧٨١).

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له (٦٠١٤)، ومسلم (٢٦٢٥/١٤٠). أورده المنذري في ترغيبه (٣٧٨١). تنبيه: الحديث جمعه المنذري في ترغيبه بين لفظي الحديثين، وتبعه عليه المؤلفُ.

بعده بأكثر من مؤكد يدفع وهم المبالغة في هذا الظن، وقوله: (سيورثه) اخْتُلِفَ فِي الْمُرَادِ بِهَذَا التَّوْرِيثِ فَقِيلَ يُجْعَلُ لَهُ مُشَارَكَةٌ فِي الْمَالِ بِفَرْضٍ سَهْمٍ يُعْطَاهُ مَعَ الأَقَارِبِ، وَقِيلَ الْمُرَادُ أَنْ يَنْزِلَ مَنْزِلَةَ مَنْ يَرِثُ بِالْبِرِّ، وَالصِّلَةِ، وَالأَوَّلُ أَظْهَرُ، وجملة الحديث تُعظّم حق الجار، وتنبه إلى العناية به، والترغيب في صلته.

فقه الحديث

لما كان الإسلام حريصًا على إقامة علاقات المودة والتراحم بين الناس، فقد اهتم بحقوق الجار وجعل لها مرتبة عالية، وحرمة الجار منصوص عليها في الكتاب والسنة ونصوص الفقه الإسلامي[١] وجاءت أحكام كثيرة في الفقه الإسلامي مراعية لذلك ومن هذه الأحكام مثلاً.

أن الجار يكره له التعلية في بيته إلى الحد الذي يؤذي جاره ويمنع عنه الهواء والشمس[٢]، وكذا يستحب عند إخراج الصدقات تعاهد الجيران وتقديمهم على غيرهم فيها، لأنهم أولى، ولا تخرج لغيرهم مع حاجتهم إليها[٣].

وذكر جمهور الفقهاء[٤] أنه يحرم على الجار أن يضع خشبة أو أن يتصرف أي تصرف بحائط جاره إلا بإذنه، لأنه لا يملكه، وكذا سائر الأملاك المشتركة، وإن كان من المستحب للجار أن يمكن جاره من الانتفاع بحائطه فيما لا يضره.

---

(١) أحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٥٤٦/١.

(٢) المدونة الكبرى رواية سحنون، الأصبحي ٣٢٠/٤.

(٣) الأم، الشافعي ٥/٢.

(٤) المبسوط، السرخسي ٩١/١٧، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٢٦٤/٦، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ١٥٢/٥، وشرح منح الجليل ٣١٢/٦، وتحفة المحتاج ٢٠٩/٥، وحاشيتا قليوبي وعميرة ٣٩٤/٢، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ١٥١٣/٢/٤٥٥، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤١٠/٣، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٢٦١/٥.

وجعل الحنفية[١] الشفعة للجار الملاصق على خلاف ما ذهب إليه جمهور الفقهاء.

بل وليس للرجل أن يتصرف في ملكه تصرفًا يضر بجاره[٢].

وغير ذلك من أحكام يصعب فيها الحصر.

المضامين الدعوية[٣]

أولاً: من أساليب الدعوة: البيان.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: عظم حق الجار.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: تقوية العلاقة بين الجيران.

رابعًا: من أساليب الدعوة: التوكيد.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإحسان إلى الجيران.

سادسًا: من أساليب الدعوة: القسم والتكرار.

سابعًا: من واجبات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما يوثق الصلات بينهم.

ثامنًا: من موضوعات الدعوة: تحريم أذى الجيران.

أولاً- من أساليب الدعوة: البيان:

ورد البيان في هذه الأحاديث الثلاثة[٤] التي بيّن النبي ﷺ فيها حقوق الجار وعناية الإسلام بالعلاقة بين الجيران، وأهمية الإحسان فيما بينهم، وإن من الأمور التي تدل على قوة الإيمان في قلب المؤمن حسن علاقته بجيرانه، وأن إيذاء الجيران مؤشر خطير يدل على خلل في إيمان المرء، مما جعل النبي ﷺ يقول: "والله لا يؤمن وكررها قيل: من يا رسول الله، من لا يأمن جاره بوائقه".

---

(١) المبسوط ١٤/٩٣، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٤/٥ وما بعدها.

(٢) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤/٣٢٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣/٤٠٨، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، محمد المواق ٧/١٣٦، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، الشيخ علي بن أحمد العدوي ٢/٢٥٩ وما بعدها.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٣٠٣- مع مضامين الحديث رقم (٣٠٤، ٣٠٥).

(٤) الحديث رقم (٣٠٣)، (٣٠٤)، (٣٠٥).

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: عظم حق الجار:

إن من موضوعات الدعوة المستنبطة من هذه الأحاديث عظم حق الجار، يدل على ذلك قوله ﷺ "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه" الحديث، وحديث أبي هريرة في قوله ﷺ "والله لا يؤمن..." قال النووي: (في هذه الأحاديث الوصية بالجار وبيان حقه)(١).

ومما يدل على عظم حق الجار قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾(٢).

قال القرطبي: (أما الجار فقد أمر الله تعالى بحفظه والقيام بحقه، والوصاة برعي ذمته في كتابه وعلى لسان نبيه، ألا تراه سبحانه أكّد ذكره بعد الوالدين والأقربين فقال تعالى: "والجار ذي القربى" أي: القريب "والجار الجنب" أي الغريب قاله ابن عباس وكذلك في اللغة(٣).

وقال رسول الله ﷺ ((خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الجِيرَانِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ))(٤).

فحق الجار عظيم، من أجل ذلك كانت وصية الله ورسوله به، فينبغي على الداعية بيان عظم حق الجار للمدعوين.

ثالثًا- من أهداف الدعوة: تقوية العلاقة بين الجيران:

إن من أهداف الدعوة التي تستنبط من عموم هذه الأحاديث تقوية العلاقة بين الجيران، فالوصية بالجار وعمل الخير معه، يقوي علاقة المحبة والتعاون بين الجيران

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٦١.

(٢) سورة النساء، آية: ٣٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٨٣/٥/٣.

(٤) أخرجه الترمذي ١٩٤٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥٨٦).

ويؤكد على أهمية إشاعة الخير فيما بينهم وقد أوصى رسول الله ﷺ بكل ما يقوي هذه العلاقة الحميدة بين الجيران، فقال ﷺ ((لاَ يَمْنَعْ أَحَدُكُمْ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَةً فِي جِدَارِهِ))(١).

فالحرص على تقوية العلاقة بين الجيران أمر مطلوب، من أجل إحساس بعضهم ببعض فقد قال ﷺ ((لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَبِيتُ شَبْعَانًا، وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ))(٢).

فالإسلام يدعو إلى إعلان الأخوة والمحبة بين الجيران، ومحبة الخير لهم، قال رسول الله ﷺ ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ "أَوْ قَالَ لأَخِيهِ" مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))(٣).

يتضح من ذلك أن من أهداف الدعوة تقوية العلاقة بين الجيران، وإشاعة روح الإيثار والمحبة والتعاون بينهم، من أجل المحافظة على الراحة والأمان فيما بينهم.

رابعًا- من أساليب الدعوة: التوكيد:

يظهر هذا في حديث أبي ذر رضي الله عنه في قوله: إن خليلي أوصاني...؛ حيث أكد وصية رسول الله ﷺ بالجار.

وأسلوب التوكيد من الأساليب الدعوية المهمة التي أفادت اهتمام الإسلام وتوصيته بحسن العلاقة بين الجيران، ودعم أواصر المودة والمحبة بينهم.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإحسان إلى الجيران:

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من عموم الأحاديث فضل الإحسان للجيران فحديث ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما أخبر النبي ﷺ فيهما عن وصية جبريل له بالجار، مما يؤكد على فضل الإحسان إلى الجار.

وحديث أبي ذر فيه الإحسان إلى الجار، فقد أمر رسول الله ﷺ أباذر إذا طبخ مرقة أن يكثر ماءها من أجل إعطاء جيرانه وهو من الإحسان المأمور به؛ فإكرام الجار والإحسان إليه علامة الإيمان.

---

(١) أخرجه البخاري ١٦٠٩، ومسلم ٢٤٦٣.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ١٦٦/٤، برقم ٧٣٨٧، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) أخرجه مسلم ٤٥.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ. وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ. وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ))[1].

قال ابن رجب: قوله ﷺ "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر" فليفعل كذا وكذا يدل على خصال الإيمان[2].

وقال ﷺ ((... وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا...))[3]. قال أبو محمد بن أبي جمرة: "حفظ الجار من كمال الإيمان، ويحصل امتثال الوصية به "الجار" بإيصال ضروب الإحسان إليه بحسب الطاقة، كالهدية والسلام، وإطلاقة الوجه عند لقائه، وتفقد حاله، ومعاونته فيما يحتاج إليه إلى غير ذلك، وكف أسباب الأذى عنه على اختلاف أنواعه حسية كانت أو معنوية)[4].

فالإحسان إلى الجيران فضله عظيم وثوابه جزيل، ولا يحرص عليه إلا كل مؤمن كريم. فينبغي على الداعية بيان فضل الإحسان إلى الجيران، وضرورة وجوده في المجتمع المسلم، لأنه من خصال الإيمان وصفات الإسلام.

سادسًا- من أساليب الدعوة: القسم والتكرار:

يظهر هذا في حديث أبي هريرة في قوله ﷺ "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن والله لا يؤمن" فأقسم ﷺ وكرر القسم ثلاث مرات، والقسم وتكراره أسلوب له دوره في صنع التأثير النفسي والعاطفي بواسطة المقسم به، والمقسم عليه وبهما معًا. الأمر الذي يجعل المدعو يتعلق بالدعوة ويؤمن بها، وذلك لإدراكه أن الكلام العظيم المستحق للاهتمام هو الذي يبدأ باليمين.

والتكرار ضرورة ملحة حين يراد إقناع الناس بفكرة، أو حملهم على سلوك معين

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠١٨، ٦١٣٦، ٦٤٧٥، ومسلم ٤٧.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٣٢٣.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٣٠٥ وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٧٦).

(٤) بهجة النفوس ٤/١٦٤.

لأن هذا التكرار، يساعد على التأثير المطلوب وتعميقه. وقد راعى أسلوب القسم هذه الحقيقة فكرر القسم[١]؛ فعلى الدعاة إلى الله أن يستفيدوا من أسلوب القسم في التأثير على المدعوين.

سابعًا- من واجبات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما يوثق الصلات بينهم:

من واجبات الداعية المستنبطة من عموم الأحاديث إرشاد المدعوين إلى ما يوثق الصلات بينهم، والإحسان إلى الجيران، وكف الأذى عنهم، يوثق الصلات بينهم.

فقوله ﷺ: "يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك" فحض ﷺ على مكارم الأخلاق، لما يترتب عليه من المحبة وحسن العشرة، ودفع الحاجة والمفسدة[٢].

فإن من واجبات الداعية إرشاد المدعوين إلى ما يوثق الصلات بين الجيران، وقدوته في ذلك رسول الله ﷺ حيث كان ﷺ يدعو إلى كل ما يوثق صلة الجيران من أجل المحبة والأمان ومن أجل عظم حق الجار.

ثامنًا- من موضوعات الدعوة: تحريم أذى الجيران:

إن من موضوعات الدعوة التي تظهر في الحديث الذي رواه أبو هريرة في قوله ﷺ "والله لايؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن.. الذي لا يأمن جاره بوائقه" تحريم أذى الجيران، وقد ورد ما يؤيد ذلك عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ...))[٣].

وأذية الجار قد تتفاوت، فبعضها يسير بالنسبة إلى غيرها، وبعضها عظيم، بل إن أعظم أذية تنال الجار، هي أذيته في أهله، وهي من أعظم الذنوب عند الله، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((سألتُ النبيَّ ﷺ: أيُّ الذَّنبِ أعظمُ عندَ اللهِ؟ قال: أن تجعلَ للهِ ندًّا وهوَ خَلَقَكَ. قلتُ إنَّ ذلك لعظيم، قلتُ: ثمَّ أيُّ؟ قال: وأن تَقْتُلَ وَلَدَكَ تخافُ

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية، د. أحمد أحمد غلوش ص ٣٤٧.

(٢) موسوعة الأخلاق الإسلامية، سعد يوسف أبو عزيز ص ١٧٤.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠١٨، ٦١٣٦، ٦٤٧٥، ومسلم ٤٧.

أن يَطعمَ معك، قلت: ثم أيُّ؟ قال: أن تُزاني حَليلةَ جارِك))[(١)].

والجيران أقرب الناس في المعيشة، وأكثرهم تلاقيًا فإذا كانوا صالحين مأمونين كان ذلك سببًا في راحة الجار واطمئنانه، وإذا كان الجار مؤذيًا غير مأمون، كان ذلك سببًا في قلق الإنسان وخوفه، من أجل ذلك استعاذ رسول الله ﷺ من سوء الجوار، فقال: ((اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ...))[(٢)].

(١) أخرجه البخاري ٤٤٧٧، ومسلم ٨٦.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه ١٠٣٣، والحاكم في المستدرك ٥٣١/١ رقم ١٩٩٤، وصححه على شرط مسلم.

الحديث رقم (٣٠٤)

٣٠٤- وعن أبي ذر رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((يَا أَبَا ذَرٍّ، إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكثِرْ مَاءهَا، وَتَعَاهَدْ جيرَانَكَ)) رواه مسلم[1].

وفي رواية لَهُ[2] عن أبي ذر، قَالَ: إنّ خليلي ﷺ أوْصَاني: ((إِذَا طَبَخْتَ مَرَقًا فَأَكْثِرْ مَاءها[3]، ثُمَّ انْظُرْ أهْلَ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِكَ، فَأصِبْهُمْ مِنْهَا بِمعرُوفٍ)).

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

الشرح الأدبي

هذا الحديث صورة عملية من معنى الحديث السابق الذي يوصي بالجار ويقرر ضرورة رعايته كأولي الأرحام، وقد بدأ حديث الرسول ﷺ بأسلوب إنشائي طلبي وهو النداء (يا أباذر) وهو نداء يحمل مع طلب الإقبال تنبيهاً إلى ما بعده كما يشي استخدام (يا) بتكريم الرسول ﷺ لصاحبه أبي ذر، ويؤكد ذلك نداؤه بكنيته، وجملة الشرط بعده تربط بين طبخ أبي ذر لطعامه، وبين إكثار المرقة، وإعطاء الجيران و(إذا) في أسلوب الشرط توحي بتحقق الفعل مع ما ارتبط به من جوابه، وتنكير (مرقة) يفيد العموم، وقوله (فأكثر، وتعاهد) يؤسس لمبدأ الإيثار في صغار الأمور ينسحب على كبارها، ويحارب الفردية التي تجعل الإنسان لا يفكر في إخوانه، وهذا التوجيه النبوي مع بساطته لو طبق بين المسلمين لسادت بينهم روح المحبة، ولأغلقوا على باباً عظيماً من الفتن أنفسهم لما وُجِد بينهم جائع.

---

(١) برقم (١٤٢/٢٦٢٥).

(٢) مسلم (٢٦٢٥/١٤٣).

(٣) لفظ مسلم: (ماءه).

فقه الحديث

يشير هذان الحديثان إلى عمل من أعمال البر التي توثق الصلة والمحبة بين الجيران، وهي الإهداء إلى الجار ولو من المرقة التي يطبخها، أو الطعام الذي عنده، حتى تسود المرحمة بينهم، وقد ذكر الفقهاء[١] أنه يندب للجار إذا طبخ مرقًا أن يتعاهد جيرانه بشيء منه، وأن يحسن إليهم فذلك من كريم الخلق وحسن البر.

وكذا ذكر الفقهاء[٢] أنه يستحب في إخراج صدقات التطوع أن يخرجها للفقراء من أهل بلده، ويقدم الجار القريب على غيره عند إخراج صدقة التطوع، وكذا في الهبات والهدايا وتعدد الولائم، يقدم دائمًا الجار على غيره، ويقدم الجار الأقرب بابًا على غيره من الجيران.

المضامين الدعوية[٣]

(١) انظر في ذلك: بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، أحمد بن محمد الصاوي ٤٨٩/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٨٠/٥، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي٢٤٦/٥، وسبل السلام٦٣٧/٢.

(٢) انظر في ذلك: المبسوط ١٨٠/٢، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٢٤٢/٧، وأحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٥٤٧/١، والأم ٨٦/٤، ٧٧، والغرر البهية في شرح البهجة الوردية، القاضي أبو يحيى الأنصاري ٨١/٤، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٤٠٦/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٢٢/٤، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٢٨٠/٤.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٣٠٥)

٣٠٥- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، أن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: ((واللهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ!)) قِيلَ: مَنْ يَا رَسُول الله؟ قَالَ: ((الَّذِي لاَ يَأمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ!)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

وفي رواية لمسلم[2]: ((لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ لاَ يَأمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ)). "البَوَائِقُ": الغوائل والشرور.

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

---

(١) أخرجه البخاري عقب حديث (٦٠١٦) معلقًا، ولم يسق لفظه.

تنبيه: قول المؤلف: (متفق عليه) لا يستقيم مع هذا الكلام، وفيه عدة ملاحظات:

الأولى: أن الحديث بهذا اللفظ لم يروه إلا البخاري من حديث أبي شريح.

الثانية: أن البخاري ساق إسناد حديث أبي هريرة معلقًا بعد حديث أبي شريح ولم يورد لفظه، وكأنه يشير إلى أن لفظه مثل لفظ حديث أبي شريح.

الثالثة: اعتمد المؤلف في إيراد لفظ حديث أبي هريرة في هذا الحديث على الجمع بين الصحيحين للحميدي (٢٣٠/٣، رقم ٢٤٨٥).

الرابعة: أشكل فهم كلام الحميدي على النووي فاعتبر هذا اللفظ من المتفق عليه، وهو خلاف ذلك، ومما أوهم المؤلف قول الحميدي في أوله: (أخرجاه جميعًا). ثم قال الحميدي عقب قوله هذا: فأما البخاري فأخرجه معلقًا من حديث ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة في عقب حديث قبله: أن النبي ﷺ قال: (والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه). هذا الحديث رواه البخاري برقم (٦٠١٦)، وليس عنده غير هذا الطريق، كما أن ليس عند مسلم بهذ اللفظ، فلا يصحُّ حينئذٍ أن يقال متفق عليه. ثمَّ قال الحميدي: وأخرجه مسلم بالإسناد من حديث إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: (لايدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه). وهذا الحديث أخرجه مسلم برقم (٧٣/٤٦) وليس عنده غير هذا الطريق. فتبين أن أصل الحديث من المتفق عليه، ولكن اللفظ الأول للبخاري، والثاني لمسلم، وليس اللفظ الأول من المتفق عليه كما فهمه الإمام النووي.

تنبيه: وقع المنذري فيما وقع فيه النووي، فأورده في ترغيبه (٣٧٥٣) عن أبي هريرة وعزاه إلى الصحيحين. ثمّ ذكر رواية مسلم.

(٢) برقم (٧٣/٤٦). أوردها المنذري في ترغيبه (٣٧٥٣).

الشرح الأدبي

الحديث يقرر معنى سابقه عن طريق الرهيب من أذى الجار، وصياغة الحديث تختلف عما سبقها حيث تصدَّرها القسم بلفظ الجلالة (الله) وهو من الألفاظ الموحية بطبيعتها لمعاني الهيبة، والجلال بالإضافة إلى أن القسم في بداية الكلام من وسائل التشويق التي تلفت عقل المخاطب لما بعدها انشغالا بسر القسم، وما يسفر عنه، لاسيما إذا تلقَّاك بالقسم صادق لا يكذب فما بالك إذا كان الحالف نبياً يوحى إليه، ثم لم يتوقف التصعيد للإحساس بالخطر عند هذا الحد بل إنه كرر جملة القسم (وَاللَّهِ لا يُؤْمِنُ وَاللَّهِ لا يُؤْمِنُ وَاللَّهِ) ثلاث مرات، والتكرار يفيد التشويق مع التقرير، والتوكيد، ولا ننسى جملة القسم المنفية، وأن المنفي هو أغلى ما لدى المؤمن، وهو إيمانه، وفي الكلام إيجاز بالحذف في جملة (لا يؤمن) أي لا يكون كامل الإيمان.

سمع الصحابة قسم الرسول ﷺ فانخلعت له قلوبهم، وثارت في عقولهم استفهامة عن سر ما سمعواْ (وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟) وهو استفهام حمل مع طلب الفهم تعجباً، وحيرة، فكانت إجابته، (الْجَارُ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ) وجمع البوائق يدل على أن هذا الجار شروره كثيرة، والحديث يرهب من أذى الجار ويجعله سبباً في نفي كمال الإيمان.

فقه الحديث

لقد اهتم الإسلام بحقوق الجيران، ونبه عليها نبيه ﷺ ومنها هذا الحديث الرائع الذي يرسي قواعد وآداب الجوار وما ينبغي فعله مع الجار، ولاشك أنه يحرم على الجار أن يؤذي جاره بأي شكل، ولكن هل يمتد ذلك الحظر إلى حد منعه من التصرف في ملكه بما يضر بجاره؟

اختلف الفقهاء في حكم تصرف الجار في ملكه الخاص تصرفًا يضر بجاره، كأن يبني في بيته كوة يشرف منها على حرمات جاره، أو يحفر بجوار جداره كنيفًا، أو يبني حمامًا أو تنورًا، أو يعمل دكان حدادة وما شابهه، أو يبني ما يؤذيه، وذلك على قولين:

القول الأول: ذهب المالكية[(١)] والحنابلة[(٢)] إلى أنه يحرم على الرجل أن يتصرف في بيته وملكه تصرفًا يضر بجاره، وإن فعل ذلك كان لجاره منعه منه.

القول الثاني: ذهب الحنفية[(٣)] والشافعية[(٤)] إلى أنه يجوز للرجل أن يتصرف في ملكه أي تصرف ولو كان مضرًا بجاره، لأنه يتصرف في حق خالص له، واشترط الشافعية في ذلك ألا يضر التصرف بملك جاره، أما إن تضرر منه الجار دون ملكه فلا يمنع الرجل من تصرفه.

المضامين الدعوية[(٥)]

(١) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٤١/٦، وتبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، برهان الدين المكي ٣٤٨/٢، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ١٦٠/٥.

(٢) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٢٦٠/٥، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ١٥٠/٢، والفروع، ابن مفلح ٢٨٥/٤.

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٢٦٤/٦، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٢٥/٦، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢٢٣/٨.

(٤) أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٢٢٣/٢، ٤٤٦/٢، والغرر البهية في شرح البهجة الوردية، القاضي أبو يحيى الأنصاري ٣٥٨/٣، وحاشيتا قليوبي وعميرة ٣٩٢/٢.

(٥) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث (٣٠٥) مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٣٠٣، ٣٠٤).

الحديث رقم (٣٠٦)

٣٠٦- وعنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**يَا نِسَاء المُسْلِمَاتِ، لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاة**)) **مُتَّفقٌ عَلَيهِ**[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

لا تحْقِرنَّ: لا تسْتَصْغرنَّ[٢].

فِرْسِنُ الشاةِ: ظِلْفُها[٣].

الشرح الأدبي

معنى الحديث من جملة الآداب التي تراعي حقوق الجار، وقد بدأه ﷺ بنداء عام لنساء المسلمين (يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ) ونداء الرسول ﷺ لهن تكريم لهن خاصة، وللنساء في كل زمان، ومكان عامة، يدل على ذلك استخدام أداة النداء (يا) التي لنداء البعيد مع قربهن، وإضافة النساء للمسلمات إضافة تشريف.

ثم تبع هذا النداء - بعد أن ضمن انتباههن - بالنهي في قوله: (لا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا) وتنكير كلمة (جارة) للتعميم، وإضافة الضمير للجارة لإشعارها بأنها منها، ولها حق عليها، وتخصيص النساء بالنداء لأنهن مدبرات البيوت، والمتابعات لأحوال جيرانهن لملازمتهن البيوت (وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ) وفرسن الشاة هُوَ: (عَظْمٌ قَلِيلُ اللَّحْمِ، وَهُوَ لِلْبَعِيرِ مَوْضِعُ الْحَافِرِ لِلْفَرَسِ، وَيُطْلَقُ عَلَى الشَّاةِ مَجَازًا، وَأُشِيرَ بِذَلِكَ إِلَى الْمُبَالَغَةِ فِي إِهْدَاءِ الشَّيْءِ الْيَسِيرِ، وَقَبُولِهِ لا إِلَى حَقِيقَةِ الْفِرْسِنِ، لأَنَّهُ لَمْ يَجْرِ الْعَادَةُ بِإِهْدَائِهِ، أَيْ لا تَمْنَعُ جَارَةٌ مِنْ الْهَدِيَّةِ لِجَارَتِهَا الْمَوْجُودَ عِنْدَهَا لاسْتِقْلالِهِ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ تَجُودَ لَهَا بِمَا

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٧، ٢٥٦٦)، ومسلم (٩٠/١٠٣٠) ولفظهما سواء.، وتقدم برقم (١٢٤).

(٢) الوسيط في (ح ق ر).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ر س ن).

تَيَسَّرَ، وَإِنْ كَانَ قَلِيلاً، فَهُوَ خَيْرٌ مِنَ الْعَدَمِ، وَذَكَرَ الْفِرْسِنَ عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ النَّهْيُ إِنَّمَا وَقَعَ لِلْمُهْدَى إِلَيْهَا، وَأَنَّهَا لا تَحْتَقِرُ مَا يُهْدَى إِلَيْهَا وَلَوْ كَانَ قَلِيلاً، وَحَمْلُهُ عَلَى الأَعَمِّ مِنْ ذَلِكَ أَوْلَى. وَفِي الْحَدِيثِ الْحَضُّ عَلَى التَّهَادِي وَلَوْ بِالْيَسِيرِ لِمَا فِيهِ مِنْ اسْتِجْلابِ الْمَوَدَّةِ وَإِذْهَابِ الشَّحْنَاءِ، وَلِمَا فِيهِ مِنَ التَّعَاوُنِ عَلَى أَمْرِ الْمَعِيشَةِ، وَالْهَدِيَّةُ إِذَا كَانَتْ يَسِيرَةً، فَهِيَ أَدَلُّ عَلَى الْمَوَدَّةِ وَأَسْقَطُ لِلْمُؤْنَةِ وَأَسْهَلُ عَلَى الْمُهْدِي لإِطْرَاحِ التَّكَلُّفِ، وَالْكَثِيرُ قَدْ لا يَتَيَسَّرُ كُلَّ وَقْتٍ، وَالْمُوَاصَلَةُ بِالْيَسِيرِ تَكُونُ كَالْكَثِيرِ)[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري شرح الحديث رقم (٢٠٥٦)

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث (١٢٤).

الحديث رقم (٣٠٧)

٣٠٧- وعنه: أن رَسُول الله ﷺ، قَالَ: ((لاَ يَمْنَعْ جَارٌ جَارَهُ أنْ يَغْرِزَ خَشَبَةً فِي جِدَارِهِ))، ثُمَّ يقُولُ أَبُو هريرة: مَا لِي أرَاكُمْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ! وَاللهِ لأرْمِيَنَّ بِهَا بَيْنَ أكْتَافِكُمْ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[١].

رُوِيَ (خَشَبَهُ) بالإضَافَة وَالجمع. وَرُوِيَ (خَشَبَةً) بالتنوين عَلَى الإفرادِ. وقوله: مَا لي أراكم عَنْهَا مُعْرِضينَ: يَعْني عَنْ هذِهِ السُّنَّة.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

خشبة: رُوِي "خشبه" بالإضافة والجمع. ورُوي "خشبة" بالتنوين على الإفراد[٢].

مالي أراكم عنها معرضين: قوله: ((مالي أراكم عنها معرضين)): يعني عن هذه السُّنة[٣].

لأرمين بها بين أكتافكم: أي بينكم، والمعنى: أني أصرح بها بينكم وأوجعكم بالتقريع بها، كما يضرب الإنسان بالشيء بين كتفيه[٤].

الشرح الأدبي

أكد الراوي الحديث بـ(إن) مع اسمية الجملة، وذكر الرسول بوصفه تكريماً، وأضافه لله تشريفاً، ثم ذكر الجملة الاعتراضية الدعائية ﷺ والتي تعبر عن أدب الصحابة، وحبهم للرسول ﷺ، واعترافهم بفضله، ثم إنها طاعة لله تعالى.

وقوله ﷺ (لا يَمْنَعْ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَهُ فِي جِدَارِهِ) أسلوب نهي عام؛ لأنه لم

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له (٢٤٦٣)، ومسلم (١٦٠٩/١٣٦).

(٢) رياض الصالحين ١٦٨.

(٣) رياض الصالحين ١٦٨.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٢١.

يوجهه لمخصوص، وجاء بفاعل الفعل المنهي عنه نكرة(رجل) وهي في سياق النهي تفيد العموم، وإفراد (خشبة) وتنكيرها للتقليل، والتحقير، أي لا يمنعه من غرسها في حائطه، وأن يتحمله في الأمور التي تجري بين الجيران على شاكلة هذا الأمر.

وإذا تأملنا جماليات الحديث وجدنا عبارة الرسول ﷺ مع صغرها في قمة التناسق البياني والوضوح المعنوي، والنغم الشجي الذي يجذب السمع، ويقر في القلب عن طريق الجناس بين التام (جار - وجاره) والجناس الناقص بين (جاره وجداره) ثم السجع البديع بين فاصلتي العبارتين (لا يَمْنَعْ جَارٌ جَارَهُ)، وبين (أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَةً فِي جِدَارِهِ) ثم الترصيع، وهو تساوي الفقرتين في الوزن.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم الانتفاع بالجدار بين جارين، وقد ذهب جمهور الفقهاء[1] إلى أن الشريك في الجدار المشترك ينتفع بمقدار نفع شريكه، ولا يزيد على ذلك إلا بإذن شريكه، أما الجدار المملوك لأحد الجارين، فقد اختلف الفقهاء في حكم انتفاع الجار به، من نحو غرز خشبة عليه ينتفع بها وغيره، فذهب الحنفية في المفتى به عندهم والشافعي في القديم والإمام أحمد في رواية وإسحاق إلى أنه يجوز للجار الانتفاع بجدار جاره فيما لا يضر متى قامت الحاجة إليه، ويجبر مالكه على تمكينه من ذلك، وذهب المالكية والشافعية والحنابلة إلى أنه لا يجوز للجار أن ينتفع بجدار جاره إلا بإذنه ولا يجبر عليه، وإن كان من المندوب للجار تمكينه من غرز خشبة عليه أخذًا بهذا الحديث.

---

(١) المبسوط للسرخسي٩١/١٧، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٢٦٤/٦، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ١٥٢/٥، وشرح منح الجليل ٣١٢/٦، وتحفة المحتاج ٢٠٩/٥، وحاشيتا قليوبي وعميرة ٣٩٤/٢، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ١٥١/٢، ٤٥٥/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤١٠/٣، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٢٦١/٥، وسبل السلام ٨٥/٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٢٣/١٦.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي، والقسم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التعاون بين الجيران:

ثالثًا: من واجبات الداعية: الحرص على مصلحة المدعوين.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الوصية بالجار.

١- **النهي**: ورد هذا الأسلوب صريحًا في الحديث في قوله ﷺ: "لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره"، وفي هذا الأسلوب لفت لأنظار المدعوين إلى خطورة الأمر المنهي عنه فيجتنبوه، لذا كان أسلوب النهي من الأساليب المفيدة في الدعوة.

٢- **القسم**: ورد ذلك في قول أبي هريرة رضي الله عنه راوي الحديث: "والله لأرمين بها بين أكتافكم"، وأسلوب القسم من الأساليب المفيدة في الدعوة، فهو يستعمل تأكيدًا لخبر، أو تعظيمًا لشيء، أو جمعًا للانتباه حول غاية، وهو أحد أسباب ثبوت الحق(١).

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: التعاون بين الجيران:

في هذا الحديث حضّ على مد وتقوية أواصر المحبة والمودة والتعاون بين الجيران، فنهى ﷺ أن يمنع الجار من غرز خشبة في جدار جاره، فقال: (لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره) أي لا يمنعه من ذلك، لأن ذلك مما يتسامح به ويتساهل فيه(٢)، ولذا كان مما ينبغي على الإنسان الرفق وإسداء الخير والمعروف لجيرانه، والتخلق معهم بمكارم الأخلاق، لما يترتب عليها من المحبة وحسن العشرة، ودفع الحاجة والمفسدة(٣).

ثالثًا- من واجبات الداعية: الحرص على مصلحة المدعوين:

وذلك ببيان ما فيه مصلحتهم، والنهي عما يفوتها عليهم، أو يكدر عليهم صفو حياتهم، وتجلى ذلك في حرص النبي ﷺ أن تشيع المودة بين الجيران فقال: "لا يمنع

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية "أصولها ووسائلها"، د. أحمد أحمد غلوش ص ٣٢٩.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٥٠٧.

(٣) انظر: موسوعة الحقوق الإسلامية، سعد يوسف أبو عزيز ص ١٧٤.

جار جاره أن يغرز خشبة في جداره"، ويظهر ذلك الحرص أيضًا في قول أبي هريرة رضي الله عنه: "ما لي أراكم عنها معرضين والله لأرمين بها بين أكتافكم"، أي: مالي أراكم معرضين عن هذه السنة والخصلة والموعظة أو الكلمات، والله لأرمين بها بين أكتافكم، أي: بينكم والمعنى أني أصرح بها بينكم، وأوجعكم بالتقريع بها، كما يضرب الإنسان بالشيء بين كتفيه[1].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الوصية بالجار:

في الحديث وصية بالجار والإحسان إليه، وذكر مظهر من مظاهر الإحسان إليه فقال ﷺ: "لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره" وقد أمرنا القرآن بالإحسان إلى الجار في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[2]، وروي عن مجاهد أن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ذُبِحَتْ لَهُ شَاةٌ في أَهْلِهِ فلما جَاءَ قَالَ: أَهْدَيْتُم لجَارِنَا اليَهُودِيِّ؟ أَهْدَيْتُمْ لِجَارِنَا اليَهُودِيِّ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ الله يقول: ((مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بالجَارِ حتى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ))[3].

قال القرطبي: (أما الجار فقد أمر الله تعالى بالقيام بحفظه والوصاة برعي ذمته في كتابه وعلى لسان نبيه، ألا تراه أكد ذكره بعد الوالدين والأقربين[4]، بل إن الرسول ﷺ ليجعل إكرام الجار والإحسان إليه من شروط كمال الإيمان، فعن أبي شريح العدوي قال: سمعتْ أُذُنايَ وأبصرَتْ عينايَ حينَ تكلم النبيُّ ﷺ فقال: ((من كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فليكرِم جارَه، ومن كان يؤمن باللّهِ واليوم الآخر فليُكرِم

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٢١.

(٢) سورة النساء، آية: ٣٦.

(٣) أخرجه الترمذي ١٩٤٢، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥٨٥).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٨٣/٥/٣.

ضيفَه جائزَتَه))، قيل وما جائزته يا رسولَ الله؟ قال: ((يومٌ وليلةٌ، والضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراءَ ذلك فهو صدَقةٌ عليه. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقُل خيرًا أو لِيَصمُتْ))[١]، وأن خير الجيران عند الله خيرهم لجاره، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ الله خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيرُ الجِيرَانِ عِنْدَ الله خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ))[٢]، أي أكثرهم إحسانًا إليه، ولو برفع الأذى عنه[٣].

(١) أخرجه البخاري ٦٠١٩.

(٢) أخرجه الترمذي ١٩٤٤، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٥٨٦).

(٣) تحفة الأحوذي، العظيم آبادي، ١٦٣٥/٢.

الحديث رقم (٣٠٨)

٣٠٨- وعنه: أن رَسُول اللّه ﷺ، قَالَ: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَاليَوم الآخر، فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

المعنى في الحديث قائم على أسلوب الشرط الذي تضمَّنه الموصول (مَنْ)، ولأسلوب الشرط مميزات عدة منها أنه يشتمل على نوع من التشويق؛ لأن النفس إذا سمعت الشرط استشرفت للجواب فيقع المعنى منها موقعاً حسناً، ثم إنه يعلق فعلاً على فعل يقع بوقوعه، ويمتنع بامتناعه، مما يؤكد قوة الصلة بين جملتي الشرط، وكأنهما جملة واحدة، أضف إلى ذلك أن أسلوب الشرط صالح لكل زمان، ومكان، وهو ما يفسر شيوع هذا الأسلوب في البيان النبوي.

وصياغة الرسول ﷺ لهذه المعاني في أسلوب الشرط يشير إلى أهميتها؛لأنه جعل فعل الشرط هو الإيمان (يؤمن) وعلَّقه علي هذه الأعمال كما أن صياغة الفعل في صورة المضارع يشير إلى التجدد، والاستمرار المرتبط بتجدد حفظ حق الجار، وعدم إيذائه، والإكرام للضيف، وقول الخير، أو السكوت، ثم إنه كرر الشرط مع كل خصلة إشارة إلى الاستقلالية، وأن كل نوع منها شرط للإيمان، ثم إن الفاء التي ربطت جواب الشرط في في جملة النهي عن أذى الجار، ولام الأمر التي اتصلت بالأفعال الثلاثة (فليكرم - فليقل - ليسكت) تقتضي المسارعة، وترغِّب فيها؛ لأن من شأن هذه الخصال أن تحقق المحبة، والتكافل، وتنزع الأحقاد، وتمنع الفتن، وهو من الأهداف السامية التي قررها الإسلام.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٦)، ومسلم (٤٧/٧٥) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٣٧٥١). وسيكرره المؤلف برقم (٧١١).

فقه الحديث

تشير هذان الحديثان[1] إلى حكمين فقهيين:

الأول: حكم إيذاء الجار، وقد سبق الكلام عنه في الحديث رقم ٣٠٥.

الثاني: حكم إكرام الضيف، وقد ذكر الفقهاء[2] أن إكرام الضيف من مكارم الأخلاق، وحق من حقوق المسلم على أخيه، ولكن هل هذا الإكرام واجب على المرء أم مستحب؟.

اختلف الفقهاء في ذلك، فذهب الحنفية والمالكية والشافعية والإمام أحمد في رواية إلى أن الضيافة سُنَّة، ومدتها ثلاثة أيام، وذهب الإمام أحمد في رواية والليث بن سعد[3] وابن حزم الظاهري[4] إلى أنها واجبة يومًا وليلة، وجعلها المالكية[5] والحنابلة[6] واجبًا

---

(١) رقم (٢٠٨)، (٣٠٩).

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢٣٤/٨، و(٤٤١) رد المحتار على الدر المختار المسمى بـ "حاشية ابن عابدين"، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٣٠٩/٦، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٢٤٢/٧، وأحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٥٤٨/١، ٢٠/٣، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٩٧/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٦٢/٩، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٥٧٤/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٠١/٦ وما بعدها، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٣٢٦/٦، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١٩٠/٣، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب للسفاريني ١٥٨/٢، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ١٧٨/٨، والمحلى لابن حزم ١٤٦/٨، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣١٦/٢٨ وما بعدها.

(٣) أحكام القرآن، ابن العربي ٢٠/٣.

(٤) المحلى، ابن حزم ١٤٦/٨.

(٥) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٢٤٢/٧، وأحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٥٤٨/١، ٢٠/٣، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٩٧/٢.

(٦) كشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٠١/٦ وما بعدها، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٣٢٦/٦، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١٩٠/٣، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب للسفاريني ١٥٨/٢.

للمسلم المسافر في الفلاة ولا زاد له، أما في الحضر فهو سنة لوجود الخانات والمساجد التي يبيت فيها.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإحسان إلى الجار وإكرامه.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الصلة بين الإيمان والسلوك.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل القول الحسن وفضل الصمت.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: من خصائصه ﷺ جوامع الكلم.

أولاً- من أساليب الدعوة: الشرط:

١- الشرط: وذلك في قوله ﷺ "ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت..." وقوله ﷺ: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليسكت" حيث جعل النبي ﷺ التخلق بهذه الخصال شرطًا لكمال الإيمان، إذ أن المراد بقوله "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر" الإيمان الكامل[2] وأسلوب الشرط من الأساليب الناجعة في الدعوة، والتي تجعل المدعو حريصًا على فعل ما يؤدي به إلى الفضل والثواب.

٢- الأمر: وهذا الأسلوب تكرر في الحديثين في قوله ﷺ: "فليكرم ضيفه، فليقل خيرًا أو ليصمت، فليكرم ضيفه"، وعرض الدعوة في الحديث بأسلوب الأمر يحث المدعو على العمل بمقتضاه وعدم التهاون بما فيه.

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٣٠٨- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٣٠٩).

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٠/٤٦٠.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإحسان إلى الجار وإكرامه:

بيّن النبي ﷺ في الحديثين فضل الإحسان إلى الجار وإكرامه بمنع الأذى في قوله "فلا يؤذ جاره" وبالإحسان إليه في قوله "فليحسن إلى جاره" فلا يحل لمؤمن أن يؤذي جاره بأي نوع من أنواع الإيذاء[١]، بل إن الرسول ﷺ ليقسم على نفي الإيمان الكامل عمن يؤذي جاره؛ فعن أبي شريح أن النبي ﷺ قال والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: ومن يا رسول الله؟ قال الذي لا يأمن من جاره بوائقه[٢] وهذا عام في كل جار، وقد أكد عليه السلام ترك إذايته بقسمه ثلاث مرات، وأنه لا يؤمن الإيمان الكامل من أذى جاره، فينبغي للمؤمن أن يحذر أذى جاره، وينتهي عما نهى الله ورسوله عنه، ويرغب فيما رضياه وحضا العباد عليه[٣].

قال أبو محمد بن أبي جمرة: (حفظ الجار من كمال الإيمان، وكان أهل الجاهلية يحافظون عليه، ويحصل امتثال الوصية به بإيصال ضروب الإحسان إليه بحسب الطاقة كالهدية والسلام وطلاقة الوجه عند لقائه، وتفقد حاله ومعاونته فيما يحتاج إليه إلى غير ذلك، وكف أسباب الأذى عنه على اختلاف أنواعه حسية كانت أو معنوية)[٤].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الصلة بين الإيمان والسلوك:

أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى في الحديثين، فبين أنه من لوازم الإيمان، وأنه لا يكمل إلا بما يظهر على أعمال الإنسان أثرًا لهذا الإيمان، فقال "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت" في الحديث الثاني قال ﷺ: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليحسن إلى جاره ... إلخ" الحديث؛ فالإيمان ليس مجرد تصديق بالقلب وإقرار بالجنان، وإنما لابد أن تظهر آثار ذلك الإيمان على جوارح الإنسان ومعاملاته مع غيره، ولذا شرط النبي ﷺ في

---

(١) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ٣١٤.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠١٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٨٤/٥/٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥٦/١٠.

الحديث على من يريد الوصول إلى درجة الكمال في الإيمان، أن يتحلى بمكارم الأخلاق، والتي منها ما ورد في الحديث ((من كان يُؤمن بالله واليوم الآخرِ فلا يُؤذِ جارَه، ومن كان يُؤمن بالله واليوم الآخرِ فليُكرِم ضَيفَه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخرِ فليَقُلْ خيرًا أو ليَصمُت))[١] والأمر نفسه في الحديث الثاني.

ولذا لم يكتف القرآن والسنة بقصر الإيمان على التصديق القلبي، وإنما دائمًا يعرضان الإيمان في أخلاق حية، وأعمال ناصعة، يتميز بها المؤمنون من الكفرة والمنافقين ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾[٢] فلا بد من صحة الإيمان، العمل بمقتضيات هذا الإيمان، والالتزام بمبادئه الخلقية والسلوكية، والجهاد في سبيلها بالمال والنفس[٣].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل القول الحسن وفضل الصمت:

وردت الإشارة إلى ذلك في الحديث في قوله ﷺ "ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت" قال الشافعي: ("فليقل خيرًا" لكن بعد أن يتفكر فيما يريد أن يتكلم به، فإذا ظهر له أنه خيرٌ محقق لايترتب عليه مفسدة، ولا يجر إلى كلام محرم أو مكروه، أتى به "أو ليسكت" فليطلب الصمت حتى عن المباح، لأنه ربما أدى إلى محرم أو مكروه، وبفرض أنه لا يؤدي إليها، ففيه ضياع الوقت فيما لا يعني)[٤].

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١١٨/١.

(٢) سورة المؤمنون، الآيات: ١-١٠.

(٣) انظر: الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي ص ٢٠، ٢١.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٥٠٨، ٥٠٩.

قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[1] أي لا خير في كثير من كلامهم[2] وإذا لم يكن فيه خير، فإما لا فائدة فيه كفضول الكلام المباح، وإما شر ومضرة محضة كالكلام المحرم بجميع أنواعه، ثم استثنى الله تعالى من أمر بصدقة من مال، أو علم أو أي نفع كان، أو معروف وإحسان وطاعة أو إصلاح بين المتنازعين المتخاصمين[3]؛ فالسكوت خير من الكلام الباطل، قال الشاعر:

ما إن ندمت على سكوتي مرة ولقد ندمت على الكلام مرارًا[4]

خامسًا- من موضوعات الدعوة: من خصائصه ﷺ جوامع الكلم:

لقد أعطى ﷺ جوامع الكلم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((بعثت بجوامع الكلم))[5] ومن تلك الجوامع هذا الحديث "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ...إلخ" الحديث (فهو من القواعد العظيمة لأنه ﷺ بين فيه جميع أحكام اللسان الذي هو أكثر الجوارح فعلاً، وبهذا الاعتبار يصح أن يقال: فيه ثلث الإسلام، وقال بعضهم: جميع آداب الخير تتفرع منه، ويشار فيه إلى سائر خصال البر والصلة والإحسان، لأن آكدها رعاية حق الجوار، وبهذا الاعتبار يصح أن يقال فيه: إنه نصف الإسلام، لأن الأحكام إما أن تتعلق بالحق أو بالخلق، وهذا أفاد الثاني، لأنه صلة الخَلْق تستلزم رعاية جميع حقوقهم[6].

وقال ابن حجر: (واشتمل الحديث على أمور ثلاثة تجمع مكارم الأخلاق الفعلية والقولية، أما الفعلية فيرجع إلى الأمر بالتخلي عن الرذيلة "فلا يؤذ جاره" والتحلي

---

(١) سورة النساء، آية: ١١٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤١١/٢.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ص ١٦٤.

(٤) موسوعة الآداب الإسلامية، عبدالله بن محمد المعتاز، ١٣٩/١.

(٥) أخرجه البخاري ٢٩٧٧.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٥٠٩.

بالفضيلة "فليكرم ضيفه"، "فليقل خيرًا أو ليصمت"، وحاصله من كان حامل الإيمان فهو متصف بالشفقة على خلق الله قولاً بالخير وسكوتًا عن الشر، وفعلاً لما ينفع، أو تركًا لما يضر)[1].

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٠/٤٦١.

الحديث رقم (٣٠٩)

٣٠٩- وعن أَبي شُرَيْح الخُزَاعيِّ ﷺ : أن النَّبيّ ﷺ ، قَالَ: ((**مَنْ كَانَ يُؤمِنُ باللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيُحْسِنْ إلَى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ**)) رواه مسلم[١] بهذا اللفظ، وروى البخاريُّ[٢] بعضه.

ترجمة الراوي:

أبو شُرَيْح الخُزاعيُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٠).

الشرح الأدبي

اتفق هذا الحديث مع سابقه في الأسلوب، والصياغة مع اختلاف بسيط في المعنى ففي الحديث الأول جاء أسلوب النهي متصدراً الحديث، وهو قوله (فلا يؤذي جاره) نهياً عن التسبب له في ضرر يلحق دينه، أو نفسه، أو ماله، أو أهله، وفي هذا الحديث جاءت العبارة بأسلوب الأمر الواقع في جواب الشرط ترغيباً فيه في قوله (فليحسن إلى جاره)، وهذه العبارة أبلغ في هذا الموضع، لأن الإحسان مرتبة أعلى من كف الأذى، ومن لم يكف أذاه لا يكون محسناً، فالإحسان متضمن لكف الأذى دون العكس.

المضامين الدعوية[٣]

(١) برقم (٤٨/٧٧). وسيكرره المؤلف برقم (٧٠٦).

(٢) برقم (٦٤٧٦) دون قوله: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليحسن إلى جاره).

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٣١٠)

٣١٠- وعن عائشة رضي الله عنها، قَالَت: قُلْتُ: يَا رَسُول الله، إنَّ لِي جارَيْنِ، فإلى أيِّهِمَا أُهْدِي؟ قَالَ: ((إِلَى أقْرَبِهِمَا مِنكِ بَابًا)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

معنى هذا الحديث يتصل بالأفضلية في الإحسان إلى الجيران أيهم يقدم، والذي يبحث في منهج الله المتمثل في كتابه، وسنة رسوله ﷺ يجد كل ما يبحث عنه في معاشه، ومعاده، لأنه أكمل دينه، وأتم نعمته على عباده، وهذا الحديث يدلل على ذلك، وقد بدأته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بنداء التكريم، ثم قدَّمت لما تريد بمقدمة تمهِّد لسؤالها، بقولها: (إن لِي جَارَيْنِ) وقد أكدت العبارة بـ (إن) مع اسمية الجملة الدالة على الثبوت، والدوام، وتقديم الجار والمجرور (لي) الذي يفيد الاختصاص، وبناء العبارة على هذه الهيئة من مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فالتوكيد إيذاناً بأهمية الأمر، واسمية الجملة تقرر أنهما جاران مقيمان مما يجعل حقهما أوجب، والاختصاص يشير إلى أنهما جاران ملاصقان لبيتها لا لبيت غيرها، ثم طرحت سؤالها (فَإِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِي) أي بمن أبدأ منهما؟، ولذلك قدمت الجار والمجرور على متعلقه، وقول الرسول ﷺ (إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا) فيه إيجاز بحذف الفعل لدلالة ما قبله عليه، ثم إن هذا الحذف يجعل المقام يتسع لتقدير كثير من أفعال البر، مثل: (أهدي - أطعمي - أحسني - إبدأي) وأصلحها للتقدير في هذا المقام - والله أعلم - هو(أهدي)؛ لأنه شامل لمعاني غيره من أعمال البر بالإضافة إلى أنه المذكور في السؤال، والحديث يعمِّق الصلات بين المسلمين بما يبعث الألفة، والمحبة، ويستجد وسائل أخرى للتقارب بين الناس بخلاف القرابة.

---

(١) برقم (٢٢٥٩).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من حقوق المدعو: السؤال عما يشكل عليه.

ثالثًا: من مهام الداعية: تبيين الأمور وإيضاح الحقائق.

رابعًا: من فقه الداعية: مراعاة الأولويات.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد السؤال والجواب في هذا الحديث، فالسؤال في قول عائشة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ: "إن لي جارين فإلى أيهما أهدى؟" والجواب في قول النبي ﷺ: "إلى أقربهما منك بابًا" فطلب المدعو وإجابة الداعي عليه، من الأساليب الناجحة في الدعوة، إذ أن الإنسان أكثر تعلقًا واقتناعًا بالشيء الذي يطلبه ويسأل عن الإجابة عليه.

ثانيًا- من حقوق المدعو: السؤال عما يشكل عليه:

إن من حقوق المدعو التي ينبغي له أن يباشرها: سؤاله عما يشكل عليه، وقد ورد في الحديث أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها سألت ولم تتردد في سؤالها للنبي ﷺ، خاصة وأنها أمرت بإكرام الجار مطلقًا، ولا تقدر على الإهداء إلى كل الجيران أو جاريها الملاصقين لها، فماذا تفعل ليحصل لها الدخول في جملة القائمين بإكرام الجار[1]، فسألت رسول الله ﷺ قائلة: (إنّ لي جارين فإلى أيهما أهدي؟)، فأجابها ﷺ: (إلى أقربهما بابًا)، إن الإسلام يربي المسلمين على طلب العلم، ومعرفة ما يغيب عنهم من مسائل علمية تخدم حياتهم الاجتماعية، ولقد كان رسول الله ﷺ يسأل أصحابه رضي الله عنهم، وقد يأتيه جبريل عليه السلام يسأله ليقتدوا به، كما في حديث جبريل عليه السلام المشهور، قال النووي: (وفيه أنه ينبغي لمن حضر مجلس العلم إذا علم بأهل المجلس حاجة إلى مسألة لا يسألون عنها، أن يسأل هو عنها، ليحصل الجواب الصحيح)[2].

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٥٠٩ - ٥١٠.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٣.

ثالثًا- من مهام الداعية: تبيين الأمور وإيضاح الحقائق:

أعطانا النبي ﷺ في هذا الحديث مثالاً يحتذى به خاصة من قِبل الدعاة، حيث أجاب رسول الله ﷺ عائشة مبينًا لها ما سألت عنه إلى من تهدي من الجيران، قال: (إلى أقربهما منك بابًا)، لذا ينبغي على الداعي في دعوته أن يجعل الرسول العظيم ﷺ قدوته فيقتفي أثره، وينسج على منواله[١].

فالتبيين يعين المبلِّغ والداعية على أداء رسالته، وهو مثل التبليغ من وظيفة الرسل الكرام عليهم السلام وأتباعهم من الدعاة والعلماء[٢]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[٣]، ذكر القرطبي في تفسير الآية قول ابن عباس رضي الله عنهما في الآية: (قال المعنى: بلِّغ جميع ما أنزل إليك من ربك، فإن كتمت شيئًا منه فما بلغت رسالته، وهذا تأديب للنبي ﷺ وتأديب لحملة العلم من أمته، ألا يكتموا شيئًا من أمر شريعته، وقد علم الله تعالى من أمر نبيه أنه لا يكتم شيئًا من وحيه)[٤].

رابعًا- من فقه الداعية: مراعاة الأولويات:

إن مراعاة الأولويات أمر ظاهر في الحديث في إجابة الرسول ﷺ التي تقتضي تقديم الأقرب من الجيران على غيره، وفعل ما هو أولى، فقال ﷺ: (إلى أقربهما منك بابًا)، إجابة لسؤال عائشة رضي الله عنها: (إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟)، قال ابن حجر: (ويؤخذ من الحديث: أن الأخذ في العمل بما هو أعلى أولى، وفيه تقديم العلم على العمل، والحكمة في ذلك أن الأقرب يرى ما يدخل بيت جاره من هدية وغيرها، فيتشوف لها بخلاف الأبعد، وإن الأقرب أسرع إجابة لما يقع لجاره من الـمُلمَّات، ولا

---

(١) انظر: تذكرة الدعاة، د. البهي الخولي ص ٢٠٠.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن حميد، عبدالرحمن بن ملوح ٩٠٠/٣.

(٣) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٤٦/٥/٣.

سيما في أوقات الغفلة)[١].

لذا كان من الواجب على الداعي أن يستصحب في دعوته فقه الأولويات وترتيبها، فيعرف ماذا يقدم وماذا يؤخر، وما القضايا التي يعطيها أهمية وأولوية قبل غيرها، وما الأفكار الضرورية التي يطرحها ويبدأ بها؟ فيبدأ بالأهم ثم المهم، أن يبدأ بالعقيدة في الدعوة قبل العبادة، وبالعبادة قبل مناهج الحياة، وبالكليات قبل الجزئيات، فالداعية لا بد أن يكون حكيمًا، يعلم كيف يبدأ؟ ومن أين يبدأ؟ وماذا يقدم؟ وماذا يؤخر؟[٢].

وقد أنكر الله عز وجل على من يسوي بين الأعمال ويظنها على درجة سواء، ويدع الأفضل ويتمسك بالفاضل، قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾[٣].

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٦١/١٠.

(٢) انظر: كيف يدعو الداعية، عبد الله ناصح علوان ص ٤٦ - ٥٣.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٩.

الحديث رقم (٣١١)

٣١١- وعن عبدِ الله بن عَمْرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ الله تَعَالَى خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيرُ الجِيرَانِ عِنْدَ الله تَعَالَى خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ)) رواه الترمذيُّ[1]، وَقالَ: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

يدور معنى الحديث حول الترغيب في الخيرية المطلقة في كل الأمور، وهو منهج يربي الإسلام أبنائه عليه لتكون لهم الريادة في كل المجالات - لو ساروا عليه كما حدث مع الصحابة، والتابعين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وهذا الحديث من هذه النوعية التي تحث المؤمنين على التنافس في الخيرات، وقد بدأ الحديث بأسلوب التشويق عن طريق لفظ يداعب النفس بمحبوب ينتظر، وهو لفظ (خير) المضاف إلى الأصحاب إضافة بيانية، وقد صعّد من درجة التشويق بالظرف المضاف لله في قوله: (عند الله) وقوله (خيرهم لصاحبه) يجعل تحقيق الخيرية عند الله مرهوناً بأن يكون خيرهم في الدنيا بخدمتهم، ومساعدتهم، وإكرامهم، وغير ذلك من أعمال البر، مما يبعث المؤمنين على التسابق إلى هذه الخصال، وكذلك الحال مع الجيران، وإن كان الأمر مع الجيران يحتاج إلى مزيد صبر على تحمل أذاهم، ومزيد إيثار في معاملتهم لطول المقام، وكثرة التعاملات، وهو ما يجنب المجتمع الشقاق، والخلاف، ويوفر على المؤمنين أوقاتهم، وراحة صدورهم، ويفرغهم لما خلقوا من أجله.

---

(١) برقم (١٩٤٤). وصحّحه ابن خزيمة (٢٥٣٩)، وابن حبان (الإحسان ٥١٨)، وقال الحاكم (١/١٦٤): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٣٧٧٩).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والترغيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإحسان إلى الأصحاب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإحسان إلى الجيران.

رابعًا: من مهام الداعية: إرشاد الناس إلى الخير.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار، والترغيب:

١- **الإخبار**: أسلوب من أساليب الدعوة التي تعرِّف المدعوين بما هو مطلوب منهم، أو تخبرهم بفضل بعض الأعمال عند الله تعالى، وينبغي للداعية أن يتحرى الصدق في أخباره التي يسوقها للناس، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[1] وأخبار الأنبياء جميعها صدق وحق، لأنه يستحيل عليهم الكذب، وفي هذا الحديث أخبر النبي ﷺ بأن خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره.

٢- **الترغيب**: يرغب الرسول ﷺ في هذا الحديث في حسن معاملة الأصحاب والجيران، ويبين أن أفضلهم في الدنيا أفضلهم في الآخرة، والترغيب يحث النفس على الإقدام على فعل الخير انتظارًا للثواب والأجر، فيجب على الدعاة استخدام هذا الأسلوب لتحبيب الناس في عمل الصالحات. ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۝ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[3].

---

(١) سورة التوبة، آية: ١١٩.

(٢) سورة الدخان، الآيات: ٥١-٥٤.

(٣) سورة التين، آية: ٦.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإحسان إلى الأصحاب:

إن المسلم يَأْلف ويُؤْلف، ويحب إخوانه وأصحابه ويتودد إليهم، ويتحمل أذاهم، وأرشد النبي ﷺ إلى حسن معاملة الصاحب، كما جاء في الحديث: "خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه" هذا وقد دلت نصوص القرآن الكريم على حسن معاملة الصاحب لصاحبه، فهي ذكَّرتهم بإخوة الإسلام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[(١)] وأوصى القرآن بالإحسان إلى الصاحب، فقال جلّ شأنه: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾[(٢)] وبين القرآن أن من شروط الصحبة الطيبة أن تكون لله، ومن أجل الله، قال الله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾[(٣)].

قال ابن كثير: (فكل صداقة وصحابة لغير الله فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة إلا ما كان لله عز وجل، فإنه دائم بدوامه)[(٤)] وأشار القرآن إلى نموذج للصحبة الطيبة فقال: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾[(٥)] وهي إشارة إلى صحبة أبي بكر الصديق للنبي ﷺ، قال السعدي: (إذ يقول النبي ﷺ لصاحبه أبي بكر لما حزن واشتد قلقه، لا تحزن إن الله معنا بعونه ونصره وتأييده، وفي هذه الآية الكريمة اختصاص أبي بكر رضي الله عنه بهذه الصحبة الجميلة، والمنقبة الجليلة، وأجمع المسلمون على أنه هو المراد بهذه الآية الكريمة)[(٦)].

ولقد دلت نصوص السنة النبوية على فضل الحب في الله، والصحبة الطيبة، فجعلها

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٢) سورة النساء، آية: ٣٦.

(٣) سورة الزخرف، آية: ٦٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٣٧/٧.

(٥) سورة التوبة، آية ٤٠.

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٢٩٨.

رسول الله إحدى ثلاث يجد بها المرء حلاوة الإيمان، فعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمانِ: مَنْ كانَ اللّهُ ورسولُهُ أَحَبَّ إِليهِ مِمّا سِواهُما، ومَنْ أَحَبَّ عَبدًا لا يُحِبُّهُ إِلاّ للّهِ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعودَ في الكُفْرِ بعدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللّهُ كما يَكْرَهُ أَنْ يُلْقى في النّارِ))[1] وأخبر أن المتحابين في الله في ظل الله فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ اللّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلاَلِي. الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي. يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّي))[2]. والنصوص في هذا كثيرة.

قال الشيخ السيد سابق: (إن الإخاء والصحبة في الإسلام يقتضي تبعات وحقوقًا، وليس هو إخاء عقيمًا لا ثمرة له في الخارج، ولا أثر له في الواقع، فهو يقتضي أن يهتم كل أخ بأمر أخيه، وأن يعني بشأنه، والدفاع عنه، والذياد عن حياضه، والعمل الدائب على ترقية حاضره، وإعداده لمستقبل أعز وأكرم، ومن مظاهر هذا الاهتمام ألا يدع المسلم أخاه للأحداث تتحكم فيه وتنال منه. بل عليه أن يبذل له من ذات يده، وأن يدفع عنه كل أذى يصيبه، أو شر يقع عليه، ومن حق المسلم على المسلم أن يحفظ عرضه ويصون حرمته في حضوره أو غيبته مااستطاع إلى ذلك سبيلاً)[3]. وواجب الدعاة إلى الله إحياء معاني الأخوة والصحبة في نفوس المدعوين، وحثهم على الترابط والإخاء والحب.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإحسان إلى الجيران:

إن الإسلام ينظم العلاقات الاجتماعية بين الناس، ولما كان لا يخلو أحد من جار له في بيته أو عمله أو محله، أرشد النبي ﷺ إلى أن علاقة الجار بجاره ينبغي أن تقوم على الخيرية، ويتضح هذا من قول النبي ﷺ في الحديث "وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره" ولقد أوصى الله بالإحسان إلى الجار فقال سبحانه: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ﴾[4].

---

(١) أخرجه البخاري ١٦، ومسلم ٤٣.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٦٦.

(٣) دعوة الإسلام ١١٧-١١٨.

(٤) سورة النساء، آية: ٣٦.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: (أما الجار فقد أمر الله تعالى بحفظه، والقيام بحقه والوصاة برعي ذمته في كتابه وعلى لسان نبيه، ألا تراه سبحانه أكد ذكره بعد الوالدين والأقربين فقال: ﴿وَٱلۡجَارِ ذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ أي: القريب ﴿وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ﴾ أي: الغريب، وعلى هذا فالوصاة بالجار مأمور بها مندوب إليها، والإحسان إليه قد يكون بمعنى المواساة، وقد يكون بمعنى حسن العشرة وكف الأذى والمحاماة دونه)[1].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ قال: ((ما زال جبريلُ يُوصيني بالجار حتى ظننتُ أنهُ سيُوَرِّثه))[2].

وأمر رسول الله ﷺ بعدم إيذاء الجار فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: ((من كان يُؤمن بالله واليوم الآخرِ فلا يُؤذِ جارَه))[3]. وربط رسول الله ﷺ بين الإحسان إلى الجار والإيمان فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ يَأْخُذُ عَنِّي هذِهِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلَ بِهِنَّ أَوْ يُعَلِّمَ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ»؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّ خَمْسًا فَقَالَ: «اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلاَ تُكْثِرِ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ))[4].

قال الغزالي: (واعلم أنه ليس حق الجوار كف الأذى فقط، بل احتمال الأذى، فإن الجار أيضًا قد كف أذاه، فليس في ذلك قضاء حق، ولا يكفي احتمال الأذى، بل لابد من الرفق وإسداء الخير والمعروف، ومن مجمل حق الجار أن يبدأه بالسلام، ولا يطيل معه الكلام، ولا يكثر عن حاله السؤال، ويعوده في المرض، ويعزيه في المصيبة، ويقوم معه في العزاء ويهنئه في الفرح، ويظهر الشركة معه في السرور، ويصفح عن زلاته، ولا يتطلع من السطح على عوراته، ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره، ويستر ما

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٥/١٨٣، ١٨٤.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠١٤، ومسلم ٢٦٢٤.

(٣) أخرجه البخاري ٥١٨٥، ومسلم ٤٧.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٣٠٥، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٧٦).

ينكشف له من عوراته، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته، ولا يسمع عليه كلامًا، ويغض بصره عن حرمته، ويتلطف بولده في كلمته، ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه)[1].

وهذا الموضوع يعتبر من الموضوعات الدعوية المهمة التي يجب أن يطرحها الدعاة إلى الله، ويقوموا بمعالجتها معالجة مناسبة، تعمل على تحسين العلاقة بين الجيران، وإشعار الناس بأهمية حسن العلاقة بينهم.

رابعًا- من مهام الداعية: إرشاد الناس إلى الخير:

يستنبط هذا من عموم الحديث، حيث أرشد النبي ﷺ إلى الإحسان إلى الصاحب والجار، وأرشد إلى أن من يفعل ذلك يكون خير الأصحاب وخير الجيران عند الله، وفي ذلك إرشاد إلى الخير، وإن مهمة الدعاة الأولى التي يجب ألا يفارقوها، إرشاد الناس إلى الخير، ودلالتهم عليه، وهي وظيفة الأنبياء والمرسلين، فمما جاء على لسان هود عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ﴾[2].

ومما جاء على لسان شعيب عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾[3] وهناك الكثير من الآيات التي تبين دعوة الأنبياء لأقوامهم إلى الخير والهدى والرشاد.

وأخبر الرسول ﷺ أن من يدل على الخير فله من الأجر مثله، فعن ابن مسعود الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ دَلَّ على خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[4] وفي هذا تحفيز للداعية أن يقوم بمهمته المنوطة به، وهي الإرشاد إلى الخير.

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ٢/١٠٣٠.

(٢) سورة هود، آية: ٥٢.

(٣) سورة هود، آية: ٨٥.

(٤) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

تكوين المجتمع القوي المتماسك من أهداف التربية الإسلامية، وقد رسم الإسلام السبيل لذلك على أساس من:

١/ الكلمة الطيبة.

٢/ الفعل الحسن.

٣/ ترك الإيذاء "قولاً أو فعلاً".

٤/ تبادل المشاعر الطيبة لتقوية العلاقات.

٥/ مراعاة مراتب الجوار في حال المعروف.

يتجلى ذلك من خلال المضامين التربوية التالية:

أولاً- التربية بالوصية:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالوصية لما لها من وقع في النفس وتأثير على التعاملات الاجتماعية لأن أثر التربية بالوصية مؤثر في السلوك، ومن الشواهد على ذلك في أحاديث باب حق الجار والوصية به، قوله ﷺ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ». وقوله في حديث أبي ذر: «يَا أَبَا ذَرَ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ». وقوله: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّه وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ ...»، فهذا توجيه نبوي أراد النبي ﷺ به أن يبين منزلة الجار في المجتمع الإسلامي، من خلال التأكيد على الوصية به، وفي طريقة التواص التي اتبعها ﷺ، تربية كل مسلم بحسن التعامل مع الجار، وإكرامه والبعد عن إيذائه، وهذا مما تميزت به التربية الإسلامية لتنمية القيم والأخلاق والتلاحم والتماسك في المجتمع الإسلامي، والوصية أشبه بالعهد الذي يأخذ على الأفراد والجماعات، وهي تركز على أمور جوهرية لها علاقة بطبيعة الموصي وتمتاز بكونها مختصرة ومتعددة الجوانب وتميل إلى الطابع الخاص أكثر من العام.

ولما كانت هذه الوسيلة من أهم الوسائل التربوية التي اهتمت بها السنة النبوية كان

لزامًا علينا أن نأخذ بها[١].

ثانيًا- التربية بالتوجيه المباشر:

التربية بالتوجيه المباشر من أساليب التربية الإسلامية الهادفة، ومن الشواهد على ذلك قوله ﷺ: «يَا أَبَا ذَرَ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا ، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ». وقوله: «يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا. وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ»، وقول عائشة رضي الله عنها: «إن لي جارتين، فإلى أيهما أهدي؟ قال: إلى أقربهما منك بابا».

«لا يمنع جار جاره أن يغرس خشبة في جداره...»، وقوله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره...».

فهذه نماذج تربوية أراد النبي ﷺ أن يوجه المسلمين من خلالها إلى كيفية التعامل مع الجيران وأصول التعامل التي يجب أن تكون، وذلك من خلال الأمر والنهي الذي جاء التوجيه المباشر من خلاله لإحسان معاملة الجار، وهذا مما يفيد في العملية التعليمية عند قيام المربي بممارسة العمل أمام المتعلم ثم يتابعه المتعلم، وقد يتخلل ذلك أحيانًا مناظرة من المعلم، يرافقها تصحيح لأخطائه، والرسول ﷺ أراد من هذا الخطاب المباشر عن الجار عندما سأل عنه الصحابة أراد أن يثير انتباه المخاطب ويشعره بنشوة اهتمام الآخرين به عن طريق البيان والإرشاد لأنه ﷺ قام بإرشاد السائل إلى الاعتناء بالجار. ولأهمية الجار في الإسلام وصى به النبي ﷺ الصحابة[٢].

وقام ﷺ بتوجيه أصحابه رضي الله عنهم إلى مراعاة حقوق الجار والحرص على الإحسان إليه، بل وسط ذلك بالإيمان.

ثالثًا- التربية بالترغيب:

من أسالب التربية الإسلامية التربية بالترغيب لما فيه من الرغبة والحرص على عمل

---

(١) انظر: منهج التابعين في تربية النفوس، عبدالحميد البلالي ص ٨٣، أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني ص ٢٧٤، موسوعة نضرة النعيم ١/١٤٠.

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، العاني ص ٢٨٣. المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد ص ٩٧، أساسيات التوجيه والإرشاد في التربية الإسلامية، د. مقداد يالجن ص ٤١.

الصالح، ولقد انتهجت السنة النبوية هذا الأسلوب في قوله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، ومَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ...»، وقوله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسن إلى جَارِهِ...»، وقوله: «خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيرُ الجِيرَانِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ»، فهذه أساليب تربوية ترغب في الأجر العظيم من خلال المعاملة الحسنة للجار. لأنه بالتربية على إقامة هذا الحق يستقيم المجتمع، وإذا استقام المجتمع استقامت الأمة، وبالتالي نكون قد أقمنا مجتمعاً سوى يؤدي هذا الحق ويحترم هذه التربية النبوية، وهذا دليل على أن التربية الإسلامية اهتمت اهتمامًا كبيرًا بعلاقة المسلم بجيرانه وحضّه على تعزيز تلك العلاقة بشكل مباشر وغير مباشر من خلال تلك السلوكيات الطيبة التي تنم عن قناعة المسلم بأهمية وفضل التعامل الطيب مع الجيران، الذي يعد مؤشرًا واضحًا على ارتباط السلوك بالإيمان مما يكفل استقامة النشء على طريق الإيمان، وهذا ليس بالغريب أن تكون التربية الترغيبية هي الأساس والعنصر الذي يقوم عليه الإصلاح الإسلامي في المجتمع، ولذلك برز من هذا الهدي النبوي أهمية التربية الترغيبية في كونها أسلوبٌ رائعاً يساعد على نشر مكارم الأخلاق وبثها بين أفراد المجتمع مما يجعلها تسهم بدور فعّال في بلوغ أهداف التربية الإسلامية، وأخيرًا هذه التربية الترغيبية من شأنها تحقيق التوازن بين الحياتين الدنيا والآخرة، وهذا ما ظهر من النموذج التربوي الذي نحن بصدده[1].

رابعًا- من أهداف التربية الإسلامية: تقوية الصلات الاجتماعية:

إن من أبرز أهداف التربية الإسلامية تقوية الصلات الاجتماعية، حيث ركزت التربية الإسلامية على حسن العلاقة مع الجيران، وإحسان التعامل معهم، وكف الأذى عنهم، ومن الشواهد على ذلك في أحاديث الباب: قوله ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار ...»، وقوله «يَا أَبَا ذَرَ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا ، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ»، وقوله: «خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيرُ الجِيرَانِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ».

---

(١) انظر: تربية الأبناء والبنات في ضوء الكتاب والسنة، خالد العك ص ١٨٦. التربية الإسلامية، محمد أحمد جاد ص ١٥٣.

فهذه توجيهات تربوية تحث على التواصل بين الجيران وتزيد حقوق الجار كلما قرب الدار حتى كاد الإسلام أن يرتب حقوقًا في التوارث على أساس الجيران كما في حديث "جبريل" وإن ما يحدث بين المسلمين من قطيعة الجيران، وضعف التواصل بين أهل الإيمان حتى غلب عليهم الهجران، يعد من مظاهر الخلل في تطبيق التربية الإسلامية في مجال التعامل والعلاقة بين الجيران، حتى أن بعض الجيران لا يعرفون أسماء بعضهم، ولا يتزاورون فيما بينهم، وما حدث هذا من خلال تقليد المسلمين لطراز الحياة الغربية التي لا تعرف المعاني التي غرسها الإسلام للتواصل بين الناس كحق الجار، ولأهمية التربية على أداء هذا الحق، بل إن حسن علاقة المسلم أو المسلمة بجيرانه وإخوانه في المجتمع هو الذي يعُول عليه عند الله، لأن المعاملة مع الناس ثمرة لما يدين به الإنسان ويستقر في قلبه من إيمان، ومن ثم لما ذكرت «امرأة عند رسول الله ﷺ من كثرة صلاتها وصدقتها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها قال هي في النار»، وعلى النقيض «امرأة أخرى قليلة العبادة إلا أنها لا تؤذي جيرانها بلسانها، قال هي في الجنة»[1]. من أجل أهمية هذا الحق جاءت تعاليم الإسلام مؤكدة للتواصل بين الناس وتوثيق الروابط وإبعاد عوامل الشقاق والتقاطع والتدابر وهو ما يحتاجه المجتمع البشري في كل زمان ومكان، وتقوي الحاجة إليه بعد طغيان المادية والنفعية وقيم الحضارة الغربية[2].

خامسًا- من أهداف التربية الإسلامية: بيان الصلة بين الإيمان والسلوك:

من أهداف التربية الإسلامية بيان الصلة بين الإيمان والسلوك لما بينهما من ترابط وثيق، ومن الشواهد على ذلك في أحاديث الباب قوله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ. وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ. وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرا أَوْ لِيَسْكُتْ».

فهذا توجيه نبوي تربوي أراد النبي ﷺ من خلاله "تعميق الربط بين الإيمان

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢/٤٤٠.

(٢) انظر: التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم العمري ص ٤٦٢.

والسلوك عند الصحابة رضي الله عنهم. وهذا من خلال عرض نبوي في الحديث، بين فيه ما ينبغي الالتزام به من قيم وأخلاق مع الجيران، كما أراد النبي ﷺ من ذلك تعليم الصحابة أن الإيمان الصادق ليس مجرد إدراك ذهني أو تصديق قلبي غير متبوع بأثر سلوكي عملي في الحياة. كلا إنه اعتقاد وعمل وسلوك"[(١)].

إن النبي ﷺ أراد أن يؤكد الصلة بين الإيمان والسلوك، وأن كلا منهما لا ينفك عن الآخر، لأن السلوك الحسن ثمرة طبيعية للإيمان الصحيح، ومن ثم فإن الإسلام لا يقيد بالشعارات ولا بالمظاهر ولا الهيئات حتى وإن كان ظاهر الإسلام، لأن الذي يعتمده الإسلام هو التطابق بين القول والعمل، وتلك المعاملة الحسنة التي تبرهن على عمق الإيمان.

ومن ثم جاء التأكيد من النبي ﷺ على أهمية هذا الأمر الذي يُعد من الأهداف الأساسية للتربية الإسلامية التي تعمل على الربط بين الإيمان والسلوك، لأنه لو ترك الإنسان ليستسلم لنزعات حرصه وطمعه لأصبح خطرًا على نفسه وجماعته، فكان لابد من توجيه طموحه إلى قيم أرفع مقرونة بالإيمان.

سادسًا- من الأساليب التربوية: الوعظ والمناقشة:

ورد في أحاديث الباب أكثر من أسلوب تربوي يمكن استخدامه في مواقف التعليم والتعلم، ومنها:

أ-الوعظ: كحديث: "لا يمنع جارٌ جاره أن يغرز خشبة في جداره"، والوعظ يستخدم في الأمور التي تعالج علاقة الإنسان بالآخرين مع ترغيبه وتذكيره بواجباته وحقوقه.

ب-المناقشة: كقول عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟ قال: إلى أقربهما منك بابًا" والمناقشة من الأساليب التي يتميز فيها المتعلم بالإيجابية داخل حجرة الدراسة.



(١) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ١٩١، ٢٥٣.

٤٠- باب بر الوالدين وصلة الأرحام

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[النساء: ٣٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾[النساء: ١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾[الرعد: ٢١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾[العنكبوت: ٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[الإسراء: ٢٣-٢٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا الأِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾[لقمان: ١٤].

الحديث رقم (٣١٢)

٣١٢- وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود ﷺ، قَالَ: سألت النبي ﷺ: أيُّ العَمَلِ أحَبُّ إِلَى اللهِ تَعَالَى؟ قَالَ: ((**الصَّلاةُ عَلَى وَقْتِهَا**))، قُلْتُ: ثُمَّ أي؟ قَالَ: ((**بِرُّ الوَالِدَيْنِ**))، قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: ((**الجِهَادُ في سبيلِ الله**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٧، ٥٩٧٠)، ومسلم (٨٥/١٣٩) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٤٧). وسيكرره المؤلف برقم (١٠٧٦)، و (١٢٨٨).

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول أفضل الأعمال، وأحبها إلى الله، وهو ما كان يسعى إليه الصحابة رضي الله عنهم، وقد قام المعنى في الحديث على أسلوب الحوار الذي أداره عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بقوله: (أي العمل أحب إلى الله) وهو استفهام على حقيقته، وتقييده بالجار، والمجرور؛ لأنه الغاية المقصودة من اختيار العمل.

والسؤال عن أفضل الأعمال مما اختلفت فيه أجوبة الرسول صلى الله عليه وسلم لاخْتِلافِ أَحْوَالِ السَّائِلِينَ بِأَنْ أَعْلَمَ كُلَّ قَوْمٍ بِمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، أَوْ بِمَا لَهُمْ فِيهِ رَغْبَة، أَوْ بِمَا هُوَ لائِقٌ بِهِمْ، أَوْ كَانَ الاخْتِلاف بِاخْتِلافِ الأَوْقَاتِ بِأَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَفْضَلَ مِنْهُ فِي غَيْرِهِ، فَقَدْ كَانَ الْجِهَاد فِي اِبْتِدَاءِ الإِسْلامِ أَفْضَل الأَعْمَالِ؛ لأَنَّهُ الْوَسِيلَةُ إِلَى الْقِيَامِ بِهَا وَالتَّمَكُّنِ مِنْ أَدَائِهَا، وَقَدْ تَضَافَرَتْ النُّصُوص عَلَى أَنَّ الصَّلاةَ أَفْضَل مِنْ الصَّدَقَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَفِي وَقْتِ مُوَاسَاةِ الْمُضْطَرِّ تَكُونُ الصَّدَقَةُ أَفْضَلَ، أَوْ أَنَّ "أَفْضَلَ" لَيْسَتْ عَلَى بَابِهَا بَلْ الْمُرَاد بِهَا الْفَضْل الْمُطْلَق، أَوْ الْمُرَاد مِنْ أَفْضَلِ الأَعْمَالِ فَحُذِفَتْ (مِنْ) وَهِيَ مُرَادَة.

وقوله (الصلاة على وقتها) لأن الله ربطها بزمان محدد، وفي المسارعة إظهار لمعانٍ متعددة، كالطاعة، والشوق للقائه، ومحبته، وقوله: (ثم أي) فيه حذف يستلزمه الشوق إلى المزيد وتقديره: ثم أي الأعمال أحب ؟، فجاء في المرتبة الثانية بر الوالدين لعظيم فضلهما، فقد قدم الصلاة؛ لأنها حق الله، ثم بر الوالدين، ثم الجهاد؛ لأن الحاجة إليه ليست في كل وقت، كالصلاة، وبر الوالدين.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى أكثر من حكم فقهي:

الأول: أوقات أداء الصلاة، وقد سبق الكلام عنها في الحديث رقم ٢٠٨.

الثاني: حكم الجهاد في سبيل الله، وقد سبق الكلام عنه في الحديث رقم٣.

الثالث: حكم بر الوالدين، وقد اتفق الفقهاء[١] على أن بر الوالدين واجب ما دام أنهما يأمران بالمعروف، فإن كان أمرهما بمعصية فلا طاعة لهما، وأن من أكبر الكبائر عقوق الوالدين.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من واجبات المدعو: السؤال عما يخفى عليه.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على الاستزادة من الخير.

رابعًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى أبواب الخير.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل المحافظة على الصلاة.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: فضل بر الوالدين.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

إن الداعية الناجح تقوم علاقته مع المدعوين على الحوار، ومن صور الحوار: السؤال والجواب، وقد اشتمل هذا الحديث على السؤال والجواب من عبدالله بن مسعود رضي الله عنه الذي سأل النبي ﷺ: "أي الأعمال أحب إلى الله" ثم تكرر السؤال أكثر من مرة وتكرر معه الجواب، ولا يخفى أن السؤال والجواب من الأساليب الدعوية المهمة التي يستعين بها الداعية على تبليغ دعوته، ويخلق نوعًا من الحوار بين الداعية والمدعو، ويجد

---

(١) أحكام القرآن، الجصاص ٢٧٤/٢ وما بعدها، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٩٨/٧، وشرح السير الكبير ١٩٢/١، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٩٠/٢، وأحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٥٤٤/١ وما بعدها، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٤٨٦/٢، ومغني المحتاج ٥٧٤/٣، وإحكام الأحكام ١٦٣/١ وما بعدها، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١٨٤/١، والفروع، ابن مفلح ١٩٩/٦، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٧٠/٩.

المدعو ضالته في الإجابة على سؤاله مباشرة، مما يؤدي إلى تفعيل العملية الدعوية.

ثانيًا- من واجبات المدعو: السؤال عما يخفى عليه:

المسلم مطالب بأن يسأل عما يجهل، لأنه لا يُعذر بجهله طالما أن باستطاعته أن يتعرف على ما خفي عليه من أمور، ولذا كان أصحاب رسول الله ﷺ يحرصون على ذلك، ومن الشواهد على هذا، سؤال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في الحديث عن "أحب الأعمال إلى الله" ولذا فمن واجبات المدعو أن يسأل عما يجهل، ولقد أنكر النبي ﷺ على قوم قالوا من غير أن يسألوا ويعلموا فقال: ((ألاَ سَأَلُوا إذْ لَمْ يَعْلَمُوا فإنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))[1]. (والعي هو التحير في الكلام وعدم الضبط، والمعنى أن الجهل داء وشفاءها السؤال والتعلم)[2] والمسلم الحريص هو الذي يسأل في أمور دينه، حتى يكون على بينة من أمره، عالمًا بما هو مطلوب منه شرعًا.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على الاستزادة من الخير:

إن المسلم تواق للمعرفة، حريص على الاستزادة من الخير، فهو لا يشبع منهما أبدًا، ويظهر هذا من قول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في الحديث: "قلت ثم أي" وهذا يدل على أن الصحابة رضي الله عنهم يسارعون في الخيرات ويحبون الاستزادة منها، وقد وقع في رواية البخاري أيضًا للحديث ما يدل على هذا، وهو قوله "ولو استزدته لزادني".

قال ابن حجر: (يحتمل أن يريد الاستزادة من هذا النوع، وهو مراتب أفضل الأعمال، ويحتمل أن يريد من مطلب المسائل المحتاج إليها، ولكنه لم يستزد، لأنه استشعر منه مشقة، وقد جاء ما يؤيد هذا في رواية لمسلم "فما تركت أن أستزيده إلا إرعاء عليه" أي شفقة عليه لئلا يسأم)[3]، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على معرفة أبواب الخير والاستزادة منها، وقد جعل الله من صفات المؤمنين أنهم ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾[4].

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٢) عون المعبود، محمد أشرف العظيم آبادي ص ١٨٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٢/١٤.

(٤) سورة المؤمنون، آية: ٦١.

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي الحديث حسن المراجعة في السؤال، ورفق المتعلم بالمعلم، ومراعاة مصالحه، والشفقة عليه لقوله "فما تركت أستزيده إلا إرعاء عليه" يعني إبقاءً عليه ورفقا به)[١] ومما يدل على حرص الصحابة على الاستزادة من الخير ما جاء عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ((كُنْتُ مَعَ النبيِّ في سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُني الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عنِ النَّارِ، قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ الله عَلَيْهِ: تَعْبُدُ الله وَلاَ تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِىءُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِىءُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلاَةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوفِ اللَّيْلِ، قَالَ: ثُمَّ تَلاَ: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ حَتَّى بَلَغَ: ﴿يَعْمَلُونَ﴾[٢] ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله قَالَ: رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ، وَعَمودُهُ الصَّلاَةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ. ثمَّ قَالَ: أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمِلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، قَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا. فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أمّك يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ))[٣]. ففي هذا الحديث يظهر حرص معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الاستزادة من الخير، والسؤال عما يوصل إلى الجنة.

رابعًا- من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى أبواب الخير:

إن المسلم الحق يحب الخير لإخوانه، والداعية الحق حريص على نشر الخير بين الناس ليعملوا به، ويستزيدوا منه، ومن أجل هذا لم يكن يبخل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن إرشاد مسترشد، أو تعليم سائل، وفي الحديث كلما سئل عن أحب الأعمال إلى الله يبين مراتبها وأفضلها، وقد خاطب الله رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾[٤].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٧.

(٢) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٦١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١١٠).

(٤) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥- ٤٦.

فعلى الداعية الاقتداء بالنبي ﷺ في الحرص على إرشاد المدعوين، وتعريفهم بأبواب الخير، قال ابن حجر رحمه الله: (وفي الحديث بيان ما كان عليه ﷺ من إرشاد المسترشدين ولو شق عليه)[1].

ومما يدل على مدى حرصه ﷺ على نشر الخير وتعريف أمته به، ما جاء في الحديث عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ. فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ. وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ. فَالنَّجَاءَ. فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ. فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِمْ. وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ. فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ. فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ. وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ))[2].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضل المحافظة على الصلاة:

إن عمود الإسلام الصلاة، وهى أساس العلاقة بين العبد وربه، ولذا جعل رسول الله ﷺ الصلاة على وقتها من أحب الأعمال إلى الله، وقد جاء الأمر بالمحافظة على الصلاة في القرآن، قال الله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[3].

وأمر بإقامتها على الوجه الصحيح، فقال سبحانه: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[4].

وبين أن من صفات المؤمنين المحافظة على الصلاة، فقال جلّ شأنه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[5].

وذكر أن من الذين يحفظهم الله من الجزع والهلع الذين يحافظون على الصلاة،

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٤/٢.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٨٢، ومسلم ٢٢٨٣ واللفظ له.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٣٨.

(٤) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٥) سورة المؤمنون، آية: ٩.

فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴾(١)

وحذر الله من إضاعتها وعدم أدائها، فقال سبحانه: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾(٢).

وتوعد من يتكاسل عن أدائها، فقال جلّ شأنه: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾(٣).

وجاءت الكثير من الأحاديث تبين فضل الصلاة فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر))(٤)، قال أبو الحسن الندوي: (وفي الصلاة سر لسلامة الإيمان، وسلامة الدين، والاتصال بالله تعالى، والبقاء في حظيرة الإسلام، والانخراط في سلك المؤمنين، لا يعلمه إلا الله تعالى، ومن ترك الصلاة واستغنى عنها -اعتمادًا على وصوله إلى الغايات، والنتائج التي يعتقد أن الصلاة شرعت لها، وكانت قنطرة إليها، أو اعتمادًا على مأثرة من مآثره في خدمة الإسلام والمسلمين، وكثرة عبادته في الماضي، أو طول جهاده وحسن بلائه، أو شدة اشتغاله بعمل مثمر، يعود على الإسلام والمسلمين بالفائدة، والخير الكثير- فقد عرَّض نفسه للهلاك، وأعماله للحبط، وإيمانه للضياع، وكان كالشاة المفارقة للقطيع والراعي، التي يختطفها الذئب ويفترسها. والصلاة استجابة لغريزة البشر النوعية، غريزة الافتقار والضعف والطلب، وغريزة الالتجاء والاعتصام، والدعاء والمناجاة، وغريزة الخضوع والتواضع، والعبودية والتذلل، وبالجملة فالصلاة

---

(١) سورة المعارج، الآيات: ١٩ - ٢٣.

(٢) سورة مريم، آية: ٥٩.

(٣) سورة الماعون، أيتان: ٤- ٥.

(٤) أخرجه مسلم ٢٣٣.

هي معقل المسلم ومفزعه)[١]، والمحافظة على الصلاة من الموضوعات المهمة التي يجب الحث عليها وترغيب الناس في فضلها.

سادسًا- من موضوعات الدعوة: فضل بر الوالدين:

إن بر الوالدين من أحب الأعمال إلى الله، لما للوالدين من حق وفضل على أبنائهما وإلى هذا أرشد الحديث، فمما جاء فيه: (قلت ثم أي: قال: بر الوالدين" وقد جاءت الوصاية ببرهما بعد الأمر بعبادة الله، قال الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[٢] ووصى الله ببرهما فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[٣] وقال سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾[٤] وقال سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾[٥] وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾[٦].

قال صاحب التفسير الواضح: (لقد قضى ربك بأن تحسنوا إلى الوالدين إحسانًا كاملاً في المعاملة، إحسانًا ليس بعده إحسان إذ يجتمع فيهما كل أسباب المودة والعطف، فمن قرابة قريبة إلى صلة وشيجة وجوار كريم، وعطف سابغ، وحنان أبوي سليم، فلا عجب أن ترى القرآن يجمع بين الأمر بعبادة الله والأمر بالإحسان إليهما، ويجمع بين الشكر لله وللوالدين)[٧].

وكثرت الأحاديث التي تحث على بر الوالدين، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: جاء رجل يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد قال له: ((أحيٌّ والِداكَ؟ قال: نعم. قال: ففيهما فجاهد))[٨] وحذر من عقوقهما، وجعل ذلك من الكبائر، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما

---

(١) الأركان الأربعة ٢٨-٢٩.

(٢) سورة النساء، آية: ٣٦.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٢٣.

(٤) سورة لقمان، آية: ١٤.

(٥) سورة العنكبوت، آية: ٨.

(٦) سورة الأحقاف، آية: ١٥.

(٧) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، مج٢/١٥/١٨.

(٨) أخرجه البخاري ٣٠٠٤، ومسلم ٢٥٤٩.

عن النبي ﷺ قال: ((الكبائر الإشراك بالله، وعقوق الوالدَين، وقتلُ النفسِ، واليمين الغموسُ))[١]. وبين الرسول الكريم ﷺ: أن برهما من أحب الأعمال إلى الله كما في الحديث الذي معنا.

قال د. خليل إبراهيم ملا خاطر: (ومما يدل على عظم حق الوالدين على الولد، أن برهما من أحب الأعمال إلى الله تعالى، كما أن العقوق من أكبر الكبائر، وبرهما أفضل من الجهاد في سبيل الله، فلا يجوز الجهاد ولا الهجرة إلا بعد استئذانهما، وبرهما ينوب عن الجهاد، ويجب الإحسان إليهما ولو كانا مشركين، والولد لا يؤدي حق أمه مهما فعل، ويلزمه وصالهما وإن هجراه، ورضاء الله سبحانه في رضائهما، وقد أوجب الشرع الإحسان إليهما، ليصل إلى البر والعدل، وما هو بواصل لسبقهما وفضلهما عليه، لذا جاءت الوصية بهما)[٢].

سابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله:

إن الجهاد ذروة سنام الإسلام، وهو من أحب الأعمال إلى الله، لما فيه من التضحية بالنفس والمال في سبيل الله، مما يدلل على صدق صاحبه في إيمانه بالله عز وجل، وقد أرشد الحديث إلى فضل الجهاد، ويظهر هذا لما سئل رسول الله ﷺ ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله "وما لا شك فيه أن الجهاد في سبيل الله له أجر كبير وفضل عظيم قال الله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾[٣] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[٤] وقال جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَ﴾[٥] وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ

---

(١) أخرجه البخاري ٦٦٧٥.

(٢) بر الوالدين ١٤.

(٣) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٤) سورة الصف، آية ١٠، ١١.

(٥) سورة التوبة، آية: ١١١.

وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾[١].

وحث رسول الله على الجهاد في سبيل الله فعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أَوْ غَرَبَتْ))[٢] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ في الجنةِ مائةَ درجةٍ أعدَّها الله للمجاهدينَ في سَبيلِ الله ما بينَ الدرجتين كما بينَ السماءِ والأرض))[٣]. والنصوص الشرعية في هذا الباب كثيرة، ويبقى على الدعاة إبراز هذا الموضوع واستحضار هذه المعاني والنصوص، لإعلاء قيمة الجهاد في سبيل الله.

"ولما كان الجهاد هو الحجة والبرهان على صدق الإيمان، كانت منازل الناس عند ربهم في الدنيا والآخرة حسب ما يقومون به من جهاد، وما يقدمونه من تضحيات، فمن حاز قصب السبق منه، وجب على المجتمع المسلم أن يرفعه ويكرمه، ومن فترت همته لم يجز تسويته بالمجاهدين. فالجهاد قيمة عليا من القيم التي يتعامل بها المجتمع المسلم، وإنما كان العلم والتقوى من تلك القيم، لأنها أنواع من الجهاد، لما في العلم من دوافع للجهاد، ومعرفة طريقه، والتثبيت عليه، ولما في التقوى من جهاد النفس، وإلزامها بطاعة الله وترك نواهيه سبحانه، وكذلك فإن العلم والتقوى ثمرة من ثمار الجهاد في سبيل الله تعالى، قال الله عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[٤]، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم الخلق وأكملهم عند الله، لأنه كمل مراتب الجهاد كلها، وجاهد في الله حق جهاده من حين بعث إلى أن توفاه الله، وجاهد بقلبه وجنانه، ودعوته وبيانه، وسيفه وسنانه، وكانت ساعاته وأيامه وعمره موقوفة جميعها على الجهاد[٥].

---

(١) سورة التوبة، آية: ٢٠.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٨٣.

(٣) أخرجه البخاري ٢٧٩٠.

(٤) سورة العنكبوت، آية: ٦٩.

(٥) الجهاد ميادينه وأساليبه، د. محمد نعيم ياسين ص ٢٤٤-٢٤٥.

الحديث رقم (٣١٣)

٣١٣- وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**لا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا إلاَّ أنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا، فَيَشْتَرِيهُ فَيُعْتِقَهُ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

لا يجزي: لا يكافئ[2].

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري قام على أسلوب القصر حيث قصر صفة جزاء الولد لوالده على حالة وجدانه له مملوكاً فيعتقه، ونفى أن يوفيه حقه أي فعل آخر، وتنكير ولد، ووالد للتعميم لتشمل كل أب، وأم، وكل مولود مهما بلغ في بره لوالديه، وقوله: (أن يجده) توحي الجملة بالبحث، والجد فيما فيه بر والديه، ثم إن قوله (مملوكاً) يدل على أن هذا الوالد لم يقم بدوره كاملاً كأب لهذا الولد الذي فتش عنه، وأعتقه لأن هذا الوالد كان لا يملك شيئاً بل لا يملك نفسه، ومع هذا تحرك الولد، وبذل جهده في إيجاده، وبذل ماله في عتقه، كما أن عطف الفعلين بالفاء خاصة في (فيشتريه، فيعتقه) يدل على حفاوة هذا الولد بوالده على ما هو عليه، وهذا يشير إلى أمر من الأهمية بمكان، وهو أن المسألة في بر الوالدين ليست على سبيل المكافأة، بل هو طاعة لله أحسن الوالدين إلى أبنائهم أم أساءوا؛ ولذلك قال تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً) [الإسراء: ٢٣] ولذا كانت صورة عتق الولد لوالده هي الصورة الوحيدة التي يجزي فيها الولد والديه، وقد انتهت بانتهاء الرق، والعبودية، فلن يجزي ولد والده فليسعى، وليجتهد في بر والديه، وليعلم أنه مقصر.

---

(١) برقم (١٥١٠/٢٥). أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٤٨).

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٩٦١.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: القصر والحصر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: عظم حق الوالد على أولاده.

ثالثًا: من مهام الداعية: إرشاد الناس إلى الخير.

أولاً- من أساليب الدعوة: القصر والحصر:

حيث جاء في الحديث: "لا يجزي ولد والدًا إلا أن يجده" ولاشك أن القصر والحصر يفيد التخصيص، وهو من الأساليب النافعة في الدعوة، حيث يحدد الداعي ويخصص ما يريد قوله، وهو يساعد على زيادة الإفهام للمدعو حتى لا تلتبس عليه الأمور. وقد قصر النبي في الحديث قدرة مجازاة الولد لوالده على العتق فحسب.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة:عظم حق الوالد على أولاده:

تستقيم الحياة الاجتماعية بمعرفة منظومة الحقوق والواجبات. ومن ثم فمن الموضوعات الدعوية المهمة بيان عظم حق الوالد على أولاده، حيث جاء في الحديث أنه لا يكافئ إحسان الوالد شيء إلا العتق فحسب، فقال ﷺ "لا يجزي ولد والدًا إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه ويعتقه" قال النووي: (أي لا يكافئه بإحسانه وقضاء حقه إلا أن يعتقه)[1] أما عن السر في كون العتق هو الذي يكافئ إحسان الوالد، فذلك (لأن العتق أفضل ما ينعم به أحد على أحد، إذ خلصه بذلك من الرق وجبر به النقص الذي فيه، وتكمل له أحكام الأحرار في جميع التصرفات)[2].

ومما لاشك فيه أن فضل الوالد على ولده عظيم، كيف لا؟ وقد جعل الله الإحسان إلى الوالدين بعد الأمر بعبادته، قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾[3].

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٩٦١.

(٢) تحفة الأحوذي المباركفوري، ١٦١٨/٢.

(٣) سورة النساء، آية: ٣٦.

وأمر بالشكر لهما بعد شكره، فقال جلّ شأنه: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾[١].

وأوصى بحسن صحبتهما، حتى وإن جاهدا الإنسان على الكفر، فقال سبحانه: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[٢].

ونهى عن إيذائهما بالقول فضلاً عن الفعل، فقال تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[٣].

ونبه إلى خفض الجناح لهما، والدعاء لهما بالرحمة، عرفانًا بالجميل والفضل، فقال عز وجل: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[٤].

قال القرطبي رحمه الله: (هذا أمر من الله تعالى لعباده بالترحم على آبائهم والدعاء لهم، وأن ترحمهما كما رحماك، وترفق بهما كما رفقا بك، وخص التربية بالذكر ليتذكر العبد شفقة الأبوين وتعبهما في التربية، فيزيده ذلك إشفاقًا لهما وحنانًا عليهما)[٥]. وجعل رسول الله ﷺ الإحسان إلى الوالدين سببًا لدخول الجنة، فمن قصر فيه حرمها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ» قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللّهِ؟ قَالَ «مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ))[٦].

---

(١) سورة لقمان، آية: ١٤.

(٢) سورة لقمان، آية: ١٥.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٢٣.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٢٤.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٤٤/٥.

(٦) أخرجه مسلم ٢٥٥١.

وجعل من برهما إكرام صديقهما بعد موتهما، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ))[1] هذا ولقد كان الإحسان إلى الوالدين من أخلاق الأنبياء، فقال الله تعالى عن يحيى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾[2] ولما أنطق الله عيسى عليه السلام قال: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾[3] ولما حاور إبراهيم عليه السلام أباه خاطبه بقوله: يا أبت، ولما وصل الحوار بينهما إلى طريق مسدود تلطف به في الخطاب، فمما جاء على لسانه قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾[4] ومن خلال ما سبق يتضح فضل الإحسان إلى الوالدين، وعظم حق الآباء على الأبناء.

ثالثًا- من مهام الداعية: إرشاد الناس إلى الخير:

لا يزال الناس -دائمًا- في حاجة إلى مذكر ومرشد يذكر بالله، ويرشدهم إلى ما فيه منفعتهم، وكانت هذه هي مهمة الأنبياء على اختلاف الأزمان، وبعد انقطاع خبر السماء أصبحت مهمة الدعاة والمصلحين، وفي ظل غواية الشيطان، وانهماك الناس في الحياة الدنيا، يأتي دور الدعاة لإرشاد الناس إلى الخير، وأعمال البر التي توصل إلى الجنة، وتصل المسلم بالله، وفي هذا الحديث يرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى فضل الإحسان إلى الوالدين، وأنه لا يعدله شيء إلا العتق فحسب.

(١) أخرجه مسلم ٢٥٥٢.

(٢) سورة مريم، آية ١٤.

(٣) سورة مريم، آية: ٣٢.

(٤) سورة مريم، آية: ٤٧.

الحديث رقم (٣١٤)

٣١٤- وعنه أيضًا رضي الله عنه: أن رَسُول الله صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

سبق شرح هذا الحديث خلال الحديث (٣١٣)، والحديث (٣١٤) بزيادة قوله (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فليصل رحمه) ترغيباً في صلة الرحم عن طريق تعليق الإيمان بالله، واليوم الآخر على صلة الرحم، وهو ما يشير إلى قيمة هذه الرابطة، وأثرها على سلامة الأسر المسلمة ثم إن هذا الحديث بني على التكرار الذي ينبيء باستقلال كل خصلة من الخصال المذكورة في التأثير على إيمان العبد، وتقييد الفعل المكرر (يؤمن) بالجار والمجرور (بالله) وعطف اليوم الآخر عليه فيه تربية للمهابة، والإجلال مع التلويح باليوم الآخر إلى الجزاء المقابل للفعل الحسن بالحسنى، والفعل السيئ بالسوء، مما يدفع بالعبد إلى الحسنى، ويعلي من قيمة هذه الخصال الطيبة، ثم إن الإضافة في قوله: (ضيفه - رحمه) توحي باختصاصه به، وتؤكد حقَّه عليه.

فقه الحديث

في هذا الحديث من الفقه ما يلي:

١- الحكم التكليفي للضيافة: تعتبر الضيافة من مكارم الأخلاق، وسنة الخليل عليه الصلاة والسلام والأنبياء بعده، وقد رغب فيها الإسلام، وعدها من أمارات صدق الإيمان.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٨)، ومسلم (٤٧/٧٥) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٩٤).

أما حكمها: فقد ذهب الحنفية، والمالكية، والشافعية، ورواية للحنابلة، إلى أنها سنة، مدتها ثلاثة أيام.

وذهب الحنابلة، في رواية ثانية -هي المذهب- إلى أنها واجبة، ومدتها يوم وليلة، والكمال ثلاثة أيام، وبهذا يقول الظاهرية[١].

٢- صلة الرحم:

قال القاضي عياض: (لا خلاف أن صلة الرحم واجبة على الجملة، وقطعها كبيرة، والأحاديث في هذا الباب من منعه الجنة يشهد لذلك[٢] ولكن الصلة درجات، بعضها فوق بعض، وأدناها ترك المهاجرة وصلتها بالكلام ولو بالسلام، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة، فمنها واجب، ومنها مستحب.

واختلفوا في حد الرحم التي تجب صلتها، فقيل هو كل رحم محرم، بحيث لو كان أحدهما ذكرًا والآخر أنثى حرمت مناكحتهما، فعلى هذا لا يدخل أولاد الأعمام وأولاد الأخوال، واحتج القائل بهذا بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح ونحوه[٣].

وجواز ذلك في بنات الأعمام والأخوال، وقيل هو عام في كل رحم من ذوي الأرحام في الميراث، يستوي المحرم وغيره، ويدل عليه قوله ﷺ: ((ثم أدناك أدناك))[٤] هذا كلام القاضي[٥]. قال النووي رحمه الله: (وهذا القول الثاني هو الصواب، ومما يدل عليه

---

(١) شرح معاني الآثار ٣٤١/٥ وما بعدها، ٣٣٤/٤، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥٧/٩، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٢٩/٩، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ١٦٣/١٦، والمحلى، ابن حزم ١٤٦/٨.

(٢) أخرجه البخاري ٥٩٨٤، ومسلم ٢٥٥٦ مرفوعًا: "لا يدخل الجنة قاطع" قال سفيان: يعني قاطع رحم.

(٣) أخرجه البخاري ٥١٠٩، ومسلم ١٤٠٨ مرفوعًا: "لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها".

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٤٨، ٢.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٠/٨-٢١، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦/٨/٩١-٩٢.

الحديث في أهل مصر "فإن لهم ذمة ورحمًا"[١]، وحديث: "إن أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه"[٢] مع أنه لا محرمية، والله أعلم).

٣-حفظ اللسان:

قال النووي: (اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام، إلا كلامًا ظهرت فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة، فالسنة الإمساك عنه، لأنه قد ينجرّ الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، وذلك كثيرٌ في العادة، والسلامة لا يعدلها شيء. وعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت". وهذا صريح في أنه ينبغي أن لا يتكلم إلا إذا كان الكلام خيرًا، وهو الذي ظهرت مصلحته، ومتى شك في ظهور المصلحة، فلا يتكلم)[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط، والتكرار.

ثانيًا: من مهام الداعية: إرشاد الناس إلى محاسن الأخلاق.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل إكرام الضيف.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل صلة الرحم.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل التكلم بخير وفضيلة الصمت.

١- **الشرط**: حيث جاء في الحديث "من كان يؤمن" وأسلوب الشرط من أساليب الدعوة التي تجعل المدعو يتطلع لانتظار الجواب، وتثير انتباهه بما فيه من التشويق، ويبين ارتباط الجزاء بالعمل. وفي الحديث اشترط النبي ﷺ لكمال الإيمان فعل هذه الأمور الواردة في الحديث.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٤٣.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٥٢.

(٣) رياض الصالحين ٥١٩-٥٢٠، أو كتاب الأمور المنهي عنها، وانظر: الأذكار، النووي ٣٧٠.

٢- **التكرار:** حيث كرر النبي ﷺ جملة "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر" ثلاثًا، ولاشك أن التكرار أسلوب من أساليب الدعوة التي تساعد على تعميق الفهم، ولقد كان هذا من هدي النبي ﷺ فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ ((كان إذا سلَّم سلَّم ثلاثًا، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا. حتى تفهم عنه))[١].

ثانيًا- من مهام الداعية: إرشاد الناس إلى محاسن الأخلاق:

يستنبط هذا من عموم الحديث حيث أرشد النبي ﷺ إلى إكرام الضيف، وصلة الرحم، وقول الخير، وكل هذا من محاسن الأخلاق، وللأخلاق دور عظيم في حياة الأفراد والأمم، ومن هنا كان الاهتمام بها في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ (وفي رواية: صالح) الأَخْلاَقِ))[٢].

وأوصى النبي ﷺ بحسن الخلق فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: ((اتَّقِ اللَّه حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ))[٣]. وحُسْن الخلق يبلغ به المسلم أعلى الدرجات، ففي الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ: ((إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ))[٤].

وبحسن الخلق يحظى المؤمن ببيت في الجنة. ففي الحديث عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أَنَا زَعِيمُ بَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ))[٥].

قال ابن القيم رحمه الله: (جمع النبي ﷺ بين تقوى الله وحُسن الخلق، لأن تقوى الله

---

(١) أخرجه البخاري ٩٥.

(٢) أخرجه أحمد ٢/٣٨١ رقم ٨٩٥٢، وقال محققو المسند: صحيح وهذا إسناد قوي ١٤/٥١٣.

(٣) أخرجه الترمذي، ١٩٨٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦١٨).

(٤) أخرجه أبو داود ٤٧٩٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠١٣).

(٥) أخرجه أبو داود ٤٨٠٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠١٥).

تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحُسن الخلق يُصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته)[١].

ولذا وجب على الدعاة أن يبينوا للناس منزلة الخلق الحسن، لما له من أثر في توطيد العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل إكرام الضيف:

إن المؤمن سخي اليد كريم النفس جواد معطاء، والسخاء والكرم من علائم الإيمان الصحيح، ولذا ربط النبي ﷺ بين الإيمان بالله واليوم الآخر وبين إكرام الضيف، قال ابن علان: (وهذا مما يوقظ النفس ويحركها في الهمة للمبادرة إلى امتثال جزاء هذا الشرط وما هو مثله، وإكرام الضيف يشمل الغني والفقير، ويكون بحسن البشر، والمبادرة بما تيسر عنده من الطعام من غير كلفة ولا إضرار بأهله، إلا أن يرضوا وهم بالغون عاقلون)[٢].

هذا وقد اشتهر من الأنبياء إبراهيم عليه السلام بإكرام الضيف، قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٤ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾[٣].

وأمر الرسول الكريم أن يأخذ الضيف حقه، فعن عبدالله بن عمرو قال: دخل عليَّ رسول الله ﷺ فقال: ((ألم أُخبَرْ أنكَ تقومُ الليلَ وتصومُ النهار؟ قلت: بلى. قال: فلا تَفعلْ، قُم ونَم، وصُم وأفطِر، فإنَّ لجسَدِكَ عليك حقًا وإن لِعَينكَ عليكَ حقًا، وإنَّ لزَورِك عليكَ حقًا، وإنَّ لزَوجكَ عليكَ حقًا))[٤].

ولأهمية إكرام الضيف بين النبي ﷺ ماله وما عليه، فعن أبي شريح الكعبي رضي الله عنه

---

(١) الفوائد، ابن القيم، تحقيق: محمد عثمان الخشت ص ٧٥.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٥٠٨.

(٣) سورة الذاريات، آية: ٢٤، ٢٥.

(٤) أخرجه البخاري ٦١٣٤، و مسلم ١١٥٩.

أن رسول الله ﷺ قال: ((مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِالله واليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، جَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَضِيَافَتُهُ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ فَمَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ. وَلاَ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَثْوِيَ عِنْدَهُ حَتَّى يُحْرِجَهُ))[1] وعلى الدعاة تذكير الناس بهذه الحقوق والواجبات، حتى يعملوا بها.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل صلة الرحم:

إن التواصي بالمرحمة من دلائل صلاح المجتمع، ومراعاة صلة الأرحام وعدم قطيعتها من كمال الإيمان، وقد جعل النبي ﷺ من الإيمان بالله واليوم الآخر صلة الرحم، وقد دلت نصوص القرآن الكريم على أهمية صلة الرحم، فقد جعل الله من جملة أولي الألباب وصفاتهم ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾[2] (وظاهر الآية يشمل كل ما أمر الله بصلته ونهى عن قطعه من حقوق الله وحقوق جميع العباد، خصوصًا حقوق الأقارب التي هي صلة الرحم من باب أولى)[3]. وذم الله عز وجل قاطعي الرحم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾[4].

وجعل النبي ﷺ صلة الرحم سببًا لزيادة الرزق وبركة العمر، فقال: ((مَن سَرَّهُ أن يُبسَطَ لهُ فِي رِزقِهِ أو يُنْسَأَ لهُ فِي أثَرِهِ فلْيَصِل رحِمَه))[5] وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((ليس الواصلُ بالمكافئ، ولكنِ الواصلُ الذي إذا قُطعَت رحمهُ وَصلَها))[6].

---

(١) أخرجه البخاري ٦١٣٥ واللفظ له، و مسلم ٤٨.

(٢) سورة الرعد، آية: ٢١.

(٣) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، ٤٢/١٢/٢.

(٤) سورة محمد، آية: ٢٢، ٢٣.

(٥) أخرجه البخاري ٥٩٨٦، مسلم ٢٥٥٧.

(٦) أخرجه البخاري ٥٩٩١.

قال ابن حجر رحمه الله: (ولا يلزم من نفي الوصل ثبوت القطع، فهم ثلاث درجات: مواصل ومكافئ وقاطع، فالواصل من يتفضل ولا يتفضل عليه، والمكافئ الذي لا يزيد في الإعطاء على ما يأخذ، والقاطع الذي يتفضل عليه ولا يتفضل، وكما تقع المكافأة بالصلة بين الجانبين، كذلك تقع بالمقاطعة من الجانبين، فمن بدأ حينئذٍ فهو الواصل، فإن جوزي سمى من جازاه مكافئًا)(١).

وقال النووي: (قال القاضي عياض: ولا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة وقطيعتها معصية كبيرة، والأحاديث في الباب تشهد لهذا، ولكن الصلة درجات بعضها أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة، وصلتها بالكلام ولو بالسلام، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة، فمنها واجب، ومنها مستحب ولو وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعًا، ولو قصر عما يقدر عليه وينبغي له لا يسمى واصلاً)(٢).

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضل التكلم بخير وفضيلة الصمت:

إن الإسلام يربي المسلم على المسئولية عن كل ما يصدر منه حتى الكلام والألفاظ ليزن المسلم ما يقول بميزان الشرع. وقد جعل رسول الله ﷺ من الإيمان بالله واليوم الآخر التكلم بخير أو الصمت، قال النووي: (معناه أنه إذا أراد أن يتكلم فإن كان ما يتكلم به خيرًا محققًا يثاب عليه واجبًا أو مندوبًا فليتكلم، وإن لم يظهر له أنه خير يثاب عليه فليمسك عن الكلام، سواء ظهر له أنه حرام أو مكروه أو مباح مستوى الطرفين، فعلى هذا يكون الكلام المباح مأمورًا بتركه مندوبًا إلى الإمساك عنه، مخافة من انجراره إلى المحرم أو المكروه، وهذا يقع في العادة كثيرًا أو غالبًا)(٣).

وقال ابن حجر: (وفي هذا الحديث أن المرء إذا أراد أن يتكلم فليفكر قبل كلامه فإن علم أنه لا يترتب عليه مفسدة، ولا يجر إلى محرم ولا مكروه فيتكلم، وإن كان مباحًا فالسلامة في السكوت، لئلا يجر إلى المحرم والمكروه)(٤) وقد بين الله تعالى أن

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٣٧/١٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٤

(٣) المرجع السابق ١٢٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٤٩/١٠.

كل لفظ خارج من الإنسان مكتوب عليه، قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[(١)].

وجعل الله من صفات المؤمنين إعراضهم عن اللغو، فقال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[(٢)].

وكذلك من صفات عباد الرحمن ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[(٣)].

وبين رسول الله ﷺ أن الكلمة تخرج من الإنسان قد يدخل بها الجنة، وقد تهوى به في النار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ العبدَ ليتكلمُ بالكلمة من رِضوانِ اللّهِ لا يُلقي لها بالاً يرفعُه اللّهُ بها درجات، وإن العبدَ ليتكلمَ بالكلمة من سَخَط اللّه لا يُلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم))[(٤)]. والإنسان العاقل من إذا وجد خيرًا في الكلام تكلم وإلا أنصت واستمع، فإن زلة اللسان ليس بعدها زلة. قال الإمام الماوردي: (ومن شروط الكلام أن يكون لداعٍ يدعو إليه، إما في اجتلاب نفع، أو دفع ضرر، فإن مالا داعي له هذيان، وما لا سبب له هُجْر. قال عمر بن عبدالعزيز: "من لم يعد كلامه من عمله كثرت خطاياه" وقال بعض الحكماء: عقل المرء مخبوء تحت لسانه. وقال بعض البلغاء: احبس لسانك قبل أن يطيل حبسك، أو يتلف نفسك، فلا شيء أولى بطول حبس من لسان يقصر عن الصواب، ويسرع إلى الجواب. وقال أبو تمام الطائي:

وممـا كانـت الحكمـاء قالـت ... لسـان المـرء مـن تبـع الفوائـد

وكان بعض الحكماء يحسم الرخصة في الكلام، ويقول: إذا جالست الجهال

---

(١) سورة ق، آية: ١٨.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ٣.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٧٢.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٧٨ واللفظ له، ومسلم ٢٩٨٨ مختصرًا.

فأنصت لهم، وإذا جالست العلماء فأنصت لهم، فإن في إنصاتك للجهال زيادة في الحلم، وفي إنصاتك للعلماء زيادة في العلم)[١].

فعلى الدعاة تذكير المدعوين بهذه النصوص، وحثهم على الكلام في الخير والإمساك عن الشر.

---

(١) أدب الدنيا والدين ٢٦٦-٢٦٧.

الحديث رقم (٣١٥)

٣١٥- وعنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((إنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الخَلْقَ حَتَّى إذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هَذَا مُقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعةِ، قَالَ: نَعَمْ، أمَا تَرْضَيْنَ أنْ أصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَذَلِكَ لَكِ، ثُمَّ قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((اقْرَؤُوا إنْ شِئْتمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إنْ تَوَلَّيْتُمْ أنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾[محمد: ٢٢-٢٣] مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

وفي رواية للبخاري[2]: فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ((مَنْ وَصَلَكِ، وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكِ، قَطَعْتُهُ)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

العائذ: المستعيذ وهو المعتصم بالشيء المستجير به[3].

الشرح الأدبي

الرسول ﷺ في هذا الحديث يحكي حواراً طريفاً يثير الأذهان، ويشوِّق النفوس بين الرحم وبين الله تبارك يبيِّن من خلاله منزلة صلة الرحم عند الله وعظم قدرها وقد استخدم في نقل هذا الحوار عدة أساليب بلاغية منها:

أسلوب التوكيد بإن مع اسمية الجملة في بداية الحديث مما يعكس أهمية الخبر وأيضاً لما يتسم به الخبر من غرابة، وطرافة لم يسمع بها المخاطبون، وتصدر لفظ الجلالة للجملة الأولى في الحديث يربي المهابة ويضفي على السياق قدسية توفر عليه

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٧)، ومسلم واللفظ له (٢٥٥٤/١٦). أورده المنذري في ترغيبه (٢٧١٠).

(٢) برقم (٥٩٨٨).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٤٤/٨.

إذعاناً، وقبولاً، وخضوعاً، وقوله: (خلق الخلق) جناس مستوفٍ يؤكد المعنى، ويجذب السمع ويثير العقل، وقوله: (قالت الرحم) إسناد القول إلى الرحم يحتمل أن يكون بلسان الحال، ويحتمل أن يكون بلسان المقال تتكلم كما هي، أو يخلق الله لها عند كلامها حياة وعقلاً، وقوله: (أترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك ؟) استفهام غرضه، الإشادة، والتكريم، وبيان المنزلة والترغيب في صلة الرحم والتحذير من قطعها، وفي العبارة مقابلة بين جملة (أصل من وصلك) وجملة: (أقطع من قطعك) تؤكد المعنى الذي بني الحديث على إبرازه، وتوضيحه، وهو عظمة، وفضل صلة الرحم وما لهذه الوشيجة من منزلة عند الله صوَّرتها هذه المقابلة التي أعطت الواصل أعظم جزاء يطمح إليه مؤمن، وهو وصل الله له، وحرمت المحروم قاطع رحمه من هذه الصلة وكان جزاؤه قطع الله لصلته، وهذا الحوار الذي صوّره حديث الرسول ﷺ ينبئ عن خصوصية هذه الصلة وما لها من جزاء عند الله للواصل، وأسلوب الحديث البلاغي ينبئ أيضاً بعظيم خطأ القطيعة وخسارة القاطع وفضل الوصل تجد ذلك في بداية الرسول - بأسلوب التوكيد الذي يعكس اهتمامه ثم هذا التصوير البياني الرائع الذي أعطى الرحم منزلة خواص الملك الذين يدخلون على الملك كما يشاءون، ويطلبون ما يريدون ثم الاستفهام الذي جاء تكريماً وإشادة، وتنويهاً بالفضل، ثم باستجابته - تعالى بقوله (فهو لك) فالضمير يصوِّر ما سألت قائماً محققاً مملكاً لها بلام الملك المتصلة بكاف الخطاب عزاً وكرامة، هذا الاهتمام من الله - تعالى - ومن رسوله ﷺ يشير من قريب إلى ضرورة المحافظة على هذه الوشائج التي تجعل المجتمع بنية متماسكة أفراداً في أسرة واحدة وأسراً في قرية واحدة وقرىً في مجتمع شديد الترابط لا يستطيع مفسد أن ينال من وحدته، أو يضعف من قوته.

ولإدراك الرسول ﷺ لأثر هذه الوشيجة على المجتمع وأمنه واستقراره منعاً للفتن أتبعها بقوله ﷺ فاقرؤوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[1]. أي: توليتم أمور الناس أو من التولي والإعراض عن الإيمان

---

(١) سورة محمد:٢٢

وهذا على كون المراد المنافقين، فعطف قطيعة الرحم على الإفساد في الأرض، فالآية ترفع درجة الإحساس بالخطأ، وتعلي من شأن صلة الرحم.[١]

فقه الحديث

في الحديث من الأحكام ما يأتي:

-تعظيم شأن الرحم، وفضيلة واصليها، وعظيم إثم قاطعيها لورود الوعيد الشديد في ذلك[٢].

هذا: وقد اختلفوا في الرحم التي يجب وصلها:

فقيل: كل رحم محرم، بحيث لو كان أحدهما ذكرًا، والآخر أنثى حرمت مناكحتهما، فعلى هذا: لا يدخل أولاد الأعمام، ولا أولاد الأخوال.

-واحتج لذلك بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها، أو خالتها في النكاح وجواز ذلك في بنات الأعمام، والأخوال.

وقيل: كل قريب، محرمًا كان أو غيره، ويدل عليه قوله ﷺ: ((... ثم أدناك أدناك))[٣][٤].

-والقول الثاني هو الأصح، وإن كانت تتفاوت درجاتها، ففي الوالدين أشد من المحارم، وفيهم أشد من بقية الأرحام[٥].

-والوصل المأمور به، إنما هو حق المؤمنين، أما الكفار والفساق فتجب المقاطعة لهم إذا لم تنفع الموعظة.

-واختلف العلماء بأي شيء تحصل القطيعة: فقال الزين العراقي: تكون بالإساءة

---

(١) بلاغة الرسول ﷺ في تقويم أخطاء الناس دراسة في الصحيحين، د. ناصر راضي الزهري ص ٦٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٢/١٦، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١٩/١٠.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٤٨.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٢/١٦، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١٩/١٠.

(٥) (٤٤١)، رد المحتار على الدر المختار المسمى بـ "حاشية ابن عابدين"، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٤١١/٦.

إلى الرحم، وقال غيره: تكون بترك الإحسان، وذلك لأن الأحاديث آمرة بالصلة ناهية عن القطيعة، فلا واسطة بينهما، والصلة نوع إحسان، والقطيعة ضدها، وهي ترك الإحسان"[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد، والأمر، والاستشهاد بالقرآن الكريم، والشرط.

ثانيًا: من مهام الداعية: بيان الحقائق للناس.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل صلة الرحم والتحذير من قطيعتها.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد، والأمر، والاستشهاد بالقرآن الكريم، والشرط:

١- **التوكيد**: حيث جاء التوكيد في الحديث في قوله ﷺ "إن الله تعالى" ومما لا شك فيه أن التوكيد أسلوب من أساليب الدعوة التي تؤدي إلى إقناع المدعوين. وقد أكد النبي ﷺ قوله (بإن): لإفادة أن الله هو خالق الخلق من العدم.

٢- **الأمر**: ويظهر الأمر في الحديث في قوله ﷺ "اقرءوا إن شئتم" لبيان أهمية صلة الرحم وأثر ذلك في حياة المسلم، وقد كثر في القرآن الكريم استخدام أسلوب الأمر في توجيه الناس إلى الخير. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[٢].

٣- **الاستشهاد بالقرآن الكريم**: يظهر من قوله ﷺ: "واقرؤوا إن شئتم: "فهل عسيتم إن توليتم ... إلى آخر الآيتين". وهو من الأساليب المقنعة في الدعوة، حيث تقام الحجة على المدعو بما يُستشهد به من آيات القرآن، ولاشك أن القرآن الكريم هو المصدر الأول من مصادر الدعوة الذي يستجيب له المسلم، ويؤمن بما فيه، ويعمل على تطبيقه، بالإضافة إلى المصدر الثاني من مصادر الدعوة وهو السنة النبوية. لذا يجب

---

(١) سبل السلام ١٦٢/٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ٤٣.

على الدعاة الاستشهاد بالقرآن والسنة لإقامة الأدلة الشرعية على ما يقولون.

٤- **الشرط**: حيث جاء في رواية البخاري "من وصلك... من قطعك". وقد اشترط الحديث صلة الرحم لنيل صلة الله، ولا يخفى ما للشرط من أثر في إثارة انتباه المدعو وتطلعه إلى جواب الشرط، وهو كذلك يبين أثر ترتب الجزاء على العمل، وأن الأجور مشروطة بالأعمال، والعقاب مشروط بالعمل كذلك.

ثانيًا- من مهام الداعية: بيان الحقائق للناس:

لقد أراد الله عز وجل أن يجعل من إرسال الرسل وتبليغهم لأقوامهم حجة على الناس ولذا خاطب الله نبيه محمدًا ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[1]. قال السعدي: (هذا أمر الله لرسوله محمد ﷺ بأعظم الأوامر وأجلها وهو: التبليغ لما أنزل الله، ويدخل في هذا كل أمر تلقته الأمة عنه ﷺ من العقائد والأعمال والأقوال والأحكام الشرعية، والمطالب الإلهية، فبلغ ﷺ أكمل تبليغ، ودعا وأنذر، وبشر ويسر، وعلم الجهال الأميين، حتى صاروا من العلماء الربانيين، وبلغ بقوله وفعله، وكتبه ورسله، فلم يبق خير إلا دل أمته عليه، ولا شر إلا حذرها منه، وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة من الصحابة فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين)[2].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[3].

ومن صفات الأنبياء التبليغ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[4] وإذا كان هذا الخطاب للأنبياء عليهم صلوات الله

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٢٠١.

(٣) سورة النحل، آية: ٨٩.

(٤) سورة المائدة، آية: ٦٧.

وسلامه، فإن الدعاة إلى الله مطالبون بالبلاغ والتبيين للناس حقائق الإسلام، والحقائق التي أخبر الله بها نبيه ﷺ حتى يكون المدعوون على بينة وبصيرة من أمرهم. وفي الحديث الذي معنا أبان الرسول ﷺ عن مكانة الرحم عند الله تعالى.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل صلة الرحم والتحذير من قطيعتها:

إن المجتمع الصالح هو الذي تشيع فيه الرحمة والحب وصلة الرحم والتآخي، والتجافي عن هذه الصلات الاجتماعية، لا يترك أثرًا صالحًا في المجتمع، ومن ثمَّ تكاثرت النصوص الشرعية في فضل صلة الرحم والتحذير من قطيعتها، ويكفي في خطورة قطعها قول الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾[١].

قال ابن كثير: (أي تعودوا إلى ما كنتم عليه من الجاهلية الجهلاء، تسفكون الدماء، وتقطعون الأرحام، وهذه الآية نهي عن الإفساد في الأرض عمومًا، وعن قطع الأرحام خصوصًا، بل قد أمر الله تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام، وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والفعال وبذل الأموال)[٢]. وفي الحث على صلة الرحم، والترغيب فيها جاء عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((من أحبَّ أن يُبسَطَ له في رِزقه، ويُنسأ له في أثره، فلْيَصِلَ رَحِمه))[٣].

قال النووي: (والمعنى يؤخر له في أجله، وبسط الرزق توسيعه وكثرته وقيل: البركة فيه. وأما التأخير في الأجل فالصحيح فيه، أن هذه الزيادة تكون بالبركة في عمره، والتوفيق للطاعات، وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة، وصيانتها عن الضياع في غير ذلك)[٤].

---

(١) سورة محمد، آية: ٢٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ٣١٨/٧.

(٣) أخرجه البخاري ٢٠٦٧، ومسلم ٢٥٥٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٥.

ولقد جاء عن أبي هريرة ﵁ أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ فقال: ((لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ[1]. وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ، مَا دُمْتَ عَلَىٰ ذَٰلِكَ))[2]. قال الطيبي: (أي إحسانك إليهم إذا كانوا يقابلونه بالإساءة يعود وبالاً عليهم، حتى كأنك في إحسانك إليهم مع إساءتهم إياك أطعمتهم النار)[3].

هذا وقد عظم الله قدر الرحم، فقال سبحانه: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾[4]، وقال جلّ شأنه: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[5] وقد قال عمر بن الخطاب ﵁ (تعلموا أنسابكم ثم صلوا أرحامكم، والله إنه ليكون بين الرجل وأخيه شيء ولو يعلم الذي بينه وبينه من داخلة الرحم لأوزعه ذلك عن انتهاكه)[6].

ويبين الحديث أيضًا خطورة قطيعة الرحم، وعظم إثم من يقطعها فقد جاء في الحديث الذي معنا "ومن قطعك قطعته" وفي سياق التحذير من قطيعة الرحم، جاء عن جبير بن مطعم ﵁ أنه سمع النبي ﷺ يقول: ((لا يدخُلُ الجنة قاطع))[7].

وعن أبي بكرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ الله لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ))[8] وفي

---

(١) تسفهم الملّ: أي تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم والخزي، لكثرة إحسانك وقبيح فعلهم، انظر: شرح صحيح المسلم ١١٥/١٦.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٥٨.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٥٦/٩.

(٤) سورة النساء، آية: ١.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٦.

(٦) جامع البيان، الطبري ١٤٤/١.

(٧) أخرجه البخاري ٥٩٨٤، ومسلم ٢٥٥٦.

(٨) أخرجه الترمذي ٢٥١١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٠٢٩).

التذكير بحق الرحم وخطورة قطعها. جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إنَّ الرَّحمَ شُجْنَةٌ[١] من الرحمن، فقال الله: من وصلَكِ وَصَلتُه، ومن قَطعكِ قطعتُه))[٢].

ويتضح من خلال ما سبق أهمية صلة الرحم وخطورة قطيعتها، فواجب الدعاة إلى الله تحذير الناس من قطعها، والحث على وصلها ابتغاء الأجر والثواب من الله عز وجل.

(١) شُجْنَة: أصل الشجنة عروق الشجر المشتبكة، انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٤٣٢.

(٢) أخرجه البخاري ٥٩٨٨ واللفظ له ومسلم ٢٥٥٤ بزيادة.

الحديث رقم (٣١٦)

٣١٦- وعنه رضي الله عنه ، قَالَ: جاء رجل إِلَى رَسُول الله ﷺ ، فَقَالَ: يَا رَسُول الله، مَنْ أحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: ((أُمُّكَ)) قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ((أُمُّكَ))، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ((أُمُّكَ))، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ((أبُوكَ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

وفي رواية[2]: يَا رَسُول الله، مَنْ أَحَقُّ بحُسْنِ الصُّحْبَةِ؟ قَالَ: ((**أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أَبَاكَ، ثُمَّ أدْنَاكَ أدْنَاكَ**)).

"والصَّحَابَةُ" بمعنى: الصُحْبَة. وقوله: "ثم أبَاكَ" هكذا هوَ منصوب بفعل محذوف، أي: ثم برَّ أباك وفي رواية: "ثم أبوك" وهذا واضح.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث قائم على أسلوب الحوار عن طريق السؤال، والجواب، وهو من الأساليب المهمة لتقرير المعاني، وتصحيح المفاهيم، والمعنى الذي يسوقه من باب بر الوالدين يقرر فضلهما، ويكشف جانباً قد يغفل عنه كثير من الأبناء، وهو فضل الأم لأن الولد لم ير ما عانته أمه في حمله، ووضعه، ورضاعه بينما يكبر، وهو يرى أباه يكد، ويتعب في مطعمه، وملبسه، ورعايته، ويكابد المشاق في دروب الحياة في حين يرى أمه لا تعاني ما يعانيه لذلك نرى الرسول ﷺ ينبه إلى فضل الأم، في إجابته للرجل(من أحق الناس بحسن صحابتي؟) وهو استفهام حقيقي، وإجابة الرسول ﷺ فيها دلالة على أن محبة الأم، والشفقة عليها ينبغي أن تكون أمثال محبة الأب، لأنه كررها ثلاثا، وذكر الأب في الرابعة فقط، وإذا تؤمل هذا المعنى شهد له العيان، وذلك أن صعوبة الحمل والوضع، والرضاع، والتربية تنفرد بها الأم، وتشقى بها دون الأب فهذه ثلاث

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨/١) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٧٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٤٨/٢).

منازل يخلو منها الأب، ثم إنها امرأة، وتحتاج من العطف، والرعاية ما لا يحتاجه الرجل لاعتماده على قدرته في إعالة نفسه، وفي الحديث دلالة على الرسول ﷺ تكريم للأم خاصة، وللمرأة عامة.

فقه الحديث

لقد حث الإسلام الأولاد على الرحمة بآبائهم وأمهاتهم والبر بهم، وقد اتفق الفقهاء[1] على أن بر الوالدين واجب ما دام أنهما يأمران بالمعروف.

ومن البر الواجب على الولد، أن ينفق على والديه عند كبرهما وعجزهما عن النفقة، وقد اتفق الفقهاء[2] على وجوب نفقة الوالدين وإن عليا على الولد القادر على الكسب، أو الموسر، وكانا عاجزين عن الكسب، وفقيرين لا يجدان ما ينفقان منه.

ولكن ما الحكم إن تعارض بر الأب والأم معًا؟ ومن الذي يقدم منهما؟ ذكر الفقهاء[3] أن المقدم حق من يأمر بالطاعة منهما على من يأمر بالمعصية، فإن تساووا في

---

(١) أحكام القرآن، الجصاص ٢٧٤/٢ وما بعدها، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٩٨/٧، وشرح السير الكبير ١٩٢/١، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٩٠/٢، وأحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٥٤٤/١ وما بعدها، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٤٨٦/٢، ومغني المحتاج ٥٧٤/٣، وإحكام الأحكام ١٦٣/١ وما بعدها، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١٨٤/١، والفروع، ابن مفلح ١٩٩/٦، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٧٠/٩.

(٢) البناية للعيني ٧٠٠/٥، وشرح فتح القدير، ابن همام الحنفي ٢٢٠/٤، وتحفة الفقهاء للسمرقندي ١٦٤/٢، والبهجة في شرح التحفة، القاضي أبو بكر الأندلسي ٣٨٣/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٢٠٩/٤، وروضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٤٦/٨، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٤٤٢/٣، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٧٤/١١، والفروع، ابن مفلح ٥٩٥/٥، ومنار السبيل في شرح الدليل، إبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان ٢٠٥/٢، والمحلى، ابن حزم ١٠٠/١٠.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٦٨/٨.

الأمر بالطاعة فحق الأم مقدم على حق الأب، لما اختصها به الشرع الشريف من مزيد الرعاية والتكريم، خاصة في حال الكبر والعجز، ولذا إذا عجز الولد عن الإنفاق على والديه معًا، كانت نفقة الأم مقدمة على نفقة الأب عند جمهور الفقهاء.

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب المدعو: السؤال عن أعلى الأعمال وأفضلها.

ثانيًا: من مهام الداعية: الإجابة عما يشغل المدعو.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الأم.

رابعًا: من فقه الداعية: ترتيب الأولويات.

أولاً- من آداب المدعو: السؤال عن أعلى الأعمال وأفضلها:

إن المدعو الصادق هو من يسأل عن أفضل الأعمال وأعلاها عند الله تعالى، حتى يعلمها ويعمل بها، ومن ثمّ ينال أجزل الثواب وأكثره، وهذا ما وقع في الحديث، فقد جاء الرجل وسأل رسول الله ﷺ: فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟.

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون النبي ﷺ عن ذلك، فهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول للنبي ﷺ: يا رسول الله إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟ قال: (إلى أقربهما منك بابًا)[(١)].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: إنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ: أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ؟ قَالَ: ((تُطْعِمُ الطَّعَامَ. وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ))[(٢)].

وفي رواية: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ؟ قَالَ: ((مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ))[(٣)].

قال النووي: (قال العلماء: قوله: أيُّ الإسلام خير؟ معناه: أي خصاله وأموره وأحواله.

---

(١) أخرجه البخاري ٢٢٥٩، ٢٥٩٥، ٦٠٢٠.

(٢) أخرجه البخاري ١٢، ومسلم ٣٩.

(٣) أخرجه البخاري١٠، ومسلم ٤٠.

قالوا: وإنما وقع اختلاف الجواب في خير المسلمين لاختلاف حال السائلين والحاضرين، ، فكان في أحد الموضعين الحاجة إلى إفشاء السلام وإطعام الطعام أكثر وأهمّ، لما حصل في إهمالهما، والتساهل في أمورهما ونحو ذلك، وفي الموضع الآخر إلى الكف عن إيذاء المسلمين)[١]، وقال ابن حجر: (وخصّ هاتين الخصلتين بالذكر لمسيس الحاجة إليهما في ذلك الوقت، لما كانوا فيه من الجهد ولمصلحة التأليف)[٢].

ثانيًا- من مهام الداعية: الإجابة عما يشغل المدعو:

إن من الأمور التي تمكن الداعية من النجاح في دعوته، أن يجيب المدعو إذا سأله الإجابة الواضحة الكاملة، التي تلبي حاجته إلى المعرفة، وما يتبع ذلك من العمل والامتثال، وقد أجاب النبي ﷺ الرجل عن سؤاله، فقال: (أمك ثم أمك ثم أباك ثم أدناك أدناك) قال النووي: (فيه الحث على برّ الأقارب، وأن الأم أحقهم بذلك، ثم بعدها الأب ثم الأقرب فالأقرب)[٣].

ومن هذا القبيل ما رواه سفيان بن عبدالله الثقفي رضي الله عنه، قال: قلت: يَا رَسُولَ اللّهِ قُلْ لِي فِي الإِسْلاَمِ قَوْلاً، لاَ أَسْأَلُ عَنْهُ أَحدا بَعْدَكَ قَالَ: ((قُلْ آمَنْتُ بِاللّه فَاسْتَقِمْ))[٤].

قال ابن رجب: (طلب [أي سفيان] منه [أي من النبي ﷺ] أن يعلمه كلامًا جامعًا لأمر الإسلام كافيًا حتى لا يحتاج بعده إلى غيره"[٥]، وقال القاضي عياض عن قول النبي ﷺ: "قل آمنت بالله ثم استقم" قال: (هذا من جوامع كلمه عليه السلام وهو مطابق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾[٦]، أي وحدوا الله وآمنوا به. ثم استقاموا فلم يحيدوا عن توحيدهم، ولا أشركوا به غيره، والتزموا طاعته، إلى أن

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٢/١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٠.

(٤) أخرجه مسلم ٣٨.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٥٠٧/١

(٦) سورة الأحقاف، آية: ١٣.

توفوا على ذلك، وعلى ما قلناه أكثر المفسرين من الصحابة فمن بعدهم وهو معنى الحديث)[١].

ونقل النووي قول القشيري عن الاستقامة: (الاستقامة درجة بها كمال الأمور وتمامها، وبوجودها حصول الخيرات ونظامها. ومن لم يكن مستقيمًا في حالته ضاع سعيه وخاب جهده)[٢]، وقال ابن رجب: (والاستقامة هي سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القيم من غير تعريج عنه يمنة ولا يسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها كذلك، فصارت هذه الوصية جامعة لخصال الدين كلها)[٣]. ومن ذلك يتضح إجابة النبي ﷺ الكافية الشافية، وهذا ما ينبغي أن يقوم به الداعية إذا سأله المدعو عما يشغله.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل الأم:

للأم فضل عظيم على ابنها، فهي التي حملته في بطنها، وأرضعته من لبنها، وقامت على تربيته والعناية به ليل نهار، لذا قدمها النبي ﷺ في البر والإحسان وكرّر ذلك ثلاث مرات، وقد قال ﷺ كذلك: ((إِنَّ اللَّهَ يُوصِيكُمْ بِآبَائِكُمْ. إِنَّ اللَّهَ يُوصِيكُمْ بِالأَقْرَبِ فَالأَقْرَبِ))[٤].

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: مقتضاه أن يكون للأم ثلاثة أمثال ما للأب من البر، قال: وكان ذلك لصعوبة الحمل ثم الوضع ثم الرضاع، فهذه تنفرد بها الأم وتشقى بها، ثم تشارك الأب في التربية، وقد وقعت الإشارة إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾[٥]، فسوى بينهما في الوصاية، وخص الأم بالأمور الثلاثة)[٦].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٧٥/١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٩.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٥١٠/١.

(٤) أخرجه ابن ماجه ٣٦٦١، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٢٠٨).

(٥) سورة لقمان، آية: ١٤.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١٦/١٠.

وقال النووي رحمه الله: (وسبب تقديم الأم، كثرة تعبها عليه، وشفقتها وخدمتها، ومعاناة المشاق في حمله، ثم وضعه، ثم إرضاعه، ثم تربيته وخدمته، وتمريضه وغير ذلك. ونقل الحارث المحاسبي إجماع العلماء على أن الأم تفضل في البر على الأب"[١].

ومن جميل القصص في بر الأم ما رواه أبو بردة بن أبي موسى الأشعري قال: (شهد ابن عمر رضي الله عنهما رجلا يمانيا يطوف بالبيت حمل أمه وراء ظهره يقول:

إني لها بعيرُها المذلّل ... إن أذعِرت ركابُها لم أُذعَر

ثم قال يا ابن عمر أتراني جزيتها؟ قال: لا ولا بزفرة واحدة)[٢].

قال ابن هبيرة عن حديث الباب: "في هذا الحديث أن النبي ﷺ أمر بالقسط، وندب إلى العدل، فإن الآدمي تتكلف له أمه -من حملها إياه في حشاها- حالاً يضرب بها الأمثال، ثم إنه يأخذ من غذائها الذي يتجاوز حلقها، فتغذيه من دمها ولحمها، فإذا وضعته كان غذاؤه من ثدييها، بأن أحال الله ذلك الدم الذي كانت تغذوه به في حشاها إلى ثدييها، تغذيه منهما لبنًا خالصًا سائغًا، ثم إنها جعلت فخذيها مهادًا، ولبنها زادًا، وحملته وهنًا على وهن، وكرهًا على كره، إلا أنها على ما قاست منه في كل ذلك لم يشنه ذلك عندها، ولا أثر لعِظَم أذاه في نفسها، بحيث يحملها ذلك على أن تشنأه[٣] أو تبغضه، بل كانت تتجرع أذاه محبة، وتصبر على تجرمه وتعنته، مستلذة لطول صحبته، تود أن لو فدته بنفسها، فهذا هو الخوف بالغ[٤]، وإن كان قد جبل عليه طبعها، فإنه قد وصل إلى هذا المحْسَنِ إليه نفعه، فكان من جزاء الإحسان، أن يكون فاضلاً لها في المجازاة إذ أحسنت إليه في حال ضعفه، وكان جزاؤه لها في حال قوته، إلا إنها لما قصرت قدرته عن أن يفضل عليها في الجزاء، فقد كان ينبغي أن يجازيها بغاية الوسع الذي لا تنتهي قدرته إلى غيره، فإذا غفل عن هذا كله ونسي

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٠.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١١، والبيهقي في شعب الإيمان ٦/٢٠٩، وصححه الألباني صحيح الأدب المفرد ٩.

(٣) شنأه: أي أبغضه. القاموس المحيط ص ٤٤.

(٤) كذا في المطبوع.

إحسانها القديم إليه، وأراد أن يكون من الكافرين بحاله لأول المحسنين بعد الله إليه، فليس يرجى من مثل هذا خير إذن، إلا أن يكون قد كان غافلاً ناسيًا مشدوهًا[١] عن تفقدها؛ فإنه يتعين عليه أن يتدراك ذلك"[٢].

رابعًا- من فقه الداعية: ترتيب الأولويات:

من فقه الداعية ترتيب الأولويات في الدعوة فيبدأ بالأهم فالأهم، ومن ثمّ لا يقدم مفضولاً على فاضل ولا مندوبًا على واجب، وهذا ما فعله النبي ﷺ مع الرجل فقد قال له: "أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك ثم أدناك أدناك" وفي الرواية الأولى رتب ذلك النبي ﷺ حسب سؤال الرجل.

قال النووي: (قال أصحابنا: يستحب أن تقدم في البر الأم، ثم الأب، ثم الأولاد، ثم الأجداد والجدات، ثم الإخوة والأخوات...)[٣].

وقال ابن حجر: (قال القرطبي[٤]: المراد أن الأم تستحق على الولد الحظ الأوفر من البر، وتقدم في ذلك على حق الأب عند المزاحمة... وأشار ابن بطال إلى أن الترتيب حيث لا يمكن إيصال البر دفعة واحدة وهو واضح)[٥].

ومن هذا القبيل ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن امرأة قالت: يَا رَسُولَ الله إنَّ ابْنِي هذَا كَانَ بَطْنِي لَهُ وِعَاءً، وَثَدْيِي لَهُ سِقَاءً، وَحِجْرِي لَهُ حِوَاءً، وَإِنَّ أَبَاهُ طَلَّقَنِي وَأَرَادَ أَنْ يَنتَزِعَهُ مِنِّي، فقالَ: لَها رَسُولُ الله ﷺ: ((أَنْتِ أَحَقُّ بِهِ مَا لَمْ تَنْكِحِي))[٦].

---

(١) شده: دهش وشغل وحيّر. القاموس المحيط ص ١٢٤٨.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٤٤٩/٦ - ٤٥٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٠.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٠٨/٦.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١٦/١٠.

(٦) أخرجه أبو داود ٢٢٧٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٩٩١).

فقد قدم النبي ﷺ حق الأم على الأب في حضانة الطفل، والمرأة "توصلت لاختصاصها به باختصاصه [أي الطفل] بها في الأمور الثلاثة)(١).

قال ابن هبيرة: (فقول رسول الله ﷺ لما قال له الرجل: (من أحق الناس بصحابتي؟ قال: أمك ثم أمك ثم أمك) ثلاثًا يعني به ﷺ فيما أرى لها الحق الأول؛ حيث كنت حملاً في حشاها، ولها الحق الثاني؛ حيث كنت رضيعًا في حجرها، ولها الحق الثالث حيث كنت صغيرًا في كنفها.

فهذه حقوق ثلاثة، ثم قال له في الرابعة: "ثم أباك"، يعني: إن أباك وضعك شهوة، وأنفق عليك من مال الله، الذي أوجب عليه إنفاقه، فإنه حق عظيم، إلا أن الأم تفضله بما ذكرناه؛ فلهذا وصى رسول الله ﷺ بالأمهات.

وقوله بعد ذلك: "ثم أدناك، أدناك" يعني ﷺ أن برك وصلتك ينبغي أن ترتبها على نحو ما رتبها الله في الميراث، فإنه سبحانه لم يورث إلا الأدنى فالأدنى، فأراد عليه السلام أن يكون العبد متابعًا في بره في الدنيا القرابة الأدنى فالأدنى على حسب المواريث بعد موته، فكان هذا من أحسن الكلام وأشرقه كفاية وإقناعًا)(٢).

ويقول ابن تيمية عن ترتيب الأولويات: (إذا ازدحم واجبان لا يمكن جمعهما، قدم أوكدهما ما لم يكن الآخر في هذه الحال واجبًا، ولم يكن تاركه لأجل فعل الأوكد تارك واجب في الحقيقة، وكذلك إذا اجتمع محرمان لا يمكن ترك أعظمهما إلا بفعل أدناهما، لم يكن فعل الأدنى في هذه الحال محرمًا في الحقيقة، وإن سمي ذلك ترك واجب، وسمي هذا فعل محرم باعتبار الإطلاق لم يضر. ويقال في مثل هذا: ترك الواجب لعذر وفعل المحرم للمصلحة الراجحة أو للضرورة أو لدفع ما هو أحرم)(٣).

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١٧/١٠.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٤٥٠/٦ - ٤٥١.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٥٧/٢٠.

الحديث رقم (٣١٧)

٣١٧- وعنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: ((رغِم أنفُ، ثُمَّ رَغِمَ أنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أنْفُ[١]، مَنْ أدرَكَ أبَويهِ عِنْدَ الكِبَرِ، أحَدهُما أوْ كِلَيهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ)) رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

رغم أنف: وأرغم الله أنفه، أي: ألصقه بالرُّغام وهو التراب. هذا هو الأصل. ثم استعمل في الذل والعجز عن الانتصاف والانقياد على كُرْهٍ[٣].

الشرح الأدبي

أسلوب الحديث يقوم على التشويق عن طريق تكرار لفظ مثير ترتجف منه القلوب لاسيما أنه يخرج من في رسول لا ترد دعوته، وهو قوله (رغم أنفه) وهو دعاء بمعنى أذله الله، وأهانه، وهو من استعمال الخبر بمعنى الإنشاء بغرض الحرص على تحقق الوقوع من أجل الترهيب، والتحذير، وصياغة الحديث تنبئ بعظم خسارة هذا الراغم، وخيبته، وذله دلَّ على ذلك تكرار الفعل (رغم) دعاءً بالذلة، والإهانة مع تصعيده، وإظهار تحققه بصياغته في صورة الماضي الذي وقع، وتحقق زيادة في الترهيب، واستخدامه (ثم) دون غيرها من حروف العطف يشير إلى زمان يقضيه هذا الراغم في الإهانة، والذل قبل أن تدركه ذلة أخرى ثم ذلة أخرى، وكأنه يلوح بإدراكه الذل في الحياة ثم في الممات ثم يوم القيامة، والعياذ بالله يدل على ذلك قوله ثم (لم يدخل الجنة)

---

(١) عند مسلم زيادة: (قيل: من يا رسول الله)، وهي لا توجد في الجمع للحميدي (٢٨٨/٣، رقم ٢٦٥٥).

(٢) برقم (٢٥٥١/٩). أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٦٥).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر غ م).

ومن فاتته الجنة فليس له إلا النار، والتقييد بالظرف في قوله (عند الكبر) لشدة حاجة الوالدين إلى من يعولهما في ضعفهما، والحديث يجعل من الوالدين فرصة لدخول الجنة، ويحذِّر من ضياعها بالتقصير في حقهما.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الإحسان إلى الوالدين.

ثانيًا: من صفات الداعية: الحرص على مصلحة المدعوين.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التشويق والتكرار.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الإحسان إلى الوالدين:

فضل الوالدين عظيم، وحض الإسلام حضًا شديدًا على برهما والإحسان إليهما، وبين فضل ذلك كما في هذا الحديث الذي معنا. قال النووي: (فيه الحث على بر الوالدين وعظم ثوابه، ومعناه أن برهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة أو النفقة أو غير ذلك سببٌ لدخول الجنة، فمن قصر في ذلك فاته دخول الجنة وأرغم الله أنفه)[1]. (يعني ذلّ وخاب وخسر من أدرك تلك الفرصة، التي هي موجبة للفلاح والفوز بالجنة، ثم لم ينتهزها، وانتهازها هو ما اشتمل عليه قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[2]، فإنه دلَّ على الاجتناب عن جميع الأقوال المحرمة، والإتيان بجميع كرائم الأقوال والأفعال من التواضع والخدمة، والإنفاق عليهما، ثم الدعاء لهما في العاقبة)[3].

وقد قرن سبحانه وتعالى بر الوالدين بعبادته، لأنه (لما كان أعظم الحقوق وأعلاها وأجلها هو حق الله تعالى: وهو أن يعبد وحده لا شريك له، ثم من حقوق الآدميين

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٢.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣-٢٤.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٤٦/٩-١٤٧.

آكدها وأولاها بذلك حق الوالدين، لذا قرنه بعبادته كما قال جل شأنه: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾[(١)] وقال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾[(٢)] إلى غير ذلك من الآيات[(٣)].

(ومن برهما الأدب معهما، والسلام عليهما عند الدخول والخروج، وتعظيم قدرهما وإكرامهما، ومخاطبتهما بلطف، ولين القول لهما، وعدم رفع الصوت فوق صوتهما، وتلبية ندائهما، وطاعة أمرهما، وقضاء حوائجهما، وتنفيذ وصاياهما، وعدم معارضتهما إلا عند المعصية، ويكون ذلك بلطف ومعروف، وإدخال السرور عليهما، والهدية لهما، وعمل ما يحبانه ويفرحان به من الخير، والمحافظة على سرهما وسمعتهما ومالهما، والحذر من التسبب في شتمهما، بأن يسب والدي إنسان ثم يقابله المسبوب بسبب والديه، وتفقد مواضع سرورهما، وعدم إزعاجهما وعدم مقاطعتهما بالكلام ومعاندتهما، أو الاستهزاء بهما، أو الضحك عليهما، وعدم مد اليد إلى الطعام قبلهما، أو أخذ الطيب منه دونهما وعدم التقدم عليهما بالدخول أو الخروج أو المشي، أو مد الرجل أمامهما. وعلى الولد استشارتهما، وأخذ رأيهما، وتجاربهما، وقبول نصيحتهما في الخير، والدعاء والترحم لهما وصلة من يحبانه، وتجنب إغضابهما، أو الإعراض بوجهه عنهما، أو التأفف من قولهما أو فعلهما، قال تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾[(٤)])[(٥)].

---

(١) سورة لقمان، آية: ١٤.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٢٣.

(٣) بر الوالدين، د. خليل إبراهيم ملا خاطر العزامى ص ٢١-٢٢.

(٤) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٥) موسوعة الآداب الإسلامية، عبدالله بن محمد المعتاز، ١/٢٦-٢٧.

ثانيًا- من صفات الداعية: الحرص على مصلحة المدعوين:

إن من أبرز ما ينبغي أن يتصف به الداعية أن يكون أحرص الناس على مصلحة المدعوين حتى من أنفسهم، لذا فهو يبين لهم ما ينفعهم، ويحذرهم مما يضرهم ويؤدي بهم إلى الهلاك والخسران، وهو إذ يفعل ذلك يقتدي بالنبي ﷺ، كما يتضح في هذا الحديث. فقد بيّن النبي ﷺ أن من فرّط في حق والديه أو أحدهما عند كبرهما، فقد ذلّ وخسر، وفوّت على نفسه فرصة عظيمة لدخول الجنة والفوز بالنعيم المقيم. ولا شك أن هذا حرص على مصلحة المدعوين وتنبيه لهم ألا يغفلوا عن هذا الواجب العظيم تجاه آبائهم وأمهاتهم.

وإلا استحق [المدعو] - كما يقول ابن هبيرة -: (دعاء رسول الله ﷺ، **لأنه لو** امتثل أمر الله في طاعتهما بعد الإيمان به لأحبط ذلك عنه حال السوء، وتضاعف له درجات الخير، فإذا بلغ من الخذلان إلى أنه لم يمتثل أمر ربه في طاعة والديه، ولم يعرف لهما إحسانهما المتقدم من حقه، ولم يلحقه عليهما رأفة حين ضعفهما يماثل بها رأفتهما عليه حين ضعفه، فقد فاتته ثلاث درجات، فكان قول الرسول ﷺ: (رغم أنفه) ثلاث مرات، كل واحدة منهن جواب إخلاله بحال توجب عليه برهما، **الأول:** وصية الله إياه في الإحسان إليهما، والثانية: مكافأتهما في إحسانهما إليه، والثالثة: عدم رحمتهما مع الكبر)[1].

ومن هذا القبيل ما رواه معاوية بن جاهمة السلّمي قال: ((أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ، أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ، وَالدَّارَ الآخِرَةَ. قَالَ: «وَيْحَكَ أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: ارْجِعْ فَبَرَّهَا ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنَ الْجَانِبِ الآخَرِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ. أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ، وَالدَّارَ الآخِرَةَ. قَالَ: وَيْحَكَ أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: فَارْجِعْ إِلَيْهَا فَبَرَّهَا ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنْ أَمَامِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ. أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالدَّارَ الآخِرَةَ.

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٩٢/٨.

قَالَ: وَيْحَكَ أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: وَيْحَكَ اِلْزَمْ رِجْلَهَا. فَثَمَّ الْجَنَّةُ))[١].

ومن هذا القبيل أيضًا ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: ((قال النبي ﷺ: نمتُ فَرَأَيْتُني فِي الْجَنَّةِ، فَسَمِعْتُ صَوْتَ قَارِىءِ يَقْرَأُ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قالوا: هذا حارِثَةُ بْنُ النُّعْمانِ» فقال لها رسول الله ﷺ: «كَذاكَ البِرُّ كَذَاكَ البِرُّ» وكان أبر الناس بأمه))[٢].

ومن ذلك قول أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: ((مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا . فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا جَعَلَ الْفَرَاشُ[٣] وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا. وَجَعَلَ يَحْجُزُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَتَقَحَّمْنَ فِيهَا. قَالَ: فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ. أَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ[٤] عَنِ النَّارِ. هَلُمَّ عَنِ النَّارِ. هَلُمَّ عَنِ النَّارِ. فَتَغْلِبُونِي تَقَحَّمُونَ فِيهَا))[٥].

قال النووي: (ومقصود الحديث أنه ﷺ شبه تساقط الجاهلين والمخالفين بمعاصيهم وشهواتهم في نار الآخرة، وحرصهم على الوقوع في ذلك مع منعه إياهم وقبضه على مواضع المنع منهم، بتساقط الفراش في نار الدنيا لهواه وضعف تمييزه، وكلاهما حريص على هلاك نفسه ساع في ذلك لجهله)[٦].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: التشويق والتكرار:

شوّق النبي ﷺ المدعوين بأن افتتح حديثه بقوله: رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف، وفي ذلك شدٌّ انتباه لهم، وجذب لعقولهم، وشدّ لأفئدتهم، وزاد هذا بأن كرّر قوله ﷺ ثلاث مراتٍ، فبلغ التشويق هنا ذروته وقمتَّه. مما دفع المدعوين أن يقولوا: من؟ يا

---

(١) أخرجه النسائي ٣١٠٤، وابن ماجه ٢٧٨١، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٢٤١).

(٢) أخرجه أحمد ١٥٢/٦ رقم ٢٥١٨٢، وقال محققو المسند: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين ١٠٠/٤٢.

(٣) قال النووي: أما الفراش فقال الخليل: هو الذي يطير كالبعوض، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤١٨.

(٤) الحجز جمع الحجزة: وهي معقد الإزار والسراويل، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤١٨.

(٥) أخرجه مسلم ٢٢٨٤.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤١٨.

رسول الله، كما هو في الحديث في صحيح مسلم[1]، وكل هذا يجعل المدعوين واعين لما يقال، منتبهين لمضمونه، ومن ثم يؤتى بالثمرة المرجوة من ذلك، وهو الحرص على بر الوالدين.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٥١.

الحديث رقم (٣١٨)

٣١٨- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلاً قَالَ: يَا رَسُول الله، إنّ لِي قَرابةً أصِلُهُمْ وَيَقْطَعُوني، وَأُحْسِنُ إلَيْهِمْ وَيُسيئُونَ إلَيَّ، وَأحْلَمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: ((**لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكأنَّمَا تُسِفُّهُمْ المَلَّ، وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذلِكَ**)) رواه مسلم[١].

"وَتُسِفُّهُمْ" بضم التاء وكسر السين المهملة وتشديد الفاء "وَالمَلُّ" بفتح الميم وتشديد اللام وهو الرماد الحار: أي كأنما تطعمهم الرماد الحار وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم، ولا شيء على هذا المُحْسِنِ إليهم، لكن ينالهم إثم عظيم بتقصيرهم في حقه، وإدخالهم الأذى عليه، والله أعلم.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

تسفهم: تطعمهم[٢].

الملَّ: الرمادُ الحارَّ، وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحَق آكل الرماد الحار من الألم[٣].

ظهير: ناصر ومعين[٤].

الشرح الأدبي

أسلوب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائم على أسلوب الشرط ثم التشبيه في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ) وأسلوب الشرط بهذه الصياغة له فائدتان:

---

(١) برقم (٢٥٥٨/٢٢). أورده المنذري في ترغيبه (٣٧١٦). وسيكرره المؤلف برقم (٦٤٨).

(٢) الوسيط في (س ف ف).

(٣) رياض الصالحين، واللسان في (م ل ل).

(٤) الوسيط في (ظ هـ ر).

الأولى: تعميم الحكم حتى لا يقيد بشخص معين، وإنما يشمل كل من كانت هذه حاله كل زمان ومكان - إذ لو قال ﷺ للرجل (إنك تسفهم المل) لاحتمل أن يكون خاصاً به لكن تعليق الرسول ﷺ للجواب على الشرط يعطى الحكم شمولية يندرج تحتها كل من كانت هذه حاله، وهذه إحدى فوائد أسلوب الشرط.

الثانية: تعليق الجواب على الشرط من الرسول ﷺ لكونه لا ينطق عن الهوى، ولو قال ﷺ: إنك تسفهم المل لكان حكماً بصدق الرجل، وإشارة إلى أنه قد استوفى ما عليه تجاه قرابته ولعله ﷺ لم يرد إثباته، وأراد الجواب معلقاً على الشرط (إن كنت كما قلت) حتى يبحث الرجل في نفسه، ويتأكد من أنه لم يقصر في حقهم، ويبحث أوجه التقصير فيما فعل فيتمه، ثم جاء التشبيه في جواب الشرط مرتبطاً بالفاء (فكأنما تسفهم المل) والمل: هو الرماد الحار، ومعناه كأنما تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم، ولا شئ على هذا المحسن بل ينالهم الإثم العظيم في قطيعته، وإدخالهم الأذى عليه، والحديث يحث على تحمل الأذى، والرد الجميل، والإحسان لأولي القربى في حال إحسانهم، وفي حال إساءتهم.(١)

المضامين الدعوية

أولاً: من حقوق المدعو: السؤال عما أهمّه.

ثانيًا: من آداب الداعية: الاحتياط والتثبت قبل الإجابة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل مقابلة الإساءة من الأقارب بالإحسان.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الحذر من الإساءة إلى الأقارب.

خامسًا: من أساليب الدعوة: ضرب الأمثال واستخدام التشبيه.

أولاً- من حقوق المدعو: السؤال عما أهمّه:

إن المدعو يعرض له في حياته ما يحتاج معه إلى أن يسأل الداعية، ليوضح له الحقَّ والصواب، ويرشده إلى ما يفعله وما لا يفعله، فهذا الرجل سأل رسول الله ﷺ عن

---

(١) انظر: بلاغة الرسول ﷺ في تقويم أخطاء الناس دراسة في الصحيحين، د: ناصر راضي الزهري، ٢٥٥.

حاله مع قرابته الذين يقابلون إحسانه بالإساءة، والحلم والصفح بالعدوان والجهل.

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يسألون عمّا أهمّهم وشغلهم، حتى يعرفوا الحق فيفعلوه، والباطل فيجتنبوه.

من ذلك ما ذكرته زينبُ بنت معاوية رضي الله عنها زوج عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قالت: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: ((تَصدَّقْنَ، يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ» قَالَتْ: فَرَجَعْتُ إِلَىٰ عَبْدِ اللّهِ فَقُلْتُ: إِنَّكَ رَجُلٌ خَفِيفُ ذَاتِ الْيَدِ. وَإِنَّ رَسُولَ اللّهِ قَدْ أَمَرَنَا بِالصَّدَقَةِ. فَأْتِهِ فَاسْأَلْهُ. فَإِنْ كَانَ ذٰلِكَ يَجْزِي عَنِّي وَإِلاَّ صَرَفْتُهَا إِلَىٰ غَيْرِكُمْ. قَالَتْ: فَقَالَ لِي عَبْدُ اللّهِ: بَلِ ائْتِيهِ أَنْتِ. قَالَتْ: فَانْطَلَقْتُ. فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِبَابِ رَسُولِ اللّهِ. حَاجَتِي حَاجَتُهَا. قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ قَدْ أُلْقِيَتْ عَلَيْهِ الْمَهَابَةُ. قَالَتْ: فَخَرَجَ عَلَيْنَا بِلاَلٌ فَقُلْنَا لَهُ: ائْتِ رَسُولَ اللّهِ. فَأَخْبِرْهُ أَنَّ امْرَأَتَيْنِ بِالْبَابِ تَسْأَلاَنِكَ: أَتَجْزِئُ الصَّدَقَةُ عَنْهُمَا، عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمَا، وَعَلَىٰ أَيْتَامٍ فِي حُجُورِهِمَا؟ وَلاَ تُخْبِرْهُ مَنْ نَحْنُ. قَالَتْ: فَدَخَلَ بِلاَلٌ عَلَىٰ رَسُولِ اللّهِ . فَسَأَلَهُ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ: مَنْ هُمَا؟ فَقَالَ: امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ وَزَيْنَبُ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ: أَيُّ الزَّيَانِبِ؟ قَالَ: امْرَأَةُ عَبْدِ اللّهِ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ: لَهُمَا أَجْرَانِ: أَجْرُ الْقَرَابَةِ وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ))[١].

جاء في الموسوعة الفقهية: (السؤال على وجه التبين والتعلم عما تمس إليه الحاجة في أمور الدين أو الدنيا مأمور به، أو مباح بحسب حال المسؤول عنه. أما السؤال عما لا تترتب عليه مصلحة دينية ولا دنيوية، على طريق التكلف والتعنت، لغرض التعجيز، وتغليط العلماء، فهو غير جائز ومنهي عنه)[٢].

ثانيًا- من آداب الداعية: الاحتياط والتثبت قبل الإجابة:

إن الداعية كالقاضي، فكما أن الأخير عليه أن يتثبت قبل إصدار الحكم، فكذلك الأمر مع الداعية، فإن عليه أن يستفسر من المدعو حتى يتضح الأمر جليًا قبل أن يجيبه، أو يحتاط في الإجابة، وخاصة إذا كانت تتعلق بطرف آخر لم يسمع منه، وذلك واضح من قول النبي ﷺ للرجل "لئن كنت كما قلت...".

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٦٦، ومسلم ١٠٠٠.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٩٦/٢٤.

ولعلّ من هذا القبيل ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: ((أَتَى رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَسُولَ اللَّهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، فَنَادَاهُ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي زَنَيْتُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَتَنَحَّى تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي زَنَيْتُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ حَتَّى ثَنَى ذَلِكَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا شَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ، دَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ: أَبِكَ جُنُونٌ؟ قَالَ: لاَ. قَالَ: هَلْ أَحْصَنْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: اذْهَبُوا بِهِ فَارْجُمُوهُ))[١].

قال النووي: (قوله ﷺ: "أبك جنون؟" إنما قاله ليتحقق حاله، فإن الغالب أن الإنسان لا يصر على الإقرار بما يقتضي قتله من غير سؤال، مع أن له طريقًا إلى سقوط الإثم بالتوبة. وفي الرواية الأخرى: ((أنَّه سَأَلَ قَوْمَهُ؟ فَقَالُوا: مَا نَعْلَمُ بِهِ بَأْسًا))[٢] وهذا مبالغة في تحقق حاله وفي صيانة دم المسلم)[٣].

وقال ابن حجر: (فيه التثبت في إزهاق نفس المسلم، والمبالغة في صيانته، لما وقع في هذه القصة من ترديده والإيماء إليه بالرجوع، والإشارة إلى قبول دعواه إن ادعى إكراهًا وأخطأ في معنى الزنا، أو مباشرة دون الفرج مثلاً أو غير ذلك)[٤].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل مقابلة الإساءة من الأقارب بالإحسان:

يحث الإسلام على عدم مقابلة الإساءة بالإساءة، بل مقابلتها بالإحسان، وخاصة بين الأقارب، ولما كان هذا الأمر شاقًا على النفس يحتاج إلى مجاهدة ومثابرة، بيّن الإسلام فضله في قول النبي ﷺ: (ولا يزال معك من الله تعالى ظهير عليهم) قال النووي: (الظهير المعين والدافع لأذاهم)[٥].

وقد رغّب سبحانه في مقابلة السيئة بالإحسان، وأثنى على من فعل ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ

---

(١) أخرجه البخاري ٥٢٧١، ومسلم ١٦٩١.

(٢) أخرجه مسلم ١٦٩٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٨٦.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/١٢٨.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٥.

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[١] وقال عز وجل: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: ((أن رجلاً شتم أبا بكر والنبيُّ ﷺ جالسٌ، فجعل النبي ﷺ يَعْجَبُ ويتبسَّم، فلما أكثر ردَّ عليه بعضَ قوله، فغضب النبي ﷺ وقام، فلحقه أبو بكر فقال: يا رسول الله كان يشتمني وأنت جالسٌ، فلما رددتُ عليه بعضَ قولِه غضبتَ وقمتَ قال: «إِنَّهُ كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَنْكَ فَلَمَّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ وَقَعَ الشَّيْطَانُ فَلَمْ أَكُنْ لأَقْعُدَ مَعَ الشَّيْطَانِ» ثم قال: «يَا أَبَا بَكْرٍ ثَلاَثٌ كُلُّهُنَّ حَقٌّ مَا مِنْ عَبْدٍ ظُلِمَ بِمَظْلَمَةٍ فَيُغْضِي عَنْهَا للهِ - عَزَّ وَجَلَّ - إِلاَّ أَعَزَّ اللَّهُ بِهَا نَصْرَهُ، وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ عَطِيَّةٍ يُرِيْدُ بِهَا صِلَةً إِلاَّ زَادَهُ بِهَا كَثْرَةً، وَمَا فَتَحَ بَابَ مَسْأَلَةٍ يُرِيْدُ بِهَا كَثْرَةً إِلاَّ زَادَهُ اللَّهُ بِهَا قِلَّةً))[٣].

قال ابن حبان: (الواجب على العاقل توطين النفس على لزوم العفو عن الناس كافة، وترك الخروج لمجازاة الإساءة، إذ لا سبب لتسكين الإساءة أحسن من الإحسان، ولا سبب لنماء الإساءة وتهييجها أشد من الاستعمال بمثلها... فمن أراد الثواب الجزيل واسترهن الود الأصيل، وتوقع الذكر الجميل، فليتحمل من ورود ثقل الردى، ويتجرع مرارة مخالفة الهوى، باستعمال السنة التي ذكرناها، في الصلة عند القطع، والإعطاء عند المنع، والحلم عند الجهل، والعفو عند الظلم، لأنه من أفضل أخلاق أهل الدين والدنيا... فالواجب لزوم الصفح عند ورود الإساءة عليه من العالَم بأسرهم، رجاء عفو الله جل وعلا على جناياته التي ارتكبها في سالف أيامه، لأن صاحب الصفح إنما يتكلف الصفح بإيثاره الجزاء)[٤].

وما أجمل قول الشاعر في بيان حاله مع أقاربه:

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٤-٣٥.

(٢) سورة الشورى، آية: ٤٠.

(٣) أخرجه أحمد ٤٣٦/٢ رقم ٩٦٢٤، وقال محققو المسند: حسن لغيره ٣٩٠/١٥.

(٤) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان ١٦٦-١٦٨.

وإن الذي بيني وبين بني أبي | وبين بني عمي لمختلف جدا
إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم | وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم | وإن هم هووا غيي هويت لهم رشدا[1]

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الحذر من الإساءة إلى الأقارب:

حذر الإسلام من الإساءة والاعتداء على الغير، كما عظم أمر الاعتداء على الأقارب والإساءة إليهم، لأنهم رحم الإنسان، فقد قال النبي ﷺ في شأن الرجل المحسن إلى أقاربه المسيئين له "كأنما تسفهم الملّ" قال ابن الأثير: (الملّ والملّة: الرماد الحارّ الذي يحمى ليدفن فيه الخبز لينضج، أراد: إنما تجعل الملّة لهم سفوفًا يستفونه. يعني: أن عطاءك إياهم حرام عليهم ونارٌ في بطونهم)[2].

وقال النووي: (وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم[3] بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم، ولا شيء على هذا المحسن، بل ينالهم الإثم العظيم في قطيعته وإدخالهم الأذى عليه. وقيل: معناه إنك بالإحسان إليهم تخزيهم وتحقرهم في أنفسهم لكثرة إحسانك وقبيح فعلهم، من الخزي والحقارة عند أنفسهم كمن يسف الملّ، وقيل: ذلك الذي يأكلونه من إحسانك كالملّ يحرق أحشاءهم)[4].

وقد أمر الله تعالى بالإحسان إلى ذوي القربى، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[5].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٥٧/٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير ٨٨٣.

(٣) في المطبوع من شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص : الألم، والتصحيح من رياض الصالحين ص ١٧١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٥، وانظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٥٦/١.

(٥) سورة النساء، آية: ٣٦.

فقد (أوصى الله سبحانه بالإحسان إلى الوالدين إثر تصدير ما يتعلق بحقوق الله عز وجل التي هي آكد الحقوق وأعظمها، تنبيهًا على جلالة شأن الوالدين بنظمهما في سلكها، ثم عطف على الإحسان إليهما الإحسان إلى القرابات من الرجال والنساء)[١].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (قال ابن جزي: حقوق المسلم على المسلم عشرة: أن يسلم عليه إذا لقيه، ويعوده إذا مرض، ويجيبه إذا دعاه، ويشمته إذا عطس، ويشهد جنازته إذا مات، ويبر قسمه إذا أقسم، وينصح له إذا استنصحه، ويحب له الخير ما يحب لنفسه، ويكف عنه شره ما استطاع، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ويبذل له من خيره ما استطاع في دينه ودنياه، فإن لم يقدر على شيء فكلمة طيبة، فإن كان من القرابة فيزيد على ذلك حق صلة الرحم بالإحسان والزيارة، وحسن الكلام واحتمال الجفاء)[٢].

خامسًا- من أساليب الدعوة: ضرب الأمثال واستخدام التشبيه:

بين النبي ﷺ حال الرجل مع أقاربه بأن قال له ﷺ "كأنما تسفهم المل" أي (كأنما تطعمهم الرماد الحار وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحق آكل الرماد من الألم... فينالهم إثم عظيم بتقصيرهم في حقه وإدخالهم الأذى عليه)[٣].

والملاحظ على هذا التشبيه أنه منتزع من بيئة المدعو، فهو يعرفه جيدًا ويفهمه تمام الفهم، ومن ثم يصل المعنى إلى ذهنه لا لبس فيه ولا غموض، بل يصله وقد ازداد وضوحًا على وضوح.

وقد استخدم القرآن الكريم ضرب الأمثال في دعوته الناس إلى الحق[٤] ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٥]، كما استخدم النبي ﷺ الأمثال كذلك في دعوتهم[٦].

---

(١) محاسن التأويل، القاسمي ١٣٩/٥.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٧٤/٢٣-٧٥.

(٣) رياض الصالحين ١٧١ بتصرف يسير.

(٤) انظر: مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد، ١٦٤-١٦٦.

(٥) سورة الحشر، آية: ٢١.

(٦) وقد جعل الترمذي في سننه كتابًا أسماه، كتاب الأمثال عن رسول الله ﷺ ضمنه الأحاديث ٢٨٥٩-٢٨٧٤.

الحديث رقم (٣١٩)

٣١٩- وعن أنسٍ رضي الله عنه: أن رَسُول اللّه ﷺ، قَالَ: ((**من أحَبَّ أنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، ويُنْسأَ لَهُ فِي أثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1]. وَمَعْنَى "يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ" أي: يُؤَخَّرَ لَهُ فِي أَجَلِه وعُمُرِه.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

بدأ الرسول ﷺ حديثه بأسلوب شرط ضمَّنه كثيراً من وسائل التشويق والإثارة لمتابعة الخبر وتحقيق يقظة المخاطب، فقوله: (من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره) فقد صدَّره بأداة الشرط (من) التي تنادي بكل عاقل ليحوز الخير العاجل مع ما ينتظره من الثواب الآجل، ثم تعبيره بلفظ السرور الذي يداعب الوجدان ويمني النفس بكل محبوب وهي كلفة بكل ما يحقق لها السرور والسعادة، وتعبير الرسول ﷺ بالمصدر المنسبك من (أن) والفعل دون المصدر الصريح (البسط) لأن التعبير بالمصدر المنسبك من أن والفعل المضارع مع دلالته على ما يدل عليه المصدر يدل على التجدد والاستمرار الذي يوحي بتجدد البسط كلما جد وصل ويصوِّر الفعل المضارع (يبسط) مُلْكَ واصل رحمه وعمره وهو ما يزال يتسع مما يشجع الواصل على دوام هذه الصلة.وقوله (يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره) كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة، وعمارة الوقت بما ينفعه في الآخرة، وصيانته عن تضييعه في غير ذلك، وقول الرسول ﷺ (فليصل رحمه) جواب للشرط سبقه بإثارة، وتشويق جعل المخاطب في قمة الاستشراف لجواب الشرط الذي سبقه بأحب ما تهفو إليه النفس المجبولة على حب البقاء، وكثرة الرزق[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٦) ومسلم (٢١/٢٥٥٧) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٩٥).

(٢) انظر: بلاغة الرسول ﷺ في تقويم أخطاء الناس دراسة في الصحيحين، د. ناصر راضي الزهري، ٥٥.

فقه الحديث

إن صلة الرحم من أمور البر التي حث عليها الإسلام، فالإنسان الذي لا يصل رحمه قاطع لما أمر الله بصلته، ولاشك أن قطع الرحم معصية كبرى وذنب عند الله عظيم.

وقد بنى الفقهاء على ذلك أحكامًا فقهية عديدة، فاتفقوا[1] على أن صلة الرحم واجبة في الجملة على المسلم، وأنه مطالب بالسعي لوصل المقطوع منها، ونصوا[2] على أن من نذر أن يقطع رحمه لا يوفي بنذره، بل يكفر عن يمينه ويصل رحمه، لأنه نذر في معصية، ونصوا[3] على أن الهبة والصدقة تكون لذي الرحم أفضل منها في غيرهم.

---

(١) رد المحتار على الدر المختار المسمى بـ "حاشية ابن عابدين"، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٤١١/٦، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، الشيخ علي بن أحمد العدوي ٤٢٧/٢، وبلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، أحمد بن محمد الصاوي ٤٨٨/٣، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٩٢/٤، والزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي ١٣٠/٢، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب، الإسفراييني الحنبلي ٦٤٧/١، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٤٣٣/١، وسبل السلام، الصنعاني٦٢٧/٢.

(٢) المدونة الكبري رواية سحنون، الأصبحي ٥٨٨/١.

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٥٠/٢، وشرح فتح القدير، ابن همام الحنفي ٢٧٠/٢، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ١٥٥/٢، والمدونة ٣٤٧/١، وأحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٣٤٨/٤، والأم، الإمام الشافعي ٩٧/٢، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٤٠٧/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٠٩/٦، ٢٣٤، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٦٩/٢، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٤٦٢/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٨٩/٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل صلة الرحم.

ثانيًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعو إلى ما ينفعه.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: صلة الأرحام.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل صلة الرحم:

بيّن النبي ﷺ فضل من يصل رحمه بأنه يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره: "أي: يؤخر له في أجله وعمره"[(١)].

وقد أكد النبي ﷺ هذا المعنى في أحاديث أخرى، فقال ﷺ: ((تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الأَهْلِ مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ، مَنْسَأَةٌ فِي الأَثَرِ))[(٢)].

وقال ﷺ كذلك: ((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمُرِهِ، وَيُوسَّعَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُدْفَعَ عَنْهُ مِيتَةُ السَّوْءِ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ، وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))[(٣)].

وقال ﷺ أيضًا: ((صِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَحُسْنُ الْجِوَارِ: تعمُرانِ الديَارَ، وَيَزِيدانِ فِي الأَعْمَارِ))[(٤)].

قال ابن هبيرة: (إن الرحم هي أولى الخلق بالبر، فإذا أبرها الإنسان فقد وضع البر في موضعه، فرجى منه أن يضع فيما وراء الرحم مثل ذلك من البّر، وكان جديرًا بما أخبر به رسول الله ﷺ من بسط الرزق وطول العمر)[(٥)].

---

(١) رياض الصالحين ١٧١.

(٢) أخرجه الترمذي ١٩٧٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦١٢).

(٣) أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائده على المسند ١٤٣/١ رقم ١٢١٣ وقال محققو المسند: إسناده قوي ٣٨٧/٢.

(٤) أخرجه أحمد ١٥٩/٦ رقم ٢٥٢٥٩ وقال من محققو المسند: (إسناده صحيح ١٥٣/٤٢).

(٥) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٣/٥.

قال ابن حجر رحمه الله: (قال العلماء: معنى البسط في الرزق البركة فيه، وفي العمر حصول القوة في الجسد، لأن صلة أقاربه صدقة، والصدقة تُربي المال وتزيد فيه، فينمو بها ويزكو؛ لأن رزق الإنسان يكتب وهو في بطن أمه، فلذلك احتيج إلى هذا التأويل، أو المعنى: أنه يكتب مقيدًا بشرط، كأن يقال: إن وصل رحمه فله كذا، وإلا فكذا، أو المعنى بقاء ذكره بعد الموت)[١].

وقد صحح النووي رحمه الله أن الزيادة في العمر: (البركة فيه والتوفيق للطاعات، وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة، وصيانتها عن الضياع في غير ذلك)[٢].

جاء في الموسوعة الفقهية: (في صلة الرحم حكم جليلة، عبّر عن أهمها حديث رسول الله ﷺ: "من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه"، ومن الفوائد الكثيرة التي أشار إليها الفقهاء، رضى الله سبحانه وتعالى، لأنه أمر بصلة الرحم وإدخال السرور على الأرحام، ومنها زيادة المروءة، وزيادة الأجر بعد الموت، لأنهم يدعون له بعد موته كلما ذكروا إحسانه)[٣].

ثانيًا- من مهام الداعية: إرشاد المدعو إلى ما ينفعه:

يوجه الداعية المدعوين إلى ما ينفعهم وما يفيدهم في دنياهم وآخرتهم، لأنه ناصح أمين لهم، والنبي ﷺ بيّن للمدعوين نفع صلة الرحم وفائدته، ولا شك أن هذا دعوة لهم إلى الامتثال والتطبيق في حياتهم، حتى يجنوا هذه الثمار الطيبة من صلة الرحم.

ومن هذا القبيل ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: ((مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ. وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانِ)) قيل: وَمَا الْقِيرَطَانِ؟ قَالَ: ((مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ))، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يُصَلِّي عَلَيْهَا ثُمَّ يَنْصَرِفُ؛ فَلَمَّا بَلَغَهُ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَقَدْ ضَيَّعْنَا قَرَارِيطَ كَثِيرَةً[٤].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥٢/٤، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٥، وشرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٥١/٩ - ١٥٢، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٣٠/١٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٥.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٨٥/٣.

(٤) أخرجه البخاري ١٣٢٥، ومسلم ٩٤٥ وهذا لفظه.

قال النووي رحمه الله: (وفيه ما كان الصحابة رضي الله عنهم عليه من الرغبة في الطاعات حين يبلغهم، والتأسف على ما يفوتهم منها، وإن كانوا لا يعلمون عظم موقعه)[(١)].

وقد قال ﷺ: ((إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَىٰ خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ))[(٢)].

قال ابن عثيمين: (كل الأنبياء عليهم السلام كان منهم النصيحة لأقوامهم، يعلمونهم الخير ويدلونهم عليه ويحثونهم عليه، ويبينون الشر ويحذرونهم منه، هكذا يجب على أهل العلم وطلابه، أن يبيّنوا للناس الخير، ويحثوهم عليه، ويبينوا الشر ويحذرونهم منه؛ لأن علماء هذه الأمة ورثة الأنبياء، فإن النبي ﷺ ليس بعده نبي، ختمت النبوة به، فلم يبق إلا العلماء الذين يبلغون شرعه ودينه، فيجب عليهم ما يجب على الأنبياء من بيان الخير والحث عليه، ودلالة الناس إليه، وبيان الشر والتحذير منه)[(٣)].

ثالثًا- من أهداف الدعوة: صلة الأرحام:

يحرص الإسلام حرصًا شديدًا على سوق الخير للناس أجمعين، ومن سوق الخير لهم حضّهم على صلة الأرحام، وهذا واضح في قوله ﷺ: "من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه"، قال النووي: (قال القاضي عياض[(٤)]: ولا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة وقطيعتها معصية كبيرة، والأحاديث تشهد لهذا، ولكن الصلة درجات بعضها أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة وصلتها بالكلام ولو بالسلام، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة، فمنها واجبٌ ومنها مستحب، ولو وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعًا، ولو قصّر عما يقدر عليه وينبغي له لا يسمى واصلاً)[(٥)].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٠٨.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٤٤.

(٣) شرح رياض الصالحين ١/ ٩٦٠.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٨/ ٢٠.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٤.

وجاء في الموسوعة الفقهية: "تحصل صلة الأرحام بأمور عديدة منها: الزيارة والمعاونة وقضاء الحوائج والسلام لقوله ﷺ: ((بُلّوا[(١)] أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ))[(٢)]، كما تحصل الصلة بالكتابة إن كان غائبًا، نصّ على ذلك الحنفية والمالكية والشافعية، وهذا في غير الأبوين، أما هما فلا تكفي الكتابة إن طلبا حضوره، وكذلك بذل المال للأقارب فإنه يعتبر صلة لهم، لقوله ﷺ: ((الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الْقَرَابَةِ اثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ))[(٣)]، وظاهر عبارة الحنفية والشافعية أن الغني لا تحصل صلته بالزيارة لقريبه المحتاج إن كان قادرًا على بذل المال له، ويدخل في الصلة جميع أنواع الإحسان مما تتأتى به الصلة"[(٤)].

وصلة الرحم من مكارم الأخلاق، وقد قال النبي ﷺ: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ))، وفي رواية: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لأتَمِّمَ صَالِحَ الأخْلاَقِ))[(٥)].

قوله ﷺ: (لأتمم صالح الأخلاق)، قال ابن عبد البر: "ويدخل في هذا المعنى الصلاح والخير كله، والدين والفضل والمروءة والإحسان والعدل، فبذلك بعث ليتمّمه، وقد قالت العلماء: إن أجمع آية للبر والفضل ومكارم الأخلاق قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[(٦)(٧)].

---

(١) بُلّوا: أي: ندّوها بصلتها، وهم يطلقون النداوة على الصلة كما يطلقون اليبس على القطيعة، لأنهم لما رأوا بعض الأشياء يتصل ويختلط بالنداوة، ويحصل بينها التجافي والتفرق باليبس استعاروا البَلَلَ لمعنى الوصل، واليبس لمعنى القطيعة، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ل ل).

(٢) أخرجه البزار والطبراني كما في مجمع الزوائد ١٥٢/٨، وقال السخاوي في المقاصد الحسنة ص ١٧٦: طرقه يقوي بعضها بعضًا.

(٣) أخرجه ابن ماجه ١٨٤٤، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٤٩٤).

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ٨٤/٣ - ٨٥.

(٥) أخرجه أحمد٣٨١/٢ رقم ٨٩٥٢، والبخاري في الأدب المفرد ٢٧٣، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤٥، وانظر تتمة تخريجه في: تحقيق مسند أحمد ٥١٣/١٤.

(٦) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٧) التمهيد، ابن عبدالبر، تحقيق: مجموعة من الباحثين ٣٣٢/٢٤.

وقال الحسن البصري عن هذه الآية: (إن الله عز وجل جمع لكم الخير كله والشر كله في آية واحدة، فوالله ما ترك العدل والإحسان من طاعة الله شيئًا إلا جمعه، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئًا إلا جمعه)[١].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

رغّب النبي ﷺ في صلة الرحم بأن أخبر أن جزاء ذلك البسط في الرزق والنسأة في الأجل والعمر، ومن الملاحظ أن هذه الأشياء تهفو إليها كل النفوس، وترغب فيها كل الأفهام، مما يدفع المدعوين إلى سرعة الامتثال والتمسك بصلة الرحم، مهما قابلهم من عقبات أو واجهوا من مشكلات في سبيل ذلك.

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ١٤٠.

الحديث رقم (٣٢٠)

٣٢٠- وعنه، قَالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أكْثَرَ الأنْصَارِ بالمَدينَةِ مَالاً مِنْ نَخل، وَكَانَ أحَبُّ أمْوَاله إلَيْهِ بَيْرَحاء، وَكَانَتْ مستَقْبلَةَ المَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُول الله ﷺ يَدْخُلُهَا، وَيشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّب، فَلَمَّا نَزَلَتْ هذِهِ الآيةُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: ٩٢] قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إلَى رسولِ الله ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُول الله، إنَّ الله تبارك وتَعَالَى، يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وَإنَّ أَحَبَّ مَالِي[١] إلَيَّ بَيْرَحَاءُ، وَإنَّهَا صَدَقَةٌ للهِ تَعَالَى، أرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ الله تَعَالَى، فَضَعْهَا يَا رَسُول الله، حَيْثُ أرَاكَ الله. فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**بَخٍ! ذلِكَ مَالٌ رَابحٌ، ذلِكَ مَالٌ رَابحٌ! وقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإنِّي أرَى أنْ تَجْعَلَهَا في الأقْرَبينَ**))، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أفْعَلُ يَا رَسُول الله، فَقَسَّمَهَا أَبُو طَلْحَةَ في أقَارِبِهِ وبَنِي عَمِّهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[٢].

وسبق بيان ألفاظِهِ في: (باب الإنْفَاقِ مِمَّا يحب)[٣].

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

بيرحاء: حديقة نخل وروي بكسر الباء وفتحها[٤].

مستقبلة المسجد: أمام المسجد النبوي[٥].

ذخرها: هو ما يعد لوقت الحاجة. والمراد: أجرها عند الله[٦].

---

(١) لفظ البخاري في هذه الرواية: (أموالي) وبهذا اللفظ عنده برقم (٥٦١١)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه (٥١٦/٢، رقم ١٨٨٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٦١) واللفظ له، ومسلم (٩٩٨/٤٢). أورده المنذري في ترغيبه (١٢٨٣).

(٣) تقدم برقم (٢٩٧).

(٤) رياض الصالحين ١٦٥.

(٥) الوسيط في (ق ب ل).

(٦) المصباح المنير في (ذ خ ر).

بخ: كلمة تقال عند الرضا والإعجاب بالشيء أو المدح أو الفخرتقول: بَخْ وبخٍ وتقول مكررًا: بَخْ بَخْ وبخٍ بخٍ[١].

مال رابح: قوله: "مال رابح" روي في الصحيح "رابح" و"رايح" بالباء الموحدة وبالياء المثناة: أي رياح عليك نفعه[٢].

الشرح الأدبي

الحديث يحكي قصة وقعت مع صحابي جليل تضمنت معاني عظيمة تحكي تفاعل الصحابة البناء مع آيات الله إيماناً، ويقيناً، وعملاً، والراوي صوَّر هذا المعنى، بمقدمة تمثلت في بيان حال الصحابي أحد طرفي الحوار، وقد استخدم أفعل التفضيل (أكثر - أحب) والفعل الأول كشف عن وضعه المادي، والثاني كشف عن المفارقة بين حبه لبستانه (بيرحاء) وبين تنفيذ أمر الله، والتقرب إليه، وقد انتصر على نفسه، وآثر ما عند الله، وهو ما صوَّره بقوله (وإنها صدقة لله)، والواو في عبارته طوت ما سبق من أوصاف البستان ليدلل على مكانته عنده، وإيثاره لما عند الله، وقد أكد الجملة بعدة مؤكدات دلالة على تمام قناعته بما فعل وقوله للرسول (فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ الله) تفويض له ﷺ يعكس ثقته، ورضاه بما يرضي رسول الله؛ لأنه يتصرف بوحي الله، وهو ما يدل عليه قوله: (حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ)، وقول الرسول ﷺ: « بَخٍ ذَلِكَ مَالٌ رابح ذَلِكَ مَالٌ رَائِحٌ) بخ كلمة يقولها المتعجب من الشيء، وتقال عند المدح، والرضا بالشيء، يؤكد ذلك الإشارة الدالة على التعظيم (ذلك) وتنكير كلمة (مال) للتعظيم ثم زاده حفاوة، ورضا بتكرار الجملة مع ما في التكرار من الترغيب لغيره، وقول الرسول ﷺ (وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ » لأنه على الأقربين صدقة، وصلة إذا كانوا فقراء بالإضافة إلى أنه علاج نفسي ينزع الأحقاد، ويحقق المحبة، والرضا بين المسلمين.

المضامين الدعوية[٣]

(١) الوسيط في (ب خ).

(٢) رياض الصالحين ١٦٥.

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٩٧).

الحديث رقم (٣٢١)

٣٢١- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قَالَ: أقبلَ رَجُلٌ إِلَى نَبيِّ الله ﷺ ، فقَالَ: أُبَايِعُكَ عَلَى الهِجْرَةِ وَالجِهَادِ أَبْتَغي الأجْرَ مِنَ الله تَعَالَى. قَالَ: ((**فَهَلْ لَكَ مِنْ وَالِدَيْكَ أحَدٌ حَيٌّ؟**)) قَالَ: نَعَمْ، بَلْ كِلاهُمَا. قَالَ: ((**فَتَبْتَغي الأجْرَ مِنَ الله تَعَالَى؟**)) قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: ((**فارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ، فَأحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ، وهذا لَفْظُ مسلِم[١].

وفي رواية لَهُمَا[٢]: جَاءَ رَجُلٌ[٣] فَاسْتَأذَنَهُ في الجِهَادِ، فقَالَ: ((**أحَيٌّ وَالِدَاكَ؟**)) قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: ((**فَفيهِمَا فَجَاهِدْ**)).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بأسلوب خبري خلى من المؤكدات، وتنكير كلمة (رجل) لعدم تعلق غرض بتعريفه، وقول الرجل: (أُبَايِعُكَ عَلَى الهِجْرَةِ وَالجِهَادِ) أسلوب إنشائي غير طلبي لأنه قصد به إنشاء البيعة، وقوله (عَلَى الهِجْرَةِ وَالجِهَادِ) إعلان لرغبته بذل ماله، ونفسه رغبة في ما عند الله كما دل عليه قوله: (أَبْتَغي الأجْرَ مِنَ الله (وقول الرسول ﷺ(فَهَلْ لَكَ مِنْ وَالِدَيْكَ أحَدٌ حَيٌّ ؟) استفهام حقيقي جاء تمهيداً يبني عليه الحكم، والاستفهام

---

(١) أخرجه مسلم عقب الحديث (٢٥٤٩/٦، بدون رقم) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٤٩).

تنبيه: هذا الحديث أورده الحميدي في جمعه (٤٣٤/٣، رقم ٢٩٣٤) في المتفق عليه، وعزاه بهذا اللفظ إلى مسلم من حديث ناعم مولى أم سلمة، ولم يذكر البخاري، وهو الصواب، ولأجل ذلك ذكر المؤلف الرواية المتفق عليها بعده، حيث قال: (وفي رواية لهما). وكذا عزاه المنذري في ترغيبه بهذا اللفظ إلى مسلم.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٤)، ومسلم (٢٥٤٩/٥) والسياق للحميدي في جمعه (٤٣٤/٣، رقم ٢٩٣٤). أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٤٩).

(٣) عندهما زيادة: (إلى النبي ﷺ) اختصره الحميدي في جمعه ولم يوردها، فتبعه عليها المؤلف.

الثاني: (فَتَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللهِ تَعَالَى؟) استفهام محذوف الأداة غرضه حمل المخاطب على الإقرار بالحكم، فلما أقر بالحكم رتب عليه الأمر بالرجوع إلى والديه: (فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ، فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا) وهذا الحديث يقرر عن طريق الواقع الفعلي بين الرسول ﷺ، وصاحبه عظمة أجر بر الوالدين، ومدى الثواب الذي يناله من حظي برضا والديه، في الدنيا عاجلاً، وفي الآخرة آجلاً.

فقه الحديث

إن الجهاد فرض كفاية متى قام به البعض سقط عن الباقين، ولا يتعين إلا في حالات معروفة شرعًا، وبر الوالدين فرض عين، ولذا كان مقدمًا على الجهاد، وقد اتفق الفقهاء[1] على أنه متى كان الجهاد فرض كفاية، فإنه لا يجوز لمن كان والداه حيين أو أحدهما أن يخرج إلى الجهاد متطوعًا إلا بإذنهما، ولكن متى تعين الجهاد كان له الخروج بدون إذنهما.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على الهجرة والجهاد.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: عظم حق الوالدين.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

خامسًا: من فقه الداعية: ترتيب الأولويات.

سادسًا: من مهام الداعية: توجيه المدعوين إلى ما يناسبهم.

---

(١) انظر في ذلك: شرح فتح القدير، ابن همام الحنفي ٤٤٢/٥، و(٤٤١) رد المحتار على الدر المختار المسمى بـ "حاشية ابن عابدين"، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ١٢٥/٤، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٢١/٣، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ١٧٥/٣، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٣٥٠/٣، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٣٩٥/١، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ١٧٧/٤، وتحفة المحتاج ٢٣٣/٩، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٧٠/٩، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٦٢١/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٥/٣، والمحلى، ابن حزم ٣٤٢/٥.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

من أساليب الدعوة التي تظهر في هذا الحديث أسلوب السؤال والجواب في قوله ﷺ: "فهل لك من والديك أحد حي؟" قال: نعم بل كلاهما. قال: "فتبتغي الأجر من الله تعالى؟" قال: نعم قال: "فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما" فسأل رسول الله ﷺ الذي يريد أن يبايعه على الهجرة والجهاد، وأجابه الرجل.

وأسلوب السؤال والجواب أسلوب مفيد في الدعوة إلى الله، فهو يجعل الداعية لديه رؤية واضحة عن حقيقة أمر المدعو، حتى يتسنى له تحديد احتياجاته الدعوية.

قال القرطبي: (وقوله: "جاء رجل يستأذنه في الجهاد فقال: ألك أبوان؟ قال: نعم" فيه ما يدل على أن المفتي إذا خاف على السائل الغلط، أو عدم الفهم، تعين عليه الاستفصال، وعلى أن الفروض والمندوبات مهما اجتمعت قدم الأهم منها، وأنّ القائم على الأبوين يكون له أجر مجاهد وزيادة)[1]. وقال ابن حجر: (ويؤخذ منه أن المكلف يستفصل عن الأفضل في الأعمال ليعمل به، لأنه سمع فضل الجهاد فبادر إليه، ثم لم يقنع حتى استأذن فيه، فدل على ما هو أفضل منه في حقه، ولولا السؤال لما حصل له العلم بذلك)[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على الهجرة والجهاد:

إن من موضوعات الدعوة التي يتضمنها الحديث حرص الصحابة رضي الله عنهم على الهجرة والجهاد، وهذا يظهر من قول الرجل "أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى".

فهذا الحرص لعلم الصحابة رضي الله عنهم بفضل من سبق في الهجرة والجهاد، فيريدون أن يلحقوا بهم، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[3] فقد أخبر الله تعالى أنه قد رضي عن السابقين الأولين من

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٥٠٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/١٦٣.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٠٠.

المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان[١]. والحرص على الجهاد لما له عند الله من الثواب والأجر العظيم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٢].

وقال رسول الله ﷺ ((إنَّ في الجنةِ مائةَ درجةٍ أعدَّها الله للمجاهدينَ في سَبيلِ الله ما بينَ الدرجتين كما بينَ السماءِ والأرض))[٣].

فالهجرة والجهاد من أهم ما حرص عليه صحابة رسول الله ﷺ لعظم الفضل والأجر فيهما.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: عظم حق الوالدين:

إن من موضوعات الدعوة التي تظهر من هذا الحديث عظم حق الوالدين، يتضح ذلك عندما أقبل الرجل إلى النبي ﷺ فقال: "أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى" قال: "فهل لك من والديك أحد حي؟" قال نعم بل كلاهما... قال "فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما"، أو قال: "ففيهما فجاهد".

قال القاضي عياض: (قوله ﷺ: "ففيهما فجاهد": يحتمل أن هذا كان بعد الفتح وسقوط فرض الهجرة والجهاد، وظهور الدين، أو كان من الأعراب وغيرهم الذين كانت تجب عليه الهجرة، فرجح بر والديه وعظيم حقهما، وكثرة الأجر في برهما، وأن ذلك أفضل من الجهاد، وحسبك بهذا، ولم ير أهل العلم الجهاد إلا بإذنهما)[٤].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٠٣/٤.

(٢) سورة الصف، الآيتان: ١٠-١٢.

(٣) أخرجه البخاري ٢٧٩٠.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٧/٨.

وقال القرطبي رحمه الله: (وقول الأعرابي: "أبايعُك على الهجرة" أي: على أن أهجر دار قومي، وأهاجر إليك، فأقيم معك في المدينة، وهذا في زمن وجوب الهجرة.

وقوله: "فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما"، وعلى الخلاف في وجوب الهجرة، هل كان على أهل مكة خاصة، أو كان على كل من أسلم؟ وعلى القولين فقط أسقط عنه الهجرة، لأن حق الوالدين أولى؛ لأنه إن كانت الهجرة عليه واجبة، فقد عارضها ما هو أوجب منها، وهو حق الوالدين، فقُدم، وإن لم تكن واجبة عليه، فالواجب أولى على كل حال)[(١)].

وقد ورد الكثير في القرآن والسنة مما يدل على عظم حق الوالدين، مثل قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[(٢)].

قال القرطبي: (أمر الله سبحانه بعبادته وتوحيده، وجعل بر الوالدين مقرونًا بذلك كما قرن شكرهما بشكره، فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ﴾ وقال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[(٣)] وفي صحيح البخاري عن عبدالله قال ((سألتُ النبيَّ ﷺ: أَيُّ العملِ أحبُّ إلى اللهِ ؟ قال: الصلاةُ عَلَى وَقتِها. قال: ثمَّ أيٌّ؟ قال: ثمَّ بِرُّ الوالِدَينِ. قال: ثمَّ أيٌّ؟ قال: الجهادُ في سبيل اللهِ))[(٤)] فأخبر النبي ﷺ أن بر الوالدين أفضل الأعمال بعد الصلاة التي هي أعظم دعائم الإسلام ورتب ذلك بثم التي تعطي الترتيب والمهلة[(٥)].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٥١٠.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٣) سورة لقمان، آية: ١٤.

(٤) أخرجه البخاري ٥٢٧، ومسلم ٨٥.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٥/١٠/٢٣٨.

فبر الوالدين من الأشياء التي اهتم بها الإسلام وأعطاها عناية خاصة، فينبغي على الدعاة بيان عظم حق الوالدين ووجوب برهما.

رابعًا- من أساليب الدعوة: الأمر:

من أساليب الدعوة التي تظهر في هذا الحديث أسلوب الأمر، ويظهر في قوله ﷺ "فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما" و"ففيهما فجاهد" وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة المهمة، حيث يجعل الداعية يستطيع الأمر بما يراه أمرًا لازمًا في دعوته للمدعوين، ويشعر المدعو بأهمية الأمر الذي أمر به الداعية، فينبغي على الداعية استخدام أسلوب الأمر في دعوته من أجل حث المدعوين على الامتثال لطاعة الله عز وجل ورسوله ﷺ.

خامسًا- من فقه الداعية: ترتيب الأولويات:

من فقه الداعية المستنبط من عموم الحديث ترتيب الأولويات، وهذا يعني أن يبدأ الداعية بالأهم فالمهم، ويتضح ذلك جليًا في أمره ﷺ من أراد مبايعته على الهجرة والجهاد، أن يجاهد في والديه برعايتهما وصحبتهما، فالجهاد أمر مهم ولكن رعاية الأبوين أهم، لأن الجهاد يوجد من يقوم به، أما رعاية الأبوين فأولى الناس بها هم الأبناء، قال القرطبي: (وإن الفروض والمندوبات مهما اجتمعت قدم الأهم منها، وأن القائم على الأبوين يكون له أجر مجاهد وزيادة. وقوله: "ففيهما فجاهد" أي: جاهد نفسك في برِّهما وطاعتهما، فهو الجهاد الأولى بك؛ لأن الجهاد فرض كفاية، وبر الوالدين فرض عين، فلو تعين الجهاد وكان والداه في كفاية ولم يمنعاه، أو أحدهما من ذلك، بدأ بالجهاد. فلو لم يكونا في كفاية تعين عليه القيام بهما، فبدأ به، فلو كانا في كفاية ومنعاه لم يلتفت إلى منعهما؛ لأنهما عاصيان بذلك المنع، وإنما الطاعة في المعروف، كما لو منعاه الفرض"[1]، وترتيب الأولويات منهج إسلامي، فلم يكن الإسلام يسوق أحكامه دون ترتيب، بل ساقها مرتبة حسب أولويتها، وحسب استجابة المدعوين لها.

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٠٩/٦ - ٥١٠.

يؤيد ذلك قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ((أول ما نزل منه -أي القرآن- سورة من المفَصل فيها ذِكرُ الجنةِ والنار، حتى إذا ثاب الناسُ إلى الإسلام نَزَلَ الْحلالُ والحرامُ، ولو نزل أوَّلَ شيءٍ لا تشربوا الخَمرَ لقالوا لا نَدَعُ الخمر أبدًا، ولو نزل لاتزنُوا لقالوا لا نَدَعُ الزِّنا أبدًا))[1].

فقد أشارت أم المؤمنين رضي الله عنها إلى الحكمة الإلهية في ترتيب التنزيل، وأن أول ما نزل من القرآن: الدعوة إلى التوحيد، والتبشير للمؤمن المطيع بالجنة، وللكافر العاصي بالنار، فلما اطمأنت النفوس إلى ذلك نزلت الأحكام[2].

فينبغي على الداعية تقديم ما هو أصل على ما هو فرع، فيقنع الناس به، ويحملهم على قبوله، فإذا ما استقر في القلوب، واستجابت له النفوس، انتقل إلى ما دون ذلك من أمور[3]. فترتيب الأولويات من مهام الداعية التي تفيده في دعوته، لأنه لو علم كيف يبدأ، وماذا يقدم؟ وماذا يؤخر؟ وعلم ما هي القضايا التي يعطيها أولوية قبل غيرها؟ كان داعية ناجحًا مؤثرًا في مدعويه.

سادسًا- من مهام الداعية: توجيه المدعوين إلى ما يناسبهم:

إن من مهام الداعية التي تستنبط من عموم الحديث، توجيه المدعوين إلى ما يناسبهم وهذا يدل عليه توجيهه صلى الله عليه وسلم لمن أراد أن يبايعه على الهجرة والجهاد حيث وجهه صلى الله عليه وسلم إلى ما يناسبه وهو رعاية والديه. وهو ما يجب أن يتصف به الداعية، قال ابن حجر: (المستشار يشير بالنصيحة المحضة)[4].

لأن الداعية محل تقدير المدعوين، وموضع احترامهم، فينبغي عليه أن يكون أهلاً لهذا التقدير والاحترام، وذلك بتوجيه المدعوين إلى ما يناسب حالهم، وحال أهلهم، أو المسؤولين منهم، وهذا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مع من أراد الهجرة والجهاد، فوجهه إلى رعاية والديه وهذا مناسب له ولوالديه.

---

(١) أخرجه البخاري ٤٩٩٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٥٧/٨.

(٣) انظر: صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ١٠٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٦٣/٦.

الحديث رقم (٣٢٢)

٣٢٢- وعنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: ((**لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِئ، وَلَكِنَّ الوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا**)) رواه البخاري[1]. و"قَطَعَتْ" بِفَتْحِ القَافِ والطَّاء. و"رَحِمُهُ" مرفوع.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

المكافئ: أي الذي يعطي لغيره ما أعطاه ذلك الغير[2].

الشرح الأدبي

دعي الرسول ﷺ إلى ما يضمن تماسك المجتمع، من خلال سن خصال الخير التي تحقق ذلك، ومقابلة السيئة بالحسنة خلق كريم دعا القرآن إليه، وشاهده الصحابة ممثلاً في الرسول ﷺ ودعاهم إليه، وهذا الحديث يدعو إلى هذا الخلق في معاملة الناس لاسيما ذوي الرحم منهم.

والحديث أسلوبه خبري بني على جملة واحدة صدرت في ثوب القصر عن طريق العطف بـ(لكن) حيث نفى صفة الواصل عن المكافئ وأثبتها للذي يصلها إذا قطعت، وفي الحديث طباق يوضح المفارقة بين المسمى الخاطئ، وحقيقة الواصل بين (الواصل - وقطعت)، وإضافة الرحمة للضمير في قوله: (رحمه) إشارة إلى اختصاصه بها، وأنها جزء منه، وهو جزء منها.

والحديث يصحح خطأ الفهم عند كثير من الناس الذين يتعاملون بحساب المصالح يعطي إذا أُعْطَي، ويمنع إذا مُنِع، ولذلك سمَّاه الرسول ﷺ بالمكافئ.

---

(١) برقم (٥٩٩١). أورده المنذري في ترغيبه (٣٧١٤).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٤٣٧.

المضامين الدعوية(١)

أولاً: من مهام الداعية: تصحيح المفاهيم الخاطئة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على مقابلة الإساءة بالإحسان.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل صلة الأرحام.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: خطورة قطيعة الأرحام.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً- من مهام الداعية: تصحيح المفاهيم الخاطئة:

إن من مهام الداعية التي تظهر من هذا الحديث تصحيح المفاهيم الخاطئة، ويظهر في قوله ﷺ "ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها"... الحديث.

فمن المفاهيم الخاطئة والمنتشرة بين كثير من الناس، أن صلة الرحم تكون مع من يصله، أما من يقاطعه ولا يصله فلا صلة له عليه، فأتى حديث رسول الله ﷺ مصححًا لهذا المفهوم الخاطئ، وبيّن أن صلة الرحم تكون مع من قطعه، وهذا كان نهجه ﷺ فلا يترك مفهومًا خاطئًا إلا صححه، فعندما رأى تصور الناس لمفهوم القوة وأن القوي من يصرع الناس بقوته ويغلبهم، بيّن لهم ﷺ أن هذا مفهوم خاطئ، وأن القوة الحقيقية تكمن في السيطرة على النفس عند الغضب، فيقول ((ليس الشديدُ بالصُّرَعة، إنما الشديدُ الذي يملكُ نفسَه عندَ الغضب))(٢) فينبغي للداعية إلى الله أن ينهج نهج رسول الله ﷺ ويتأسى به في تصحيح المفاهيم الخاطئة عند الناس، وخاصة في هذا العصر، الذي قلّت فيه معرفة الناس بأمور دينهم، وكثُر تقليدهم للعادات والتقاليد، والأنماط المعيشية البعيدة عن الإسلام.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على مقابلة الإساءة بالإحسان:

إن من موضوعات الدعوة المستنبطة من الحديث: الحث على مقابلة الإساءة

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٣٢٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٣٢٣).

(٢) أخرجه البخاري ٦١١٤، ومسلم ٢٦٠٩.

بالإحسان وهذا يظهر في قوله ﷺ "... ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها..." فبيّن ﷺ أن واصل الرحم هو من يصل من قطعه، لا من وصله، وفي ذلك حثّ على مقابلة الإساءة بالإحسان، وهذا خلق من الأخلاق التي دعا إليها الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[1] قال السعدي: (... ثم أمر بإحسان خاص، له موقع كبير، وهو الإحسان إلى من أساء إليك فقال "ادفع بالتي هي أحسن" أي: فإذا أساء إليك مسيء من الخلق، خصوصًا من له حق عليك كالأقارب، والأصحاب، ونحوهم، إساءة بالقول أو بالفعل فقابله بالإحسان إليه. فإن قطعك فصله، وإن ظلمك فاعف عنه، وإن تكلم فيك غائبًا أو حاضرًا، فلا تقابله؛ بل اعف عنه وعامله بالقول اللين. وإن هجرك، وترك خطابك فطيِّب له الكلام، وابذل له السلام. فإذا قابلت الإساءة بالإحسان حصل فائدة عظيمة)[2]. فينبغي للداعية تذكير المدعوين بما دعا إليه الإسلام من الإحسان إلى المسيء، والعفو عن المخطئ، وصلة القاطع وحسن الخلق.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل صلة الأرحام:

إن من موضوعات الدعوة التي تظهر من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فضل صلة الرحم، ويدل على ذلك قوله ﷺ "الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله...". قال ابن عثيمين: (إن الرحم متعلقة بالعرش، تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله، وهذا يحتمل أن يكون خبرًا وأن يكون دعاءً، يعني يحتمل أن الرحم تخبر وتدعو الله عز وجل به، وعلى كل حال فهو دليل على عظم شأن الرحم وصلتها، وأنها تحت العرش تدعو بهذا الدعاء، أو تخبر بهذا الخبر)[3].

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٦٩٥.

(٣) شرح رياض الصالحين ١/ ٦٩٦.

ولصلة الرحم فضل عظيم، ولذلك حث الإسلام على تلك الصلة، وأثنى على الواصلين كما جاء ذلك في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ﴾[١] قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: (والذين يصلون ما أمر به أن يوصل، من صلة الأرحام والإحسان إليهم وإلى الفقراء...)[٢].

وقال رسول الله ﷺ ((من أحبَّ أن يُبسَطَ له في رِزقه، ويُنسأ له في أثره، فلْيَصِلَ رَحِمه))[٣] وقال ﷺ: ((إنَّ الرَّحمَ شُجْنةٌ من الرحمن، فقال الله: من وصلَكِ وَصَلْتُه، ومن قَطعكِ قطعتُه))[٤].

والنصوص في هذا الموضوع كثيرة جدًا، ومن أمعن النظر في هذه النصوص الكريمة وجدها صريحة في الحث على صلة الرحم[٥].

فينبغي على الداعية بيان فضل صلة الرحم، وأثره في المحبة والألفة بين الأقارب وكذلك ثوابه عند الله تعالى.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: خطورة قطيعة الرحم:

إن من موضوعات الدعوة التي تظهر من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها خطورة قطيعة الرحم ويدل على ذلك قوله ﷺ "الرحم معلقة بالعرش تقول... ومن قطعني قطعه الله" فبيّن أن من يقطع رحمه يقطعه الله، وهذا أمر خطير يدل على خطورة قطيعة الرحم.

وقد حذر الإسلام من القطيعة وتوعد أهلها بأشد العقوبات الدنيوية والأخروية.

فقال سبحانه محذرًا من القطيعة: ﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ۝٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴾[٦].

---

(١) سورة الرعد، آية: ٢١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤/٤٥٠.

(٣) أخرجه البخاري ٥٩٨٦، ومسلم ٢٥٥٧.

(٤) أخرجه البخاري ٥٩٨٨.

(٥) انظر: المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم ﷺ، زيد بن محمد هادي مدخلي ص ١٦٧، ١٦٨.

(٦) سورة محمد، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (أي: تعودوا إلى ما كنتم فيه من الجاهلية الجهلاء، تسفكون الدماء، وتقطعون الأرحام ولهذا قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عمومًا، وعن قطع الأرحام خصوصًا)(١).

وقال رسول الله ﷺ ((لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ))(٢)، وقال ﷺ: ((مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ الله لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ))(٣).

والنصوص في التحذير من قطيعة الرحم كثيرة، وذلك لخطورة قطيعة الرحم، ولما تسببه من كراهية وقطع في العلاقات الأسرية بين المسلمين، مما يجعل الناس لا يشعر بعضهم ببعض، ويعم الجفاء بين الأقارب، وهذا منافٍ لشريعة الإسلام ومبادئه التي تدعو إلى الترابط والمحبة، والتعاطف والتراحم والمواساة.

فينبغي للداعية أن يحذر من قطيعة الرحم ويبين خطورة ذلك على المجتمع الإسلامي وعلى المتقاطعين.

خامسًا- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

من أساليب الدعوة التي تظهر من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الترغيب والترهيب.

أما الترغيب ففي قوله ﷺ "الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله" فقد رغّب ﷺ في صلة الأرحام وبيّن أن من يصل الرحم يصله الله تعالى، وأي ترغيب هذا؟ إنه ترغيب عظيم يحمل كل مؤمن ومؤمنة على المسارعة إلى صلة الأرحام، طمعًا في رضوان الله تعالى.

وأما الترهيب ففي قوله ﷺ "الرحم معلقة بالعرش تقول: ...، ومن قطعني قطعه الله" فقد رهّب ﷺ من قطع الأرحام، وبيّن أن قطع الأرحام سبب في قطع الله لقاطع الرحم، وهذا ترهيب عظيم يخشاه كل ذي عقل سليم، لأن من يقطعه الله لا واصل له.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣١٨/٧.

(٢) أخرجه البخاري ٥٩٨٤، ومسلم ٢٥٥٦ واللفظ له.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٥١١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠٣٩).

والأصل في الترغيب: أن يكون في نيل رضاء الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة وكسب ثوابه في الآخرة والفوز فيها، والأصل في الترهيب: أن يكون بالخوف من غضب الله وعقابه في الدنيا والآخرة[1].

فينبغي على الداعية إلى الله أن يرغب في صلة الأرحام، ويرهب من قطعها.

(١) الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي ص ٢٠٢.

الحديث رقم (٣٢٣)

٣٢٣- وعن عائشة، قَالَتْ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي، وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي، قَطَعَهُ اللهُ**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

الحديث يتميز بإيجاز القصر وهو سوق المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة، وهو من مميزات البيان النبوي فقد أوتي جوامع الكلم، وهذا الحديث خير شاهد، فقد صدر في أسلوب خبري دون مؤكدات مساق الخبر المعلوم فالمعنى من عالم الغيب، والمتحدث نبي، والمخاطبون صحابته رضي الله عنهم اختارهم له كما اختاره للناس جميعاً، والحديث يبدأ بأسلوب تشويقي؛ لأنه أمر غيبي لا يقصُّه إلا نبي فتصغي له الأسماع، وتتطلع إليه النفوس (الرَّحِمُ مُعلَّقة بالعرشِ) وتعريف الرحم باللام للعهد إشارة لكل فرد توجهه إلى أهله، وكل من لهم حق عليه، وقوله: (معلقة بالعرش) شرف الموضع يدل على شرف الموضوع وأهميته التي بلغت به هذا المبلغ، وهو صلة الرحم، وهذا النحو من الكلام يشير خطر التهاون فيها، وقوله (تقول) أي بطريق الإخبار بداية، ورواية، وحكاية، أو على سبيل الدعاء من وصلني وصله الله أي بحسن رعايته، وبجميل حمايته، ومن قطعني قطعه الله أي عن عين عنايته، ومن كمال رحمته ورأفته فالوصل إقبال إليه، وقبول منه، والقطع عبارة عن الغضب عليه، والإعراض عنه.

وبين عبارة: (من وَصَلَني وَصَلَهُ اللهُ) وبين عبارة (ومن قطعني قَطَعَهُ الله) وهذه المقابلة تقرر أن الجزاء من جنس العمل، قطيعة بقطيعة، ووصل بوصل، فالشقي من قطع رحمه فقطعه الله، والسعيد من وصل رحمه فوصله الله.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٩)، ومسلم واللفظ له (٢٥٥٥/١٧). أورده المنذري في ترغيبه (٣٧٠٨).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٣٢٤)

٣٢٤- وعن أم المؤمنين ميمونة بنتِ الحارث رضي الله عنها: أنَّهَا أعْتَقَتْ وَليدَةً وَلَمْ تَستَأذِنِ النَّبيَّ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُهَا الَّذِي يَدُورُ عَلَيْهَا فِيهِ، قَالَتْ: أشَعَرْتَ يَا رَسُول الله، أنِّي أعتَقْتُ وَليدَتِي؟ قَالَ: ((أوَ فَعَلْتِ؟)) قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: ((أما إنَّكِ لَوْ أعْطَيْتِهَا أخْوَالَكِ كَانَ أعْظَمَ لأجْرِكِ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

ميمونة بنت الحارث: هي ميمونة بنت الحارث بن حَزْن الهلالية زوج النبي ﷺ وأم المؤمنين، وأخت أم الفضل زوجة العباس بن عبدالمطلب، وخالة خالد بن الوليد، وخالة عبدالله بن عباس.

كان اسمها برّة فسماها النبي ﷺ ميمونة. وتزوجها في ذي القعدة سنة سبع لما اعتمر عمرة القضاء، وولي أمر نكاحها العباس زوج أختها.

وقد تزوجها النبي ﷺ بسَرِف [مكان بين مكة والمدينة قريب من مكة] وقد اختلف في حال النبي وقت زواجه إياها: أكان محرمًا بالعمرة أم حلالاً قد فرغ منها.

قال ابن حجر: وقد انتشر الاختلاف في هذا الحكم بين الفقهاء، ومنهم من جمع بأنه ﷺ عقد عليها وهو محرم وبنى بها بعد أن أحلّ من عمرته بالتنعيم وهو حلال في الحلّ. وقيل: عُقِد له عليها قبل أن يحرم وانتشر أمر تزويجها بعد أن أحرم، فاشتبه الأمر.

كانت معروفة بالإيمان والصلاح والتقوى وصلة الرحم، شهد لها النبي ﷺ بالإيمان فقال: ((الأخوات مؤمنات: ميمونة وأم الفضل وأسماء))[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٩٢) واللفظ له، ومسلم (٩٩٩/٤٤). أورده المنذري في ترغيبه (٣٧٠٦).

(٢) أخرجه ابن سعد ١٣٨/٨ وقال الحافظ ابن حجر: سنده صحيح. وأخرجه الحاكم بلفظ: الأخوات مؤمنات: ميمونة زوج النبي ﷺ وأختها أم الفضل بنت الحارث وأختها سلمى بنت الحارث امرأة حمزة، وأسماء بنت عميس أختهن لأمهن.

وقالت عنها عائشة رضي الله عنها: ((إنها كانت من أتقانا لله عز وجل وأوصلنا للرحم))[١].

وذات مرة دخل عليها قريب لها، فوجدت منه ريح شراب، فقالت: لئن لم تخرج إلى المسلمين فيجلدوك لا تدخل عليّ أبدًا.

توفيت سنة ٥١هـ ودفنت بسرف المكان الذي تزوجها فيه النبي ﷺ[٢].

غريب الألفاظ:

وليدة: جارية[٣].

الشرح الأدبي

الحديث يحكي موقفاً طريفاً من بيت النبوة طرفاه النبي ﷺ وأم المؤمنين ميمونة -رضي الله عنها - وقد بدأ الحديث مؤكداً بأكثر من مؤكد في قولها: (أنها أعتقت وليدة) والفعل الماضي يقرر تمام الفعل، وقولها: (وَلَمْ تَسْتَأْذِنِ النَّبِيَّ ﷺ) يشير إلى مساحة من الحرية الشخصية في بيت النبي ثقة في حكمتهن وحسن تصرفهن، مع ما يوحي به من استقلال الذمة المالية للمرأة حيث تصرفت في مالها دون رجوع لإذن زوجها، وتعبيرها بالدوران في قولها (يدور فيه) دليل على العدل المطلق للرسول ﷺ بينهن؛ لأن الذي يسير في دائرة لا يخرج عنها لأنها ليس لها طرف، والعبارة كلها كناية عن تعاهد نسائه، والقيام بأمورهن، واستفهام أم المؤمنين رضي الله عنها إخبار للنبي ﷺ بما كان من أمر عتقها لوليدتها، واستفهام النبي ﷺ (أو فعلت ؟...) تقرير للتحقيق، والتثبيت للخبر، وبقية حديثه ﷺ تنديم لها على عدم إعطائها لأخوالها، وفيه بيان

---

(١) أخرجه ابن سعد ١٣٨/٨ والحاكم (٣٢/٤) وقال الحافظ: هذا سند صحيح.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد (١٣٢/٨) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٩٣٦ وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٦٢/٧) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٧٧٠ والسير (٢٣٨/٢) وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٥٧٩/٨) والتهذيب (٦٨٩/٤) والأعلام، خير الدين الزركلي (٣٤٢/٧) وموسوعة عظماء حول الرسول (١٨٦٦/٣).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥٨/٥.

فضل صلة الرحم، وتفضيلها على عتق الرقاب، والأسلوب من بدايته يوحي بعتاب رقيق لتقصير أم المؤمنين رضي الله عنها في استئذان النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك.

فقه الحديث

وفي الحديث من الأحكام ما يأتي:

١- الاعتناء بأقارب الأم إكرامًا لها، وهو زيادة في برها.

٢- وفيه: جواز تبرع المرأة بمالها بغير إذن زوجها[١].

٣- وفيه: أن الصدقة على الأقارب، وذوي الأرحام أفضل من العتق[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها على تحصيل الثواب.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: التقرير.

ثالثًا: من مهام الداعية: الإرشاد إلى الأولى.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل صلة الأرحام.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها على تحصيل الثواب:

إن من موضوعات الدعوة التي تظهر من هذا الحديث حرص أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها على تحصيل الثواب، الشاهد على ذلك عتقها للأمة التي كانت عندها. ففي هذا العتق تحصيل للثواب لقوله صلى الله عليه وسلم: ((من أعتَقَ رقَبةً مُسلمةً أَعتقَ اللّهُ بكل عُضو منه عضوًا من النار حتَّى فَرجَهُ بفَرجِهِ))[٣].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٦/٧، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٩/٥، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ٢٠٠/٦.

(٢) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ٢٠٠/٦، والتمهيد، ابن عبدالبر ٢٣٧/١٩.

(٣) أخرجه البخاري ٦٧١٥، ومسلم ١٥٠٩.

وقوله ﷺ: ((... وأيُّما امرأةٍ مُسلمةٍ أَعتَقَتِ امرأةً مسلِمةً فإنّ اللّه جَلّ وعلا جَاعِلٌ وِقاءَ كُلِّ عظمٍ من عظامِ محرِّرها عظمًا مِن عظامِها منَ النّارِ))(١).

من أجل ذلك كانت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها حريصة على تحصيل الثواب بعتق الأمة، وكيف لا تحرص على تحصيل الثواب؟ وهي أم المؤمنين إحدى زوجات النبي ﷺ من أهل بيته عاشت معه وتخلقت بأخلاقه وتعلمت من سنته وهديه. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾(٢).

وقالت عائشة رضي الله عنها عن ميمونة رضي الله عنها ((أما إنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم))(٣).

ثانيًا- من أساليب الدعوة: التقرير:

إن من أساليب الدعوة التي تظهر في هذا الحديث أسلوب التقرير، وهذا يظهر في قوله ﷺ: "أو فعلت؟" قالت: نعم، حيث قررها ﷺ بعتقها، وأسلوب التقرير أسلوب جيد في الدعوة الإسلامية، فهو يجعل الداعية يستطيع أن يقرر المدعو بفعله أو قوله، دون مخالفة شرعية وكذلك إقراره بالحق.

ثالثًا- من مهام الداعية: الإرشاد إلى الأولى:

إن من مهام الداعية التي تظهر من هذا الحديث الإرشاد إلى الأولى، والشاهد على ذلك قوله ﷺ: "أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك" حيث أرشد ﷺ أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها إلى الأولى من العتق وهو إعطاؤها لأخوالها.

قال ابن حجر: (إن أم المؤمنين ميمونة كانت رشيدة، وأنها أعتقت قبل أن تستأمر النبي ﷺ فلم يستدرك ذلك عليها، بل أرشدها إلى ما هو الأولى)(٤).

فينبغي على الداعية التأسي بالنبي ﷺ في إرشاد المدعوين إلى الأولى من

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٩٦٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٣٥٥).

(٢) سورة الأحزاب، من آية: ٣٣.

(٣) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ١٧٧١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/١٣٠٣.

التصرفات. لأن الداعية لا ينجح في دعوته، ولا يكون موفقًا في تبليغها حتى يعرف من يدعوهم وكيف يدعوهم، وماذا يقدم معهم؟ وماذا يؤخر؟ وما القضايا التي يعطيها أهمية وأولوية قبل غيرها؟ وما الأفكار الضرورية التي يطرحها ويبدأ بها؟

وهذه الطريقة في الدعوة هي طريقة الرسول ﷺ وطريقة الذين اتبعوه بإحسان. فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن قال: ((إنكَ ستأتي قومًا أهلَ كتابٍ، فإذا جئتهم فادعُهم إلى أن يَشهدوا أنْ لا إلهَ إلاّ اللّهُ وأنَّ محمدًا رسولُ اللّهِ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبِرْهم أنَّ اللّهَ قد فَرَضَ عليهم خمسَ صلواتٍ في كل يومٍ وليلةٍ، فإن هم أطاعوا لك بذلكَ فأخبرْهم أنَّ اللّهَ قد فَرَضَ عليهم صدقةً تُؤْخَذُ من أغنِيائهم فتُرَدُّ على فقرائهم. فإن هم أطاعوا لكَ بذلكَ فإيَّاكَ وكَرائمَ أموالهم. واتَّقِ دَعوةَ المظلومِ، فإنه ليس بينَهُ وبينَ اللّهِ حِجابٌ))[1].

من هذا النص يتبين أن على الداعية أن يبدأ بالأهم ثم المهم، وأن يبدأ في الدعوة بالعقيدة قبل العبادة، وبالعبادة قبل مناهج الحياة، وبالكليات قبل الجزئيات، وبالتكوين الفردي قبل الخوض في الأمور العامة[2].

فالإسلام أمرنا إن بذلنا الأموال أن نفعل الأولى، بإعطاء ذوي الأرحام وذوي الحاجات. ونقدم المستور الخامل على المستور السائل. فإن اجتمع مضطرون لا تجب نفقتهم ومعنا كفاية أحدهم، قدمنا الأفضل فالأفضل[3].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل صلة الأرحام:

إن من موضوعات الدعوة التي تظهر من الحديث، فضل صلة الأرحام ويدل على ذلك قوله ﷺ "أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك" قال النووي: (فيه فضيلة صلة الأرحام والإحسان إلى الأقارب وأنه أفضل من العتق)[4]. وذلك دليل على عظم صلة الأرحام.

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٩٦، ومسلم ١٩.

(٢) كيف يدعو الداعية، عبدالله ناصح علوان ٤٧، ٤٨.

(٣) انظر: شجرة المعارف والأحوال، العز بن عبدالسلام السُلمي ص ٣٥٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٢٨.

ولأن الصدقة على ذوي الأرحام فضلها عظيم، كان ﷺ يأمر بها دائمًا. يؤيد ذلك ما ورد عن أنس رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1] جاء أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، يقول الله تعالى في كتابه ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إلي ببرحاء -قال: وكانت حديقة كان رسول الله ﷺ يدخلها ويستظل فيها ويشرب من مائها- فهي إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ، أرجو بره وذخره، فضعها أي رسول الله حيث أراك الله، فقال رسول الله ﷺ ((بَخْ يَا أَبَا طَلْحَةَ، ذَلِكَ مالٌ رَابحٌ، قَبِلْنَاهُ مِنْكَ، وَرَدَدْنَاهُ عَلَيْكَ، فاجعلهُ في الأَقْرَبِينَ)) فتصدق به أبو طلحة على ذوي رحمه[2]. وقال ﷺ مرغبًا في الصدقة على ذوي الأرحام: (الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي القرابة اثنتان: صدقة وصلة)[3].

(وليس أدلَّ على عناية الإسلام البالغة بالرحم من تلك الصورة الرائعة التي رسمها رسول الله ﷺ للرحم حين تقوم بين يدي الله فتستعيذ بالله من قطيعتها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ اللّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ. حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَتْ: هذَا مَقَامُ الْعَائِذِ مِنَ الْقَطِيعَةِ. قَالَ: نَعَمْ. أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَىٰ. قَالَ: فَذَاكِ لَكِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ۝٢٣ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[4]))[5])[6].

فينبغي على المسلم أن يحرص على صلة الأرحام وتقديم الأقارب في الصدقة على غيرهم.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٩٢.

(٢) أخرجه البخاري ٢٧٥٨.

(٣) أخرجه ابن ماجه ١٨٤٤، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٤٩٤).

(٤) سورة محمد، الآيات: ٢٢-٢٤.

(٥) أخرجه البخاري ٤٨٣٠، ومسلم ٢٥٥٤.

(٦) دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح بن محمد بن فالح الصغير ص ٨١-٨٢.

الحديث رقم (٣٢٥)

٣٢٥- وعن أسماءَ بنتِ أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، قالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشركةٌ في عَهْدِ رسولِ الله ﷺ ، فاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ ، قُلْتُ: (قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي)[1] وَهِيَ رَاغِبَةٌ ، أفَأصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: ((**نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

وقولها: "رَاغِبَةٌ"، أي: طامعة عندي تسألني شيئًا؛ قيل: كانت أمها من النسب، وقيل: من الرَّضَاعة والصحيح الأول.

ترجمة الراوي:

أسماء بنت أبي بكر: هي أسماء بنت أبي بكر بن أبي قحافة.

والدة الخليفة عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما ، وأختُ أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، ولدت قبل الهجرة بسبع وعشرين سنة، وكان إسلامها قديمًا بمكة، وهاجرت إلى المدينة وهي حامل بعبدالله بن الزبير، وهي أسنُّ من عائشة ببضع عشرة سنة، شهدت اليرموك مع زوجها الزبير بن العوام رضي الله عنه وكانت تسمى ذات النطاقين، لأنها صنعت للنبي ﷺ طعامًا حين هاجر إلى المدينة فلم تجد ما تشده به، فشقت نطاقها وشدت به الطعام.

وكانت فصيحة حاضرة القلب واللب، تقول الشعر، وكانت سخية النفس، وفي ذلك قال ابن الزبير رضي الله عنهما ما رأيتُ امرأةً قط أجودَ من عائشة وأسماء، وجُودهما مختلف: أما عائشة فكانت تجمعُ الشيء إلى الشيء، حتى إذا اجتمع عندها وضعته مواضِعَه، وأما أسماء، فكانت لا تدخِرُ شيئًا لغد.

وكانت نموذجًا يقتدى به في خدمتها وعونها لزوجها، فضلاً عن رعايتها لغَيْرته، فقد قالت: تزوجني الزبير، وماله شيء غير فرسه، فكنتُ أسوسه وأعلفه، وأدق لناضِحه النَّوى، وأستقي، وأعجن، وكنت أنقل النَّوى من أرض الزبير، التي أقطعه

---

(١) قوله: (قدمت عليَّ أمي) لا يوجد عند البخاري في هذه الرواية، وعنده برقم (٣١٨٣): (إنَّ أمي قدمت عليَّ) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه. وتبعه عليه المنذري والمؤلف.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٢٠)، ومسلم (١٠٠٣/٤٩) والسياق للحميدي في جمعه (٢٦٤/٤، رقم ٣٥٠٨). أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٧١).

رسول الله ﷺ وهي على ثلثي فرسخ فجئتُ يومًا، والنوى على رأسي، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر، فدعاني، فقال: "إخ، إخ"، ليحملني خلفه فاستحيتُ وذكرتُ الزُّبير، وغَيْرَتَه، قالت: فمضى.

فلما أتيتُ، أخبرتُ الزُّبير. فقال: والله، لحملك النَّوى كان أَشدَّ عليَّ من ركوبك معه! قالت: حتى أرسل إليَّ أبوبكر بعدُ بخادم، فكفتني سياسةَ الفَرَس، فكأنما أعتقني[1].

وكانت قوية شجاعة، لم تهب الحجاج بن يوسف الثقفي بعد أن قتل ابنها، أن تقول له سمعت رسول الله ﷺ يقول ((يخرج من ثقيف كذاب، ومُبير)) فأما الكذاب، فقد رأيناهُ -تعني المختار- وأما المُبيرُ، فأنت[2].

وقد بلغت من العمرِ مائة سنة، ولم يَسقُط لها سن ولم ينكر لها عقل. ولها (٥٨) حديثًا.

وتوفيت بمكة في جمادى الأولى سنة ٧٣هـ[3].

الشرح الأدبي

الحديث دليل على احترام، ورعاية الإسلام للمشاعر الإنسانية حتى للمشركين، تروي الحديث صحابية جليلة هي أحد طرفي الحوار، وقد قدمت للسؤال بما كان من قدوم أمها، وقولها (وهى راغبة) فيه إيجاز بالحذف أي: في أن أصلها، أو راغبة عن

---

(١) أخرجه البخاري ٣١٥١، ٥٢٢٤، ومسلم ٢١٨٢.

(٢) ذكره الهيثمي في "المجمع" ٢٦٠/٩.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٢٤٩/٨-٢٥٥، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٨٧١-٨٧٢)، والأعلام، خير الدين الزركلي (٣٠٥/١)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٧/٧-٩)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٦٣٢، وموسوعة عظماء حول الرسول (٤٩٠/١-٤٩١)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (٢٨٧/٢-٢٩٦)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٥١٧/٨)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٦٦٣/٤).

الإسلام كارهة له، واستفهامها (أفأصل أمي ؟) استفهام على حقيقته مع ما يوحي به من رغبتها في صلة أمها يدل على ذلك جملة الحال التي قدمتها على السؤال (وهي راغبة) لذلك جاءت عبارة الرسول ﷺ الدالة على رحمته وحكمته (صلي أمك) وهو أمر إباحة يدل على أهمية صلة الرحم لاسيما صلة الوالدين اللذين أمر الله ورسوله ببرهما ولو كانا مشركين.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم صلة الرحم الكافرة، وقد اتفق الفقهاء[1] على أن صلة الوالدين الكافرين مطلوبة، لأنه نوع من البر لهما، فيطيعهما ويحسن إليهما، إلا في طلب الكفر، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وكذا يجوز للمسلم عند جمهور الفقهاء أن يصل رحمه الكافرة، وأن يقيم معهم علاقة طيبة وأن يهبهم، ويهدي إليهم، ويتصدق عليهم، ويقبل منهم الهبات والهدايا.

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: صلح الحديبية.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها على استفتاء رسول الله ﷺ.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على صلة الوالدين وإن كانا غير مسلمين.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من تاريخ الدعوة: صلح الحديبية:

إن من تاريخ الدعوة في هذا الحديث صلح الحديبية، ويدل على ذلك قول أسماء بنت أبي بكر ﷺ: "قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ" قال ابن

(١) أحكام القرآن، الجصاص ٦٥٣/٣، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٢٢٩/٧، وأحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٤٠١/١، والزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي ١٢١/٢، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب، الإسفراييني الحنبلي ٣٨٦/١، والفروع، ابن مفلح ٦٣٨/٤، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ١٦٢/٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٨٤/٣.

حجر رحمه الله: (قوله: "في عهد رسول الله ﷺ" أراد بذلك ما بين الحديبية والفتح)[1].

أي: في زمن معاهدته مع المشركين في صلح الحديبية، وكان صلح الحديبية في ذي القعدة في السنة السادسة من الهجرة.

وصلح الحديبية كان بداية مرحلة متميزة في تاريخ الدعوة، وقد كان فتحًا مبينًا تمهيدًا لفتح مكة.

وسمى الله تعالى صلح الحديبية فتحًا، وأنزل سورة الفتح في منصرف النبي ﷺ من الحديبية عائدًا إلى المدينة، تلك السورة التي افتتحت بقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾[2].

نعم كان فتحًا، ولم يكن ذلاً كما تراءى لبعض كبار الأصحاب، وذلك لأنه أنهى الحرب المستمرة بين النبي ﷺ وبين قريش، ووفر الجهد ليدخره للدعوة خارج الجزيرة العربية، وكان وثيقة اعتراف من قريش بوجود النبي ﷺ، وكان تمهيدًا للفتح الأعظم: (فتح مكة)، كما أنه فرّغ النبي ﷺ لليهود الذين يتألبون عليه مع المنافقين، وكذلك المشركين واستطاع أن يطهر المدينة منهم، كما أنه أعطى المسلمين الحق في أداء الشعائر الدينية من حج وعمرة على النحو الإسلامي[3]، فكان صلح الحديبية تاريخًا مؤثرًا وفعالاً في تاريخ الدعوة إلى الله تعالى.

ولقد تبرم كثير من الصحابة رضي الله عنهم من معظم شروط الصلح، ومن الادلة على ذلك أن عليًا رضي الله عنه اعتذر عن محو كلمة (رسول الله) التي اعترض عليها سهيل بن عمرو، فقال له رسول الله ﷺ: ((أرني مكانها)) فأراه مكانها فمحاها رسول الله ﷺ وكتب على مكانها (ابن عبدالله)[4] وغضبوا لشرط رد المسلمين الفارين من قريش إلى

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/٣٠٩.

(٢) سورة الفتح، الآيات: ١ - ٣.

(٣) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، د. محمد فوزي فيض ص ٢٩٠ - ٢٩١.

(٤) أخرجه البخاري ٢٦٩٩، ومسلم ١٧٨٣ واللفظ له.

قريش، فقالوا: يا رسول الله، نكتب هذا؟ قال: ((نَعَمْ، إِنَّهُ مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إِلَيْهِمْ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، وَمَنْ جَاءَنَا مِنْهُمْ، سَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ فَرَجًا وَمَخْرَجًا))[١].

ويحكي عمر بن الخطاب رضي الله عنه مجيئه إلى رسول الله ﷺ غاضبًا عند كتابة ذلك الصلح، قال: (فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ، وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ: إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي، قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، أَفَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ، قَالَ: قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ، قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ، إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَاللَّهِ، إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ)[٢].

وقال عمر رضي الله عنه: (ما زلت أصوم وأتصدق وأعتق من مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ حتى رجوت أن يكون خيرًا)[٣].

ولم تطب نفس عمر رضي الله عنه إلا عندما نزل القرآن مبشرًا بالفتح[٤].

ونزلت سورة الفتح وهم في طريق العودة: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[٥]، وقال عنها الرسول ﷺ: ((لقد أُنزلت عليَّ الليلةَ سُورةٌ لَهيَ أحبُّ إليّ مما طَلَعَتْ عليه الشمسُ))[٦]، وقال عمر رضي الله عنه متعجبًا: (أَوَ فَتْحٌ هُوَ؟) فقَالَ له الرسول ﷺ: ((نَعَمْ))

---

(١) أخرجه مسلم ١٧٨٤.

(٢) أخرجه البخاري ٢١٨٢، ومسلم ١٧٨٥، وأحمد ٣٢٥/٤ بإسناد حسن، وابن إسحاق بإسناد حسن، ابن هشام ٤٣٩/٣ - ٤٤٠ وبقريب من رواية البخاري.

(٣) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن، ابن هشام ٤٤٠/٣.

(٤) انظر: ما أخرجه مسلم ١٧٨٥.

(٥) سورة الفتح، آية: ١.

(٦) أخرجه البخاري ٤١٧٧.

فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَعَ[(١)]، وفي رواية: ((نَعَمْ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّهُ لَفَتْحٌ))[(٢)]، وفرح المسلمون بذلك فرحًا غامرًا، وانجلت السحابة من الغم، وأدركوا قصورهم عن إدراك كل الأسباب والنتائج، وأن الخير في التسليم لأمر الله ورسوله [(٣)].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرص أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما على استفتاء رسول الله ﷺ:

يظهر هذا في قولها رضي الله عنها: "فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: قدمت على أمي وهي راغبة أفأصل أمي؟" فحرص أسماء رضي الله عنها على استفتاء رسول الله ﷺ حرص منها على أن يكون عملها مرضيًا من رسول الله ﷺ، فإذا رفض، ما كانت لتصل أمها وخاصة أنها كانت مشركة، فخشيت أن تصلها دون أخذ رأي رسول الله ﷺ ومعرفة حكمه في صلة الأم المشركة، قال ابن حجر: (فيه تحري أسماء في أمر دينها، وكيف لا وهي بنت الصديق وزوج الزبير رضي الله عنهم)[(٤)] فسؤالها كان تحريًا منها ولأجل معرفة رأي رسول الله ﷺ وما يقضي به رسول الله ﷺ سوف تلتزم به لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[(٥)].

فيجب على المدعو استفتاء العلماء فيما خشي على نفسه من وقوع الخطأ فيه إذا فعله دون استفتاء، وينبغي على الداعية إرشاد المدعوين إلى سؤال أهل العلم والفقه فيما لا يعلمون.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحث على صلة الوالدين وإن كانا غير مسلمين:

إن من موضوعات الدعوة التي تظهر من هذا الحديث الحث على صلة الوالدين وإن

---

(١) أخرجه مسلم ١٧٨٥.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤٥٩/٢، رقم ٣٧٦٣، وقال: حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي رزق الله أحمد ص ٤٩٠ - ٤٩١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٠٩/٢.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

كانا غير مسلمين، ويدل على ذلك إذنه ﷺ لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما في صلة أمها مع أنها مشركة، فصلة الوالدين أمر من الأمور التي حثّ عليها الإسلام، وإن كان الأبوان مشركين، وذلك لعظم حق الوالدين على الإنسان، قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا﴾(١).

قال ابن كثير: (إن حرصا عليك كل الحرص على أن تتابعهما على دينهما، فلا تقبل منهما ذلك، ولا يمنعك ذلك من أن تصاحبهما في الدنيا معروفًا"(٢)، فالإسلام لا ينهى عن صلة الكفار إذا لم يقاتلوا المسلمين، قال تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾(٣)، فإذا كان الإسلام لا ينهى عن صلة الكفار المسالمين، فالأبوين من باب أولى أهل لهذه الصلة، لعظم حقهما، لذلك نجد رسول الله ﷺ يأذن لأسماء رضي الله عنها بصلة أمها المشركة بقوله ﷺ: "نعم صلي أمك"، قال الخطابي: "فيه أن الرحم الكافرة توصل من المال ونحوه، كما توصل المسلمة، ويستنبط منه وجوب نفقة الأب الكافر والأم الكافرة، وإن كان الولد مسلمًا)(٤).

فينبغي على الداعية بيان فضل صلة الوالدين ودعوة الإسلام لذلك، وكيف دعا لهذه الصلة؟ حتى في حالة الشرك وهو أعظم الذنوب، وهذا دليل صريح على عظم حق الوالدين.

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

من أساليب الدعوة التي تظهر في هذا الحديث: أسلوب الترغيب، وهذا يظهر في إذن رسول الله ﷺ لأسماء رضي الله عنها في صلة أمها، لعل هذه الصلة تكون سببًا في

(١) سورة لقمان، آية: ١٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٣٧/٦.

(٣) سورة الممتحنة، آية: ٨.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٧/٥.

إسلامها وهدايتها إلى دين الحق؛ (فالترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه)[1].

فصلتها ترغيب لها لمعرفة هذا الدين، ومعرفة مدى كرمه ورحمته بأهله، وأسلوب الترغيب أسلوب ضروري في الدعوة الإسلامية، فهو يجعل المدعو يقبل على الطاعات.

---

(١) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الحديث رقم (٣٢٦)

٣٢٦- وعن زينب الثقفيةِ امرأةِ عبدِ الله بن مسعود رضي الله عَنْهُ وعنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((تَصدَّقْنَ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ))، قَالَتْ: فَرَجَعْتُ إِلَى عبد الله (بنِ مسعود)، فقلتُ لَهُ[1]: إنَّكَ رَجُلٌ خَفِيفُ ذَاتِ اليَدِ، وَإنَّ رَسُول الله ﷺ قَدْ أمَرَنَا بالصَّدَقَةِ فَأْتِهِ، فَاسألهُ، فإنْ كَانَ ذلِكَ يُجْزِئُ عَنِّي وَإلاَّ صَرَفْتُهَا إِلَى غَيْرِكُمْ. فَقَالَ[2] عبدُ اللهِ: بَلِ ائْتِيهِ أنتِ، فانْطَلَقتُ، فَإذا امْرأةٌ مِنَ الأنْصارِ بِبَابِ رسولِ الله ﷺ حَاجَتي حَاجَتُها، وَكَانَ رَسُول الله ﷺ قَدْ أُلْقِيَتْ عَلَيهِ المَهَابَةُ، فَخَرجَ عَلَيْنَا بِلاَلٌ، فَقُلْنَا لَهُ: ائْتِ رَسُول الله ﷺ، فَأخْبِرْهُ أنَّ امْرَأتَيْنِ بالبَابِ تَسألانِكَ: أتُجْزِئُ الصَّدَقَةُ عَنْهُمَا عَلَى أزْواجِهِمَا وَعَلَى أيْتَامٍ في حُجُورِهِما؟، وَلاَ تُخْبِرْهُ مَنْ نَحْنُ، فَدَخَلَ بِلاَلٌ عَلَى رَسُول الله ﷺ، فسأله، فَقَالَ لَهُ رَسُول الله ﷺ: ((مَنْ هُمَا؟)) قَالَ: امْرَأةٌ مِنَ الأنْصَارِ وَزَيْنَبُ. فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: ((أيُّ الزَّيَانِبِ هِيَ؟))، قَالَ: امْرَأةُ عبدِ الله، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: ((لَهُمَا أجْرَانِ: أجْرُ القَرَابَةِ وَأجْرُ الصَّدَقَةِ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[3].

ترجمة الراوي:

زينب الثقفية: هي زينب بنت معاوية الثقفية.

امرأة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أسلمت وبايعت النبي ﷺ ولها صُحبة، وروت عن النبي ﷺ، وعن زوجها، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وكانت امرأة صَنَاعا، وليس لعبدالله بن مسعود مال، وكانت تنفق عليه وعلى ولده من ثمن صناعتها - فقالت: والله لقد شغلتني أنت وولدك عن الصدقة! فقال: ما أحبُّ -إن لم يكن لك أجر- أن تفعلي، فسألت رسول الله ﷺ فقالت: إني امرأة ذات صنعة فأبيع وليس لي ولا لولدي ولا لزوجي شيء، ويشغلونني فلا أتصدق فهل لي في

---

(١) (له) لا توجد عند مسلم.

(٢) عند مسلم زيادة: (لي).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٦٦)، ومسلم (٤٥/١٠٠٠) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (١٣٠٩).

النفقة عليهم من أجر؟ فقال النبي ﷺ ((لك في ذلك أجرُ ما أنفقت عليهم، فأنفقي عليهم))[(١)] [(٢)].

غريب الألفاظ:

خفيف ذات اليد: أي فقير قليل المال[(٣)].

يجزيء عني: أي يكفي[(٤)].

في حجورهما: في كفالتهما[(٥)].

الشرح الأدبي

الحديث يتميز بطوله، ويقوم على حوار تتعدد أطرافه بدأته راوية الحديث بالإخبار بأمر رسول الله ﷺ لهن: « تَصَدَّقْنَ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ » وعبارة الرسول ﷺ تصدرها أسلوب الأمر بالصدقة توجيهاً، وإرشاداً تلاه أسلوب النداء تنبيهاً للأمر، وتحديداً للمستهدفين بهذا الأمر وهم جماعة النساء، وقوله (ولو من حليكن) يوحي بأهمية الصدقة، وأن على المرأة ألا تؤثر زينة الدنيا على ثواب الآخرة الذي يحقق زينتها.

وقولها (وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ خَفِيفَ ذَاتِ الْيَدِ) كناية عن فقره، وحاجته، سيترتب عليه رد صدقتها عليه كما سيسفر عنه باقي الحديث، وقولها: (وَكَانَتْ قَدْ أُلْقِيَتْ عَلَيْهِ الْمَهَابَةُ) تشير إلى مكانة رسول الله ﷺ في أنفسهن وإجلالهن له، وقول بلال ﷺ

---

(١) صحيح ابن حبان، (٤٢٤٧/١٠)، وأصله في البخاري (١٤٦٦).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٢٩٠/٨)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٩٠٧-٩٠٨)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١٢٢/٧)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (١٧٠٠-١٧٠١)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٥٣٨/٨)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٦٧٥/٤)، وموسوعة عظماء حول الرسول (٨٥٩/٢).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢٧٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٣٩.

(٥) المفصح المفهم، ابن هبيرة ١٠٥-١٠٦.

(امْرَأَتَانِ تَعُولاَنِ أَزْوَاجَهُمَا وَيَتَامَى فِي حُجُورِهِمَا) مقدمة رتب عليها سؤاله الذي يجيب عن استفسارهما (هَلْ يُجْزِئُ ذَلِكَ عَنْهُمَا مِنَ الصَّدَقَةِ؟) وهو استفهام على حقيقته وقد جاءت إجابة الرسول ﷺ لتفتح الباب للصدق على الأقارب، وليس هذا فقط بل إنها صدقة، وصلة (فَقَالَ: « نَعَمْ لَهُمَا أَجْرَانِ أَجْرُ الْقَرَابَةِ، وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ »

وقد جاءت إجابته في صورة التوشيع بذكر المثنى المحبوب (أجران) ثم تفصيله، وقيمة هذا الأسلوب تتمثل في توكيد المعنى بذكره مجملاً ثم مفصلاً مع ما يفيده من تشويق للمعنى بإجماله ثم تفصيله.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين فقهيين:

الأول: حكم صرف زكاة المرأة إلى زوجها متى كان فقيرًا، وهل يجزي عنها ذلك أم يجب صرفها إلى الفقراء؟

اتفق الفقهاء[1] على أنه يجوز لمن عنده مال تجب فيه الزكاة أن يخرجه على من لا تجب نفقتهم عليه من الأقارب، كالإخوة والأعمام والأخوال والزوج، فمتى كانت المرأة موسرة، ولها مال تخرج منه الزكاة، جاز أن تخرجه لزوجها وأولادها، ويجزي عنها ذلك، بل لها به أجران، لأن نفقتهم ليست واجبة عليها، وخالف في ذلك الإمام أبو حنيفة فلم يجز للمرأة أن تخرج زكاتها لزوجها وأولادها، ولكن الحديث يؤيد ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من جواز ذلك لعدم وجوب نفقتهم عليها.

---

(١) انظر في ذلك: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٥٠/٢، وشرح فتح القدير، ابن همام الحنفي ٢٧٠/٢، والمدونة ٣٤٧/١، وأحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٣٤٨/٤، والأم، الإمام الشافعي ٩٧/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٣٤/٦، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٤٠٧/١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٦٩/٢، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٤٦٢/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٨٩/٢.

الثاني: حكم تعارض المصالح: وقد ذكر الفقهاء[(١)] أنه متى تعارضت المصالح بدئ بأهمها، أو قدم أقواها وأولاها، كما في تقديم الفطر على الصوم للمسافر في اليوم الحار، قال النووي في هذا الحديث[(٢)]: قولهما: ولا تخبره من نحن ثم أخبر بهما، قد يقال إنه إخلاف للوعد وإفشاء للسر، وجوابه أن ذلك عارض جواب رسول الله ﷺ، وجوابه واجب محتم لا يجوز تأخيره.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من أصناف المدعوين: النساء.

ثالثًا: من مهام الداعي: إرشاد المدعوين إلى أبواب الخير.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: التشاور بين الزوجين في الأمور التي تخصهما.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على استشارة النبي ﷺ في شؤونهم.

سابعًا: من صفات المدعو: إجلال النبي ﷺ.

ثامنًا: من أساليب الدعوة: الحوار.

تاسعًا: من موضوعات الدعوة: فضل صلة الرحم.

عاشرًا: من مهام الداعية: التعرف على المدعوين.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في الحديث في قول رسول الله ﷺ: (تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن)، وهذا الحديث ورد في باب الندب في صدقة التطوع، إلا أن الرسول ﷺ، استعمل أسلوب الأمر حملاً على الفعل، وحثًا على التطوع وفعل الخير.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٧/٧، وإحكام الأحكام ٢٢/٢، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٢٠٤/٧، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٢٦٨/٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٧/٧.

ثانيًا- من أصناف المدعوين: النساء:

حيث وجه النبي ﷺ إرشاده في هذا الحديث إلى النساء فقال: "تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن"، واستعمل معهن لفظة "معشر"، مع أنها في الغالب تستعمل لجماعة الرجال دون النساء، قال ابن علان: (وكأنه لأنهن لما أمرن بالتصدق، وإنما يبعث عليه الإيقان الذي هو وصف كمال الرجل)[١]، وفي ذلك بيان مدى اهتمام الإسلام حيث اعتبرهن شقائق الرجال، وحظيت المرأة بدور كبير واحترام عال في شريعة الإسلام، لذا ينبغي على الدعاة والمؤسسات الدعوية بتكثيف النشاط لهداية المرأة وتفقيهها في دينها، فإن هداية المرأة لتعاليم الإسلام كسب لها، ومنع لأية آثار سلبية تتركها في المجتمع حينما تكون بلا هداية[٢]، فحماية المرأة بالفهم السليم والدعوة الرشيدة حماية للمجتمع كله.

ثالثًا- من مهام الداعي: إرشاد المدعوين إلى أبواب الخير:

من المهام المناطة بالداعية إرشاد المدعوين إلى أبواب الخير، وهذا مما يستنبط من الحديث من دعوة النبي ﷺ للنساء في قوله ﷺ، وكما نرى واضحًا في الحديث، فالنبي ﷺ قد فتح أبواب الخير للمجتمع بجميع شرائحه، ومنه النساء فأوصاهن بالصدقة قائلاً: "تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن"، قال ابن حجر: (وفي الحديث حث على صلة الرحم، وجواز تبرع المرأة بمالها بغير إذن زوجها، وفيه عظة النساء، وترغيب ولى الأمر في أفعال الخير للرجال والنساء)[٣].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

الترغيب من الأساليب المفيدة في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، وقد استعمله النبي ﷺ في هذا الحديث، فرغّب النساء في الصدقة على وجه العموم فقال: "تصدقن يا معشر النساء ولو بحليكن"، وكذلك التصدق على الزوج حيث أفاد ﷺ أن التصدق

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٥٢٧ - ٥٢٨.

(٢) انظر: فقه المرأة، د. بسام العموش ص ٧٣ - ٧٤.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٨٧/٣.

على الزوج يضاعف الأجر حينما سئل عن ذلك فقال: نعم، ولها أجران: أجر القرابة، وأجر الصدقة)، فلما كان الإنسان مجبولاً على حب ما ينفعه، وتقر به عينه، وتطمئن به نفسه، كان لأسلوب الترغيب أهمية قصوى في الدعوة إلى الله، وأصبح الطريق ممهدًا بعض الشيء أمام الداعية لاستثمار هذه الفرصة لدى المدعو وتخوّله بها[1].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: التشاور بين الزوجين في الأمور التي تخصهما:

إن الشورى بين أفراد الأسرة الواحدة فيما يهمهم له بالغ الأثر في الحفاظ على تلك الأسرة، وتعميق معاني المودة والمحبة فيها، ويبدو من هذا الحديث أن أسرة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما كانت تعنى بأمر الشورى، فزوجته لم تذهب مباشرة للرسول ﷺ لسؤاله، وإنما استشارت زوجها وعرضت الأمر عليه قائلة: "سل رسول الله ﷺ" أيجزي عني أن أنفق عليك وعلى أيتامي في حجري من الصدقة؟ فقال: سلي أنت رسول الله ﷺ، وقد وصف الله جماعة المؤمنين على مختلف مستوياتهم - أمة، أسرة،... ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[2]، فلا يقدمون على عمل إلا بعد الاستشارة وأخذ الرأي، وبهذا فإن الشورى من مبادئ الإسلام وصفات المؤمنين، التي يستحقون بها الفلاح في الدنيا والآخرة[3].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على استشارة النبي ﷺ في شؤونهم:

إن حرص الصحابة على استشارة النبي ﷺ يستنبط من حرص زينب امرأة عبد الله بن مسعود على سؤال النبي ﷺ في صرفها لصدقتها لزوجها ولأيتام في حجرها: (قالت: فرجعت إلى عبد الله بن مسعود فقلت له: إنك رجل خفيف ذات اليد وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة فأته فاسأله فإن كان ذلك يجزئ عني وإلا صرفتها إلى غيركم، فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ حاجتي حاجتها)، وهذا من الأدب والتقدير الذي يحمل كل مسلم ومسلمة على الرجوع إلى رسول الله

---

(١) انظر: وسائل الدعوة، أ. د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي ص ١٩٣.

(٢) سورة الشورى، آية: ٣٨.

(٣) انظر: التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، ٢٧/٢٥/٣.

ﷺ في حياته، وإلى سنته بعد مماته واقتفاء أثره، واتباع هديه، والسير على طريقته والحرص على الاقتداء به، وتحكيم شرعه[١]، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٢]، وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣].

سابعًا- من صفات المدعو: إجلال النبي ﷺ:

إن من صفات المدعو التي يجب أن يتحلى بها إجلال وتقدير واحترام رسول الله ﷺ، ومما يؤكد هذا المعنى قول زينب: (وكان رسول الله ﷺ قد ألقيت عليه المهابة) وذلك من بالغ حب وإجلال الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ.

وقد بيّن الحق تبارك وتعالى أن احترام رسول الله ﷺ من أسباب الفلاح، قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٤]، فقوله: "عزروه" أي: وقروه ونصروه[٥]، فالذين آمنوا به وبرسالته وحموه ونصروه مع الإجلال والإكبار، واتبعوا النور الذي أنزل معه، أولئك البعيدون في درجات الكمال، المتميزون على غيرهم، وهم المفلحون حقًا[٦]، الذين سيظفرون بمطلوبهم.

وقد رهّب القرآن الكريم من عدم الإجلال والاحترام لرسول الله ﷺ كأن يُستخف به، بأن ينادى باسمه مجردًا أو ما شاكل ذلك، قال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾[٧]، وبيّن أن الاستخفاف برسول الله ﷺ

---

(١) انظر: موسوعة الآداب الإسلامية، عبد الله بن محمد المعتاز ١/١٨ - ١٩.

(٢) سورة النساء، آية: ٦٥.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٠١/٧/٤.

(٦) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، مج/٢١/٩/١.

(٧) سورة النور، آية: ٦٣.

والتعامل معه بجفاء، سبب لإحباط الأعمال، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾[(١)].

ثامنًا- من أساليب الدعوة: الحوار:

تجلى هذا الأسلوب في هذا الحديث من خلال ما دار بين عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما وامرأته: (فرجعت إلى عبد الله بن مسعود فقلت له: إنك رجل خفيف ذات اليد، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرنا بالصدقة فأته، فأسأله فإن كان يجزئ عني وإلا صرفتها إلى غيركم، فقال عبد الله: بل ائتيه أنت)، وكذلك فيما دار بين بلال وزينب امرأة عبد الله بن مسعود والمرأة الأخرى: (فخرج علينا بلال فقلنا له: ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك: أتجزي الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما؟ فالحوار أحد الطرق المهمة للتوصل إلى الحق، أو البحث عن الصواب، وفي مجال الدعوة قد يتطلب الموضوع، أو البحث، أو العرض، إلى الحوار والمشاركة مع الداعية، بغية التوصل إلى الحق، والاهتداء إلى الرشد، والنفع للفرد والجماعة[(٢)].

"إن الإسلام في دعوته ركّز على الحوار والإقناع، ولم يعتمد في دعوته على الإكراه في يوم ما، وإنما الإقناع المطلق، وترك مساحات لعقل الإنسان للمفاضلة والموازنة بين الحق والباطل، ثم بعد بيان الحقائق يترك له حرية الاختيار، قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾[(٣)]، وحسبنا أن كل ما يتعلق بالتكاليف الشرعية جملة وتفصيلاً، قد ذكر له وجه أو وجوه عدة تدفع إلى الإقناع في الالتزام به.

ففي إطار الدعوة إلى الإيمان بالله ربًا، وجدنا قول الحق سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ

---

(١) سورة الحجرات، آية: ٢.

(٢) انظر: الدعوة إلى الله "الرسالة، الوسيلة، الهدف"، د. توفيق الواعي ص ٢٨٩.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٥٦.

بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١).

وكم وردت آيات في القرآن الكريم للإقناع بالألوهية والربوبية، وعندما أبطل الإسلام ألوهية غير الله اعتمد على الإقناع لا الإكراه، فقد سأل عن الآلهة المزعومة، وعن صفاتها وخصائصها وقدرتها على الخلق، واتصالها بعابديها، وبين مصيرها المحتوم، وقدرها المشؤوم، في آيات تبلغ حدًا في الكثرة في القرآن، وعندما أبطل البنوة اعتمد على العقل، ونفى وجود الزوجة، وبيّن أن الابن المزعوم لم يخالف البشر في الخلق الأول في طلاقة القدرة ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٢)، ولم يخالف الخلق الثاني في سنن الحياة ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾ (٣)(٤).

تاسعًا- من موضوعات الدعوة: فضل صلة الرحم:

إن صلة الرحم من مكارم الأخلاق التي دعانا الإسلام إليها فأمرنا الله بصلتها، قال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ (٥)، وحذرنا من قطيعتها، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ (٦)، وقال: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ (٧).

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢١ - ٢٢.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٥٩.

(٣) سورة المائدة، آية: ٧٥.

(٤) انظر: المدخل إلى دراسة النظم والثقافة الإسلامية، د. بكر زكي إبراهيم عوض ص ١٢٤.

(٥) سورة النساء، آية: ٣٦.

(٦) سورة النساء، آية: ١.

(٧) سورة محمد، الآيتان: ٢٢ - ٢٣.

ومن صور صلة الأرحام: التصدق على الفقراء من ذوي القربى ومضاعفة الأجر على ذلك، كما هو ظاهر في الحديث الذي معنا، من إجابة الرسول ﷺ في حكم الصدقة على الأزواج وذوي القربى، قال: نعم ولها أجران: أجر القرابة، وأجر الصدقة، قال ابن حجر: (وفيه الحث على صلة الرحم)[١].

عاشرًا- من مهام الداعية: التعرف على المدعوين:

وردت الإشارة في الحديث إلى هذا المعنى في سؤال النبي ﷺ لبلال: (فدخل -أي بلال- فسأله -أي رسول الله ﷺ- من هما؟ قال: زينب، قال: أي الزيانب؟ قال: امرأة عبد الله) ومعرفة الداعي للمدعوين فضلاً عن أنه لون من ألوان تأليف القلوب، فإنه يعطي الداعية الفرصة السانحة لاختيار أسلوب الدعوة المناسب لحال المدعوين، إضافة إلى ما في ذلك من تأليف القلوب وتقوية روابط الأخوة والوئام بين الداعية ومدعويه، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٢]، "أي: لتعارفوا وتعاونوا ولا تتفرقوا"[٣].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٨٧/٣.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٣) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري ٢٩٥/٤.

الحديث رقم (٣٢٧)

٣٢٧- وعن أَبي سفيان صخر بنِ حرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديثِهِ الطويل في قِصَّةِ هِرَقْلَ: أنَّ هرقْلَ قَالَ لأبي سُفْيَانَ: فَمَاذَا يَأمُرُكُمْ بهِ؟ يَعْنِي النَّبيّ ﷺ ، قَالَ: قُلْتُ: يقول: ((**اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيئًا، واتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأمُرُنَا بالصَّلاةِ**[1]**، وَالصّدْقِ، والعَفَافِ، والصِّلَةِ**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو سفيان: صخر بن حرب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٦).

غريب الألفاظ:

العفاف: الكَفُّ عمًّا لا يحِلُّ ولا يجمل من قول أو فعل[3].

الصلة: صلة الأرحام وكل ما أمر الله به أن يُوصل[4].

الشرح الأدبي

الحديث رواه أبو سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبل أن يسلم، وحديثه كما هو ثابت مع هرقل، وقد شهد للرسول ﷺ بما جاء في الحديث، واستفهام هرقل (فماذا كان يأمركم ؟) على حقيقته يدفعه شوق جارف إلى معرفة ما يدعو إليه، لأن ظهور نبي أمر يشغل العقل بمضمون ما جاء به لاسيما وأنهم أهل كتاب، يتوقعون ظهور نبي آخر الزمان، وقول أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الرسول ﷺ (اعْبُدُوا اللهَ وَحدَهُ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيئاً) أسلوب أمر أكده بلفظ (وحده) نفياً للشرك، صعَّده بأسلوب النهي (لا تشركوا به) وتنكير كلمة (شيئاً) للتعميم، وقوله (وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُم) كناية عن قولهم الشرك وإتيانهم الفواحش.

---

(١) عند البخاري زيادة: (والزكاة).

(٢) أخرجه البخاري (٧) واللفظ له، ومسلم (١٧٧٣/٧٤)، وقد تقدم برقم (٥٦).

(٣) الوسيط في (ع ف ف).

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٤٣.

وقوله (ويَأْمُرُنَا بالصَلاةِ، وَالصِّدْقِ، والعَفَافِ، وَالصِّلَةِ) جملة هذه الأوامر المحكية بأسلوب الخبر تشمل أمور المعاد، والمعاش، وتنظم علاقة المؤمن بربه، وعلاقته بالناس، وفي الحديث ملمح جميل، وهو صدق أبي سفيان، وهو على شركه، ويتحدث عن عدوه الذي يريد أن يستعدي الملك عليه، ومع ذلك لم يكذب، وهذا خلق العرب ذوي الشهامة الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب، والأمر.

ثانيًا: من أصناف المدعوين: غير المسلمين (أهل الكتاب).

ثالثًا: من مهام الداعي: بيان أصول الدين.

رابعًا: من فقه الداعية: ترتيب الأولويات.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: الحث على مكارم الأخلاق وصلة الأرحام.

سادسًا: من أهداف الدعوة: تعبيد الناس لله تبارك وتعالى.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب، والأمر:

ورد هذا الأسلوب في الحديث في سؤال هرقل لأبي سفيان عن النبي ﷺ وعما جاء به قال: فماذا يأمركم به؟، فأجاب عليه أبو سفيان بقوله: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة، والأمر في قوله: (اعبدوا الله وحده) والسؤال والجواب من الأساليب الدعوية المفيدة، فالسؤال ينم عن حب للمعرفة وشغف بها مما يجعل لإجابة الداعي قبولاً واقتناعًا من السائل.

ثانيًا- من أصناف المدعوين: غير المسلمين (أهل الكتاب):

إن من أصناف المدعوين الذين اشتمل هذا الحديث على ذكرهم أهل الكتاب وذلك من خلال ما دار بين هرقل عظيم الروم الذين يدينون بالنصرانية وبين أبي سفيان قبل إسلامه، وكان النبي ﷺ قد بعث كتابه لهرقل يدعوه بدعاية الإسلام. ومعرفة أصناف المدعوين يساعد على اختيار الأسلوب الأمثل في التعامل الدعوي معهم[1]، فأهل

---

(١) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٦٠.

الكتاب أوصانا الله بمجادلتهم بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾[١]، فالجدال هو أحد الطرق المستخدمة في الدعوة لإقناع المدعو وإقامة الحجج والبراهين على صحة الدعوة، وبطلان ما سواها، وإزالة ما يعلق في الأذهان من الشبهات التي تحول دون قبولها[٢].

ولقد وردت في القرآن آيات جمة، وجه الخطاب فيها لأهل الكتاب لإعمال عقولهم وتوجيهها إلى الحق والصواب، ومنها قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾[٣].

قال ابن كثير: (هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومن جرى مجراهم، يدعوهم إلى إفراد الله بالعبودية، ولا يتوجه بها إلى وثن أو صليب أو صنم أو طاغوت أو نار وأي شيء، بل نفرد العبادة لله وحده وتلك هي دعوة جميع الرسل)[٤]، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[٥].

ثالثًا- من مهام الداعي: بيان أصول الدين:

يظهر ذلك في نقل أبي سفيان لهرقل ما يدعو إليه الرسول ﷺ، يقول: (اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة)، وهي في جملتها من الأصول التي قام عليها دين الإسلام في العقيدة حيث يقوم على التوحيد (اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا) الذي هو دعوة جميع الانبياء والمرسلين: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[٦]، وفي

---

(١) سورة العنكبوت، آية: ٤٦.

(٢) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، د. عبد الله بن إبراهيم اللحيدان ص ١٢١.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٦٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٩٨/١.

(٥) سورة الأنبياء، آية: ٢٥.

(٦) سورة النحل، آية: ٣٦.

الشريعة ذكر أهمها وهو الصلاة، فقال: (ويأمرنا بالصلاة)، وفي مجال الأخلاق فهو يدعو إلى مكارمها، وذكر منها: (والصدق والعفاف والصلة)، وذلك هو المنهج القويم الذي يتم تأصيله والتأكيد عليه وترسيخه في القلوب، فإذا تمّ الإيمان به، كانت الدعوة إلى التفصيلات، وما يتفرع من هذه الأصول، من أحكام وخصائص، ومقاصد ومحاسن وآداب)[١].

رابعًا- من فقه الداعية: ترتيب الأولويات:

في هذا الحديث نجد أن أبا سفيان ينقل لهرقل منهج الرسول ﷺ بنفس الأولويات التي يتبعها، بالبدء بالدعوة إلى التوحيد، ثم الشرائع وما يتبعها من آداب وأخلاق، فبدأ بقوله: يقول: "اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا واتركوا ما يقول آباؤكم" ثم ذكر: "ويأمرنا بالصلاة"، ثم ذكر بعد ذلك نتاج وآثار تلك العبادة فقال: "والصدق والعفاف والصلة"، فالداعية لا ينجح في دعوته ولا يكون موفقًا في تبليغه حتى يعرف من يدعوهم وكيف يدعوهم؟ وما القضايا التي يعطيها أهمية وأولوية قبل غيرها، وما الأفكار الضرورية التي يطرحها، فعلى الداعية أن يبدأ بالأهم ثم المهم[٢].

وليكن للداعية في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة، فقد أمضى ثلاث عشرة سنة من عمر الدعوة في معالجة قضايا العقيدة وبعض العبادات، لينتقل بعد ذلك إلى معالجة ما هو فرع من السلوك العملي[٣]، وهذا الأمر يتجلى في وصية النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن: ((إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ. فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّه. وَأَنِّي رَسُولُ اللّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذلِكَ. فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللّه افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللّه افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ. وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللّهِ حِجَابٌ))[٤].

---

(١) انظر: مبادئ علم أصول الدعوة "دراسة تأصيلية"، د. محمد يسري ص ٢١.

(٢) انظر: كيف يدعو الداعية، عبد الله ناصح علوان ص ٤٧ - ٤٨.

(٣) الدعوة، د. حمد بن ناصر العمار ص ١٣٦ - ١٣٧.

(٤) أخرجه البخاري ١٣٩٥، ومسلم ١٩.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: الحث على مكارم الأخلاق وصلة الأرحام:

إن من أهم ما دعا إليه الإسلام بعد تصحيح العقيدة والعبادة، الدعوة إلى مكارم الأخلاق وصلة الأرحام، وقد أشير إلى هذا المعنى في قوله: (ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة)، أي: بالصدق في الأقوال والأفعال، إضافة إلى الصدق في القصد والنوايا، وبالعفاف عن المحارم وعما في أيدي الناس، والصلة للأرحام وما ينبغي أن يوصل، وإن مما له أكبر الأثر في نجاح الدعوة إلى الله التخلق بمكارم الأخلاق، حيث كان له الأثر العظيم بعد الله تعالى في نجاح جهود رسول الله ﷺ في الدعوة، لأنه أقام من صفاته وكريم أخلاقه براهين عدة على صدقه، وأن ما يدعو إليه حق، وكان أعداؤه كلما زين لهم مطعن فيه، وجدوا من ماضيه وحاضره، وطباعه وخصاله، ما ينفي طعنهم ويرد كيدهم[1].

سادسًا- من أهداف الدعوة: تعبيد الناس لله تبارك وتعالى:

من الغايات الرئيسة التي خلق لأجلها الإنسان عبادة الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2]، وتلك هي الغاية التي صدع بها رسول الله ﷺ وعلم بذلك القاصي والداني وتناقلوا ذلك عنه، ومن ذلك ما جاء في قول أبي سفيان لهرقل: يقول: (اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا واتركوا ما يقول آباؤكم) وهي كلمة جامعة لترك ما كانوا عليه في الجاهلية[3]، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة، والدعوة إلى عبادة الله هي غاية مقصد جميع الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[4]، والمعنى: وما أرسلنا يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم إلا نوحي إليه أنه لا معبود في السماوات والأرض تصلح له العبادة سواي (فاعبدون) أي فأخلصوا لي العبادة وأفردوا لي الألوهية[5].

---

(١) انظر: هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ ص ٣٨٤.

(٢) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٣) فتح الباري، الحافظ ابن حجر ٤٨/١.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٢٥.

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري ٢٤٩/١٦.

الحديث رقم (٣٢٨)

٣٢٨- وعن أَبي ذرّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**إنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا القِيرَاطُ**))[١]. ((وفي رواية: ((**سَتَفْتَحونَ مِصْرَ وَهِيَ أرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا القِيراطُ**))[٢]، **فَاسْتَوْصُوا بأهْلِهَا خَيْرًا؛ فَإنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا**))[٣]. وفي رواية: ((**فإذا افتتحتموها، فأحسنوا إلى أهلها؛ فإن لهم ذمة ورحمًا**))، أَوْ قَالَ: ((**ذِمَّةً وصِهْرًا**))[٤] رواه مسلم[٥].

قال العلماء: الرَّحِمُ التي لهم كون هاجَرَ أمِّ إسماعيل ﷺ مِنْهم "والصِّهْرُ" كون مَارِيَةَ أمِّ إبْراهيمَ ابْنِ رسول الله ﷺ مِنْهم.

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

القيراط: قال العلماء: القيراط جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما وكان أهل مصر يكثرون من استعماله والتكلم به[٦].

ذمة: الذمة: العهد والأمان والضمان والحرمة[٧].

رحمًا وصهرًا: قال العلماء: الرحم التي لهم كون هاجر أم إسماعيل عليه السلام منهم. والصهر كون مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ منهم[٨].

---

(١) مسلم (٢٢٦/٢٤٥٣).

(٢) مسلم (٢٢٧/٢٥٤٣).

(٣) مسلم (٢٢٦/٢٥٤٣).

(٤) مسلم (٢٢٧/٢٥٤٣) وزاد: (فإذا رأيت رجلين يختصمان فيها في موضع لبنة، فاخرج منها).

(٥) هذا السياق وتجزئة الحديث، للحميدي في جمعه (٢٧٦/١، رقم ٣٨٦).

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٢٧. وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ر ط).

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ذ م م).

(٨) رياض الصالحين ١٧٤.

الشرح الأدبي

هذا الحديث من أعلام نبوة الرسول ﷺ؛ لأنه أخبر عن فتح مصر، وقد فتحت بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، وقد بدأ كلامه ﷺ بأسلوب التوكيد بـ(إن) مع اسمية الجملة ليمهّد النفوس لاستقبال الخبر الغريب، وقد دخل بهم بوابة المستقبل عن طريق السين التي تشير إلى المستقبل إذا دخلت على الفعل المضارع (ستفتحون) ،والسين للمستقبل القريب بخلاف (سوف) التي تشير إلى مستقبل أبعد، فقد كان الفتح بعد موته ﷺ بإحدى عشرة سنة تقريباً، وتنكير كلمة (أرضاً) ثم وصفها بالجملة الفعلية (يذكر فيها القيراط)تشويق يربط المخاطب بالمتكلم ويضمن بلوغ المعنى إلى قلبه وقوله: (يذكر فيها القيراط) كناية عن كونها أرض خصب وخير، وبركة، لأن القيراط مقدار من الوزن أو المساحة، ونصه على مصر في الرواية الأخرى تمييز لها، وتحديد لأن القيراط قد يذكر في أماكن أخرى وقوله: (فاستوصوا بأهلها خيراً) أمر توجيه، وإرشاد وإسناد الفعل إلى واو الجماعة حتى يتواصى الجميع من جيل إلى جيل، وقوله (فإن لهم ذمة ورحماً) الرحم تتمثل في كون (هاجر) أم إسماعيل عليه السلام من مصر، والصهر في كون (مارية) أم إبراهيم بن الرسول ﷺ.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد والأمر.

ثانيًا: من دلائل نبوته ﷺ: الإخبار ببعض الفتوحات الإسلامية.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الوصية بحفظ الذمة وصلة الرحم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: وصية النبي ﷺ بأهل مصر.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد والأمر:

ورد أسلوب التوكيد في الحديث في قوله ﷺ إنكم ستفتحون أرضًا، والأمر في قوله ﷺ "فاستوصوا بأهلها" وفي الرواية الأخرى "فأحسنوا إلى أهلها" والأمر من الأساليب الدعوية المفيدة، خاصة إذا كان المدعوون يأخذونه مأخذ الجد والتنفيذ تصديقًا منهم وإيمانًا بالداعي، زيادة على ذلك تأكيده لكلامه، كما في قوله ﷺ "إنكم ستفتحون أرضًا".

لذا ينبغي على الداعي استصحاب أسلوب التأكيد، بذكر ما يثبت صدق كلامه وصحته، مما يجعل المدعوين أكبر قبولاً لدعوته وأكثر اقتناعًا بها، وقد استخدم القرآن أسلوب التوكيد في تقرير كثير من القضايا والأحكام، نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[2].

ثانيًا- من دلائل نبوته ﷺ: الإخبار ببعض الفتوحات الإسلامية:

لقد ورد في هذا الحديث إخبار النبي ﷺ ببعض الفتوحات الإسلامية، وهذا من دلائل نبوته، ومنها ما جاء في هذا الحديث من إخباره ﷺ بفتح مصر بعده على يد صحابته رضوان الله عليهم، قال ابن علان: وهو من الإخبار بالمغيبات، فهو من جملة الإعجاز، وقد وقع كما أخبر به النبي ﷺ[3]؛ وذلك من دلائل نبوته ﷺ، فكما هو معلوم أن الله تبارك وتعالى قد اختص بمعرفة علم الغيب وأنه استأثر به دون خلقه، إلا أنه قد جاءت أدلة تفيد أن الله تعالى استثنى من خلقه من ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم، ودلالة صادقة على نبوتهم، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾[4][5].

قال القاضي عياض: (وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر)[6].

---

(١) سورة النحل، آية: ٥١.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٥٦.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٥٣٠.

(٤) سورة الجن، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٥) موسوعة نضرة النعيم ٥٤٢/١.

(٦) كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٣٢٩.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الوصية بحفظ الذمة وصلة الرحم:

إن من موضوعات الدعوة المستنبطة من هذا الحديث، وصية النبي ﷺ بحفظ الذمة وصلة الرحم، فقد نوّه النبي ﷺ في هذا الحديث إلى حفظ الذمة وصلة الرحم، والمقصود بالذمة: الحرمة والحق وهي هنا بمعنى الذمام[1]، وصلة الرحم حتى ولو كانت بعيدة فأوصى النبي ﷺ بها "فإن لهم ذمة ورحمًا" وذلك أن هاجر أم إسماعيل سرية إبراهيم الخليل عليه السلام كانت من مصر - ولهذا قال "إن لهم ذمة ورحمًا" لأنهم أخوال إسماعيل، وإسماعيل هو أبو العرب المستعربة كلها، فدل ذلك على أن الرحم لها صلة ولو كانت بعيدة، ما دمت تعرف أن هؤلاء من قبيلتك فلهم الصلة ولو كانوا بُعَداء، يستوي في ذلك صلة القرابة من جهة الأم والأب[2].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: وصية النبي ﷺ بأهل مصر:

إن من مكارم الأخلاق التي دعا إليها الإسلام وحث عليها، صلة الأرحام والإحسان إلى الأصهار، وإن كانت بعيدة، ومن ذلك وصيته ﷺ في هذا الحديث بأهل مصر "فاستوصوا بأهلها خيرًا فإن لهم ذمة ورحما" وفي رواية "ذمة وصهرًا" والرحم التي لمصر كون هاجر أم إسماعيل عليه السلام من مصر، والصهر كون مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ من مصر، وذلك أن المقوقس صاحب مصر لما كاتبه النبي ﷺ يدعوه إلى الإسلام لم يسلم، وأرسل بهدية إلى النبي ﷺ منها مارية وسيرين فحملت مارية من رسول الله ﷺ بإبراهيم، وأعطى رسول الله ﷺ سيرين لحسان بن ثابت الأنصاري[3]، لهذه الرحم والصهر، ولما علم رسول ﷺ من الخير في مصر وأهلها استوصى بهم خيرًا.

لذا فينبغي على المسلم مراعاة صلة الرحم وإن بعدت، وأن يلتمس الأسباب لمعرفتها

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ص ١٥٢٨.

(٢) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ٧٠٠/١.

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٢٨، وشرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٤٥/١، ١٤٦، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٥٣١.

وإيصال الخير إليها، ومما ذكره الطبري في تفسيره: ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (تعلموا أنسابكم ثم صلوا أرحامكم، والله ليكون بين الرجل وبين أخيه شيء، ولو يعلم بينه وبينه من داخلة الرحم لأوزعه ذلك عن انتهاكه)، أي: كفه ومنعه"[(١)].

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٤٤/١.

الحديث رقم (٣٢٩)

٣٢٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: لما نزلت هذهِ الآية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء: ٢١٤] دَعَا رَسُول الله ﷺ قُرَيْشًا ، فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ، وَقَالَ: **((يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ**[(١)]**، يا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، انقِذُوا أنفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بن كَعْبٍ، أنْقِذُوا أنفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَاف، أنْقِذُوا أنفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هاشم، انقذوا أنفسكم من النار، يَا بني عبد المطلب، انقذوا أنفسكم من النار، يَا فَاطِمَةُ، انْقِذي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ. فَإنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيئًا، غَيْرَ أنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبِلالِهَا))** رواه مسلم[(٢)].

قوله ﷺ : "بِبِلالِهَا" هو بفتح الباء الثانية وكسرها و"البِلالُ": الماءُ. ومعنى الحديث: "سأَصِلُها ، شَبَّه قَطِيعَتَها بالحرارة تُطْفأ بالماء وهذه تُبَرَّدُ بالصِّلة.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يدل على حرص الرسول ﷺ على أمته ورحمته بهم يبدأ في أسلوب خبري يقرر المعاني دون مؤكدات؛ لأنه يخاطب خالي الذهن عن الخبر، وقول الراوي (فعم، وخص) طباق يؤكد شمول الجميع بالنداء، وتتابع الفاءات في الربط بين الجمل في قوله (فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ فَقَالَ) دليل على تسارع الأحداث، وأنه دعاهم بعد نزول الآية دون انتظار، وقول الرسول ﷺ (يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ) استخدام (يا) لأنها تعطي مساحة لمد الصوت لبلوغ أكبر عدد من الناس، وهو نداء تنبيه، وتحذير وقوله (أنقذوا) أمر ترهيب وتحذير لأن دلالة الفعل تدل على وجود خطر،

---

(١) عند مسلم قوله: (يا يني عبد شمس) بعد قوله: (يا بني كعب بن مرة).

(٢) برقم (٢٠٤/٣٤٨). برقم (٢٠٤/٣٤٨) من حديث موسى بن طلحة. وأخرجه البخاري (٤٧٧١) بنحوه، أورده المنذري في ترغيبه (٥٢٤٨) وقال: رواه مسلم واللفظ له، والبخاري والترمذي والنسائي بنحوه.

وإضافته لواو الجماعة تعميم للنداء، وقوله: (أنفسكم) وإضافته لكاف الخطاب، وميم الجمع تصعيد للترهيب لأنه جعلهم المعنيين بالترهيب، وقوله: (من النار) لفظ النار من الألفاظ الموحية بطبيعتها بمعاني الألم والإحراق والعذاب، وقوله (يَا بَنِي مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ) وما بعدها من ذكر الخاص بعد العام عناية به، وتكرار جملة النداء، والأمر الترهيبي يشير إلى خطر البقاء على الكفر لمن لم يسلم منهم وخطر المعصية لمن يتعرض لها، وخطر التقصير لمن أراد أن يرافق أحبابه في الجنة وقوله: (يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنْ النَّارِ) نداء شفقة ورحمة وحنان، وقوله: (فَإِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا) تعليل للأمر يزيد من الترهيب لأن المتحدث الرسول ﷺ والمخاطب ابنته وهو لا يملك لها شيئا وتنكير كلمة (شيئاً) للتعميم وقوله (غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلالِهَا) مِنْ بَلَّ الرَّحِمَ إِذَا وَصَلَ أَيْ سَأَصِلُهَا فِي الدُّنْيَا، وَلا أُغْنَى مِنْ اللَّه شَيْئًا أَوْ بِالشَّفَاعَةِ فِي الآخِرَة أَيْ إِنْ آمَنْتُمْ لَكِنْ الْوَصْل الْمَشْهُور هُوَ وَصْل الدُّنْيَا لا وَصْل الآخِرَة وَاسْتُعِيرَ الْبَلُّ لِوَصْلِ الرَّحِمِ لأَنَّ بَعْضَ الأَشْيَاء تَتَّصِل بِالنَّدَاوَةِ وَتَتَفَرَّقُ بِالْيُبْسِ فَاسْتُعِيرَ الْبَلُّ لِلْوَصْلِ وَالْيُبْسُ الْقَطِيعَةُ والحديث تحذير ضمني شديد للأمة، لأنه خاطب أهل بيته، وأحب الناس إليه، وهم أهل الاجتهاد والطاعة بهذا التحذير فغيرهم أولى بالحذر لضعف الأعمال، وكثرة الذنوب.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التعميم والتخصيص، والنداء، والإنذار، والتوكيد.

ثانيًا: من مهام الداعي: تبيين الحقائق وإرشاد المدعويين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الاهتمام بالعمل وعدم الاتكال على القرابة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: العناية بصلة الأرحام.

خامسًا: من أهداف الدعوة: إخراج الناس من الظلمات إلى النور.

أولاً- من أساليب الدعوة: التعميم والتخصيص، والنداء، والإنذار، والتوكيد:

١- التعميم والتخصيص، والنداء: وذلك في قول أبي هريرة رضي الله عنه: دعا رسول الله ﷺ قريشًا فاجتمعوا "فعم" أي دعاهم بما يعمهم "وخص" أي خصص بعضًا منهم

بالنداء والتصريح باسم قبيله كقوله يا بني كعب، والنداء باسم شخص كقوله ﷺ "يا فاطمة"(١) واجتماع هذه الأساليب الثلاثة فيها ما يلفت ذهن المدعو إذا رأى تخصيصًا له من الداعي وتوجيه الخطاب إليه مباشرة، وهذا ما يسمى في عرف أهل البيان بذكر الخاص بعد العام، وهذا شائع في القرآن والسنة، ومنه قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾(٢) وقوله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾(٣).

٢- الإنذار: وذلك في قوله ﷺ "يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار..." فالإنذار من الأساليب الدعوية المفيدة، وهو لا يعني الوعيد والتخويف فحسب، وإنما هو مظهر من مظاهر رحمة الله تبارك وتعالى، فالإنذار هو تحذير المخاطب وأمره بالاستعداد وأن يكون على علم وحذر(٤).

٣- التوكيد: وذلك إضافة لما استعمله النبي ﷺ فقد استعمل أسلوب التوكيد لحقيقة ما يقول، فقال "فإني لا أملك لكم من الله شيئًا" وذلك مما يجعل المدعو يقبل على ما يُدعى إليه غير معرض ولا متشكك.

ثانيًا- من مهام الداعي: تبيين الحقائق وإرشاد المدعوين:

يستنبط ذلك من بيان رسول الله ﷺ الأمر، وخطورة الكفر، وعدم الإيمان بالله تعالى لقومه، وأنه لا يملك لهم من الله شيئًا فقال: "يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار... فإني لا أملك لكم من الله شيئًا" فلا تتكلوا على قرابتي فإني لا أقدر على دفع مكروه يريده الله تعالى بكم(٥).

وتبيين الحقائق وإرشاد المدعوين مماكلف الله به نبيه ﷺ قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٦) وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٥٣١، ٥٣٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٣٨.

(٣) سورة القدر، آية: ٤.

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٩٠٩.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص٢٤١، ٢٤٢.

(٦) سورة النحل، آية: ٤٤.

شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾(١) وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾(٢).

فالتبيين يقطع حجة المعاندين الذين يحتجون بغموض ما يدعون إليه، وهو من الوسائل الناجعة لإنجاح الدعوة والوصول بها إلى تحقيق هدفها المنشود(٣).

قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾(٤).

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الاهتمام بالعمل وعدم الاتكال على القرابة:

وقد أوضح النبي ﷺ هذا الأمر لجميع قريش، وخص بذلك أهله وذويه قائلاً: "فإني لا أملك لكم من الله شيئًا" فلا تتكلوا على القرابة، فإن الإنسان إذا تجرد من العمل وإخلاص العقيدة، لا تشفع له قرابة ولو كانت تمُت لأنبياء الله، وقد ساق القرآن لنا نماذج تبين ذلك المعنى، مثلما وقع من ابن نوح عليه السلام لما أعرض عن منهج ربه، هلك مع من هلك، ولم تنفعه شفاعة أبيه ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾(٥) فلم تنفعه قرابة، وعلل الله ذلك بقوله "إنه عمل غير صالح" تنبيهًا على أن أهله هم الصلحاء، أهل دينه وشريعته، وأنه لتماديه في الفساد والغي، كأن نفسه عمل غير صالح، وتلويحاً بأن سبب النجاة ليس إلا الصلاح، فمن لا صلاح له لا نجاة له(٦).

---

(١) سورة الأحزاب، الآيات: ٤٥-٤٧.

(٢) سورة الشورى، آية: ٥٢، ٥٣.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن حميد، عبدالرحمن بن ملوح ٩٠٠/٣.

(٤) سورة النساء، ١٦٥.

(٥) سورة هود، الآيات: ٤٥-٤٧.

(٦) محاسن التأويل، القاسمي ١٣٢/٩/٦، ١٣٣.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الاهتمام بصلة الأرحام:

إن مما ورد في هذا الحديث تأكيد النبي ﷺ على أهمية العناية بصلة الأرحام قائلاً: "فإني لا أملك لكم من الله شيئًا غير أن لكم رحمًا سأبلها ببلالها" والبلال جمع بَلَل، وقيل هو كل ما بلَّ الحلق من ماء أو لبن أو غيره، والعرب تطلق النداوة والبلل على الصلة، كما يطلقون اليُبس على القطيعة[1] ومعنى الحديث سأصلها، شبهت قطيعة الرحم بالحرارة ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة[2] فلا يمنعه كفرهم من صلة رحمهم، فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت قدمت عليَّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ، قلت: إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصل أمي قال نعم صلي أمك[3].

وقد قال الحق تبارك وتعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[4].

خامسًا- من أهداف الدعوة: إخراج الناس من الظلمات إلى النور بعبادة الله تعالى:

إن أهم المقاصد والأهداف للدعوة: إخراج الناس من الظلمات إلى النور بعبادة الله وحده، وكما جاء في الحديث "يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا واتركوا ما يقول آباؤكم" إخراج لهم من ظلمات الجهل والشرك إلى نور الوحدانية والعلم، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[5]. فيهديهم طرق السلامة والنجاة من عذاب الله، ويخرجهم من ظلمات

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٨٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٤٢.

(٣) أخرجه البخاري ٢٦٢٠.

(٤) سورة الممتحنة، آية: ٨.

(٥) سورة المائدة، الآيتان: ١٥، ١٦.

الكفر والشُّبَه إلى نور الإيمان والدلائل القطعية، ومن ظلمات الكفر والبدعة والمعصية والجهل والغفلة إلى نور الإيمان والسنة والطاعة والعلم والذكر[١]، ويهديهم إلى صراط مستقيم، ذلك الدين السويّ في الاعتقادات والأعمال، العريّ عن الإفراط والتفريط[٢].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٨٨ - ١٨٩.

(٢) انظر: محاسن التأويل، القاسمي ٤/٦/١٣٧.

الحديث رقم (٣٣٠)

٣٣٠- وعن أَبي عبد الله عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قَالَ: سمعت رَسُول الله ﷺ جِهَارًا غَيْرَ سِرٍّ، يَقُولُ: ((إنَّ آل بَني[1] (فُلاَن)[2] **لَيْسُوا بأوليَائِي، إنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ، وَلَكِنْ لَهُمْ رَحِمٌ أبُلُّهَا بِبلاَلِهَا**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ، واللفظ للبخاري[3].

ترجمة الراوي:

عمرو بن العاص: هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم القرشي السهمي، كنيته: أبو عبدالله، وأبو محمد.

أسلم قبل فتح مكة في صفر سنة ثمان من الهجرة، وكان أحد دهاة العرب وعقلائهم. يُضرب به المثل في الفطنة والدهاء والحزم. كان من فرسان قريش وأبطالهم في الجاهلية، فلما أسلم فرح النبي ﷺ به. وشهد لصدقه في إسلامه وشدة إيمانه، قال: ((أسلم الناسُ وآمن عمرو بن العاص))[4] كما قال ﷺ: ((ابنا العاص مؤمنان: عمرو وهشام))[5]. ولما قال له النبي ﷺ: إني أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك وأزعب لك من المال زعبة صالحة[6]. قال له: يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال ولكني أسلمت رغبة في الإسلام وأن أكون مع رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: يا عمرو نعمّا بالمال الصالح للرجل الصالح[7].

ونظرًا لبصره بالأمور وكفاءته وشجاعته وحسن رأيه، كان النبي ﷺ يقرّبه ويُدنيه، وولاه غزوة ذات السلاسل، وكان في الجيش أبوبكر وعمر بن الخطاب وأبو

---

(١) لفظ البخاري، ومسلم: (أبي) بدل: (بني).

(٢) عند مسلم لفظ: "يعني فلانًا"، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه (٣/٤٢٣، رقم ٢٩٢٠).

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٩٠) واللفظ له، ومسلم (٣٦٦/٢١٥).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٨٤٤) وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٣٠٢٠).

(٥) أخرجه أحمد ٢/٣٠٤ رقم ٨٠٤٢، وقال محققوه: إسناده حسن ١٣/٤٠١.

(٦) أي أعطيك دفعةً من المال. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢٩٧ "زعب".

(٧) أخرجه أحمد ٤/١٩٧ رقم ١٧٧٦٣، وقال الحافظ في الإصابة: سنده حسن ٢٩/٢٩٩.

عبيدة بن الجراح. واستعمله واليًا على عمان حتى توفي ﷺ ثم شارك في الفتوحات، فشارك في فتوح الشام، وكان من أمراء الجند في زمن عمر بن الخطاب، فافتتح قنسرين، وصالح أهل حلب ومنبج وأنطاكية، وولاه عمر فلسطين ثم سيّره إلى مصر ففتحها وجعله واليًا عليها ثم عزله عثمان عنها.

فلما وقعت الفتنة لحق بمعاوية بن أبي سفيان، فقاتل معه وولاه على مصر سنة ٣٨هـ حتى توفي سنة ٤٣هـ وعمره نحو تسعين سنة. قال عند موته وقد جزع جزعًا شديدًا: اللهم أمرتنا فتركنا، ونهيتنا فركبنا، ولا يسعنا إلا مغفرتك، وكانت تلك هجِّيراه حتى مات[(١)] اللهم لا برئ فأعتذر، ولا عزيز فأنتصر، وإلا تدركني برحمةٍ أكن من الهالكين[(٢)].

قال الذهبي: "والله يغفر له ويعفو عنه، لولا حبُّه للدنيا ودخوله في أمور، لصلح للخلافة"[(٣)]. وله في كتب الأحاديث ٣٩ حديثًا[(٤)].

غريب الألفاظ:

أبلُها: أصلها.

ببلالها: الماء، شبه الرحم المقطوعة بالحرارة التي تُطْفأ بالماء وهو وصلها[(٥)].

---

(١) أخرجه أحمد ٢٠٠/٤ رقم ١٧٧٨١، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٣٢٠/٢٩.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى، ابن سعد (٢٦٠/٤) وقال محققو السير: إسناده قوي.

(٣) السير (٥٩/٣).

(٤) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٢٥٤/٤)، (٤٩٣/٧) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٤٩٦، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٣٢/٤)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٩٨) والسير (٥٤/٣)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٤٢٦/٥) والتهذيب (٢٨١/٣) والأعلام، خير الدين الزركلي (٢٧٩/٥)، وموسوعة عظماء حول الرسول (١٤٢٧/٢).

(٥) رياض الصالحين ١٧٤.

الشرح الأدبي

قول الصحابي ﷺ (سمعت رسول الله ﷺ) يفيد تأكيد الخبر من جهتين: الأولى من ناحية السماع المباشر عن الرسول ﷺ، والثانية من ناحية استخدامه الفعل الماضي الذي يدل على تحقق الوقوع، وقوله: (جِهَاراً غَيْرَ سِرٍّ) جملة معترضة تفيد توكيد المعنى لعموم العلم به وقوله: (غير سر) توكيد لقوله: (جهاراً)، ونص كلام الرسول ﷺ بني على ثلاث جمل أساسية الأولى جملة النفي في قوله ﷺ (إنَّ آل بَني فُلَان لَيْسُوا بِأولِيَائِي) وهو مؤكد بأكثر من مؤكد لبيان أهمية الخبر وخطره، وقوله: (بني فلان) كناية عن موصوف لم يرد ذكر أسمائهم ستراً عليهم، وهو من أدبه العالي ﷺ وقوله (لَيْسُوا بِأولِيَائِي) نفي للولاية عنهم أكده بالباء الداخلة على الخبر، الجملة الثانية: جملة القصر في قوله (إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) وهي لقصر ولاية الرسول ﷺ على الله، وصالح المؤمنين، ونفيها عمن سواهم من المذكورين، وإضافة (صالح) للمؤمنين إضافة بيان وتشريف تعطي خصوصية لأولياء الرسول فليس مطلق الإيمان، ولكن إيمان مرتبط بصلاح، طائفة مصلحة صالحة، يصلح بصلاحها المجتمع كله، الثالثة جملة الاستدراك في قوله (وَلَكِنْ لَهُمْ رَحِمٌ أَبُلُّهَا بِبلاَلِهَا) وهو استدراك يقرر وصل النبي ﷺ لهؤلاء وفاءً بحق هذه الصلة، وقوله (أبلها ببلالها) في جناس يقرر المعنى ويجذب السمع.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الجهر، والإخبار والتوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التأكيد على أخوة الدين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الولاء والبراء.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: صلة الأرحام.

أولاً- من أساليب الدعوة: الجهر، والإخبار والتوكيد:

١- **الجهر:** إن حكمة الداعية ورؤيته الصائبة تجعله يوازن في النظر للأمور، فقد يرى من المناسب في الدعوة أن يُسّر بأمر من الأمور ولا يعلن به، وقد يرى مناسبة

الجهر، وفي هذا الحديث يجهر النبي ﷺ بأن آل فلان ليسوا بأوليائه يقول: (إن آل فلان ليسوا بأوليائي، إنما ولى الله وصالح المؤمنين... الحديث)، وقد جهر النبي ﷺ بالدعوة بعد أن كانت سرية زهاء ثلاث سنوات، وذلك عندما قام على الصفا ودعا قومه إلى التوحيد والإيمان برسالته واليوم الآخر[1]، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[2] صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي "يا بني فهر يا بني عديّ" لبطون قريش... الحديث[3].

٢- **الإخبار والتوكيد:** حيث أخبر النبي ﷺ في الحديث عمن هم أولياؤه، ومن ليسوا بأوليائه، وأكد كلامه هذا بقوله "إن آل بني فلان ليسوا بأوليائي، إنما ولي الله وصالح المؤمنين".

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: التأكيد على أخوة الدين:

فأخوة الدين من الحقائق التي أقرها الإسلام، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك في الحديث "إنما ولي الله وصالح المؤمنين، قال ابن حجر: (فائدة الحديث انقطاع الولاية في الدين بين المسلم والكافر، ولو كان قريبًا حميمًا، وقال ابن بطال: أوجب في هذا الحديث الولاية بالدين، ونفاها عن أهل رحمه، إن لم يكونوا من أهل دينه)[4]، وقال النووي: (ومعناه: إنما وليي من كان صالحًا وإن بعد نسبي منه، وليس وليي من كان غير صالح وإن كان نسبه قريبًا)[5].

وفي ذلك تأكيد عمليٌّ من رسول الله ﷺ لتقرير الأخوة في الدين، تحقيقًا لقول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[6] أي في الدين[7] وقال القرطبي رحمه الله: (أي إخوة

---

(١) الرحيق المختوم ص في الرحمن المباركفوري ص ٧٩.

(٢) سورة الشعراء، آية: ٢١٤.

(٣) أخرجه البخاري ٤٧٧٠.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٣٥/١٠.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٤٥.

(٦) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن٢١/٣٦٣.

في الدين والحرمة لا في النسب، ولهذا قيل: أخوة الدين أثبت من أخوة النسب، لأن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب)(١).

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الولاء والبراء:

في هذا الحديث يبيّن النبي ﷺ من هم أولياؤه الذين لهم حق الولاء، ومن ليسوا بأوليائه فوجب البراء منهم "إن آل فلان ليسوا بأوليائي إنما وليي الله وصالح المؤمنين" والمعنى الاصطلاحي للولاء، هو النصرة والمحبة، والإكرام والاحترام، والكون مع المحبوبين ظاهرًا وباطنًا" والبراء هو: البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار، وقال ابن تيمية: وأصل الولاية المحبة والتقرب، وأصل العداوة: البغض والبعد، فإذا كان ولي الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه، ويبغضه ويسخطه، ويأمر به وينهى عنه كان المعادي لوليه معاديًا له ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾(٢)،(٣) ولما عقد الله الأخوة والمحبة والموالاة والنصرة بين المؤمنين، ونهى عن موالاة الكافرين، كان من الأصول المتفق عليها أنَّ كل مؤمن موّحد، تارك لجميع المكفرات الشرعية، تجب محبته وموالاته ونصرته، وكل من كان بخلاف ذلك وجب التقرب إلى الله ببغضه ومعاداته، وحيث إن الولاء والبراء تابعان للحب والبغض، فإن أصل الإيمان أن تحب في الله أنبياءه وأتباعهم، وتبغض في الله أعداءه وأعداء رسله(٤).

رابعًا- من موضوعات الدعوة: صلة الأرحام:

بيّن النبي ﷺ في هذا الحديث موالاته لله ولصالحي المؤمنين، وتبرؤه من غير المؤمنين، حتى ولو كانت تربطهم بهم صلة قرابة، إلا أنه أثبت لهم حق الصلة، فقال

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٨/ ٢٢٢/١٦، ٢٢٣.

(٢) سورة الممتحنة، آية: ١.

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية ص ٧.

(٤) من مفاهيم عقيدة السلف الولاء والبراء في الإسلام، محمد سعيد القحطاني، ط١١، دار طيبة، الرياض: ١٤٢٣هـ ص ٨٩-٩١.

ولكن لهم رحم أبلُّها ببلالها "والبلال بمعنى البلل وهو النداوة، وأطلق ذلك على الصلة كما أطلق اليبس على القطيعة، لأن النداوة من شأنها تجميع ما يحصل فيها وتأليفه بخلاف اليبس فمن شأنه التفريق[١] وقال الطيبي: ("أبلها ببلالها" المعنى أبلها بما عرف واشتهر عند الله وعند الناس ما هو، فلا أترك من ذلك شيئًا)[٢].

ولقد أعطانا النبي ﷺ في هذا الحديث مثلاً تطبيقيًا في صلة الرحم، وإن كان هناك خلاف في المعتقد، فقال "ولكن لهم رحم أبلها ببلالها" وقد قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[٣] فلا ينهاكم الله عن بر الذين لم يقاتلوكم، وتقسطوا إليهم وتعدلوا فيهم بالإحسان والبر[٤]. وصلة الرحم لها بالغ الأثر في تقوية أواصر العلاقات الاجتماعية[٥]، ولا شك أن ذلك له أثر إيجابي على الدعوة، حيث يعمل على تأليف قلوب المخالفين، قال الله عز وجل: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٦] بأن يسلم منهم الكثير ويصيروا لكم أولياء وإخوانًا[٧]. ويجعل بينكم محبة بعد البغْضة، ومودة بعد النَّفرة، وألفة بعد الفرقة[٨].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٣٦/١٠.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٤٨/٩.

(٣) سورة الممتحنة، آية: ٨.

(٤) معالم التنزيل ٩٥/٨.

(٥) موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن حميد، عبدالرحمن بن ملوح ٢٦٣٢/٧.

(٦) سورة الممتحنة، آية: ٧.

(٧) انظر: معالم التنزيل، البغوي ٩٥/٨.

(٨) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨٩/٨.

الحديث رقم (٣٣١)

٣٣١- وعن أَبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري ﷺ: أنَّ رجلاً قَالَ: يَا رَسُول الله، أخْبِرْني بِعَمَلٍ يُدْخِلُني الجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُني مِنَ النَّارِ[1]. فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: ((**تَعْبُدُ الله، وَلاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ، وتُؤتِي الزَّكَاةَ، وتَصِلُ الرَّحمَ**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو أيوب الأنصاري: هو خالد بن زيد بن النجار الخزرجي.

شهد العقبة، وبدرًا، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وقد نزل عليه النبي ﷺ حين قدم المدينة شهرًا حتى بُنيت مساكنه ﷺ ومسجده (وقد انتبه أبو أيوب في ليلة -بعد أن شرفه النبي ﷺ بنزول بيته- فقال: نمشي فوقَ رأس رسول الله ﷺ! فتنحى هو وأم أيوب فباتوا في جانب، ثم قال للنبي ﷺ: لا أعلو سقيفةً أنت تحتها، فتحول النبي ﷺ في العُلُوِّ وأبو أيوب في السُّفْل)[3].

وقد آخى النبي ﷺ بينه وبين مصعب بن عمير ﷺ.

وقال له النبي ﷺ ((نزع اللهُ عنك ما تكره))[4] وذلك عندما كان رسول الله ﷺ يطوفُ بين الصفا والمروة، فسقطت على لحيته ﷺ ريشةٌ، فابتدر إليه أبو أيوب فأخذها.

وقد نزل في أبي أيوب وامرأته قول الحق تبارك وتعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾[5]، وذلك بعد أن قالت له

---

(١) قوله: (ويباعدني من النار) لا يوجد عند البخاري، وهو من الجمع للحميدي (٤١٩/١، رقم ٦٧٧)، وعند البخاري بعده زيادة: (قال: ما له ما له).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٦) واللفظ له، ومسلم (١٣/١٢). أورده المنذري في ترغيبه (١١٠٨). وسيكرره المؤلف برقم (١٢١٣).

(٣) أخرجه مسلم، رقم ٢٠٥٣.

(٤) مجمع الزوائد للهيثمي، ٣٢٢/٩.

(٥) سورة النور، آية: ١٢.

زوجته: يا أبا أيوب؛ أما تسمع ما يقول الناس في عائشة رضي الله عنها؟ فقال لها: نعم، وذلك كذب، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا، والله ما كنت لأفعلهُ. قال رضي الله عنه: فعائشة والله خير منك[1].

وقد قدم البصرة فنزل على ابن عباس رضي الله عنهما، ففرّغ له بيته، وقال: لأصنعن بك كما صنعت برسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: كم عليك من الدين؟ قال: عشرون ألفًا. قال: فأعطاه أربعين ألفًا وعشرين مملوكًا، وقال: لك ما في البيت كله!!

وقد استخلفه عليٌّ رضي الله عنه على المدينة لما خرج إلى العراق، ثم لحق به بعد ذلك، وشهد معه قتال الخوارج، وكان شجاعًا صابرًا تقيًا محبًا للغزو والجهاد، عاش إلى أيام بني أمية، ولما غزا يزيد القسطنطينية في خلافة أبيه معاوية رضي الله عنه، صحبه أبو أيوب غازيًا، فحضر الوقائع ومرض فأوصى أن يوغل به في أرض العدو، وقال لأصحابه: إن أنا متُ فاحملوني، فإذا صادفتم العدو فادفنوني تحت أقدامكم، ومات ببلاد الروم غازيًا في خلافة معاوية بن أبي سفيان، وقبره في أصل القسطنطينية، وقال الواقدي: بلغني أن الروم يتعاهدون قبره، ويستسقون به وبلغت روايته عن النبي صلى الله عليه وسلم ١٥٥ حديثًا.

وتوفي سنة ٥٢هـ، وصلى عليه يزيد بن معاوية[2].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة (١٠/١٩٢).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٣/٤٨٤-٤٨٥)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (١٩٦-١٩٧)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢/١٢١-١٢٣)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٣٢١، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (٢/٤٠٢-٤٠٦)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٢/٣٤٤-٣٤٥)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (١/٥١٩)، والأعلام، خير الدين الزركلي (٢/٢٩٥)، وموسوعة عظماء حول الرسول (١/٦٧٧).

الشرح الأدبي

إن أمر الرسول ﷺ (تعبد، وتقيم وتؤتي وتصل) جاء في صورة الخبر وذلك ليوافق أسلوبه قول الأعرابي (أخبرني) فجاء أمره في صورة الخبر هذا من ناحية ومن ناحية أخرى رعاية لنفسية الأعرابي الذي يأنف أن يأمر، أو ينهى، وهو الذي يحيا في صحرائه بلا قيود، أو أوامر أو قوانين فأسلوب النبي بذلك راعي نفسية الأعرابي وشاكل كلامه، والعدول عن الأسلوب الإنشائي (أعبد) إلى الخبري في قوله "تعبد الله" لفائدتين: أحدهما: أن المأمور كأنه سارع إلى الامتثال، وهو يخبر عنه إظهارا للحرص بوقوعه ثانيهما: أن لا ينسب إلى عدم الامتثال لأمره إن قصر المأمور، أو لئلا يكون المأمور مسخوطاً عليه إن لم يمتثل' واتباعه النهي في قوله (لا تشرك) للأمر في قوله (تعبد) تأكيداً له لإخلاص العبودية لله من الشرك العالق في نفوس القوم من آثار الجاهلية

والحديث الشريف بجملته نموذج يقتدي به في التعليم، والتربية، ومخاطبة الناس بأساليبهم، ورعاية الجانب النفسي عندهم. مع الحرص على عموم المنفعة، وبلوغ الموعظة، ولذلك نرى أن النبي ﷺ في ترهيبه، وترغيبه كثيراً ما يدعم الأمر بالنهي، أو يسبقه بالنداء، وغيره من الأساليب القوية التي تعضد الأمر، وتحض على الامتثال له.

فقه الحديث

١- قال ابن حجر: (وخصّ هذه الخصلة لوهي قوله ﷺ: وتصل رحمك" من بين خلال الخير، نظرًا إلى حال السائل، كأنه كان لا يصل رحمه، فأمره به، لأنه المهم بالنسبة إليه، ويؤخذ منه تخصيص بعض الأعمال بالحضّ عليها بحسب حال المخاطب وافتقاره للتنبيه عليها أكثر مما سواها، إما لمشقتها عليه، وإمّا لتسهيله في أمرها)(١).

٢- قال القرطبي: (إن النبي ﷺ دلّ السائل على فعل ما وجب عليه)(٢).

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٥/٣.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٦٦/١.

٣- قال ابن حجر: (قال القرطبي: في هذا الحديث -وكذا حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه في قصّة الأعرابي وغيرهما- دلالة على جواز ترك التطوعات، لكن من داوم على ترك السنن كان نقصًا في دينه، فإن كان تركها تهاونًا بها ورغبة عنها كان ذلك فسقًا. يعني لورود الوعيد عليه، حيث قال ﷺ: ((من رغب عن سنتي فليس منّي))(١)، وقد كان صدر الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم يواظبون على السنن مواظبتهم على الفرائض، ولا يفرقون بينهما في اغتنام ثوابهما، وإنما احتاج الفقهاء إلى التفرقة لما يترتب عليه من وجوب الإعادة وتركها، ووجوب العقاب على الترك ونفيه. ولعل أصحاب هذه القصص كانوا حديثي عهد بالإسلام، فاكتفى منهم بفعل ما وجب عليهم في تلك الحال؛ لئلا يثقل ذلك عليهم فيملوا، حتى إذا انشرحت صدورهم للفهم عنه، والحرص على تحصيل ثواب المندوبات، سهلت عليهم، انتهى)(٢).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من واجبات المدعو: السؤال عن الأعمال الموصلة للجنة.

ثالثًا: من فقه الداعية: مراعاة الأولويات وحال السائل.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل التوحيد والعبادة.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة والزكاة.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: فضل صلة الرحم.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث: "أخبرني بعمل يدخلني الجنة؟" والسؤال هنا عن العمل الذي يوصل إلى الجنة، وهو سؤال عن غاية عظيمة يسعى المؤمن لأجلها، ولا شك أن أسلوب

---

(١) أخرجه البخاري ٥٠٦٣، ومسلم ١٤٠١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٥/٣، والكلام في المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٦٦/١-١٦٧ بأطول من هذا، وإنما نقلناه بتصرف عن ابن حجر لكونه اختصره مع المحافظة على مضمونه.

السؤال يعمل على إرشاد المؤمن إلى ما ينفعه، ويحقق له السعادة في الدنيا والآخرة، وقد أمر الله عباده بالسؤال عما يجهلون، وأن يسألوا المختصين من العلماء، فقال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(١)، وعلم الله نبيه ﷺ أن يجيب على تساؤلات المدعوين ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾(٢)، وعلى الداعية أن يفيد من هذا الأسلوب مع المدعوين.

ثانيًا- من واجبات المدعو: السؤال عن الأعمال الموصلة للجنة:

إن غاية المسلم دخول الجنة، ولذا فهو يتطلع إليها دائمًا، ويسعى في كل طريق وسبيل يوصل إليها، ويتضح هذا من الحديث: "أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار"، هذا ومن واجبات المدعو أن يسأل عن السبل والطرق الموصلة لمرضاة الله عز وجل حتى يفوز بسعادة الدارين، قال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾(٣).

قال ابن عثيمين: (ولا شك أن كل إنسان يسعى إلى هذا الكسب العظيم أن ينجو من النار ويدخل الجنة، فإن من زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، وكل مسلم يسعى إلى ذلك، وهذا يحصل بهذه الأمور الأربعة التي جاءت في الحديث: (تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة وتصل الرحم)(٤).

وفي مضمون السؤال الوارد في الحديث أنه سؤال عن الأعمال الموصلة إلى الجنة، والمباعدة عن النار، وهذا يبين ضرورة أن يتجنب المدعو السؤال عن الأمور التي لا تفيد، ويحرص أن يعلو بهمته في سؤاله، ويسأل عن الأمور المفيدة التي تعود عليه بالنفع والمصلحة في دنياه وآخرته.

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٢) سورة الكهف، آية: ٨٣.

(٣) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٤) شرح رياض الصالحين ١/٧٠٢.

قال ابن مفلح: (ويكره السؤال عن الغرائب، وعما لا ينتفع به ولا يعمل به، وما لم يكن، فعن طاووس عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لا تسألوا عما لم يكن فإني سمعت عمر رضي الله عنه ينهى أن يسأل عما لم يكن، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما رأيت قومًا خيرًا من أصحاب رسول الله ﷺ ما سألوا إلا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قبض، كلهن في القرآن، وما كانوا يسألون إلا عما ينفعهم. وعن جابر رضي الله عنه قال: ما أنزل البلاء إلا كثرة السؤال، ويكره عند أحمد السؤال عما لا ينفع السائل، ويترك ما ينفعه ويحتاجه، وأن العامي يسأل عما ابتلي به، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾[١]، واحتج به الشافعي على كراهة السؤال عن الشيء قبل وقوعه)[٢].

ثالثًا- من فقه الداعية: مراعاة الأولويات وحال السائل:

إن الأعمال المطلوبة من المسلم ليست كلها على درجة واحدة في الإلزام، ولذا فمن فقه الداعية مراعاة الأولويات وحال السائل، وهذا يظهر من قول النبي ﷺ: "وتصل الرحم" وذلك بعد أن ذكر التوحيد وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وهذا من حصافة الداعية، قال ابن علان: (وخص الرحم بالذكر لقربها من السائل، أو نظرًا لحاله، كأنه كان قاطعًا لها، فأمر بصلتها لأنها المهم بالنسبة إليه، وعطف الصلاة وما بعدها على العبادة من عطف الخاص على العام)[٣]، ومراعاة الأولويات من أهم صفات الداعية: "إن الداعية لا ينجح في دعوته، ولا يكون موفقًا في تبليغه حتى يعرف من يدعوهم وكيف يدعوهم؟ وماذا يقدم معهم وماذا يؤخر؟ وما القضايا التي يعطيها أهمية وأولوية قبل غيرها، وما الأفكار الضرورية التي يطرحها ويبدأ بها، فالداعية يبدأ بالأهم ثم المهم، فيبدأ بالعقيدة قبل العبادة، وبالكليات قبل الجزئيات"[٤]، والداعية الذي يفعل

---

(١) سورة المائدة، آية: ١٠١.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٢/٧٢ - ٧٣.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٥٣٤.

(٤) كيف يدعو الداعية، عبدالله ناصح علوان ص ٤٧ - ٤٨.

هذا يضمن لدعوته النجاح، "لقد سئل النبي ﷺ عن النصيحة والوصية من بعض أصحابه فاختلفت إجاباته، وما ذلك الاختلاف في الجواب إلا مراعاة منه ﷺ للأحوال الخاصة بالمدعوين، واكتشاف حاجة كل واحد منهم والجانب القاصر عنده، والأمر اللائق به فأوصى كل واحد بما يناسبه"[(١)].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل التوحيد والعبادة:

إن من أعظم نعم الله على العبد نعمة التوحيد والهداية إليه، ولأجل التوحيد أرسل الله رسله وأنزل كتبه، وقد جعله الرسول ﷺ في مقدمة الأمور التي ينبغي على العبد أن يقوم بها، ويظهر هذا في قوله ﷺ: (تعبد الله ولا تشرك به شيئًا) ومما لا شك فيه فضل التوحيد والعبادة، فهي أول المطلوبات من المسلم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[(٢)]، وقال سبحانه: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾[(٣)]، واشترط لنيل الثواب والدرجات إخلاص العبادة لله، قال جلّ شأنه: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾[(٤)]، وأخبر أن فطرة التوحيد هي التي خلق عليها الناس، قال تعالى: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾[(٥)].

"ولا إله إلا الله"، هي كلمة التوحيد التي اتفقت عليها كلمة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، بل هي خلاصة دعواتهم وزبدة رسالاتهم، وما من رسول منهم إلا جعلها مفتتح أمره، وقطب رحاه، ودلالة هذه الكلمة على التوحيد باعتبار اشتمالها على النفي والإثبات المقتضي للحصر، وهو أبلغ من الإثبات المجرد؛ كقولنا: "الله

---

(١) مقومات الداعية الناجح، د. علي بن عمر بادحدح ص ١٣٥.

(٢) سورة البينة، آية: ٥.

(٣) سورة الإخلاص، الآيات: ١ - ٤.

(٤) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٥) سورة الروم، آية: ٣٠.

واحد"، مثلاً فهي تدل بصدرها على نفي الإلهية عما سوى الله تعالى، وتدل بعجزها على إثبات الإلهية له وحده، وأما العبادة فهي الحكمة التي خلق الله الخلق لأجلها كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(١)، فكمال المخلوق في تحقيق تلك الغاية، وكلما ازداد العبد تحقيقًا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته(٢).

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة والزكاة:

إن الصلاة والزكاة من أركان الإسلام، ولأهميتها كثيرًا ما قرن القرآن بينهما، وفي الحديث قرن النبي ﷺ بينهما جريًا على عادة القرآن الكريم، ويظهر ذلك في قول النبي ﷺ: (وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة)، وقد دلت نصوص الشرع على أهمية إقامة الصلاة، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾(٣).

وأمر الله بالمحافظة عليها فقال سبحانه: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾(٤)، وجعل من صفات المؤمنين ما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾(٥).

ومن صفات عباد الرحمن ما وصفهم به سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾(٦).

وحذر من التكاسل عن أدائها فقال سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾(٧).

---

(١) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٢) شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، محمد خليل هراس ص ٨٨ - ٨٩.

(٣) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٣٨.

(٥) سورة المؤمنون، آية: ٢.

(٦) سورة الفرقان، آية: ٦٤.

(٧) سورة الماعون، الآيتان: ٤ - ٥.

وأمر بإقامتها فقال سبحانه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾[(١)]، وقال: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾[(٢)].

والصلاة هي النور الذي يربط المسلم بالله، والنور الذي يمشي به في الناس، فعن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: ((... والصَّلَاةُ نُورٌ...))[(٣)].

وأما الزكاة فقد كثر في القرآن اقترانها بالصلاة، ولقد أمر الله بإخراجها، فقال سبحانه: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾[(٤)].

وحدد مصارفها فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾[(٥)].

ووعد بالأجر العظيم لمن يؤديها فقال جلّ شأنه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[(٦)].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: فضل صلة الرحم:

إن المسلم رقيق القلب، لين الطبع، شفيق على ذوي رحمه وأقاربه، وأولى الناس برحمته ورقته وشفقته هم ذوو رحمه، فينبغي أن يحرص المسلم على صلة الرحم، وقد جاء في الحديث: "وتصل الرحم"، وقد وصف الله المؤمنين بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾[(٧)]، وحذر الله من

---

(١) سورة هود، آية: ١١٤.
(٢) سورة الإسراء، آية: ٧٨.
(٣) أخرجه مسلم ٢٢٣.
(٤) سورة الأنعام، آية: ١٤١.
(٥) سورة التوبة، آية: ٦٠.
(٦) سورة البقرة، آية: ٢٧٧.
(٧) سورة الرعد، آية: ٢١.

قطيعتها، فقال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾[١].

وفي فضل صلة الرحم جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((مَن سَرَّهُ أن يُبسَطَ لهُ في رِزقهِ أو يُنْسَأَ لهُ في أثرِهِ فلْيَصِل رحِمَه))[٢]، قال ابن عثيمين: (وصلة الرحم أن تؤتيهم حقهم بالصلة حسب ما يتعارف الناس، فما عدَّه الناس صلة فهو صلة، وما لم يعدوه صلة فليس بصلة، إلا إذا كان الإنسان في مجتمع لا يبالون بالقربات، ولا يهتمون بها، فالعبرة بالصلة نفسها المعتبرة شرعًا)[٣].

ولأهمية صلة الرحم أرشد الله سبحانه وتعالى إلى أهمية مقابلة الإساءة بالحسنى لتستمر صلة الأرحام بين المسلمين، قال الله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[٤]، قال ابن حجر الهيتمي: (وهذه الآية اشتملت على أنفع الأدوية لإزالة العداوة بل وتليها صداقة، وهي الدفع بالتي هي أحسن، وجماعه أن توصل إليه ما قدرت عليه من خير وتودد وتتحمل ما يصدر عنه في حقك، فإذا فعلت ذلك لم يبق لك عدو من أهل ولا من غيرهم. وبعد أن علمت هذا الدواء الذي لا أنفع منه، فلا عذر لك في مقاطعة قريب أو بعيد، وما أحسن ما قيل:

ولم أر في عيوب الناس عيبًا ... كنقص القادرين على الكمال

فحيث رزقك الله فطنة، وعملاً معيشًا، ودراية ولطفًا، وحسن خلق، فلا تضيع ذلك كله بوقوفك مع نفسك وحظك وهواك، بل المطلوب منك أن توصل إليه من الحب والتودد ما يقلب بغضه محبة، وعداوته صداقة)[٥].

---

(١) سورة محمد، الآيتان: ٢٢ - ٢٣.

(٢) أخرجه البخاري ٢٠٦٧.

(٣) شرح رياض الصالحين ٧٠٢/١.

(٤) سورة فصلت، آية: ٣٤.

(٥) أسنى المطالب في صلة الأقارب ١٧٧.

الحديث رقم (٣٣٢)

٣٣٢- وعن سلمان بن عامر ﵁، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: ((إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ، فَلْيُفْطِرْ عَلَى تَمْرٍ؛ فَإِنَّهُ بَرَكَةٌ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ تَمْرًا، فالمَاءُ؛ فَإِنَّهُ طَهُورٌ))، وَقَالَ: ((الصَّدَقَةُ عَلَى المِسكينِ صَدَقَةٌ، وعَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ)) رواه الترمذيُّ[(١)]، وَقَالَ: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

سلمان بن عامر الضبي: وهو سلمان بن عامر بن أوس بن حجر من بني ضبة الضبي، كان في حياة النبي ﷺ شيخًا، وكان ممن سكن البصرة، وكان له بها دار قرب الجامع.

روى له الجماعة سوى الإمام مسلم، وكان ممن نزل البصرة.

أما عن وفاته فقيل إنه مات في خلافة عمر، وقيل في خلافة عثمان، وقال الدولابيُّ: قُتِلَ يوم الجمل وهو ابن مائة سنة، وقال ابن حجر في الإصابة: الأصح أنه عاش إلى خلافة معاوية[(٢)].

الشرح الأدبي

أسلوب الحديث خبري ساقه النبي ﷺ دون مؤكدات في بدايته لأنه تأسيس لسنة من سننه في أمر يستطيعه أكثر الناس، وقد وضع البديل لمن لا يستطيع حتى يحظى الجميع بالأجر، وقد جاء في أسلوب الشرط المؤذن بقوة الاتصال بين الشرط، والجزاء

---

(١) برقم (٦٥٨). وصحّحه أبو حاتم الرازي كما في العلل لابنه (٦٨٧)، وابن خزيمة (٢٠٦٧)، وابن حبان (الإحسان ٣٥١٥)، وقال الحاكم (٤٣٢/١): هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. وأورده المنذري في ترغيبه (١٥٩٣).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٨٠/٧)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٢٩٣، ٢٩٤)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٥٠٩/٢، ٥١٠)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٥٢١)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٢٣٨/٣)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٦٨/٢)، والسندي (١٦٣/٢٦).

يربط الإفطار بكونه على تمر كلما استجد إفطار استجده على تمر، وقد علل للأمر الذي جاء في جواب الشرط بجملة(فَإِنَّهُ بَرَكَةٌ)، ولفظ البركة يحمل ترغيباً في الفعل، وقد أكد الجملة بعدة مؤكدات لتحقق الإقناع، واستخدام (إذا) في الشرط يوحي بتحقق الوقوع، وقوله (فإن لَمْ يَجِدْ تَمْراً، فالمَاءُ؛ فَإِنَّهُ طَهُورٌ) من الملاحظ في صياغة أسلوب الشرط في هذه الجملة أن أداة الشرط هي (إن) التي تدل على عدم تحقق الوقوع، لأن عدم إيجاد التمر في مدينة تعتمد عليه في غذائها أمر مستبعد، وفعل الشرط منفي، وجواب الشرط محذوف تقديره فليفطر على الماء، والجملة التعليلية (فَإِنَّهُ طَهُورٌ) مؤكدة بأكثر من مؤكد، والتعبير بالطهور ترغيب فيه، واستخدام صيغة المبالغة يصعِّده، وقوله (الصَّدَقَةُ عَلَى المِسكينِ صَدَقَةٌ، وعَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ) فيه ترغيب في الصدقة عموماً، وبيان لأفضلية الصدقة على ذي الرحم خصوصاً، وقوله(وعَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ) جاء في صورة التوشيع بذكر المثنى (ثنتان) ثم تفصيله، (صدقة، وصلة) وقيمة هذا الأسلوب تتمثل في توكيد المعنى بذكره مجملاً ثم مفصلاً مع ما يفيده من تشويق للمعنى بإجماله ثم تفصيله.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين فقهيين:

الأول: فضيلة مهمة تتعلق بالصيام وهي ما يفطر عليه المسلم، وقد ذكر الفقهاء(١) أنه يسن للصائم عند فطره أن يفطر على رطبات، فإن لم يجد فعلى تمرات اقتداء بالنبي ﷺ، فإن لم يجد أفطر على حسوات من ماء.

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ١٠٥/٢، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٣٠٥/١، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٤١٩/١، وتحفة المحتاج ٤٢١/٣، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٥٥/٣، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٣٣٢/٢، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ٢٦١/٤، وسبل السلام، الصنعاني ٥٦٤/١.

الثاني: فضل التصدق على الغير وخاصة القريب، وقد سبق الكلام عنه في الحديث رقم (٣٢٦).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط والأمر.

ثانيًا: من واجبات الداعية: بيان علة الحكم الشرعي إن وجد.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل التمر.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصدقة وصلة الرحم.

أولاً- من أساليب الدعوة: الشرط، والأمر:

١- الشرط: ويظهر هذا من قول النبي ﷺ "إذا أفطر" والشرط أسلوب من أساليب الدعوة التي تلفت انتباه المدعوين من خلال الربط بين الشرط وجوابه.

٢- الأمر: ويتضح هذا من قول النبي ﷺ "فليفطر" والأمر من أساليب الدعوة حيث يبين للمدعو أهمية المأمور به وفضله، وهو من أساليب القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[1] وقال جلّ شأنه: ﴿ حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا ﴾[3]، وعلى الداعية استخدام هذا الأسلوب مع المدعوين لبيان أهمية المأمور به.

ثانيًا- من واجبات الداعية: بيان علة الحكم الشرعي إن وجد:

يظهر هذا من قول النبي ﷺ "فإنه بركة"، "فإنه طهور" فليس كل الناس على درجة واحدة من الإيمان، ومن الاقتناع، ومن هنا كان من واجبات الداعية بيان علة الحكم الشرعي إن وجد، حتى يقتنع المدعو بما يؤمر به. قال الطيبي: ("قوله فإنه بركة" أي فإن في الإفطار على التمر ثوابًا كثيرًا، ولإرادة الثواب وبركته علل الماء

---

(١) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٣٨.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٤.

بالطهورية؛ لأنه مزيل للمانع من أداء العبادة، ولهذا منَّ الله تعالى على عباده بقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾(١))(٢).

والناظر في القرآن الكريم يجد الربط بين الحكم الشرعي وعلته، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾(٣) وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾(٤) وقوله جلّ شأنه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٥) وقوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾(٦).

قال د. يوسف القرضاوي: (ينبغي على الداعية أن يقتدي بالقرآن والسنة في تعليل الأحكام، وبيان حكمها وثمراتها في الأنفس والحياة، وربطها بالفلسفة العامة للإسلام حتى تقع من النفس موقع القبول، والقرآن الكريم كثيرًا ما يذكر الحكم والمنافع من وراء العبادات ذاتها، مع أن الأصل فيها التعبد والامتثال لأمر الله تعالى، فإذا كان هذا في الأمور التعبدية فكيف بغيرها من المعاملات وشؤون الحياة؟ فهذا مطلوب في كل حين، ولكن طلبه في عصرنا ألزم، والحاجة إليه أوكد، لأن كثيرًا من الناس لم يعد يغلب عليهم التسليم، وإنما يغلب عليهم البحث والتساؤل لمعرفة الأسرار والعلل، ورحم الله امرأً عرف زمانه، وخاطب أهله بما يعرفون، ومما يجب على الداعية في تعليله للأحكام أن يحذر المبالغة في ذلك؛ لأن الحقيقة الكبرى والتي يجب التنبيه عليها، أن العبادات مطلوبة طلب الغايات والمقاصد، لا طلب الأدوات والوسائل،

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٤٨.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٤/١٥٤.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٣٢.

(٤) سورة المائدة، آية: ٩٠.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٨٣.

(٦) سورة النور، آية: ٣٠.

فهي مرادة لذاتها بغض النظر عما وراءَها من منافع وثمرات، بل هي الغاية من خلق المكلفين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[(١)]، فالمبالغة في هذا الجانب قد تؤدي ببعض الناس إلى أن يقول: إذا كان هدف العبادات تربية الضمائر، وتزكية الأنفس، وتقويم الأخلاق. فعندنا وسائل أخرى توصلنا إلى هذا الهدف. وقد يقول بعض آخر ما قاله بعض الفلاسفة من قبل، ومن المحذورات الواجب أخذها في الاعتبار، التعليل بأمر غير جامع ولا مانع، مثال ذلك: تعليل تحريم لحم الخنزير بأنه يأكل القاذورات، فقد يُردُّ بأن هذا لا ينطبق إلا على الخنازير السيئة التغذية، أما الخنازير التي تربى في حظائر خاصة، ويشرف عليها مختصون يعنون بأمرها، فلا يتعلق معها هذا التعليل...، ولهذا لا يجوز للداعية المجازفة بالتعليل في مثل هذه الأمور، ما لم يكن تعليلاً ثابتًا محكمًا مطردًا في كل الأحوال، تقوم عليه الأدلة العلمية الناصعة، التي لا مطعن فيها. وإلا فحسب الداعية أن يقول: إن الله لا يحل إلا طيبًا، ولم يحرم إلا خبيثًا، ولم يشرع إلا لحكمة، علمها من علمها، وجهلها من جهلها، وعدم العلم بها لا ينفي وجودها، وأخيرًا ينبغي التنبيه على عدم الاقتصار على التعليلات المادية، كالقول إن الصلاة لها حكمة على تمرين الجسم على الرياضة والحركة، وإن الصيام بغية إراحة المعدة شهرًا في كل عام، وأن الحج رحلة كشفية، للتدريب على احتمال المشاق، وجهل من قال ذلك، لأن هذه التعليلات تفتح عليهم أبوابًا لا يقدرون على إغلاقها، كقول أحدهم: إني أستطيع أن أمرن جسمي رياضيًا بغير الصلاة، وكقول آخر: إني قادر على إراحة معدتي بغير الصيام، وكقول ثالث: إني أقوم برحلات كشفية أتدرب فيها على المشقة)[(٢)].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل التمر:

إن من فضل الله على عباده أنه وضع لهم البركة في الأطعمة التي توجد لدى الغني والفقير، ومن تلك الأطعمة: التمر، حيث جاء في الحديث "فليفطر على تمر فإنه بركة"

---

(١) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٢) ثقافة الداعية ٨٣ -٨٩ باختصار.

قال المباركفوري: (أي ذو بركة وخير كثير أو أريد به المبالغة)[١] هذا وقد وردت الأحاديث الصحاح في فضل التمر، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((مَن تَصبَّح كلَّ يومٍ سبعَ تمراتٍ عَجوةً لم يَضرَّه في ذلك اليومَ سُمٌّ ولاَ سِحْر))[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((بَيْتٌ لاَ تَمْرَ فِيهِ، جِيَاعٌ أَهْلُهُ))[٣].

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه أكل التمر بالزبد، وأكل التمر بالخبز، وأكله مفردًا، فعن جابر رضي الله عنه قال: ((حدثني سُلَيْمُ بنُ عَامِرٍ عن ابْنَيْ بُسْرِ السُّلَمِيَّيْنِ، قالاَ: دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم فَقَدَّمْنَا زُبْدًا وَتَمْرًا، وَكَانَ يُحِبُّ الزُّبْدَ وَالتَّمْرَ))[٤].

قال ابن القيم: (والتمر مقو للكبد، ملين للطبع، يزيد في الباءة ولاسيما مع حب الصنوبر، ويبرئ من خشونة الحلق، وهو من أكثر الثمار تغذية للبدن بما فيه: من الجوهر الحار الرطب، وأكله على الريق يقتل الدود، وهو فاكهة وغذاء، ودواء وشراب وحلوى)[٥].

ومما لا شك فيه "أن التمر يمد بني الإنسان بالغذاء الضروري ويشبعهم، فلا يحتاجون إلى غيره، ولذلك كان هو الطعام الذي لا غيره في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأشهر، فالتمر غذاء يكفي الإنسان في حياته، لأنه يحتوي على أكثر ما يحتاجه الإنسان من المواد الغذائية، كما أن هناك معادن كثيرة موجودة في التمر حتى أطلق عليه اسم "منجم" ولعل هذا هو ما يفسر بقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله بدون طعام غير التمر والماء"[٦].

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٨٩٢/١.

(٢) أخرجه البخاري ٥٤٤٥، ومسلم ٢٠٤٧.

(٣) أخرجه مسلم ٢٠٤٦.

(٤) أخرجه أبو داود ٣٨٣٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٤٤).

(٥) الطب النبوي، ابن القيم ٢٢٤.

(٦) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. صالح بن أحمد رضا ٢٨٦/١، ٢٨٧.

قال د. زغلول النجار: (والتمر من ثمرات النخيل يعد غذاءً كاملاً تقريبًا لاحتوائه على أغلب العناصر التي يحتاجها جسم الإنسان، ولذا يصفه تبارك وتعالى بقوله: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًا...﴾[1].

فالتمر يحتوي على مواد سكرية، وكربوهيدراتية، وبروتينية، ودهنية وعلى عدد من العناصر المهمة، والفيتامينات الضرورية لحياة الإنسان، وقد أثبتت التحاليل الكيمائية أن التمر الجاف يحتوي على ٧٠,٦٪ من الكربوهيدرات، ٢,٥٪ من الدهون، ١,٣٢٪ من الأملاح المعدنية التي تشمل مركبات كل من الكالسيوم، والحديد والفوسفور، والمغنيسيوم، والبوتاسيوم، والنحاس، والمنجنيز، والكوبلت، والزنك وغيرها، ١٠٪ من الألياف، بالإضافة إلى فيتامينات تشمل فيتامين أ، ب (١)، ب (٢)، ج، وإلى نسب متفاوتة من السكريات والبروتينات.

وللتمر فوائد طبية كثيرة فهو غذاء مهم للخلايا العصبية، وطارد للسموم، ومفيد في حالات الفشل الكلوي، والمرارة، وارتفاع ضغط الدم، والبواسير، والنقرس، وهو ملين طبيعي، ومقو للسمع، ومنبه لحركة الرحم، ومقو لعضلاته مما ييسر عملية الولادة الطبيعية، ومن هنا كانت الإشارة القرآنية إلى السيدة مريم البتول وهي تضع نبي الله عيسى عليها السلام بقول الحق تبارك وتعالى لها: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ۝٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗا﴾[2].

ويعجب كل قارئ لهذه الأحاديث الشريفة، لما تحتويه من علم صحيح، لم تصل إليه مدارك الإنسان إلا منذ سنوات قليلة، ونطق به المصطفى ﷺ من قبل ألف وأربعمائة من السنين، مؤكدًا على صدق نبوته، وصدق رسالته، وصدق اتصاله بوحي السماء الذي وصف بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾[3])[4].

(١) سورة النحل، آية: ٦٧.

(٢) سورة مريم، الآيتان: ٢٥ - ٢٦.

(٣) سورة النجم، الآيتان: ٣ - ٤.

(٤) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. زغلول النجار ١/٥٥ - ٥٧ بتصرف.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الصدقة وصلة الرحم:

إن أولى الناس بصدقة المسلم هم ذوو قرابته، ولذا كان المتصدق عليهم له أجران ويتضح هذا من قوله ﷺ "الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة" وقد جاء في فضل الصدقة الكثير من النصوص الشرعية، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[(١)] وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((سَبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ: الإمامُ العادِلُ، وَشابٌّ نَشأَ في عِبادةِ ربِّه، ورجلٌ قلبُه مُعَلَّقٌ في المساجد، وَرجُلانِ تَحابّا في اللّهِ اجتَمَعا عليهِ وتَفَرَّقا عليه، ورجلٌ طَلَبَتهُ امرأةٌ ذاتُ مَنصِبٍ وجمال فقال: إني أخافُ اللّهَ، ورجلُ تَصدَّقَ أخفى حتى لا تَعلمَ شِمالُه ما تُنفِقُ يمينُه ورجلٌ ذكرَ اللّه خاليًا ففاضت عيناه))[(٢)].

ولاشك أن أفضل الصدقة ما كانت على القريب، فعن حكيم بن حزام أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن الصدقات أيها أفضل؟ قال: ((عَلَى ذِي الرَّحِمِ الكاشِحِ))[(٣)]، وفي فضل صلة الرحم قال ﷺ: ((ليسَ الواصلُ بالمُكَافِىءِ، ولَكِنَّ الواصلَ مَنْ إذَا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا))[(٤)] وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: ((الرَّحِمُ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ))[(٥)] وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((ومن كان يؤمن باللهِ واليومِ الآخر فلْيَصِلْ رَحِمَه))[(٦)] وعلى الدعاة إلى الله استحضار هذه النصوص والمعاني، وتذكير المدعوين بها فإنها من موضوعات الدعوة المهمة.

---

(١) سورة الحديد، آية: ١٨.

(٢) أخرجه البخاري ٦٦٠، ومسلم ١٠٣١.

(٣) أخرجه أحمد ٣/٢٠٢ رقم ١٥٣٢٠، وقال محققو المسند: حديث صحيح وإسناده ضعيف، ٢٤/٣٦.

(٤) أخرجه البخاري ٥٩٩١.

(٥) أخرجه البخاري ٥٩٨٩، ومسلم ٢٥٥٥.

(٦) أخرجه البخاري ٦١٣٦، ومسلم ٤٨.

الحديث رقم (٣٣٣)

٣٣٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَتْ تَحْتِي امْرَأَةٌ، وَكُنْتُ أحِبُّهَا، وَكَانَ عُمَرُ يَكْرَهُهَا، فَقَالَ لي: طَلِّقْهَا، فَأبَيْتُ، فَأتَى عُمَرُ رضي الله عنه النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم، فَذَكَرَ ذلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبيّ صلى الله عليه وسلم: ((طَلِّقْهَا)). رواه أبُو داود والترمذيُّ[1]، وَقالَ: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث يتناول معنى طاعة الوالدين والمدى الذي يمكن أن تصل إليه انقياداً لما يرضي الله تعالى بسبب رضا الوالدين، يروي الحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه وهو أحد طرفي الحوار، ويبدأ بمقدمة خالية من المؤكدات لأنه يحكي قصة خاصة به لا يتوقع أن يعترضها معترض، وقوله: (كَانَتْ تَحْتِي امْرَأَةٌ، وَكُنْتُ أحِبُّهَا، وَكَانَ عُمَرُ يَكْرَهُهَا) فعل الكينونة الماضي يقرر أن الأحداث سابقة الوقوع محققة الوجود، وقوله (تحتي امرأة) كناية عن القوامة، والسيطرة، والطباق بين (أحبها، يكرهها) يشير إلى المفارقة في المشاعر التي سببت التباين في الموقفين بين رغبته فيها، ورغبة أبيه في طلاقها، كما أن استخدام المضارع (أحبها - يكرهها) يشير إلى استمرارية التناقض الذي صعَّد المسألة إلى الحكم الفصل، وقول النبي: (طَلِّقْهَا) يؤكد ضرورة طاعة الوالدين، وإن كان على غير رغبة الأبناء.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥١٣٨) واللفظ له، والترمذي (١١٨٩). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٢٦)، وقال الحاكم (١٩٧/٢): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٥٨).

فقه الحديث

حكم طاعة الوالد في تطليق الزوجة:

سأل رجل الإمام أحمد فقال: إن أبي يأمرني أن أطلق امرأتي، قال: لا تطلقها. قال: أليس عمر رضي الله عنه أمر ابنه عبدالله أن يطلق امرأته؟ قال: حتى يكون أبوك مثل عمر رضي الله عنه. يعني لا تطلقها بأمره، حتى يصير مثل عمر في تحريه الحق والعدل، وعدم اتباع هواه في مثل هذا الأمر.

واختيار أبو بكر من الحنابلة أنه يجب، لأمر النبي صلى الله عليه وسلم لابن عمر رضي الله عنهما.

وقال ابن تيمية فيمن تأمره أمه بطلاق امرأته. قال: لا يحل له أن يطلقها. بل عليه أن يبرها وليس تطليق امرأته من برها[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على تحكيم النبي صلى الله عليه وسلم فيما شجر بينهم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: عظم حق الآباء.

رابعًا: من مهام الداعية: الإفتاء في المسائل الشرعية.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

حيث جاء في الحديث "طلقها" ومما لاشك فيه أن الأمر أسلوب من أساليب الدعوة، وهو يدل على أهمية المأمور به، والأمر إذا كان من الأعلى للأدنى، فهو أمر صريح، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[2] وإذا كان من الأدنى للأعلى فهو دعاء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، لابن مفلح المقدسي الحنبلي، ٥٠٣/١، والزواجر، ابن حجر الهيتمي، ٧٢/٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٧٠/٨-٧٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٤٣.

﴿ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[(١)] وإذا كان من المساوي للمساوي، فهو التماس، ومنه ما يأتي من أمر شخص لآخر مساوٍ له في الدرجة والمنزلة.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﵃ على تحكيم النبي ﷺ فيما شجر بينهم:

إن الرسول الكريم ﷺ هو مرجع المسلمين فيما يعرض لهم من أمور ومشكلات، ولذا كان الصحابة ﵃ يتحاكمون إليه فيما يعرض لهم، ويتضح هذا من الحديث في قوله "فأتى عمر النبي ﷺ فذكر ذلك له".

وقد دلت نصوص القرآن الكريم على وجوب طاعته ﷺ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[(٢)] وجعل الله طاعة نبيه من طاعته فقال جلّ شأنه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[(٣)] وأمرنا بالاستجابة له فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[(٤)] ودعت إلى التزام أمره ونهيه فقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[(٥)] وربطت الآيات بين الإيمان بالله والاحتكام إليه ﷺ فقال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾[(٦)].

وأمام هذه النصوص كان لدى الصحابة الكرام ﵃ الحرص الكامل على الاحتكام إلى رسول الله ﷺ في أي أمر من أمورهم، ولقد حذر الله من مخالفة أمر

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٢) سورة محمد، آية: ٣٣.

(٣) سورة النساء، آية: ٨٠.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٥) سورة الحشر، آية: ٧.

(٦) سورة النساء، آية: ٦٥.

نبيه فقال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[(١)] وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾[(٢)].

وبلغ من شدة حرص الصحابة رضي الله عنهم على الاحتكام إليه ﷺ واتباع أمره ماجاء عن كعب بن علقمة عن بلال بن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: ((سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: لاَ تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ الْمَسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْذَنَّكُمْ إِلَيْهَا». قَالَ فَقَالَ بِلاَلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: وَاللَّه لَنَمْنَعُهُنَّ، قَالَ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ فَسَبَّهُ سَبًّا سَيِّئًا، مَا سَمِعْتُهُ سَبَّهُ مِثْلَهُ قَطُّ وَقَالَ: أُخْبِرُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، وَتَقُولُ: وَاللَّه لَنَمْنَعُهُنَّ))[(٣)].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: عظم حق الآباء:

إن الآباء قاموا بتربية أبنائهم صغار ورعايتهم كبارًا ومن ثمَّ جعل الإسلام للآباء منزلة ومكانة كبيرة، وأوجب على الأبناء طاعتهم والتزام قولهم، وقد دل هذا الحديث على عظم حق الآباء، فقد جاء فيه "كانت تحتي امرأة وكنت أحبها وكان عمر يكرهها فقال لي طلقها". وكان أول من أمر ابنه بطلاق امرأته: إبراهيم الخليل عليه السلام، ومن بر الابن لأبيه: أن يكره ما كرهه أبوه، وإن كان محبًا له، وأن يحب ما أحب أبوه وإن كان كارهًا له، هذا إذا كان الأب من أهل الدين يحب في الله، ويبغض في الله، ولم يكن ذا هوى، فإن لم يكن كذلك استحب له فراقها لإرضائه، ولم يجب عليه كالحالة الأولى، لأن طاعة الأب في الحق من طاعة الله[(٤)]. هذا وقد دلت الكثير من النصوص على عظم حق الآباء على الأبناء، ولا أدل على ذلك من حوار إبراهيم عليه السلام مع

---

(١) سورة النور، آية: ٦٣.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

(٣) أخرجه مسلم ٤٤٢.

(٤) مختصر سنن أبي داود، المنذري ٣٥/٨.

أبيه كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾(١) وكان جواب إبراهيم عليه السلام مع أبيه مراعيًا أدب الخطاب معه كما جاء في قوله سبحانه: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾(٢) ويظهر أيضًا من حوار إسماعيل عليه السلام مع أبيه لما قال له: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾(٣) كان جواب إسماعيل عليه السلام ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(٤).

ولقد جاء في الحديث النبوي ما يدل على عظم حق الآباء، ومن ذلك ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لاَ يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا إلاَّ أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ))(٥)، وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((رِضاَ الرَّبِّ في رِضَا الْوَالِدِ وسَخَطُ الرَّبِّ في سَخَطِ الْوَالِدِ))(٦) وعن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فأَضِعْ ذلك الباب أو احفظه)(٧).

وأخرج الإمام السيوطي في الدر المنثور قال: (أخرج عبدالرزاق في المصنف عن الحسن أنه سئل: ما بر الوالدين؟ قال: أن تبذل لهما ما ملكت، وأن تطيعهما فيما أمراك به، إلا أن يكون معصية)(٨).

وعن طاووس قال: (إن من السنة أن نوقر أربعة، العالم وذو الشيبة، والسلطان، والوالد قال: ويقال إن من الجفاء أن يدعو الرجل والده باسمه)(٩) ولعظم حق الأب جاء

---

(١) سورة مريم، آية: ٤٦.

(٢) سورة مريم، آية: ٤٧.

(٣) سورة الصافات، آية: ١٠٢.

(٤) سورة الصافات، آية: ١٠٢.

(٥) أخرجه مسلم ١٥١٠.

(٦) أخرجه الترمذي ١٨٩٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥٤٩).

(٧) أخرجه الترمذي ١٩١٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥٤٨).

(٨) الدر المنثور، السيوطي ٢٨٩/٩.

(٩) المرجع السابق نفسه ٣٠٧/٩.

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُد أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ الأَبُ))(١).

رابعًا- من مهام الداعية: الإفتاء في المسائل الشرعية:

إن الداعية يخالط المدعوين ويجالسهم، ومن ثم يلتمسون منه معرفة الحكم الشرعي فيما يعرض لهم من أمور، وواجب الداعية في هذه الحالة أن يبين لهم، ويفتيهم بحكم الشرع طالما أنه يعرف الجواب. ويستنبط هذا من الحديث، أن النبي ﷺ لما احتكموا إليه أفتاهم. وقيام الداعية بواجبه في الإفتاء، يقطع التنازع الذي قد يحدث بين الناس، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يقطع الطريق على من يتصدر للإفتاء وهو ليس من أهله، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ. وَلكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ. حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ. فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا))(٢).

وبتصدر الداعية لواجبه في الإفتاء في المسائل الشرعية، يخرج من إثم كتمان العلم ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ سُئِلَ عن عِلْمٍ عَلِمَهُ ثم كَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ))(٣).

ويجب على الداعية عند الفتوى أن يستصحب النصوص الشرعية التي تؤيد فتواه قال ابن القيم: (وينبغي للمفتي أن يفتي بلفظ النص مهما أمكنه، فإنه يتضمن الحكم والدليل مع البيان التام، فهو حكم مضمون له الصواب، متضمن الدليل عليه في أحسن بيان، وقول الفقيه المعين ليس كذلك. وقد كان الصحابة رضي الله عنهم والتابعون والأئمة الذين سلكوا منهجهم يتحرون ذلك غاية التحري، فإن ألفاظ النصوص عصمة وحجة بريئة من الخطأ والتناقض والتعقيد والاضطراب، ولما كانت هي عصمة وعهدة الصحابة رضي الله عنهم وأصولهم التي إليها يرجعون، كانت علومهم أصح من علوم من بعدهم،

(١) أخرجه مسلم ٢٥٥٢.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٦٥٢، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١٣٦).

(٣) أخرجه الترمذي ٢٦٤٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١٣٥).

وخطؤهم فيما اختلفوا فيه أقل من خطأ من بعدهم، ثم التابعون بالنسبة إلى من بعدهم كذلك. ولما استحكم هجران النصوص عند أكثر أهل الأهواء والبدع، كانت علومهم في مسائلهم وأدلتهم في غاية الفساد والاضطراب والتناقض)[1].

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ٤/ ١٧٠.

الحديث رقم (٣٣٤)

٣٣٤- وعن أَبي الدرداءِ رضي الله عنه : أن رجلاً أتاه، قَالَ: إنّ لي امرأةً وإنّ أُمِّي تَأمُرُنِي بطَلاقِهَا؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول: ((**الوَالِدُ أوْسَطُ أبْوَابِ الجَنَّةِ، فَإنْ شِئْتَ، فَأَضِعْ ذَلِكَ البَابَ، أَو احْفَظْهُ**)) رواه الترمذيُّ[1] ، وَقالَ: ((حديث حسن صحيح)).

ترجمة الراوي:

أبو الدرداء: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٢).

الشرح الأدبي

الحديث في فضل طاعة الوالدين يقرر وجوب احترام رغبات الوالدين، وإن تعارضت مع رغبة الأبناء، ويروي الحديث أبو الدرداء رضي الله عنه وهو أحد شخصيات القصة وقد بدأ بأسلوب التوكيد فيما يروي على لسان السائل وقوله (إنّ لي امرأةً وإنّ أُمِّي تَأمُرُنِي بطَلاقِهَا ؟) حيث أكد الكلام بـ(إن)مع اسمية الجملة وتقديم خبر إن (لي) على اسمها والذي أفاد الاختصاص ودلَّ على أنها زوجته، ثم أكد الجملة المقابلة لها في المسألة (وإنّ أُمِّي تَأمُرُنِي بطَلاقِهَا ؟) دلالة على العزيمة على الأمر وظاهر كلامه أنه يستفتي أو يستفهم لذلك جاء رد أبي الدرداء بقوله (سَمِعْتُ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول) وقوله سمعت يفيد تأكيد ما ينقل، وكون السماع من رسول الله دلالة على أن ما يأتي بعده تشريع، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم (الوَالِدُ أوْسَطُ أبْوَابِ الجَنَّةِ) (ال) في الوالد للعهد أي الوالد المعهود لكل ولد ، وعبر بالوسط (أوسط) لأنه أعدل الجهات، وفيه دلالة على التمكن، وجمع الأبواب فيه دلالة على السعة ومعنى العبارة أن الوالد سَبَب لِدُخُولِ الْوَلَد مِنْ أَحْسَن أَبْوَاب الْجَنَّة أو من خَيْرهَا، وقوله: (فَأَضِعْ) مِنْ الإِضَاعَة وَلَيْسَ الْمُرَاد التَّخْيِير بَيْن الأَمْرَيْنِ بَلْ الْمُرَاد التَّوْبِيخ عَلَى الإِضَاعَة وَالْحَثّ عَلَى الْحِفْظ، والمعنى أن أحسن ما يتوسل به إلى دخول الجنة ويتوصل به إلى، وصول درجتها العالية مطاوعة الوالد، ومراعاة جانبه، وإذا

---

(١) برقم (١٩٠٠) وقال: حديث صحيحٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٢٥)، وقال الحاكم (١٩٧/٢): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٥٧).

كان حكم الوالد هذا فحكم الوالدة أقوى، وبالاعتبار أولى فإن شئت فحافظ على الباب أي داوم على تحصيله، أو ضيع حصول الباب بترك المحافظة عليه.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد، والإخبار، والاستشهاد بالسنة النبوية، والسؤال والجواب.

ثانيًا: من واجبات المدعو: السؤال عما خفي عليه.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: عظم حق الوالدين.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد، الإخبار، الاستشهاد بالسنة النبوية، السؤال والجواب:

١- التوكيد: حيث جاء في الحديث "إن لي امرأة" "وإن أمي تأمرني" ولاشك أن التوكيد يفيد في بيان المعنى وإقراره في ذهن السامع، حيث يؤكد هذا الرجل لأبي الدرداء أن له امرأة، ويؤكد أيضًا أن أمه تأمره بطلاقها، كل ذلك ليعرف حكم الشرع في ذلك.

٢- الإخبار: حيث أخبر النبي ﷺ بقوله: "الوالد أوسط أبواب الجنة" وتأتي أهمية الإخبار كأسلوب من أساليب الدعوة، باعتبار أن أخبار القرآن والسنة الصحيحة كلها صادقة والنبي ﷺ هو المعصوم وما ينطق عن الهوى، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[1] وبهذا يتوجب على الدعاة إلى الله أن يتحروا في أخبارهم الصدق.

٣- الاستشهاد بالسنة النبوية: يتضح هذا في الحديث من قول أبي الدرداء لما أتاه رجل وقال: إن لي امرأة وإن أمي تأمرني بطلاقها؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول..." وساق الحديث، وما من شك أن السنة تمثل المصدر الثاني من مصادر الدعوة إلى الله، فهي الشارحة للقرآن المبينة له، المفصلة لما أجمل، ومن هنا كان من أساليب

---

(١) سورة النجم، آية: ٣، ٤.

الدعوة الاستشهاد بالسنة النبوية (إن السنة النبوية سجل حافل لحياته وجهاده عليه الصلاة والسلام في سبيل دعوته، وقد حوت من جوامع الكلم، وجواهر الحكم، وكنوز المعرفة، وأسرار الدين، ومكارم الأخلاق، وروائع التشريع، وخوالد التوجيه، ودقائق التربية، وشوامخ الموقف، وآيات البلاغة ثروة طائلة، فلا يستغني داعية يريد أن يحدث، أو يحاضر أو يخطب، أو يكتب عن الرجوع إلى هذا المصدر الغني)[١].

٤- أسلوب السؤال والجواب: حيث جاء في الحديث سؤال الرجل لأبي الدرداء وجوابه له، وما من شك أن أسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة التي تمكن الداعية من البيان والإيضاح، وتجعل الحوار موصولاً بين الداعية والمدعو، وهو أسلوب يشد انتباه المدعو حين يكون متطلعًا لسماع الجواب.

ثانيًا- من واجبات المدعو: السؤال عما خفي عليه:

إن المسلم مطالب أن يسأل عما يخفى عليه من الأمور والأحكام، قال الله عز وجل: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢] وبالتأمل في آيات القرآن نرى أن الله لم يستنكر سؤال الناس لرسول الله ﷺ فلقد تكرر لفظ "يسألونك" مرات عديدة في القرآن الكريم، وفي كل مرة يخبر الحقُّ سبحانه رسوله ﷺ بالجواب على هذه التساؤلات، فعلى الداعية أن يشجع المدعو على السؤال، ويدربه عليه، وهذا مشروط بأن يكون السؤال عما يفيد، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[٣].

قال السعدي رحمه الله: (ينهى الله عباده المؤمنين عن سؤال الأشياء، التي إذا بينت لهم ساءتهم وأحزنتهم، وذلك كسؤال بعض المسلمين لرسول الله ﷺ عن آبائهم، وعن حالهم في الجنة أو النار، فهذا ربما أنه لو بُيِّن للسائل لم يكن له فيه خير، كسؤالهم للأمور غير الواقعة. وكالسؤال الذي يترتب عليه تشديدات في الشرع، ربما أحرجت

---

(١) ثقافة الداعية، د. يوسف القرضاوي ص ٥٢.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٣) سورة المائدة، آية: ١٠١.

الأمة. وكالسؤال عما لا يغني، فهذه الأسئلة وما أشبهها هي المنهي عنها، وأما السؤال الذي لا يترتب عليه شيء من ذلك فهو مأمور به)[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: عظم حق الوالدين:

إن الإسلام يربي أتباعه على البر والوفاء خاصة مع الوالدين، ولذا حث الشرع على تعظيم حقهما، وشجع على برهما بالوعد بالجنة ويتضح هذا من قول النبي ﷺ "الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه" قال المباركفوري: (قال القاضي عياض أي خير الأبواب وأعلاها، والمعنى أن أحسن ما يتوسل به إلى دخول الجنة، ويتوسل به إلى وصول درجتها العالية، مطاوعة الوالد ومراعاة جانبه، وقال غيره: إن للجنة أبوابًا وأحسنها دخولاً أوسطها، وإن سبب دخول ذلك الباب الأوسط، هو المحافظة على حقوق الوالد، وإذا كان حكم الوالد هذا، فحكم الوالدة أقوى وبالاعتبار أولى)[2].

وقال ابن علان: (ولفظ الوالد في الحديث يشمل الأبوين وإن علوا، والمعنى أن بره مؤدٍ إلى دخول الجنة من أوسط أبوابها، وقال العاقولي: أحسن ما يتوصل به إلى دخول الجنة بر الوالدين)[3].

وقد تكاثرت النصوص الشرعية في بيان عظم حق الوالدين ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[4] وأوصى بهما فقال جل شأنه: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾[5] وقرن شكره بشكرهما فقال سبحانه: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾[6] والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وجميعها يؤكد عظم حق الوالدين.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٢٠٨.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ١٦١٥/٢.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٥٣٥، ٥٣٦.

(٤) سورة النساء، آية: ٣٦.

(٥) سورة الأحقاف، آية: ١٥.

(٦) سورة لقمان، آية: ١٤.

الحديث رقم (٣٣٥)

٣٣٥- وعن البراءِ بن عازب رضي الله عنهما، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: ((**الخَالةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ**)) رواه الترمذيُّ[١]، وَقَالَ: (حديث حسن صحيح).

وفي الباب أحاديث كثيرة في الصحيح مشهورة، منها حديث أصحاب الغار[٢]، وحديث جُرَيْجٍ[٣] وقد سبقا، وأحاديث مشهورة في الصحيح حذفتها اختِصَارًا، ومن أهَمِّهَا: حَديث عَمْرو بن عَبَسَةَ رضي الله عنه الطَّويلُ المُشْتَمِلُ عَلَى جُمَلٍ كثيرةٍ مِنْ قَواعِدِ الإسْلامِ وآدَابِهِ وسَأَذْكُرُهُ بتَمَامِهِ إنْ شَاء اللّهُ تعالى في باب الرَّجاءِ[٤]، قال فيه:

دَخَلْتُ عَلَى النَّبي ﷺ بِمَكَّةَ يَعْني في أوَّلِ النُّبُوةِ فقلتُ له: مَا أنْتَ؟ قال: "نَبيٌّ" فقلت: وَمَا نَبيٌّ؟ قال: "أرْسَلَنِي الله تعالى" فقلت: بأيِّ شَيْءٍ أرْسَلَك؟ قال: "أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الأرْحَامِ وَكَسْرِ الأَوْثَانِ وأنْ يُوَحَّدَ اللّهُ لا يُشْرَكَ بهِ شَيْءٌ" وذَكَر تَمَامَ الحَديث؛ والله أعلم.

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٠).

الشرح الأدبي

الحديث من جملة الأحاديث التي تحافظ على تماسك المجتمع المسلم، وتعمق الصلات بين أفراده، وقد بني هذا الحديث على إيجاز القصر وهو تضمُّن العبارة القصيرة المعاني الكثيرة، وقوله (الخالة) اللام فيه للعهد وهي أخت الأم، بمنزلة الأم، تشبيه لها بها يوحي بالعطف عليها ورعايتها وبرها، كما يجعل هذا التشبيه أجر بر الخالة كأجر بر الأم، أو يقارب. والله أعلم.

---

(١) برقم (١٩٠٤) وقال: حديث صحيحٌ.

تنبيه: هذا الحديث رواه البخاري (٢٧٠٠) ضمن حديث طويل.

(٢) الحديث رقم (١٣).

(٣) الحديث رقم (٤٤٣).

(٤) الحديث رقم (٢٦٤) عن أبي هريرة.

فقه الحديث

وفي الحديث دليل على أن الخالة في الحضانة بمنزلة الأم، عند فقد الأم لأنها تقترب منها في الحنو، والشفقة، والاهتمام إلى ما يصلح الولد[١].

ولأنه قد ثبت بالإجماع أن الأم أقدم الحواضن، فمقتضى التشبيه تقديم الخالة على غيرها، وإلا كان التشبيه لغوًا[٢].

وذهب الشافعية، والهادوية إلى تقديم الأب على الخالة.

وذهب الشافعي[٣]، والهادوية[٤] إلى تقديم أم الأم، وأم الأب على الخالة.

وذهب الحنفية[٥] إلى تقديم الأخوات عليها.

وقد رجح صاحب نيل الأوطار[٦] وغيره[٧] تقديم الخالة بعد الأم للمعنى الذي سبق ذكره.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل بر الأم والخالة.

ثالثًا: من مهام الداعية: بيان الأحكام.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

حيث أخبر النبي ﷺ في هذا الحديث بأن الخالة بمنزلة الأم، لتُعلم تلك المنزلة التي تتبوأها الخالة والتي تقتضي وصلها وبرها.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٠٦/٧، وسبل السلام ٢٢٩/٣، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٢٦/٦.

(٢) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ١٣٨/٧، والدراري المضية للشوكاني ٣٩٥/١.

(٣) مغني المحتاج، شمس الدين الخطيب ١٣٨/٧.

(٤) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ١٣٨/٧.

(٥) المبسوط للسرخسي ٢١٠/٥، وشرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٣٦٩/٤.

(٦) ١٣٨/٧.

(٧) سبل السلام، الصنعاني ٢٢٩/٣، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٢٦/٦.

ومما لاشك فيه أن الإخبار يمثل جانب البلاغ في الدعوة إلى الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾(١) وبين القرآن الكريم أن مهمة الرسول البلاغ، قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾(٢).

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل بر الأم والخالة:

إن الاعتراف بالفضل والجميل من خِلال المؤمن، ولا معنى أن يتنكر الإنسان لأقرب الناس إليه أمه أو خالته، وقد أفاضا عليه برًا وحبًا وحنانًا ولطفًا ورقةً ودفئًا، وفي هذا الحديث أرشد النبي ﷺ أتباعه إلى فضل بر الخالة لأنها بمنزلة الأم، حيث قال: "الخالة بمنزلة الأم" وهذا يدل على فضل بر الأم والخالة، قال ابن حجر: (والخالة بمنزلة الأم في هذا الحكم الخاص، لأنها تقرب منها في الحنو والشفقة، والاهتداء إلى ما يصلح الولد لما دل عليه السياق، وفي الحديث من الفوائد أيضًا تعظيم صلة الرحم، بحيث تقع المخاصمة بين الكبار في التوصل إليها)(٣).

هذا وقد دلت النصوص الشرعية على فضل بر الأم والخالة، ففي القرآن الكريم جاء قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾(٤) وقوله سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ﴾(٥) وقال الله عز وجل عن نبيه يحيى عليه السلام ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ۝١٣ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾(٦)

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) سورة النور، آية: ٥٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٧٩/٧.

(٤) سورة لقمان، آية:١٤.

(٥) سورة الأحقاف، آية: ١٥.

(٦) سورة مريم، آية: ١٣، ١٤.

وكان مما قاله عيسى عليه السلام لقومه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾[(١)].

ومن الأحاديث التي تبين فضل بر الأم والأقارب ما جاء عن معاوية بن حيدة رضي الله عنه قال: ((قلت : «يا رسولَ الله، مَنْ أَبَرُّ؟ قال: أمَّكَ، قال: قلت: ثُمَّ مَنْ؟ قال: أُمَّكَ، قال: قلتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قال أُمكَ، قال: قلتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قال: ثُمَّ أَبَاكَ ثُمَّ الأقْرَبَ فالأقْرَبَ))[(٢)]، وإذا كان من أفضل البر بر الأقارب، فإن أولى الأقارب بالبر الخالة، فقد جاء في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ((يا رسولَ الله إنِّي أَصَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا فَهَلْ لِي تَوْبَةٌ؟ قَالَ هَلْ لَكَ مِن أُمٍّ؟ قالَ: لا، قال: هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ؟ قَالَ: نعم قال: فَبِرَّها))[(٣)]، قال المباركفوري: (وفي قوله إني أصبت ذنبًا عظيمًا يجوز أنه أراد عظيمًا عندي، لأن عصيان الله تعالى عظيم، وإن كان الذنب صغيرًا، ويجوز أن يكون ذنبه كان عظيمًا من الكبائر، وإن هذا النوع من البر يكون مكفرًا له، وكان مخصوصًا بذلك الرجل، علمه النبي صلى الله عليه وسلم من طريق الوحي، والمعنى أن صلة الرحم من جملة الحسنات التي يذهبن السيئات)[(٤)].

ومن أقوال الشعراء في هذا:

عليك ببر الوالدين كليهما ... وبر ذوي القربى وبر الأباعد
ولا تصحبن إلا تقيًا مهذبًا ... عفيفًا ذكيًا منجزًا للمواعد[(٥)]

ثالثًا- من مهام الداعية: بيان الأحكام:

إن من الأمور المهمة في مجال الدعوة أن يقوم الداعية ببيان الأحكام للمدعوين

---

(١) سورة مريم، آية: ٣٢.

(٢) أخرجه الترمذي ١٨٩٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥٤٦).

(٣) أخرجه الترمذي ١٩٠٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥٥٤).

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ١٦١٧/٢.

(٥) موسوعة نضرة النعيم ٧٧٩/٣.

ويتضح هذا من بيان النبي ﷺ بقوله:"الخالة بمنزلة الأم" وما من شك أن من مهام الداعية الأولى بيان الأحكام والتعريف بها، ولقد كان هذا من الميثاق الذي أخذه الله على أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[1] وكانت مهمة البيان مما أمر الله به نبيه ﷺ قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

قال ابن كثير: ("وأنزلنا إليك الذكر" يعني القرآن "لتبين للناس ما نزل إليهم" من ربهم لعلمك بمعنى ما أنزل عليك، وحرصك عليه، واتباعك له، ولعلمنا بأنك أفضل الخلائق وسيد ولد آدم، فتفصِّل لهم ما أجمل، وتبين لهم ما أشكل "ولعلهم يتفكرون" أي ينظرون لأنفسهم فيهتدون فيفوزون بالنجاة في الدارين)[3].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٧٤/٤.

وفي الباب أحاديث كثيرة في الصحيح مشهورة؛ مِنْهَا حديث أصحاب الغار[1]، وحديث جُرَيْجٍ[2] وقد سبقا، وأحاديث مشهورة في الصحيح حذفتها اختِصَارًا.

وَمِنْ أهَمِّهَا حديث:

الحديث رقم (٣٣٦)

٣٣٦- عَمْرو بن عَبَسَة رضي الله عنه الطَّويلُ المُشْتَمِلُ عَلَى جُمَلٍ كَثيرةٍ مِنْ قَواعِدِ الإسْلامِ وآدابِهِ، وَسَأذْكُرُهُ بتَمَامِهِ إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى في: (باب الرَّجَاء)[3]، قَالَ فِيهِ:

دَخَلْتُ عَلَى النَّبيِّ ﷺ بمَكَّةَ - يَعْني: في أوَّلِ النُّبُوَّةِ- فقلتُ لَهُ: مَا أنْتَ؟ قَالَ: ((نَبيٌّ))، فَقُلْتُ: وَمَا نَبيٌّ؟ قَالَ: ((**أرْسَلَنِي اللهُ تَعَالَى**))، فقلت: بأيِّ شَيءٍ أرْسَلَكَ؟ قَالَ: ((**أرْسَلَنِي بِصِلَةِ الأرْحَامِ وَكَسْرِ الأوثَانِ، وَأنْ يُوَحَّدَ اللهُ لاَ يُشْرَكَ بِهِ شَيءٌ**...)) وَذَكَرَ تَمَامَ الحَديث[4]. والله أعلم.

غريب الألفاظ:

الأوثان: جمع وَثَن: التمثال يُعبَد من دون الله تعالى، من خشب أو حجر أو نحاس أو غير ذلك[5].

المضامين الدعوية [6]

---

(١) تقدم برقم (١٢).

(٢) تقدم برقم (٢٥٩).

(٣) باب ٥١، حديث رقم (٤٣٨).

(٤) أخرجه مسلم (٨٣٢/٢٩٤).

(٥) الوسيط في (و ث ن).

(٦) سيأتي شرح المضامين الدعوية لهذا الحديث - ٣٣٦ - بتمامه في شرح الحديث رقم (٤٣٨) إن شاء الله تعالى.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الإسلام لا يعرف الأنانية، وهو يدعو إلى تفاعل أفراد المجتمع فيما بينهم ويعتمد في ذلك على الجانب العاطفي والعقلي في نفس الوقت.

فالجانب العاطفي يتمثل في شعور الإنسان بحق والديه عليه وحق أقاربه وحق جيرانه... والجانب العقلي في ناتج التفكير العقلي والذي يحسم النتيجة لصالح هذه الدعوة. إن بري بآبائي أم أبنائي سيدفعهم إلى بري كذلك، وإن بري بأقاربي يعني أنهم سيكونون بررة بي، وإن بري بجيراني يعني مثل ذلك..

ومن أحاديث الباب نأخذ المضامين التربوية الآتية:

أولاً- بيان منزلة الوالدين وفضل برهما:

من القيم الإسلامية السامية التي حرصت التربية الإسلامية على غرسها في نفوس المسلمين: بر الوالدين؛ فالأب أساس الوجود، والأم هي التي تعبت وسهرت.

وهذه تعاليم الرسول ﷺ "تكشف عن سمو العلاقات ورفعة الارتباط الإنساني، فإذا قورنت بالفلسفات المادية والحضارة رأينا عجباً عجاباً؛ فما أكثر المتشردين من الآباء والأمهات في الحدائق العامة، مع شدة البرد وتراكم الثلوج في أوروبا، وأمثال هؤلاء: الذين تحتضنهم دور العجزة وملاجئ الشيخوخة"[1].

وقد كثرت أحاديث الحض على بر الوالدين في هذا الباب، وتنوعت، فمنها ما يكون سؤالاً من أحد الصحابة وجواباً من رسول الله، «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: من أحق الناس ...»، وأقبل رجل إلى نبي الله ﷺ فقال: «أبايعك على الهجرة...».

ومن الأحاديث ما يكون توجيهاً مباشراً من رسول الله ﷺ إلى صحابته إلى بر الوالدين: «لاَ يَجْزِي وَلَدٌ وَالِداً ...».

وإذا نظرنا إلى الإسلام، فإننا نجد صورة راقية للتعامل مع الأبوين، تنأى بالمسلم عن

---

(١) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري ص ٢٣٨ بتصرف يسير.

مخاطبتهما بأبسط كلمات التضجر والاعتراض ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾[(١)].

ويزداد احتياج الأبوين إلى بر أولادهما عند كبرهم وضعفهم وارتدادهم إلى أرذل العمر، ولهذا فقد دعا رسول الله ﷺ على ذلك المنكود الذي يدرك أبويه عند الكبر ثم لا يدخل الجنة؛ لأنه أضاع فرصة طيبة لدخول الجنة... رغم أنفه... الحديث.

ثانياً- التربية بالعبادة:

فهي وسيلة لربط العبد بربه، ومما لذلك من أثر في شعوره بالطمأنينة التي ينشدها المربي الأول ﷺ تجاه أمته؛ فقد أجاب على سؤال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلى اللهِ قَالَ: الصَّلاةُ عَلى وَقْتِها»، مزية التقاء المسلمين ببعضهم وتناصحهم بالحق وتواصيهم بالخير، وتعاونهم على البر والتقوى، وتفقدهم أحوال بعضهم[(٢)].

هذا فضلاً عن فضل صلاة الجماعة التي تزداد فيها الحسنات، إضافة إلى الأجر العظيم على كل خطوة يخطوها الإنسان إلى المسجد يرفع بها درجة وتحط عنه خطيئة، ولذا حث النبي ﷺ على أداء الصلاة على وقتها.

ثالثاً- بيان الصلة بين الإيمان والسلوك:

إن السلوك الإنساني لا بد له من قوة تحركه، والسر في ذلك أن الإنسان يمتاز عن سائر الحيوانات الحية بأن حركاته وتصرفاته الاختيارية يتولى قيادتها شيء لا يقع عليه سمعه ولا بصره.. وإنما هو معنى إنساني روحاني اسمه الفكرة والعقيدة[(٣)].

ولهذا ربط النبي ﷺ بين الإيمان والعمل؛ وبحيث لا يقبل عمل بغير إيمان، فهو سابق لسائر الأعمال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ...».

فالإيمان دافع إلى العمل الصالح، ومحفز عليه، ولهذا حرص النبي ﷺ على تربية أصحابه على ربط سائر أفعالهم بالإيمان بالله وملائكته وكتبه واليوم الآخر.

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٢٣.

(٢) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري ص ٢١.

(٣) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي ص ٢٠٦.

رابعاً- من مصادر التربية الإسلامية: القرآن الكريم:

وقد عضَّد رسول الله ﷺ كلامه بالقرآن الكريم في قوله: «اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[1]» لأن القرآن الكريم يعد الإطار المرجعي لسائر شئون المسلمين ومنبعاً رئيساً للفكر التربوي الإسلامي، تشتق منه التربية الإسلامية أهدافها[2].

خامساً- التربية بالحوار والمناقشة والسؤال والجواب:

من أجل تحصيل المتعلم المعلومة من مربيه، فقد أفسح النبي ﷺ المجال لسؤالات أصحابه وأجاب عنها بحلم وسعة صدر؛ فهذا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يقول: «أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إلى اللَّهِ؟ قَالَ: الصَّلاةُ عَلى وَقْتِها»، فسأله ثلاثة أسئلة في آن واحد، تعليماً وتربية، وقبولاً لطريقة صحابته في السؤال عما يريدون.

وطريقة المناقشة تتيح للمتعلم الفرصة كي يتحدث في موضوعات تهمه ومشاكل تشغله، وبذلك فهو يشعر بقيمة التعلم وأهميته في حياته، فيزداد إقباله عليه وتفاعله معه[3].

سادساً- التربية بالقصة:

ومن أحاديث هذا الباب موقف أبي طلحة وقصته حين تصدق ببيرحاء، ولهذه القصة "تأثير عميق، تتركه في ذهن المستمع أو القارئ، وتتجاوز ذلك إلى التأثير في سلوكه وأفكاره"[4].

حين يتعلم من موقف حياتي لأحد صحابة رسول الله ﷺ؛ فعن طريق المشاركة الوجدانية لأحداث القصة وشخصياتها يندمج المستمع أو القارئ مع جو القصة العاطفي، حتى يعيش بانفعالاته مع شخصياتها[5].

---

(١) سورة محمد، آية: ٢٢.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٥١.

(٣) منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور ص ٤٥٩.

(٤) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٢٨٩.

(٥) أصول التربية الإسلامية، عبدالرحمن النحلاوي ص ٢١٣.

سابعاً- التربية بالترهيب:

ولهذه الوسيلة التربوية أثرها الناجع في استئصال جذور العصيان من قلب المسلم؛ بخوفه من عاقبة عصيانه؛ يقول ﷺ مرهباً: «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ»، أي: «قَاطِعَ رَحِمٍ».

وذلك الأسلوب يتماشى مع الطبيعة البشرية، ولا يستغنى عنه المربي في كل زمان ومكان، إذ لا يمكن أن تجدي التربية وتحقق أهدافها ما لم يعرف الإنسان نتائج مسرة أو مؤلمة وراء عمله وسلوكه، فإن عمل خيراً نال السرور والحلاوة، وإن عمل شراً ذاق الألم والمرارة[١].

ثامناً- من مهام المربي: تبيان الحقائق:

وهي مهمة كشف الأستار عن بصائر المتلقين؛ فكثيراً ما يسيء المسلم فهم القيمة، ويكون لذلك أثر على سلوكه المعيشي؛ فالمربي عليه دور مهم في توضيح قيم المجتمع لتلاميذه، وفي إزالة ما يعلق بفهم بعضها من غبار[٢].

وعندما ننظر إلى قوله ﷺ: «ليس الواصل بالمكافئ ...» تتضح أمامنا هذه المهمة التربوية التي أرادها النبي من تصحيح المفهوم الخاطئ لصلة الرحم، الذي ربما يتصوره بعض الناس، بأن صلة الرحم إنما هي مقايضة بين الأقارب، ولكن النبي سما بالناس خلقياً إلى درجة يعطون فيها، وإن لم يأخذوا.

تاسعاً- التربية على علو الهمة والتطلع إلى معالي الأمور:

وهذا ما امتاز به صحابة رسول الله ﷺ، فحرصوا على إصابة أعلى الدرجات، ومعرفة الأسباب الموصلة إليها، فكان سؤال الرجل للنبي ﷺ: «أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ...».

فعلو الهمة خلق رفيع وغاية نبيلة، تتعشقه النفوس الكريمة، وتهفو إليه الفطر القويمة، وهو من الأسر الأخلاقية الفاضلة، وإليه ترجع مجموعة من الظواهر الخلقية، كالجد في الأمور، والترفع عن الصغائر والدنايا، والطموح إلى معالي الأمور[٣].

---

(١) نحو تربية إسلامية، أحمد محمد جمال، نقلاً عن أصول التربية الإسلامية، د. سعيد القاضي ص ١٨٦.

(٢) المعلم، د. محمد عبدالعليم مرسي ص ٨٢.

(٣) الهمة العالية، محمد إبراهيم الحمد ص ١٠٧.

عاشرًا- التربية على معرفة مراتب الأعمال:

وهذا واضحٌ من حديث ابن مسعود ﵁ الذي سأل فيه عن أحب العمل إلى الله؟ فأخبره النبي ﷺ أن أحب العمل إلى الله تعالى: الصلاة على وقتها. ثم سأل عما يليه من عمل فقال النبي ﷺ: بر الوالدين. فسأل عما يلي ذلك من عمل فقال: الجهاد في سبيل الله. ففي هذا الحديث تربية على أن يعرف الناشئة والكبار مراتب الأعمال ودرجاتها حتى يأتي أعلاها فأعلاها، ويقدم أهمها إذا حدث تزاحم أو تعارض فيما بينها ولم يكن هناك طريق للجمع بينها. وهذا لا يفيده في دينه فحسب بل في دنيا أيضًا، فمن رام السبق والتقدم على غيره وإحراز قصب السبق لا بد أن يكون من أصحاب الهمم العالية التي لا تتعلق ولا تأتي إلا معالي الأمور ولا تلتفت إلى سفاسفها وتوافهها.

حادي عشر- تنوع الأساليب التربوية:

في أحاديث الباب كثير من الأساليب التربوية التي يحسن بالمربين أن يستفيدوا منها، من ذلك:

أ-التشبيه وذلك واضح من قوله ﷺ "لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ" قال النووي: (أي كأنما تطعمهم الرماد الحار وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم)[1] ولا شك أن التشبيه يقرب المعاني المجردة ويوضحها بذكر معانٍ محسوسة لدى المخاطب يستطيع بها أن يفهم المراد أفضل فهم وأوضحه.

ب-المناقشة والحوار: وذلك واضح في كثير من أحاديث الباب، منها حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ﵄ قال: أقبل رجل إلى نبي الله فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى. قال: فهل لك من والديك أحد حي؟ قال: نعم بل كلاهما. قال: فتبتغي الأجر من الله تعالى؟ قال: نعم قال: فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما".

وأسلوب الحوار والمناقشة من الأساليب التربوية المهمة، ففيه يتم تبادل الأفكار والآراء بين المتعلمين والمعلم بحرية، وذلك ضرورة لتعميق وإيضاح بعض المفاهيم

---

(١) رياض الصالحين ١٧١.

والموضوعات التي تحتاج إلى توضيح. فضلاً عن أنه أسلوب يوفر الفرصة للمتعلمين للتعبير عن أنفسهم، كما أنه ينقل العملية التعليمية من الاعتماد على المعلم وحده إلى المشاركة الإيجابية للمتعلم.

ج-أسلوب الاكتساب الموجه: وفيه يتم تزويد المتعلم ببعض المعلومات التي تكفي لحصولهم على خبرة مناسبة تضمن لهم النجاح في استخدام قدراتهم المتعلقة بأمر ما.

وفي حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما السابق حدث ذلك، فقد سأل النبي ﷺ الصحابي عن بعض المعلومات، ثم قام بعد ذلك بتوجيهه إلى الخير والصلاح له.

د-الوصية: وهذا في حديث النبي ﷺ: "ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرًا، فإن لهم ذمة ورحمًا، وأسلوب التربية بالوصية من الأساليب شائعة الاستخدام في مواقف الحياة اليومية من مختلف الأطراف المعنية بعملية التربية، فالوالد يستخدمه مع أبنائه والمعلم يستخدمه مع طلابه، ويتميز هذا الأسلوب بقوة بقاء أثر التعلم في نفوس المتعلمين.

ثاني عشر- التربية على سؤال أهل العلم:

وهذا يتضح من عدة أحاديث بالباب منها: حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قَدِمَتْ علي أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ، فاستفتيت رسول الله .." وحديث زينب الثقفية امرأة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قالت لزوجها: إن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة فأته فاسأله، فإن كان ذلك يجزئ عني وإلا صرفتها إلى غيركم". فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ حاجتي حاجتها.

وفي ذلك توجيه لأهل التربية أن يربوا من يقوم بتربيتهم على سؤال أهل العلم، فيما يعرض لهم من أمورٍ وأحوالٍ حتى يعرفوا الحكم الصحيح لها.

ثالث عشر- التربية الغذائية:

وهذا يتضح في حديث: "إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فإنه بركة، فإن لم يجد تمرًا فالماء فإنه طَهُور" فقد تضمن هذا الحديث التربية الغذائية من خلال بيان بعض أنواع الطعام والشراب التي يفطر عليها الصائم. وقد اكتشف العلم الحديث فوائد التمر الكثيرة للصائم خاصة ولغيره عامةً، فضلاً عن فوائد الماء التي اتفق عليها القاصي والداني.

٤١- باب تحريم العقوق وقطيعة الرحم

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾[محمد: ٢٢-٢٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[الرعد: ٢٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[الإسراء: ٢٣-٢٤].

الحديث رقم (٣٣٧)

٣٣٧- وعن أبي بكرة نُفَيع بن الحارث ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((ألا أُنَبِّئُكُمْ بِأكْبَرِ الكَبَائِرِ؟)) -ثلاثًا- قُلْنَا: بَلَى، يَا رَسُول الله، قَالَ: ((**الإشْرَاكُ بالله، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ**))، وكان مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، فَقَالَ: ((**ألاَ وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ**)) فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبوبكرة الثقفي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩).

غريب الألفاظ:

الزور: الكذب والباطل والتهمة[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (١٤٣/٨٧) والسياق للحميدي في جمعه (٣٦٤/١، رقم ٥٨٠). أورده المنذري في ترغيبه (٣٣٩١). وسيكرره المؤلف برقم (١٥٥٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ز و ر).

الشرح الأدبي

المتأمل لأسلوب الرسول ﷺ يجد أنه يتسم بالانفعال، والنبرة العالية التي تعكس خطر الأمر، وقد ضمَّن أسلوبه لتقويم الخطأ ألواناً بلاغية تحمل عناصر التنبيه والإيقاظ والإثارة والتشويق حتى يضمن متابعة المخاطب للخبر مع تمام يقظته واستشرافه وتركيزه وإنصاته واستخدم أفعالاً وصيغاً ترفع درجة الإحساس بالخطر الناجم عن الفعل مع ما حمله الحديث من حركات تعبيرية ساعدت على تجسيد المعنى وبيان خطر الشرك ،وخطر الزور.

من هذه الأساليب البلاغية: بداية الحديث بطرقة المستفتح (ألا) للتنبيه، وإثارة المخاطب، وتدل على تحقق ما بعدها. وقوله: (ألا أنبئكم) صعَّد هذا التنبيه، وزاد المخاطب تشويقاً؛ لأن مادة الفعل (أنبئكم) تعني الخبر العظيم.

وقد زاد التشويق درجة بعد درجة بأفعل التفضيل (أكبر) التي أعطت الخبر المنتظر في خيال المخاطب حجماً لا يلتفت معه إلى شيء حتى يعرف مضمونه، ثم رفع درجة التشويق أكثر بإضافة أفعل التفضيل لكلمة (الكبائر) فبلغ بها قمة الإثارة والتشويق وملك بها على المخاطبين أفهامهم وأسماعهم، ثم التكرار ثلاثاً لجملة البداية (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر)، وتكرار العبارة يؤكد المعنى، ويرفع درجة التشويق، والإثارة التي تهز الوجدان وتملك على المخاطب أقطار نفسه، ويصير درجة بعد درجة في قمة الترقب مما يربي المهابة ويضمن للخبر الثابت والفاعلية ،أضف إلى ذلك أن هذا الذي يكرر العبارة في قمة الوعي بمدلولها مع قمة الصدق فيها.

قوله: (الإشراك بالله...) حذف المسند إليه وهو (أكبر الكبائر) لدلالة الكلام السابق عليه، وقوله: (عقوق الوالدين) جملة معطوفة على ما قبلهما لوجود المناسبة وعدم المانع، وقوله: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر...) ثم قوله: (الإشراك بالله وعقوق الوالدين...) تفصيل بعد إجمال أحدث تطلعاً وتشويقاً، وقول الصحابي: (وجلس وكان متكئا) جملة حالية تعكس الاهتمام والعناية وسبب الاهتمام بذلك، وتأكيد الحرمة كون الزور، أو شهادة الزور أسهل وقوعاً على الناس والتهاون بها أكثر؛ لأن الحوامل

عليه كثيرة: كالعداوة والحقد والحسد... وغير ذلك، فاحتيج إلى الاهتمام بتعظيمه، والشرك مفسدته قاصرة، ومفسدة الزور متعدية، أما عن انعكاس هذا الفعل على المخاطبين فإن هذا الجلوس المفاجئ من الاتكاء يثير الدهشة، ويربط المخاطب بالمتكلم بحاسة البصر بعد حاسة السمع مما يزيد الخبر تمكناً في النفس وثباتاً مع الزمن؛ لأن هيئته ﷺ بين يدي حديثه غاضباً جارهاً بالصوت محمر الوجه مشيراً بيديه في انتفاضة تنذر بالعذاب تنطبع في الذهن مع انطباع المعنى مما يحقق - مع دوامها وثباتها - دوام وثبات تأثيرها كلما استدعاها موقف كما تلقَّاها لحظة الحديث، وهذا التأثير هو الذي مكّن الصحابي من نقل الموقف بكل دقائقه.

وقوله: (ألا وقول الزور) و(ألا) كلمة تنبيه وتحضيض لضبط ما يقال وفهمه على وجهه، والزور في الأصل الانحراف وفي الاستعمال هو تمويه الباطل بما يوهم أنه حق؛ وإنما كرره بهذا الوجه؛ لأن الدواعي إليه كثيرة وأسهل وقوعاً على الناس، والشرك ينبو عنه المسلم، وعقوق الوالدين ينبو عنه الطبع، وتكرار قوله: (ألا وقول الزور) بعد اتكائه ثم جلوسه المفاجئ يعكس اهتمامه الشديد بتبليغ الخبر بحجمه الذي يشعر به للمخاطبين وتعظيمه لخطر هذا الفعل وغفلة الناس عنه لذا سبقها بعمل يقسر الانتباه، وبأداة تساوق العمل في مغزاه.

وتجد أثر العبارة، ومدى ما وصل إليه معنى الحديث في أغوار النفوس وما أحدث في وجدانهم تجد ذلك في تعبير الصحابي في قوله: (فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت) حيث عبر بالفعل المضارع الذي يدل على الاستمرار مع استحضاره للصورة في قوله (يكررها) وقبله بالفعل الذي يدل على الاستمرارية (ما زال) بدلالته، ثم استخدامه لـ (حتى) التي تدل على أن الأمر بلغ غايته ثم استخدامه للفعل (قلنا) متصلاً بناء الفاعلين إشارة إلى عموم الإحساس بمدى الانفعال الذي كان فيه الرسول ﷺ حتى أشفق الجميع عليه من شدة تأثره. الأمر الذي انطبع في وجدان المخاطبين، وأحدث هذا التجاوب، وقولهم: (ليته سكت) التي جعلت سكوته من طول ما كرر أمراً متمنى بعيداً حتى استخدموا (ليت) التي تستخدم في تمني البعيد، والمستحيل لشدة انفعاله وتأثره.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: الاستفهام، والترهيب، والتكرار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الشرك.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من عقوق الوالدين.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من قول وشهادة الزور.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: حب الصحابة وشفقتهم على النبي ﷺ.

سادسًا: من أساليب الدعوة: لفت الانتباه.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من قتل النفس.

ثامنًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من اليمين الغموس.

أولاً- من أساليب الدعوة: الاستفهام، والترهيب، والتكرار:

لقد ورد أسلوب الاستفهام في الحديث في قوله ﷺ ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ وهو من الأساليب الدعوية المهمة التي يحصل بها لفت انتباه المدعوين واستحضار أذهانهم، أما بالنسبة للترهيب فإنه يقصد به (تخويف المدعو بالله تعالى وتحذيره من نزول عذابه، بغرض إبعاده عن المهالك المترتبة على كفره أو نفاقه أو شهواته المحرمة وعصيانه، تحقيقًا للسعادة في الدنيا والفوز في الآخرة)[2]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي المهم في الحديث من قوله ﷺ: "أكبر الكبائر"، أما التكرار فقد ورد في الحديث من قوله ﷺ: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟"، ثلاثًا، والتكرار يعين الداعية على استحضار أذهان المدعوين، ولفت انتباههم لمعرفة الأمر المدعو إليه وبيان أهميته.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من الشرك:

إن الله عز وجل أرسل رسله، وأنزل كتبه، وخلق السماوات والأرض ليُعرف ويُعبد ويوحد ويكون الدين كله لله، والطاعة كلها له، والدعوة له، كما قال تعالى: ﴿وَمَا

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٣٣٧- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٣٣٨).

(٢) الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة، د. رقية بنت نياز ص ٣٣.

خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[(٤)].

فأخبر سبحانه أن القصد بالخلق والأمر: أن يُعرف بأسمائه وصفاته، ويُعبد وحده لا يُشرك به، وأن يقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به السماوات والأرض، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾[(٥)].

فأخبر سبحانه أنه أرسل رسله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل، ومن أعظم القسط التوحيد، وهو رأس العدل وقوامه، وإن الشرك لظلم عظيم، فالشرك أظلم الظلم، والتوحيد أعدل العدل، فما كان أشد منافاة لهذا المقصود فهو أكبر الكبائر، وتفاوتها في درجاتها بحسب منافاتها له، وما كان أشد موافقة لهذا المقصود فهو أوجب الواجبات وأفرض الطاعات.

فتأمل هذا الأصل حق التأمل، واعتبر تفاصيله، تعرف به حكمة أحكم الحاكمين، وأعلم العالمين، فيما فرضه على عباده، وحرّمه عليهم، وتفاوت مراتب الطاعات والمعاصي.

---

(١) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٢) سورة الحجر، آية: ٨٥.

(٣) سورة الطلاق، آية: ١٢.

(٤) سورة المائدة، آية: ٩٧.

(٥) سورة الحديد، آية: ٢٥.

فلما كان الشرك بالله منافيًا بالذات لهذا المقصود، كان من أكبر الكبائر على إطلاق[١].

وهذا ما بيّنه النبي ﷺ في الحديث من قوله: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر)، ثم ذكر من ذلك: (الإشراك بالله) "وقد حرّم الله تعالى الجنة على كل مشرك..، وأبى الله سبحانه أن يقبل من مشرك عملاً، أو يقبل فيه شفاعة، أو يستجيب له في الآخرة دعوة، أو يقبل له فيها عثرة"[٢]، فهو القائل عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[٣].

قال ابن كثير: (أي: إن الله لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به، ويغفر تعالى ما عدا ذلك من الذنوب لمن يشاء)[٤]، (فالمشرك أجهل الجاهلين بالله، حيث جعل له في خلقه ندًا، وذلك غاية الجهل به، كما أنه غاية الظلم منه، وإن كان المشرك لم يظلم ربه، وإنما ظلم نفسه)[٥]، وهذا ما أكده الحق في قوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٦].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من عقوق الوالدين:

إن برّ الوالدين من أوجب الواجبات، وأجل الطاعات، وأعظم القربات إلى إرضاء رب العباد، لذا قرنه سبحانه بعبادته، فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي

(١) الداء والدواء ابن القيم ٢٢٨ - ٢٢٩.

(٢) المرجع السابق ٢٢٩.

(٣) سورة النساء، آية: ٤٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/٢٢٥.

(٥) الداء والدواء، ابن القيم ص ٢٢٩.

(٦) سورة لقمان، آية: ١٣.

صَغِيرًا ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾(٣).

وقد عظم الحق تبارك وتعالى برّهما، وأوصى بالإحسان إليهما فقال: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾(٥).

وهذا ما أكد عليه النبي ﷺ في قوله: ((إِنَّ الله يُوْصِيْكُمْ بِأُمَّهَاتِكُمْ، ثم يُوْصِيْكُمْ بآبَائِكُمْ، ثم يُوْصِيْكُمْ بالأَقْرَبِ فالأَقْرَبِ))(٦). لذا كانت مخالفة أمر الله تعالى ورسوله ﷺ في بر الوالدين من أعظم الجرائم وأكبر الكبائر، وهذا ما بينه النبي ﷺ في نص الحديث من قوله: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر، ثم ذكر ﷺ عقوق الوالدين بعد الشرك بالله؛ ليؤكد ﷺ على عظم إثم من عقّ والديه، وقد رهب النبي ﷺ من ذلك فقال: (ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة" ثم ذكر ﷺ منهم ((العاقُّ لِوَالِدَيْهِ))(٧).

قال النووي: (ومعنى لا ينظر إليهم، أي: يعرض عنهم، ونظره سبحانه وتعالى لعباده رحمته ولطفه بهم)(٨).

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣ - ٢٤.

(٢) سورة النساء، آية: ٣٦.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٥١.

(٤) سورة العنكبوت، آية: ٨.

(٥) سورة لقمان، آية: ١٤.

(٦) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٦٠، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٤٤).

(٧) أخرجه النسائي ٢٥٦٢، وقال الألباني: حديث حسن صحيح (صحيح سنن النسائي ٢٤٠٢).

(٨) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦١.

وقال ﷺ: ((رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ)) قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ))[1].

قال النووي: (قوله ﷺ: "رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة"، قال أهل اللغة: معناه ذل. وقيل: كره وخزي وهو بفتح الغين وكسرها وهو الرغم بضم الراء وفتحها وكسرها، وأصله لصق أنفه بالرغام وهو تراب مختلط برمل.

وقيل: الرغم كل ما أصاب الأنف مما يؤذيه، وفيه الحث على بر الوالدين وعظم ثوابه. ومعناه أن برهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة أو النفقة أو غير ذلك، سبب لدخول الجنة، فمن قصر في ذلك فاته دخول الجنة وأرغم الله أنفه)[2].

وفي ذلك بيان عظيم على جوب برّ الوالدين والترهيب الشديد من عقوقهما.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من قول وشهادة الزور:

ورد الترهيب من قول وشهادة الزور في هذا الحديث في قول الراوي: (وكان متكئًا فجلس فقال:"ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت" قال ابن حجر: (قال القرطبي: إن شهاة الزور هي الشهادة بالكذب، ليتوصل بها إلى الباطل من إتلاف نفس، أو أخذ مال، أو تحليل حرام، أو تحريم حلال، فلا شيء من الكبائر أعظم ضررًا منها، ولا أكثر فسادًا بعد الشرك بالله)[3].

وقال النووي: (وأما قوله: "فكان متكئًا فجلس"، فجلوسه ﷺ لاهتمامه بهذا الأمر، وهو يفيد تأكيد تحريمه وعظم قبحه)[4].

وقد بيّن الحق تبارك وتعالى صفات عباده فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾[5]

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٥١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٢٦/١٠.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٩.

(٥) سورة الفرقان، آية: ٧٢.

قال القرطبي: (والزور كل باطل زُوّر وزخرف. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجلد شاهد الزور أربعين جلدة، ويسخم وجهه، ويحلق رأسه، ويطوف به في السوق. وقال أكثر أهل العلم: ولا تقبل له شهادة أبدًا، وإن تاب وحسن حاله فأمره إلى الله)[(١)]، وفي ذلك بيان عظيم على الترهيب من قول وشهادة الزور.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: حب الصحابة وشفقتهم على النبي صلى الله عليه وسلم:

إن من موضوعات الدعوة المستنبطة من هذا الحديث: حب الصحابة رضي الله عنهم وشفقتهم على النبي صلى الله عليه وسلم، ويظهر ذلك فيما ورد في قول راوي الحديث: "فما يزال يكررها حتى قلنا ليته سكت"، قال ابن حجر: (أي تمنيناه يسكت إشفاقًا عليه لما رأوا من انزعاجه في ذلك)[(٢)]، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يؤثرون حبه صلى الله عليه وسلم على حبهم لأنفسهم، وفي ذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للعباس رضي الله عنه: (أسلم فوالله لأن تسلم كان أحبَّ إلي من أن يسلم الخطاب، وما ذاك إلا ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبُّ أن يكون لك سبقًا، وفي رواية قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأَنَا بِإِسْلَامِكَ كُنْتُ أَسَرَّ مِني بِإِسْلَامِ الْخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ لِمَرْضَاةِ رَسُولِ اللَّهِ)[(٣)]، وفي ذلك بيان عظيم على حب الصحابة رضي الله عنهم وإيثارهم لحبه صلى الله عليه وسلم على حبهم لأنفسهم.

سادسًا- من أساليب الدعوة: لفت الانتباه:

هذا ما ورد في الحديث في قول الراوي -واصفًا النبي صلى الله عليه وسلم- وكان متكئًا فجلس، ولفت الانتباه من الأساليب الدعوية التي يكون بها استحضار أذهان المدعوين لاستدراك أهمية الأمر المدعو إليه.

سابعًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من قتل النفس:

ورد الترهيب من قتل النفس في هذا الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم بعد ذكر الكبائر "وقتل النفس" ومما لاشك فيه أن قتل النفس من أكبر الكبائر، وفي ذلك قال تعالى:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٧/١٣/٧٩-٨٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٤٢٥.

(٣) حياة الصحابة، الكاندهلوي ص ٤٥٥.

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[1].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (إنه لم يرد في أنواع الكبائر أعظم من هذاالوعيد، بل ولا مثله، ألا: هو الإخبار، بأن جزاءه جهنم. أي: فهذا الذنب العظيم، قد انتهض وحده، أن يجازى صاحبه بجهنم، بما فيها من العذاب العظيم، والخزي المهين، وسخط الجبار وفوات الفوز والفلاح، وحصول الخيبة والخسارة)[2]، وفي ذلك قال ﷺ ((لن يزالَ المرءُ في فسْحةٍ من دينه ما لم يُصِبْ دمًا حرامًا))[3].

قال ابن حجر: (قوله: "في فسحة" بضم الفاء وسكون المهملة وبحاء مهملة أي سعة.

قوله: "من دينه" كذا للأكثر بكسر المهملة من الدين، وفي رواية الكشميهني "من ذنبه" فمفهوم الأول أن يضيق عليه دينه، ففيه إشعار بالوعيد على قتل المؤمن متعمدا بما يتوعد به الكافر، ومفهوم الثاني أنه يصير في ضيق بسبب ذنبه، ففيه إشارة إلى استبعاد العفو عنه لاستمراره في الضيق المذكور، وقال ابن العربي: الفسحة في الدين سعة الأعمال الصالحة، حتى إذا جاء القتل ضاقت لأنها لا تفي بوزره، والفسحة في الذنب قبوله الغفران بالتوبة، حتى إذا جاء القتل ارتفع القبول، وحاصله أنه فسره على رأي ابن عمر في عدم قبول توبة القاتل)[4].

وفي ذلك قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (إنَّ من وَرْطاتِ الأمور التي لا مَخرَجَ لِمَن أوقعَ نَفْسَه فيها سفكَ الدَّم الحرام بغير حِلِّه)[5].

قال ابن العربي: (ثبت النهي عن قتل البهيمة بغير حق والوعيد في ذلك، فكيف بقتل الآدمي، فكيف بالتقي الصالح)[6]. وفي ذلك بيان عظيم على الترهيب من قتل النفس.

---

(١) سورة النساء، آية: ٩٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٥٧.

(٣) البخاري، ٦٨٦٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/١٩٥.

(٥) أخرجه البخاري ٦٨٦٣.

(٦) فتح الباري، ابن حجر ١٢/١٩٦.

ثامنًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من اليمين الغموس:

لقد رهّب النبي ﷺ من اليمين الغموس في قوله ﷺ بعد ذكر "الكبائر" "واليمين الغموس" وهي اليمين الكاذبة التي تهضم بها الحقوق، أو التي يقصد بها الغش والخيانة، فصاحبها يحلف على الشيء وهو يعلم أنه كاذب، وهي كبيرة من الكبائر، ولا تنعقد هذه اليمين، ولا كفارة فيها؛ لأنها أعظم من أن تكفر، ولأنها يمين غير منعقدة، فلا توجب الكفارة كاللغو. وتجب التوبة منها، ورد الحقوق إلى أصحابها إذا ترتب عليها ضياع حقوق. وسميت هذه اليمين غموسًا لأنها تغمس صاحبها في الإثم، ثم في نار جهنم عياذًا بالله[١]، ودليل حرمتها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[٢] أي: (لا تتخذوا أيمانكم بينكم دخلاً وخديعة بينكم، تغرون بها الناس "فتزل قدم بعد ثبوتها" أي: فتهلكوا بعد أن كنتم من الهلاك آمنين)[٣].

قال ابن حجر: (وقوله: "دخلاً مكرًا وخيانة" هو من تفسير قتادة وسعيد بن جبير أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: خيانة وغدرًا، وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير قال: يعني مكرًا وخديعة، وقال الفراء: يعني خيانة، وقال أبو عبيدة: الدخل كل أمر كان على فساد؛ وقال الطبري: معنى الآية لا تجعلوا أيمانكم التي تحلفون بها على أنكم توفون بالعهد لمن عاهدتموه دخلاً أي خديعة وغدرا ليطمئنوا إليكم وأنتم تضمرون لهم الغدر انتهى. ومناسبة ذكر هذه الآية لليمين الغموس ورود الوعيد على من حلف كاذبا متعمدا)[٤].

---

(١) كتاب الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة، إعداد: نخبة من العلماء ص ٣٨٨.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٤.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري ٣٤٨/١٤.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٦٥/١١.

الحديث رقم (٣٣٨)

٣٣٨- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: ((**الكَبَائِرُ: الإشْرَاكُ بالله، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْس، وَاليَمِينُ الغَمُوسُ**)) رواه البخاري[1].

"اليَمِينُ الغَمُوسُ" التي يحلفها كاذبًا عامدًا، سميت غَمُوسًا، لأنها تَغْمِسُ الحَالِفَ في الإثم.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٤٢).

الشرح الأدبي

يتناول هذا الحديث عدداً من الذنوب لها صفات خاصة، وأثر خاص على الفرد والمجتمع أما وصفها فقد وصفت بأنها من الكبائر وأما تأثيرها فإنها تتعدى بضررها الفرد إلى الجمع، وقد ساق الرسول ﷺ المعنى في صورة خبرية تتميز بالتشويق، وإثارة الانتباه وذلك عن طريق ذكر اللفظ الموحي مسنداً إليه في قوله (الكبائر) وهو لفظ مثير لدلالته على جمع كبيرة، وهي الذنب العظيم، والصحابة رضوان الله عليهم كانوا شديدي الحرص على تجنب الصغائر، وقوله (الإشراك بالله...) فيه إيجاز بالحذف تقديره: هي كذا، وكذا، وتعلق الإشراك بالله يظهر مدى ما بلغه الفعل صعوداً في درج الذنوب، وتلاه بعقوق الوالدين لأن من هضم حق خالقه بعدم توحيده حري بأن يُقدَّم على من عق والديه ثم عق والديه اللذين كانا سبباً في إيجاده حري بأن يقدَّم على قتل النفس، وفيه قيد محذوف تقديره: دون حق لأن من قتل نفساً قصاصاً عادلاً لا يدخل في الوعيد، وأدرج القتل في الكبائر لتعديه على النفس التي حرم الله، ولذلك قُدِّم على اليمين الغموس، وسميت غموساً لأنها تغمس صاحبها في الذنوب، أو في النار، فترتيب ذكر هذه الكبائر من الأعلى للأدنى تقديماً للأهم على المهم.

---

(١) برقم (٦٦٧٥). أورده المنذري في ترغيبه (٢٧٣٥). وسيكرره المؤلف برقم (١٧١٦).

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين فقهيين: الأول: حكم قتل النفس بغير حق، وقد اتفق الفقهاء[(١)] على أنه يحرم قتل النفس بغير حق ولو كانت غير مسلمة، لأن نفس الإنسان لها عصمتها، والدماء لها حرمتها، فلا تسال بغير حق، ولا يجنى عليها بغير ذنب.

الثاني: حكم اليمين الغموس، وقد اتفق الفقهاء على أن اليمين الغموس هي اليمين التي يحلف بها صاحبها متعمدًا وهو يوقن أنه كاذب، سواء أكان حلفه على شيء ماض أم حاضر أم مستقبل، وسواء أكانت على النفي أم الإثبات، وسميت بذلك لأنها تغمس صاحبها في النار، وقد اختلف الفقهاء في حكم التكفير عن هذه اليمين على قولين:

القول الأول: ذهب الحنفية[(٢)] والمالكية[(٣)] والحنابلة في المذهب[(٤)] إلى أنها لا تكفر لكونها أكبر الإثم عند الله تعالى.

القول الثاني: ذهب الشافعية[(٥)] والإمام أحمد في رواية[(٦)] إلى أن الحالف بها يأثم ويكفر عنها كغيرها من الأيمان.

المضامين الدعوية[(٧)]

---

(١) المبسوط ٨٤/٢٧، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٩٧/٦، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٢٣١/٦، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ١٧٨/٢، وتحفة المحتاج ٣٧٥/٨، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٢/٤ وما بعدها، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٢٥٣/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٥٠٣/٥ وما بعدها.

(٢) المبسوط ١٢٧/٨، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٣/٣.

(٣) مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٢٦٧/٣، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤١٢/١.

(٤) كشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي ٢٢٩/٦، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٣٤٣/٦.

(٥) أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٢٤٠/٤، وتحفة المحتاج ٥/١٠.

(٦) كشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي ٢٢٩/٦، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٣٤٣/٦.

(٧) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٣٣٩)

٣٣٩- وعنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: ((مِنَ الكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ!))، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَهَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟! قَالَ: ((نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاه، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

وفي روايةٍ[2]: ((إنَّ مِنْ أكْبَرِ الكَبَائِرِ أنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ!))، قِيلَ: يَا رَسُول الله، كَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيهِ؟! قَالَ: ((يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أباهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ)).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

الشرح الأدبي

ونكتفي بالشرح الأدبي للرواية الثانية؛ لأنها استوعبت الرواية الأولى، وزادت عليها في بعض التراكيب بيّن الرسول ﷺ في هذا الحديث خطر السباب، أو التسبب فيه، وخاصة سباب الوالدين، أو التسبب فيه ويؤكد أن هذا الذنب من أعظم الذنوب تحذيراً منه، وبياناً لخطره، ولذلك استخدم الرسول ﷺ عدة أساليب بلاغية منها:

البداية بأسلوب التوكيد بإن مع اسمية الجملة مع أن المقام لخال الذهن تنزيلاً للمخاطبين منزلة المنكرين لما بدا عليهم من علامات التساهل في تبادل السباب والتهاون

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٦/٩٠).أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٨٧).

(٢) أخرجها البخاري (٥٩٧٣)، والسياق للحميدي في جمعه. أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٨٧).

تنبيه: أورد الحميدي هذا الحديث في جمعه (٤٣١/٢، رقم ٢٩٣١) في المتفق عليه، وقال: عن حميد بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن عمرو، وساق اللفظ الأول، ثم قال: وفي رواية إبراهيم بن سعد مسندًا، ثمّ ذكر اللفظ الثاني، ففهم منه النووي، أن اللفظ الأول متفق عليه، وأن الثاني رواية أخرى لهذا الحديث، وليس الأمر كذلك، بل اللفظ الأول أخرجه مسلم، واللفظ الثاني أخرجه البخاري، وليس عند البخاري إلا في موضع واحد فقط.

وقع المنذري في ترغيبه، فيما وقع فيه المؤلف فاعتبر الرواية الأولى من المتفق عليه.

في تجنب أسبابه، مع ما يوجبه توكيد الخبر ابتداءً من عناية به واهتمامٍ، بمضمونه، ثم التشويق بأفعل التفضيل في قوله: (إن من أكبر الكبائر) حيث بدأ الرسول ﷺ بتوكيد الخبر وسلط هذا التوكيد على صيغة (أفعل) التفضيل مرتقياً به قمة المعنى المراد ثم أضاف هذه الصيغة (أكبر) إلى لفظ (الكبائر) مرتقياً به درجة أعلى، وصلت بالمعنى إلى ذروة الخطايا فجعلت هذا الذنب من الكبائر ثم رفعته درجة بها صار أكبر هذه الكبائر، وأعظم الذنوب.

الطريف أنه لم يَذكر بَعْدُ هذا الكبير الذي فاق كل الكبائر الأمر الذي جعل المخاطب في قمة الترقب والتطلع لمعرفة كنه هذا الذنب خشية أن يكون ملماً به، واقعاً فيه، أو حتى لمجرد الاحتياط، والحذر منه، وهذا الأسلوب في التشويق والإثارة يمهد النفوس تماماً ويعدِّها لتلقي الخبر وهي في أتم يقظة وإدراك لعظم هذا الذنب، وخطره حتى إذا ما تلقته، وأدركته وقع منها موقعاً لا تنساه ولا تستهين به.

أضف إلى ذلك ذكره للخبر الغريب (أن يلعن الرجل والديه) لأن لعن الوالدين أمر مناف للفطرة مثير للعجب بعيد عن التصور - لا سيما - إن كان المخاطبون ثلة طاهرة من أصحاب الرسول ﷺ عفّة ألسنتهم نقيّة قلوبهم، لذلك جاءت استفهامة الصحابي عفوية عجلى تعكس تحقيق الأسلوب لأغراضه بتحقيق الإثارة للذهن وتحقيق التشويق وإعداد المخاطب للخبر، وإشراكه في الحوار باستفهام التعجب والاستبعاد في قوله: (وكيف يلعن الرجل والديه؟) لأن الطبع المستقيم يأبى ذلك، وصياغة الفعل في صورته المضارعية في قوله: (يسب أبا الرجل...) لاستحضار الحالة الحوارية بين المتسابين، وتبادلهم للعنات. بغرض تقبيح الفعل والتنفير منه.

وتكرار الفعل عدة مرات: (يسب - فيسب - ويسب) ثلاث مرات، إحداهما ارتبطت بما قبلها بفاء السببية إشارة إلى أنه السبب في وقوع السب على والديه، وتكرار الفعل لجعله ملئ الأسماع، والأفهام وتقريره في الذهن، لأنه موضع الخطأ، ومحل التقويم، ومركز الحديث، والنص على ذكر الفعل في جانب الأم في قوله: (فيسب أباه ويسب أمه) مع إمكان الاستغناء عنه بما ذُكر في جانب الأب إشارة إلى

استقلالية الخطأ في حق كل منهما فسب الأب كبيرة منفردة، وسب الأم كبيرة أخرى بالإضافة إلى ما يؤكده من مضمون المعنى، وتقريره.

وقوله: (أن يلعن الرجل والديه) مجاز مرسل علاقته المسببية حيث أطلق المسبب، وهو لعن الرجل والديه، وأراد السبب، وهو سب الرَّجل لوالدي غيره، والتعبير بالمجاز هنا أفاد المبالغة في بيان خطر سب الآخرين، وجعله لعناً للوالدين بغرض التنفير منه، والتحذير من عاقبته، لأنه ينمي الكراهية وقطع أواصر المحبة، لذلك قاومه الرسول ﷺ بكل أشكاله[١]

فقه الحديث

في الحديث من الأحكام ما يأتي:

١- إن لعن الرجل والديه يعد من أكبر الكبائر[٢]، وذلك لأنه فرد من أفراد العقوق، ولأنه إن كان التسبب إلى لعن الوالدين يعد من أكبر الكبائر، فالتصريح بلعنه أشد[٣].

قال ابن تيمية: (فإذا كان النبي ﷺ قد جعل من الكبائر أن يسب الرجل أبا غيره لئلا يسب أباه، فكيف إذا هو سب أباه مباشرة؟!)[٤].

٢- وفيه أن من آل فعله إلى محرم، فإنه يحرم عليه ذلك الفعل، حتى وإن لم يقصد إلى ما يحرم[٥].

والأصل فيه قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا

---

(١) بلاغة الرسول ﷺ في تقويم أخطاء الناس دراسة في الصحيحين، د: ناصر راضي الزهري ص ٢٢٩.

(٢) تفسير القرطبي ٢٣٨/١٠، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد البكري ٢٨٢/٤، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٠٣/١٠، وسبل السلام، الصنعاني ١٦٦/٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٠٣/١٠.

(٤) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه ٢٢٦/٢٤.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٠٤/١٠، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٨/٢، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٥٩/٢، وسبل السلام، الصنعاني ١٦٦/٤.

بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[١]، وهي القاعدة المعروفة بسد الذرائع.

٣- وفيه دليل على أن من تسبب في شيء جاز أن ينسب إليه ذلك الشيء[٢].

٤- وفيه دليل على العمل بالغالب، لأن الذي يسب أبا الرجل، يجوز أن يسب الآخر أباه، ويجوز ألا يفعل، ولكن الغالب أن يجيبه بنحو قوله[٣].

٥- وفيه مراجعة الطالب لشيخه فيما يقوله مما يشكل عليه[٤].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترهيب، والتوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من سب الوالدين.

ثالثًا: من واجبات المدعو: الاستفهام عما أشكل عليه.

رابعًا: من مهام الداعية: توضيح ما أشكل فهمه على المدعوين.

أولاً- من أساليب الدعوة: الترهيب، والتوكيد:

لقد ورد أسلوب الترهيب في الحديث في قوله ﷺ: "من الكبائر"، وفي رواية: "من أكبر الكبائر"، (وهو من الأساليب الدعوية المهمة التي بها يتم الوعيد والتهديد بعقوبة إزاء ارتكاب المرء معصية، أو اقتراف سيئة منهيٍّ عنها، أو التهاون في أمر من أمور الدين أمر الله به، أو أداء فريضة على كل مسلم ومسلمة)[٥]، (والأصل أن يكون الترهيب بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة، مما يخيف المدعو ويحذره من عدم الاستجابة، أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله)[٦]، أما التوكيد كأسلوب

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٠٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٨/٢، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٣٥/١٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٠٤/١٠، وسبل السلام، الصنعاني ١٦٦/٤.

(٤) المرجع السابق ٤٠٤/١٠.

(٥) دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام، فتحية الحلواني ص ١٣٩.

(٦) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٢١.

دعوي فقد ورد في الحديث من قوله ﷺ: "إن من أكبر الكبائر"، وبه يتم تثبيت الأمر المدعو إليه في أذهان المدعوين وتأكيده بما لا يدع فيه مجالاً للشك.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من سب الوالدين:

إن من موضوعات الدعوة المستنبطة من هذا الحديث الترهيب من سب الوالدين، (فكما لا يجوز للولد أن يلعن أو يسب والديه أو أحدهما، كذلك لا يجوز أن يكون سببًا في سبّ أحدهما أو لعنه، وذلك بأن يلعن أحدًا أو يسبّه في أبيه أو أمه، فيسب المسبوبُ أو الملعونُ أباه وأمه، لأن هذا عادة الناس وطباعهم)(١)، وكون الولد متسببًا في لعن أو سب والديه فإنه عقوق، وهو من أكبر الكبائر، وهذا ما أكده النبي ﷺ في نص الحديث من قوله: "من الكبائر شتم الرجل والديه"، وفي رواية: "إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه".

قال النووي: (وأما قوله ﷺ: "من الكبائر شتم الرجل والديه"، إلى آخره، ففيه دليل على أن من تسبب في شيء جاز أن ينسب إليه ذلك الشيء، وإنما جعل هذا عقوقًا لكونه يحصل منه ما يتأذى به الوالد تأذيًا ليس بالهين.. وفيه قطع الذرائع، فيؤخذ منه النهي عن بيع العصير لمن يتخذ الخمر، والسلاح لمن يقطع الطريق ونحو ذلك، والله أعلم)(٢).

وقد أكد النبي ﷺ على الترهيب من أن يكون الولد متسببًا في لعن أو سب والديه، فعن المعرور بن سويد قال: مَرَرْنَا بِأَبِي ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ بُرْدٌ وَعَلَى غُلاَمِهِ مِثْلُهُ، فَقُلْنَا: يَا أَبَا ذَرٍّ لَوْ جَمَعْتَ بَيْنَهُمَا كَانَتْ حُلَّةً، فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِي كَلاَمٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً، فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَشَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَقِيتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: ((يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ)) قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ سَبَّ الرِّجَالَ سَبُّوا أَبَاهُ وَأُمَّهُ، قَالَ: ((يَا أَبَا ذَرَ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَلاَ

(١) بر الوالدين، القسم الأول، د. خليل إبراهيم ملا خاطر العزامي ص ١٩٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٠.

تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ))[١].

قال النووي رحمه الله: (وقوله: "فيك جاهلية" أي: هذا التعيير من أخلاق الجاهلية ففيك خلق من أخلاقهم، وينبغي للمسلم أن لا يكون فيه شيء من أخلاقهم، ففيه النهي عن التعيير وتنقيص الآباء والأمهات وأنه من أخلاق الجاهلية. وقوله: "قلت يا رسول الله من سب الرجال سبوا أباه أو أمه قال: يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية" معنى كلام أبي ذر الاعتذار عن سبه أم ذلك الإنسان يعني أنه سبني، ومن سب إنسانًا سب ذلك الإنسان أبا الساب وأمه، فأنكر عليه النبي ﷺ وقال: (هذا من أخلاق الجاهلية"، وإنما يباح للمسبوب أن يسب الساب نفسه بقدر ما سبه ولا يتعرض لأبيه ولا لأمه)[٢].

وفي ذلك قال عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: (من الكبائر عند الله تعالى أن يستسبَّ الرجل لوالده)[٣].

ولهذا كان السابُّ واللاعن لوالديه ملعونًا، والعياذ بالله تعالى، فعن أبي الطفيل رضي الله عنه قال: قُلْنَا لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: أَخْبِرْنَا بِشَيْءٍ أَسَرَّهُ إِلَيْكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ: مَا أَسَرَّ إِلَيَّ شَيْئًا كَتَمَهُ النَّاسَ. وَلَٰكِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: ((لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ. وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا. وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ. وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ الْمَنَارَ))[٤]، فعلى المرء أن يتجنب أن يكون سببًا في لعن أو سب والديه حتى لا تصيبه لعنة الله وغضبه.

ثالثًا- من واجبات المدعو: الاستفهام عما أشكل عليه:

إن من واجبات المدعو المستنبطة من هذا الحديث الاستفهام عما أشكل عليه، حتى يكون واعيًا ومستوعبًا لما يسمعه أو يقرأه، وقد أشار الحديث إلى ذلك في قول الصحابة رضي الله عنهم: (وهل يشتم الرجل والديه؟)، وفي رواية: (يا رسول الله كيف يلعن الرجل والديه؟)، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا

---

(١) أخرجه البخاري ٣٠، ومسلم ١٦٦١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٥٨ - ١٠٥٩.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٢٨، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٢٢).

(٤) أخرجه مسلم ١٩٧٨.

تَعۡلَمُونَ﴾[١]، وفي ذلك قال السعدي: (إن الله أمر بالرجوع إلى أهل العلم في جميع الحوادث عند جهلها)[٢]، وفي ذلك عظيم الفائدة.

رابعًا- من مهام الداعية: توضيح ما أشكل فهمه على المدعوين:

لقد أمر الله تعالى الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس، وأن يبيّنوا لهم ما أشكل فهمه عليهم، فقال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾[٣]، وقال: ﴿وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا﴾[٤]، ولا يكون البيان على كماله إلا بالإيضاح الوافي، ولا يكون الكلام بليغًا إلا إذا كان واضحًا للنفوس المخاطبة، وقد كان عليه السلام (سيد الدعاة) يوضح للناس ولأتباعه ما أشكل فهمه عليهم"[٥]، وهذا ما ورد في الحديث في قوله ﷺ: (نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه)، وذلك بعد أن أشكل على الصحابة رضي الله عنهم فهم قوله ﷺ: (من الكبائر شتم الرجل والديه)، فحري بالداعية أن يقتدي بالنبي ﷺ في ذلك ممتثلاً لقوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾[٦].

(١) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٣٩٤.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٤) سورة النساء، آية: ٦٣.

(٥) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦ - ٢٧.

(٦) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

الحديث رقم (٣٤٠)

٣٤٠- وعن أَبي محمد جبيرِ بن مطعم رضي الله عنه: أن رَسُول الله ﷺ، قَالَ: ((**لاَ يَدْخُلُ الجنَّةَ قَاطِعٌ**)) قَالَ سفيان في روايته: يَعْنِي: قَاطِع رَحِم. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

جبير بن مطعم: هو ابن عدي بن نوفل القرشي.

ابن عم النبي ﷺ، وشيخ قريش في زمانه، كان من أكابر وعلماء قريش، وكان شريفًا مطاعًا، من الطلقاء الذين حَسُن إسلامهم، قدم على النبي ﷺ في فداء أُسارى بدر وهو مشرك، فقال: وافقت رسول الله ﷺ وهو يصلي بأصحابه المغرب أو العشاء، فسمعتُه وهو يقرأ، وقد خرج صوتُه من المسجد، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾[2] قال: فكأنما صَدَع قلبي، فكان يومئذٍ أول ما دخل الإسلام قلبي، قال: فلما سمعته يقرأ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ۝ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾[3] فكاد قلبي يطير، فلمَّا فرغ في صلاته كلَّمتُه في أسارى بدر، فقال: ((لو كان الشيخُ أبوك حيًا فأتانا فيهم شفَّعْناه))[4].

وذلك ليدٍ كانت لمطعم عند رسول الله ﷺ في أنه أجار النبي ﷺ حين رجع من الطائف، وقام في نقض صحيفة القطيعة، وكان يحنو على أهل الشِّعب، ويصلهم في السر، ولم يكن يشرف لعداوة النبي ﷺ ولا يؤذيه، كما كان يفعل غيره.

وقد أسلم جبير قبل فتح مكة، وقد قال النبي ﷺ فيه ((إن بمكة أربعة نفر من

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦/١٨) ولفظهما سواء، وأما قول سفيان، فتفرد مسلم بذكره عقب الحديث. أورده المنذري في ترغيبه (٣٧٢٩).

(٢) سورة الطور، آية: (٧-٨).

(٣) سورة الطور، آية: (٣٥-٣٦).

(٤) أخرجه البخاري، رقم (٤٠٢٣) (٤٠٢٤).

قريش أربأ بهم عن الشرك، وأرغب لهم في الإسلام، عَتَّابُ بن أُسيد، وجبير بن مطعم، وحكيم بن حزام، وسهيل بن عمر))[١].

وكان من أنسب قريش لقريش وللعرب قاطبة، وكان يقول إنما أخذتُ النسب عن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وكان أبوبكر من أنسب العرب، وكان جبير رضي الله عنه ممن يُتَحاكَمُ إليه، وقد تحاكم إليه عثمان وطلحة رضي الله عنهما في قضية، وهو أحد الذين دفنوا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو أول من لبس طيلسانًا بالمدينة، وقيل إنه كان من عمَّال عمر رضي الله عنه على الكوفة، وإنه ولاَّه قبل المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، وله رواية وأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بلغت ٦٠ حديثًا توفي بالمدينة، سنة ٥٧هـ، وقيل ٥٩هـ في خلافة معاوية[٢].

الشرح الأدبي

بيَّن الرسول صلى الله عليه وسلم خطأ قطيعة الرحم، وأكد على وجوب صلتها، والصبر على ذلك؛ لأن الوشائج الأسرية هي وسيلة التماسك للحلقة الصغرى في بناء المجتمع المسلم منها يمكن الانطلاق إلى دائرة أوسع للتواصل، والتراحم والتكافل في أرجاء المجتمع، وأسلوب الحديث يعتمد أسلوب إيجاز القصر في إرسال عبارة الترهيب قصيرة مدوِّية تهز وجدان المخاطب وقد جاءت في أسلوب النفي الذي مثَّلت فيه (لا) النافية سداً منيعاً بين باب الجنة، والقاطع تمنعه من الدخول، والفعل المضارع الذي دخلت عليه يصورٌ هذا الحدث ويجعله بين السمع، والبصر، وحذف المضاف إليه (قاطع رحم) تحذيراً من كل أشكال القطيعة التي تؤدي إلى تمزق المجتمع المسلم.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم (٦٥٨٢)، وذكره الهندي في كنز العمال (٣٣٦٩٢).

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (١١٩)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٥١٥/١-٥١٦)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (١٧٨)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (٩٥/٣)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٤٣٩/١-٤٤٠)، وتهذيب التهذيب (٢٩١/١-٢٩٢)، والأعلام، خير الدين الزركلي (١١٢/٢)، وموسوعة عظماء حول الرسول (٥٥٨/١-٥٥٩).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من قطيعة الرحم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على صلة الأرحام.

أولاً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

لقد ورد الترهيب من قطيعة الرحم في هذا الحديث في قوله ﷺ: (لا يدخل الجنة قاطع). ليبيّن النبي ﷺ خطورة هذا الأمر وعاقبته الوخيمة التي تؤدي إلى حرمان المؤمن من دخول الجنة.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من قطع الرحم:

إن من موضوعات الدعوة التي يجدر بالداعية أن يعالجها ويحذر المدعوين منها قطيعة الرحم، وهذاما ورد في الحديث في قوله ﷺ "لا يدخل الجنة قاطع" قال سفيان في روايته: يعني قاطع رحم، وقد رهب المولى عز وجل من قطع الرحم فقال: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾[(١)] قال ابن كثير: (وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عمومًا وعن قطع الرحم خصوصًا)[(٢)].

وفي الترهيب من ذلك قال ﷺ: (خلق الله الخلق، فلما فرغ منه قامت الرحم، فأخذت بحقو الرحمن، فقال له: مه، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال: فذاك" قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[(٣)(٤)] وقال ﷺ: ((مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ الله لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا

---

(١) سورة محمد، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣١٨/٧.

(٣) سورة محمد، آية: ٢٢.

(٤) أخرجه البخاري ٤٨٣٠، ومسلم ٢٥٥٤.

مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ))[١].

قال المباركفوري: (قوله: "ما ذنب" ما نافية ومن زائدة للاستغراق "أجدر" أي أحرى "أن يعجل الله" صلة أجدر على تقدير الياء أي بتعجيله سبحانه "لصاحبه" أي لمرتكب الذنب "العقوبة" مفعول يعجل "مع ما يدخر" بتشديد الدال المهملة وكسر الخاء المعجمة أي مع ما يؤجل من العقوبة "له" أي لصاحب الذنب "من البغي" أي من بغي الباغي وهو الظلم أو الخروج على السلطان "وقطيعة الرحم" أي ومن قطع صلة ذوي الأرحام)[٢]. وفي ذلك بيان عظيم على الترهيب من قطع الرحم.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحث على صلة الأرحام:

يستنبط هذا من عموم هذا الحديث، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[٣]، قال السعدي: (وقد افتتح تعالى هذه السورة بالأمر بتقواه، والحث على عبادته، والأمر بصلة الأرحام، والحث على ذلك)[٤]، وقال ﷺ: ((مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))[٥].

قال النووي: (ينسأ مهموزًا أي: يؤخر والأثر الأجل؛ لأنه تابع للحياة في أثرها، وبسط الرزق توسيعه وكثرته وقيل: البركة فيه، وأما التأخير في الأجل ففيه سؤال مشهور وهو أن الآجال والأرزاق مقدرة لا تزيد ولا تنقص: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[٦]، وأجاب العلماء بأجوبة: الصحيح منها: أن هذه الزيادة

---

(١) سنن الترمذي ٢٥١١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠٣٩).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ١٩٤٤/٢.

(٣) سورة النساء، آية: ١.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٢٩.

(٥) أخرجه مسلم ٢٥٥٧.

(٦) سورة الأعراف، آية: ٣٤.

بالبركة في عمره والتوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتها عن الضياع في غير ذلك، والثاني: أنه بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة وفي اللوح المحفوظ ونحو ذلك، فيظهر لهم في اللوح أن عمره ستون سنة إلا أن يصل رحمه فإن وصلها زيد له أربعون وقد علم الله سبحانه وتعالى ما سيقع له من ذلك، وهو من معنى قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾[1] فيه النسبة إلى علم الله تعالى وما سبق به قدره، ولا زيادة، بل هي مستحيلة وبالنسبة إلى ما ظهر للمخلوقين، تتصور الزيادة وهو مراد الحديث)[2].

وقد جعل الله تعالى صلة الأرحام باب صلته تعالى وحبه، فعن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا الرَّحْمن، وَأَنَا خَلَقْتُ الرَّحِمَ، وَاشْتَقَقْتُ لَهَا مِنِ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَّتُّهُ))[3]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((من اتقى ربه ووصل رحمه، نُسئ له في أجله، -وفي لفظ: أُنسيء له في عمره- وثرا ماله وأحبه أهله))[4]، فعلى الداعية أن يرغب في صلة الأرحام، ويحث على القيام بحقها، حتى يسعد الواصل في ذلك بنعيم الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة الرعد، آية: ٣٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٥.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٥٣، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٣٨).

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٥٨، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٤٢).

الحديث رقم (٣٤١)

٣٤١- وعن أَبي عيسى المغيرة بن شعبة ﵁، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: ((**إنَّ اللهَ تَعَالَى حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الأمَّهَاتِ، وَمَنْعًا وهَاتِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ، وكَرِهَ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإضَاعَةَ المَالِ**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

قوله: (**مَنْعًا**) مَعنَاهُ: مَنْعُ مَا وَجَبَ عَلَيهِ، وَ(**هَاتِ**): طَلَبُ مَا لَيْسَ لَهُ. وَ(**وَأْدِ البَنَاتِ**) مَعنَاهُ: دَفْنُهُنَّ فِي الحَيَاةِ، وَ(**قيلَ وَقَالَ**) مَعْنَاهُ: الحَديث بكُلّ مَا يَسمَعُهُ، فيَقُولُ: قِيلَ كَذَا، وقَالَ فُلانٌ كَذَا مِمَّا لا يَعْلَمُ صِحَّتَهُ، وَلا يَظُنُّهَا، وَكَفَى بالمَرْءِ كَذِبًا أنْ يُحَدِّثَ بكُلِّ مَا سَمِعَ. وَ(**إضَاعَةُ المَالِ**): تَبذِيرُهُ وَصَرفُهُ فِي غَيْرِ الوُجُوهِ المأذُونِ فِيهَا مِنْ مَقَاصِدِ الآخِرَةِ وَالدُّنْيَا، وتَرْكُ حِفظِهِ مَعَ إمكَانِ الحِفظِ. وَ(**كَثْرَةُ السُّؤَالِ**): الإلحَاحُ فيما لا حَاجَةَ إلَيْهِ.

وفي الباب أحاديث سبقت في الباب قبله:

كحديث: ((**واقْطَعْ مَنْ قَطَعَكَ**))[2]. وحديث: ((**مَنْ قَطَعَني قَطَعَهُ الله**))[3].

ترجمة الراوي:

المغيرة بن شعبة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩٨).

الشرح الأدبي

الحديث يتناول بعض الأمور التي حرمها الله على المؤمنين، وقد بدأ الحديث بأسلوب خبري مؤكد بعدة مؤكدات منها أداة التوكيد (إن) واسمية الجملة، مع تصدير الجملة بلفظ الجلالة الذي يوحي بالهيبة، والجلال، ثم الجملة التنزيهية (تعالى)التي تصعِّد هذا الشعور، وقوله (حرم عليكم) يشير إلى أن مسألة التحريم،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧٥) واللفظ له، ومسلم (١٢/٥٩٣، عقب الحديث رقم ١٠/١٧١٥، كتاب الأقضية، باب ٥). أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٧٧). وسيكرره المؤلف برقم (١٤١٨)، و (١٧٨٤).

(٢) برقم (٣١٥).

(٣) برقم (٣٢٣).

والتحليل من عند الله، والفعل الماضي يشير إلى التحقق، وإضافة كاف الخطاب، وميم الجمع إلى حرف الجر يفيد عموم الحكم، وإضافة العقوق للأمهات؛ لأن حقهن أوجب لما يلاقين من عناء، ولحاجتهن إلى الرعاية أكثر، وبين قوله منع، وهات طباق يؤكد المعنى، ويقرر حرمة منع ما يجب إخراجه، وحرمة سؤال ما ليس له، وما لا حاجة إليه، ووأد البنات أي دفنهن أحياء، وبناء الفعل(قيل) يشير إلى نقل كلام الغير (وقال) يشير إلى إذاعة ما سمع ولعله يشير إلى الغيبة، والنميمة، ونشر ما يحدث الفتن بين المسلمين، وفي الحديث سجع بين الجمل الثلاث الأولى بتكرار الألف، والتاء، وبين الجمل الثلاث الأخيرة بتكرار الألف واللام، وهذا السجع يعين على الحفظ والنقل ويساعد على الانتشار، مع ما يحققه من ثبات المعنى، وقبول النفس، وفيه جناس بين قيل، وقال أكد معنى التسمع على الناس، وإذاعة أسرارهم مما يحدث الفرقة، والشحناء بين الناس.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد، والترهيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تحريم عقوق الأمهات.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حرمة منع حقوق العباد وأخذ ما ليس للمرء فيه حق.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: حرمة وأد البنات.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: النهي عن الكلام بكل ما يسمعه المرء.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: النهي عن كثرة السؤال.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: النهي عن إضاعة المال.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد، والترهيب:

لقد ورد أسلوب التوكيد في الحديث من قوله ﷺ: "إن الله تعالى" وهو من الأساليب الدعوية التي يستعين بها الداعية لتثبيت وتأكيد الأمر المدعو إليه في أذهان المدعوين، أما الترهيب فقد ورد في الحديث من قوله ﷺ: "إن الله تعالى حرّم عليكم... إلخ"، (والترهيب وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى

الله عنه، أو التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به)[1]. وفي ذلك عظيم الفائدة في إخافة المدعو وحمله على فعل الأمر المدعو إليه.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تحريم عقوق الأمهات:

"لقد خصّ الله ورسوله ﷺ الأم بالذكر بعد الوصية بالوالدين معًا، وجعل لها من البر أكثر مما للأب، وذلك لأن فضلها على الولد أكثر، وتمتاز بأمور لا يشركها فيها الأب، فاستحقت التقديم بالبر والإحسان، والتقدير والاحترام أكثر مما للأب، وذلك بثلاثة أمثال ما للأب:

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[2].

وقال جلّ شأنه: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا﴾[3].

ففي الآيتين الكريمتين ذكر الوصية بالوالدين، ثم خصّ الأم بالذكر، وذكر لها ثلاثة أمور تنفرد بها عن الأب: الحمل، والولادة، والرضاع الذي يستمر سنتين كاملتين، وكلّ من هذه الأمور الثلاثة التي تختص بها الأم -ولا يعرفها الرجل إلا نظرًا- تجعل الأم تستحق من البر أكثر مما يستحقه الرجل. ولها الحظ الأوفر من البر، إضافة إلى ضعفها، وقوة الرجل، وعدم قدرتها -غالبًا- على استخلاص حقها، لذا تُقدَّم في ذلك على الأب عند المزاحمة.

ولذا نلاحظ أن الله سبحانه غلّب جانب الوالدة في الذكر على جانب الأب، عندما جمع بينهما، فلم يقل الله تعالى: "بأبويه" لأنه تعالى لو قال: "بأبويه" لحصل تنافر بما ذكره من تخصيص الأم بالحمل والوضع...، فكان تغليب جانب الأم في الذكر هنا

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، د. عبدالرحمن النحلاوي ص ٢٥٧.

(٢) سورة لقمان، آية: ١٤.

(٣) سورة الأحقاف، آية: ١٥.

"بوالديه" ملفتًا للنظر، في تقديم الوصية بها، والاعتناء بها، وتقديم برها، وبيان مكانتها)[١].

وهذا ما أكده النبي ﷺ وحثّ عليه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: أُمُّكَ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أَبُوكَ))[٢].

لذا حرّم الحق تبارك وتعالى عقوق الأمهات، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: "إن الله حرّم عليكم عقوق الأمهات". والمراد بالعقوق كما بينه ابن حجر: (هو صدور ما يتأذى به الوالد من ولده من قول أو فعل، إلا في شرك أو معصية ما لم يتعنت الوالد، وقال: إن تخصيص الأم بالذكر، هو من تخصيص الشيء بالذكر إظهارًا لعظم موقعه)[٣].

والعقوق هنا من أكبر الكبائر، وفي ذلك قال ﷺ: ((ألا أُنبِّئُكم بأكبَر الكبائِر))، ثم ذكر ﷺ من ذلك: ((وعقوقُ الوالِدَين))[٤]، ثم بيّن ﷺ عظم هذا الذنب فقال: (ثلاثة لا ينظر الله - عز وجل - إليهم يوم القيامة)، ثم ذكر ﷺ: ((الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ))[٥]، وفي ذلك بيان على عظم الترهيب من عقوق الوالدين وبالأخص عقوق الأم.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: حرمة منع حقوق العباد وأخذ ما ليس للمرء فيه حق:

لقد أشار الحديث إلى ذلك في قوله ﷺ: "إن الله حرم عليكم"، ثم ذكر ﷺ من ذلك: "ومنعًا وهات"، وبيّن ابن عثيمين: (أن المراد من قوله ﷺ: "ومنعًا وهات"، أن يكون الإنسان جموعًا منوعًا؛ يمنع ما يجب عليه بذله من المال، ويطلب ما ليس له، وقد حرم الله عز وجل ذلك؛ فلا يجوز للإنسان أن يمنع ما يجب عليه بذله من المال، ولا

(١) بر الوالدين القسم الأول، د. خليل إبراهيم ملا خاطر ص ٤٩ - ٥٠.

(٢) أخرجه البخاري ٥٩٧١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٣٢٠.

(٤) أخرجه البخاري ٦٢٧٣، ومسلم ٨٧.

(٥) أخرجه النسائي ٢٥٦٢، وقال الألباني: حديث حسن صحيح (صحيح سنن النسائي ٢٤٠٢).

يجوز أن يسأل ما لا يستحق، فكلاهما حرام)[١].

وقد توعد الحق تبارك وتعالى من يمنع ما يجب عليه من بذل المال، فقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٢]، وهذا ما أكد عليه النبي ﷺ في قوله: ((مَن آتاهُ الله مالاً فلم يُؤد زكاته مُثِّلَ له ماله شُجاعًا أقرَعَ له زَبيبتان يُطوَّقهُ يومَ القيامة، يأخذُ بِلِهْزِمتيهِ ـ يعني بشدقَيهِ يقول: أنا مالكُ، أنا كَنزُك. ثمَّ تلا هذه الآية: (وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ يَبْخَلُوْنَ بِمَا آتَاهُمُ الله مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خيرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ)[٣]))[٤]، وقد بيّن النبي ﷺ سوء عاقبة من يسأل الناس ما ليس له فيه حق، فقال: ((مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكَثُّرًا، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا. فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ))[٥]، وفي ذلك بيان عظيم على حرمة منع حقوق العباد، وأخذ ما ليس للمرء فيه حق.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: حرمة وأد البنات:

لقد أشار الحديث إلى ذلك في قوله ﷺ: (إن الله تعالى حرم عليكم)، ثم ذكر من ذلك: (وأد البنات)، وهذا ما أكده الحق تبارك وتعالى في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾[٦]، قال ابن كثير: (والموءودة هي التي كان أهل الجاهلية يدسونها في التراب كراهية البنات، فيوم القيامة تسأل الموءودة على أي ذنب قتلت،

---

(١) شرح رياض الصالحين ٧٠٦/١ - ٧٠٧.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٠.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٠.

(٤) أخرجه البخاري ١٤٠٣ - ٤٥٦٥.

(٥) أخرجه مسلم ١٠٤١.

(٦) سورة التكوير، الآيتان: ٨ - ٩.

ليكون ذلك تهديدًا لقاتلها، فإذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذا؟!)[١].

وهذا ما أكده السعدي في قوله: (والمؤودة هي ما كانت الجاهلية الجهلاء تفعله من دفن البنات وهن أحياء من غير سبب، إلا خشية الفقر، فتسأل: (بأي ذنب قتلت)، ومن المعلوم أنها ليس لها ذنب، ولكن هذا توبيخ وتقريع لقاتلها)[٢]. وفي ذلك بيان عظيم على حرمة وأد البنات وسوء عاقبة مرتكبه.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: النهي عن الكلام بكل ما يسمعه المرء:

ورد النهي عن الكلام بكل ما يسمعه الإنسان في قوله ﷺ: (وكره لكم قيل وقال)، قال ابن حجر: (قال المحب الطبري في قيل وقال ثلاثة أوجه: أحدها: أنهما مصدران للقول، تقول قلت قولاً وقيلاً وقالاً، والمراد الإشارة إلى كراهة كثرة الكلام لأنها تؤول إلى الخطأ...، ثانيها: إرادة حكاية أقاويل الناس، والبحث عنها، ليخبر عنها فيقول: قال فلان كذا وقيل كذا، والنهي عنه إما للزجر عن الاستكثار منه، وإما لشيء مخصوص منه، وهو ما يكرهه المحكي عنه، ثالثها: أن ذلك في حكاية الاختلاف في أمور الدين كقوله: قال فلان كذا وقال فلان كذا، ومحل كراهة ذلك أن يكثر من ذلك بحيث لا يؤمن مع الإكثار من الزلل، وهذا مخصوص بمن ينقل ذلك من غير تثبت، ولكن يقلد من سمعه ولا يحتاط له، قلت: ويؤيد ذلك الحديث الصحيح: ((كَفَى بِالمَرْءِ إثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بكُلِّ ما سَمِعَ))[٣])[٤].

قال النووي: (ومعنى الحديث الزجر عن التحديث بكل ما سمع الإنسان، فإنه يسمع في العادة الصدق والكذب، فإذا حدَّث بكل ما سمع فقد كذب لإخباره بما لم يكن، وقد تقدم أن مذهب أهل الحق أن الكذب الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو،

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/٣٣٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٨٤٤.

(٣) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه ٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٤٢١.

ولا يشترط فيه التعمد، لكن التعمد شرط في كونه إثمًا والله أعلم)[١].

فعلى المرء ألا يتحدث بكل ما يسمع لما في ذلك من الوقوع في الزلل.

سادسًا- من موضوعات الدعوة: النهي عن كثرة السؤال:

لقد ورد النهي عن كثرة السؤال في الحديث من قوله ﷺ: "وكره لكم"، ثم قال: "وكثرة السؤال".

قال ابن حجر: (وقد ورد الاختلاف في المراد بكثرة السؤال، وهل هو سؤال المال، أو السؤال عن المشكلات والمعضلات، أو أعم من ذلك؟ وأن الأولى حمله على العموم، وقد ذهب بعض العلماء إلى أن المراد به كثرة السؤال عن أخبار الناس وأحداث الزمان، أو كثرة سؤال إنسان بعينه عن تفاصيل حاله، فإن ذلك مما يكره المسئول غالبا، وقد ثبت النهي عن الأغلوطات... وثبت عن جمع من السلف كراهة تكلف المسائل التي يستحيل وقوعها عادة أو يندر جدا، وإنما كرهوا ذلك لما فيه من التنطع والقول بالظن، إذ لا يخلو صاحبه من الخطأ)[٢].

وهذا ما أكده ابن عثيمين في قوله: (إن السؤال عن العلم إن كان يقصد به إعنات المسؤول، والإشقاق عليه، وإلحاق السآمة به، أو تلقط زلاته لعله يزل فيكون في ذلك قدح فيه، فإن هذا هو المكروه، أما إذا كان المقصود من السؤال إرادة العلم، فإنه لا ينهى عن ذلك، ولا يكره ذلك، وقد كان عبدالله بن عباس رضي الله عنهما كثير السؤال، فقد قيل له: بم أدركت العلم؟ قال: أدركت العلم بلسانٍ سؤول، وقلب عقول، وبدن غير ملول)[٣].

وفي ذم السؤال للمال قال ﷺ: ((لاَ تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللّهَ، وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ))[٤]، وقال ﷺ: ((إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لاَ تَحِلُّ إِلاَّ لأَحَدِ ثَلاَثَةٍ: رَجُلٌ تَحَمَّلَ

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٤٨ - ٤٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٢١/١٠.

(٣) شرح رياض الصالحين ٧٠٧/١.

(٤) أخرجه البخاري ١٤٧٥، ومسلم ١٠٤٠.

حَمَالَةً فَحلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ. وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ فَحلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ (أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ. وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُوم ثَلاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلانًا فَاقَةٌ. فَحلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ. حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ، يَا قَبِيصَةُ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا))(١).

قال ابن حجر: (قال النووي: اتفق العلماء على النهي عن السؤال من غير ضرورة، قال: واختلف أصحابنا في سؤال القادر على الكسب على وجهين، أصحهما التحريم لظاهر الأحاديث، والثاني: يجوز مع الكراهة بشروط ثلاثة: أن لا يلح ولا يذل نفسه زيادة على ذل نفس السؤال، ولا يؤذي المسئول، فإن فقد شرط من ذلك حرم، وقال الفكهاني: يتعجب ممن قال بكراهة السؤال مطلقا مع وجود السؤال في عصر النبي ﷺ ثم السلف الصالح من غير نكير، فالشارع لا يقر على مكروه، قلت: لعل من كره مطلقا أراد أنه خلاف الأولى. ولا يلزم من وقوعه أن تتغير صفته ولا من تقريره أيضا، وينبغي حمل حال أولئك على السداد؛ وأن السائل منهم غالبًا ما كان يسأل إلا عند الحاجة الشديدة، وفي قوله: "من غير نكير" نظر، ففي الأحاديث الكثيرة الواردة في ذم السؤال كفاية في إنكار ذلك، (تنبيه): جميع ما تقدم فيما سأل لنفسه، وأما إذا سأل لغيره فالذي يظهر أيضا أنه يختلف باختلاف الأحوال)(٢).

سابعًا- من موضوعات الدعوة: النهي عن إضاعة المال:

لقد أشار الحديث إلى ذلك في قوله ﷺ: "وكره لكم"، ثم قال: "وإضاعة المال". قال ابن حجر: (إن الأكثر حملوه على الإسراف في الإنفاق ، وقيده بعضهم بالإنفاق في الحرام، والأقوى أنه ما أنفق في غير وجهه المأذون فيه شرعًا سواء كانت دينية أو دنيوية فمنع منه، لأن الله تعالى جعل المال قياما لمصالح العباد، وفي تبذيرها تفويت تلك المصالح، إما في حق مضيعها وإما في حق غيره، ويستثنى من ذلك كثرة إنفاقه في وجوه

---

(١) أخرجه مسلم ١٠٤٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٢٢/١٠.

البر لتحصيل ثواب الآخرة، ما لم يفوت حقا أخرويا أهم منه، والحاصل في كثرة الإنفاق ثلاثة أوجه:

الأول: إنفاقه في الوجوه المذمومة شرعًا فلا شك في منعه.

والثاني: إنفاقه في الوجوه المحمودة شرعًا فلا شك في كونه مطلوبا بالشرط المذكور.

والثالث: إنفاقه في المباحات بالأصالة كملاذ النفس، فهذا ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: أن يكون على وجه يليق بحال المنفق وبقدر ماله، فهذا ليس بإسراف.
والثاني: ما لا يليق به عرفا، وهو ينقسم أيضا إلى قسمين: أحدهما: ما يكون لدفع مفسدة إما ناجزة أو متوقعة، فهذا ليس بإسراف.

والثاني: ما لا يكون في شيء من ذلك فالجمهور على أنه إسراف، وذهب بعض الشافعية إلى أنه ليس بإسراف قال: لأنه تقوم به مصلحة البدن وهو غرض صحيح، وإذا كان في غير معصية فهو مباح له.

قال ابن دقيق العيد: وظاهر القرآن يمنع ما قال ا هـ. وقد صرح بالمنع القاضي حسين، فقال في كتاب قسم الصدقات: هو حرام، وتبعه الغزالي، وجزم به الرافعي في الكلام على المغارم، وصحح في باب الحجر من الشرح وفي المحرر أنه ليس بتبذير، وتبعه النووي، والذي يترجح أنه ليس مذمومًا لذاته، لكنه يفضي غالبًا إلى ارتكاب المحذور كسؤال الناس، وما أدى إلى المحذور فهو محذور.

وجزم الباجي من المالكية بمنع استيعاب جميع المال بالصدقة قال: ويكره كثرة إنفاقه في مصالح الدنيا، ولا بأس به إذا وقع نادرًا لحادث يحدث كضيف أو عيد أو وليمة، ومما لا خلاف في كراهته مجاوزة الحد في الإنفاق على البناء زيادة على قدر الحاجة، وأما إضاعة المال في المعصية فلا يختص بارتكاب الفواحش، بل يدخل فيها سوء القيام على الرقيق والبهائم حتى يهلكوا، وغير ذلك من الأمثلة التي يتعذر حصرها والتي تتم إضاعة المال فيها، وكذلك دفع مال من لم يؤنس منه الرشد إليه، وقسمة ما لا ينتفع بجزئه كالجوهرة النفيسة، وقال السبكي الكبير في "الحلبيات": (الضابط

في إضاعة المال أن لا يكون لغرض ديني ولا دنيوي، فإن انتفيا حرم قطعًا، وإن وجد أحدهما وجودًا له بال وكان الإنفاق لائقًا بالحال ولا معصية فيه جاز قطعا، وبين الرتبتين وسائط كثيرة لا تدخل تحت ضابط، فعلى المفتي أن يرى فيما تيسر منها رأيه، وأما ما لا يتيسر فقد تعرض له: فالإنفاق في المعصية حرام كله، ولا نظر إلى ما يحصل في مطلوبه من قضاء شهوة ولذة حسنة، وأما إنفاقه في الملاذ المباحة فهو موضع الاختلاف، فظاهر قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾(١).

أن الزائد الذي لا يليق بحال المنفق إسراف، ثم قال: وبذل مالاً كثيرًا في غرض يسير تافه عده العقلاء مضيعًا، بخلاف عكسه، والله أعلم. قال الطيبي: هذا الحديث أصل في معرفة حسن الخلق، وهو تتبع جميع الأخلاق الحميدة والخلال الجميلة)(٢).

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٦٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٤٢٢ - ٤٢٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الخلق الحسن من غايات التربية الإسلامية، وهو ناتج الإيمان بالله من ناحية وناتج التكاليف الشرعية من ناحية ثانية، وناتج الأمر بحسن الخلق من ناحية ثالثة، والرسول ﷺ وهو يرسم السبيل لهذا أبان لنا عن كثير من الأخلاق المرذولة التي حرمها الإسلام، وجعل بعض السلوكيات والأخلاق غير الحميدة في درجة الكبائر، وقرن بين بعضها ليرهب من إتيانها، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية بالتكرار والتأكيد:

التأكيد والتكرار من أهم الأساليب في تثبيت المعنى في القلوب، وبثه في النفوس وحملها على التصديق والإيمان به، ولاشك في أن التأكيد والتكرار لهما أثر كبير في النفوس، وهذا شيء هديت إليه فطرة الإنسان، فلجأ إلى تأكيد كلامه للسامع وتكرار ما يريد نقله إليه[1].

ونظرًا لكون التكرار صار منهجًا متبعًا لدى الرسول في تعليمه لصحابته، فإن البخاري عقد بابًا كرّسه لتأكيد هذا المعنى، ترجم له بقوله: باب: من أعاد الحديث ثلاثًا ليفهم[2].

وفي هذا الباب كرر ﷺ سؤاله: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلاَثَ مَراتْ»؟ ثُمَّ كَرَرَ: «أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ»، حَتَّى قَالَ الصَّحَابَةُ: لَيْتَهُ سَكَتَ، وهو إنما كرر تأكيدًا وتربية لأصحابه على قول الحق والابتعاد عن قول الزور.

ثانيًا- من أساليب التربية: التشويق:

وقد استخدمه ﷺ سبيلاً إلى إثارة انتباه صحابته إلى أهمية ما يقول؛ فنراه يكرر السؤال ثلاث مرات: «ألا أنبئكم....»، وهذه الطريقة في السؤال تشعر مستمعيه بخطورة

---

(١) أسلوب الدعوة القرآنية ص ٣٤، زياد العاني، نقلاً عن أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية ص ٣٠١.

(٢) انظر: التربية في لسنة النبوية، أبو لبابة حسين ص ٧١.

ما سيتلقونه واشتياقهم إلى سرعة سماعه، ولم يستعمل النبي هذا الأسلوب التشويقي في المنهيات وحدها، بل أيضًا في العبادات المقربة إلى الله تعالى: «أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟»[١].

ولا شك أن هذا الأداء ينتج عنه استقامة في السلوك ونماء في العادات الجيدة والأخلاق الفاضلة، ونتائج تربوية إيجابية ناجحة[٢].

وليس تشويقه عن طريق السؤال فحسب، بل أيضًا عن طريق إطلاق عبارة لها دلالة لا يعرفها صحابته، مما يجعلهم يسألون عن معناها «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ».

ثالثًا- من أساليب التربية: التحذير:

وقد استخدم النبي ﷺ أسلوبًا تربويًا فعالاً، وهو التحذير من مغبة الوقوع في قطيعة الرحم؛ فالجنة لن يدخلها قاطع رحم «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ»، وبهذه الطريقة يصل القاطعون أرحامهم وإلا لن يدخلوا الجنّة.

رابعًا- من الأساليب التربوية: تهذيب الأخلاق والتربية عن البعد عن السبِّ والشتم:

فالمسلم "من سلم المسلمون من لسانه ويده"، وعليه أن يحرص على مشاعر أخيه المسلم، ويزداد النهي عن التشاتم إذا تناول الآباء والأمهات، ذلك النمط المتدني من التشاتم، الذي استنكر الصحابة مجرد حديثه «مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ»، قيل: «وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟».

والنيل من عرض المسلم هو بحق خلاف المروءة وخلاف الأولى؛ فقد أمر الله تعالى بالستر على المسلم، خاصة إذا لم يكن معروفًا بالشر، مجاهرًا بالفواحش مستهينًا بالنصيحة، فمن كان هذا شأنه فلابد من بيان حاله، ورفع أمره لمن يلزمه تأديبه وكف شره عن الناس، ومنعه من المجاهرة بالمعاصي وتحدي أحكام الشرع وآدابه[٣].

---

(١) أخرجه مسلم ١٤١.

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة، د. زياد العاني ص ٢٢٤.

(٣) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، أكرم ضياء العمري ص ٢٨٤.

خامسًا- من أهداف التربية الإسلامية: ترقية الذوق العام:

لقد حرص النبي ﷺ على تنشئة مجتمع إسلامي يمتاز بسمو الأخلاق والذوق الرفيع، فلا تشاتم ولا تسابّ، فعلى المسلم أن يحفظ لسانه، مراعاة لذوق الآخرين ومشاعرهم.

وحفظ اللسان والمنطق يشمل البعد عن الألفاظ المحرمة شرعًا، سواء كانت متعلقة بحق الله، أم بحق المخلوق كالسب والشتم والسخرية، ويشمل بذاءة اللسان، والتصريح بما يستحيي منه، وهذا الأمر مما شاع للأسف واعتاده طائفة من الناس، وأهل الصلاح والتقى أولى بأن يبتعدوا عنه، فهو مظهر من مظاهر قلة الحياء وخلق من أخلاق السوقة وأهل السوء[١].

سادسًا- التربية بالحوار والمناقشة:

وهذا واضح من حديثين: حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟"، وحديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: "من الكبائر شتم الرجل والديه" وأسلوب المناقشة -وهو من الأساليب التي تقوم على الحوار في جوهرها- فيه يعتمد المعلم على بعض المعارف والخبرات السابقة لدى المتعلمين وتتميز بأنها تُثبت المعارف الجديدة ومن مزاياه الدور الإيجابي للمتعلمين، كما أنها تدرب على طرق التفكير السليمة.

كما يفيد طرح الأسئلة في جذب اهتمام السامعين، ويمكن للمعلم أن يستغل ذلك في التمهيد الذي يسبق الدرس، وذلك لتنشيط أذهان المتعلمين للمعارف والمعلومات الجديدة التي سوف تلقى عليهم.

سابعًا- استخدام الحركات الجسدية:

وهذا واضح من قول الصحابي أبي بكرة رضي الله عنه: وكان متكئًا فجلس فقال: "ألا وقول الزور وشهادة الزور" فقد غير النبي ﷺ من هيئته ليبين خطورة أمر قول الزور وشهادة الزور. وتغيير هيئة المتكلم يسمى في علم التربية لغة الجسد، ويمكن للمعلم

---

(١) تربية الشباب، محمد عبدالله الدويش ص ١٥٥.

استخدامها للتنبيه على بعض النقاط المهمة وجذبًا لانتباه المتعلمين.

ثامنًا- التربية على معرفة مراتب الأحكام:

وهذا واضح من قوله ﷺ: "إن الله تعالى حرّم عليكم عقوق الأمهات ... وكره لكم قيل وقال ..." الحديث، فقد بيّن النبي ﷺ اختلاف الحكم ففي الثلاثة الاولى أنها حرام على حين أن الثلاثة الأخيرة مكروهات، قال النووي رحمه الله: (دليل على أن الكراهة في هذه الثلاثة الأخيرة للتنزيه لا للتحريم)[١].

وفي ذلك إرشاد لأهل التربية أن يربو الناشئة والكبار - قدر جهدهم- على معرفة مراتب الأحكام، فلا يجعلون الواجب مندوبًا أو الحرام مكروهًا وكذلك العكس في الحالتين ولا يجعلون المباح واجبًا أو حرامًا أو نحو ذلك لما في ذلك من أثر كبير على إتيان الفعل أو الترك، وخاصة في هذا الزمان الذي تساهل فيه كثير من الناس في كثير من الأحكام، فلا يبالون بفعل الحرام ولا بترك الواجب.



(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٠٣-١١٠٤.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضــــــــــوع	الصفحة

الموضــــــــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (٣٢٨)	٦٢١
الحديث رقم (٣٢٩)	٦٢٣
الحديث رقم (٣٤٠)	٦٣٠
الحديث رقم (٣٤١)	٦٣٥
فهرس المحتويات	٦٤٩